

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين
دراسة في ضوء حركة حماس

نزار عبد العزيز رمضان

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

إقرار

أقر أنا مقدم الرسالة أنها قدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّت الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الرسالة، أو أي جزء منها، لم يقدّم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

نزار عبد العزيز رمضان

التاريخ:

الملخص

بعد الدراسة والبحث والتحليل تمكن الباحث من إبراز معالم الخطاب الإسلامي المعاصر الذي تميز بالربانية والشمولية والواقعية، وقد أكدت الدراسة على أهمية التخطيط في العمل الدعوي، وضرورته.

وقد اتخذ الباحث نموذجا واقعيا معاصرا للخطاب الإسلامي المعاصر، تمثل في خطاب حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، مقدما نظرة تحليلية لطبيعة الصراع في فلسطين، والتي تتخذ طابعا دينيا وسياسيا، فحركة حماس التي تقاوم الاحتلال دفاعا عن فلسطين، تتخذ من الإسلام منطلقا ومرتكزا، وتحافظ على قدسية القضية من خلال الضوابط الشرعية.

إن دراسة (الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين) التي تقدم بها الباحث، تؤكد تطور الخطاب الإسلامي الحركي في التعامل مع القضية الفلسطينية، ابتداء من جماعة الإخوان المسلمين التي دافعت عن فلسطين في حربها عام ١٩٤٨م، ومرورا بالثمرة (حماس) التي قاومت ولا تزال تقاوم الاحتلال، والتي تطور حضورها بمشاركة سياسية فاعلة عبر مشاركتها في الانتخابات البرلمانية ومن ثم الحكومات المتعاقبة.

تعرض الباحث في دراسته لمقتضيات الخطاب الإسلامي المعاصر ودورها في الحفاظ على ثوابت القضية الفلسطينية، مؤكدا، ومن خلال التأصيل الشرعي، أن الحفاظ على فلسطين وأرضها ومقدساتها واجب إسلامي شرعي، لا يجوز التناقص عنه، مشيرا إلى أن المزاوجة بين العمل الجهادي والمقاوم والعمل السياسي، لا تفقد القضية اعتبارها.

وأشارت الدراسة إلى دور الصحو الإسلامية والجامعات والمساجد والمؤسسات والهيئات الجماهيرية الإسلامية في الحفاظ على قدسية القضية الفلسطينية، وتصدُّرها للخطاب الإسلامي المعاصر الذي عالج قضايا الأمة الإسلامية وخاصة القضية الفلسطينية عبر الجهاد والكفاح والمقاومة.

وأجابت الدراسة عن تساؤلات عدة حول موقف حماس من التعددية السياسية والديمقراطية ومشاركة المرأة في العمل السياسي، مؤكدة شمولية خطاب حماس لهذه القضايا المعاصرة، فيما عرضت الدراسة أيضا لنجاحات الخطاب الإسلامي المعاصر من خلال تلبية متطلبات جماهير الصحو الإسلامية، فقد قادت تيارات هذه الصحو مسيئة العمل الإسلامي المعاصر عبر منهج تجديدي متطور بعيدا كل البعد عن التقليد الراكد ورافضا لكل ما هو وافد مشبوه.

لقد شكلت مسيرة العمل الأهلي والمؤسساتي أحد أهم المحطات للخطاب الإسلامي المعاصر، وتمكن القائمون على هذه المسيرة من تقديم نموذج رائد ناجح في العمل الخيري والتربوي، كان له الأثر الأكبر في تثبيت الشعب الفلسطيني في وطنه وأرضه، رغم سياسة القمع والحصار التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي.

وانتقدت الرسالة ظاهرة التفريخ الحزبي الضيق والمقيد التي انعكست على مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر سلبيا، كما انتقدت تنامي هذا التيار الذي يبعثر الجهود والذي تحوّل بعضه إلى تيار تكفيري يستبجح دماء الناس وأموالهم بغير حق.

إن الخطاب الإسلامي المعاصر حافظ على ثوابت الأمة الإسلامية والوطنية، وذلك عبر الاهتمام بالعمل الجدي البعيد عن العفوية، والاعتماد على التخطيط، إضافة إلى ما طرحه من ضرورة التعاون الإسلامي المشترك بين التيارات الإسلامية، وعدم فتح معارك جانبية فقهية وفكرية، وتوحيد الخطاب الإسلامي ليصب في مصالح الأمة والشعوب المسلمة، إضافة إلى الاهتمام المركز بالقضية الفلسطينية، والعمل الجاد من أجلها وهذا ما عرضته الرسالة في مباحثها وفصولها.

إهداء

إلى من هو أحب إليّ من نفسي والناس أجمعين، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
القائل: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

إلى والديّ كما ربياني صغيراً.. وللذين كانا دوماً يحضنانني على تحصيل العلم.
إلى زوجتي وأبنائي الذين تحملوا عناء انشغالي عنهم خلال إعداد هذه الدراسة.
إلى الحركة الإسلامية التي كان لها نصيب الأسد في تكوين فكري وثقافتي وعطائي الدعوي
الإسلامي.

إلى الشهداء في علبين، الذين قضوا نحبهم دفاعاً عن كرامة أمتهم ورفعاً دينهم، فكانوا
منارات نصر وعزة وكرامة للأمة والأجيال.

إلى الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي ساهم في رفق هذه الرسالة بالكثير من
المعلومات القيمة من خلال مقابلات عدة، فارتقى إلى السماء قبل أن يتمكن من رؤيتها.
إلى إخواني المعتقلين رفاق الخيمة والغرف المغلقة والزنازين المظلمة، الذين يطوون الزمن
بحثاً عن الحرية وأخص بالذكر الشيخين محمد جمال الننتشة وعبد الخالق الننتشة.

إلى كل هؤلاء أقدم هذا الجهد المتواضع راجياً من الله القبول.. وأن يكون ومضة أمل لأجيال
الصحوّة الإسلامية في طريق ثقافتهم وتحصيلهم المعرفي وتوثيق جهادهم على صعيد القضية
الفلسطينية المباركة.

الباحث

شكر وتقدير

امتنالاً لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"¹ واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، أتقدم بجزيل الشكر ووافر العرفان والتقدير لكل من أسهم وساعد في إنجاز هذه الرسالة العلمية سواء بالمعلومة أو الإشارة أو النصيح أو التوجيهات العلمية وأخص بالذكر شيخي وأستاذي الدكتور إبراهيم أبو سالم المشرف على هذه الرسالة، والذي أمدني بكثير من التوجيهات والتوصيات العلمية من خلال آرائه السديدة التي لم يبخل في تقديمها لي، حيث كان لها عظيم الأثر في خروج هذه الرسالة بهذا الشكل.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي الأوائل الذين جذروا فكري وعقلي بالعلم الشرعي، وأخص بالذكر الدكتور صالح الشريف والدكتور هارون الشرباتي والدكتور عدنان صلاح والدكتور هاني السعيد والدكتور عزام سلهب والدكتور حافظ الجعبري والدكتور زهير إبراهيم والدكتور موسى الدويك، والأساتذة الأجلاء الشيخ مصطفى شاور والشيخ ماهر بدر والشيخ نجيب الجعبري والمرحوم الشيخ إبراهيم نصار والمرحوم الشيخ برهان الدين الجعبري. كما أتقدم بالشكر والعرفان لأساتذتي خلال دراسة الماجستير وأخص بالذكر الدكتور مصطفى أبو صوي والدكتور عفيف حمد والدكتور إسماعيل نواهضة والدكتور حسن السلواي والدكتور سعيد القيق والدكتور عبد الكريم سرحان والدكتور أحمد فواقه.

ولا أنسى شكر إخواني ورفاقي أيام الاعتقال الذين قدموا لي الخدمة الفنية في إعداد هذه الرسالة الأخ فراس طبيش ومهند العملة وفايز الننتشة، كما أتقدم بوافر الشكر إلى الأخ جهاد القواسمي الذي أشرف على طباعة الرسالة وكان يزودني بالمراجع وأنا داخل السجن وكذلك الأستاذ عادل الننتشة الذي أشرف على عملية المونتاج والمراجعة الفنية.

والشكر والتقدير أيضاً إلى الإخوة الذين راجعوا هذه الرسالة وأخص بالذكر الكاتب والأديب وليد خالد والمربي النائب محمود مصلح والأخ الصديق جواد بحر الننتشة .. كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الصديق زياد بدر على مراجعاته اللغوية وتصويباته النحوية.

والشكر الخاص لقيادة حركة حماس الأحياء منهم والشهداء الذين كان لهم الفضل في رفدي بالمعلومات الدقيقة عن الحركة والوثائق المتعلقة بسياساتها وتبنياتها من خلال المقابلات التي أجريت والوثائق التي أرسلت، وأخص بالذكر الأستاذ المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي والدكتور موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي، والأخ عزت الرشق عضو المكتب السياسي، والشهداء في عليين... مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي والشيخ جمال منصور والقائد صلاح شحاده.

¹ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، ج ٤، ص ٣٣٩، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

إلى هذه الكوكبة من أصحاب العطاء.. أتقدم بعظيم الشكر والامتنان سائلا الله عز وجل أن يجعل كل ما قدموه في ميزان حسناتهم، وداعيا لمن لقي الله منهم بالرحمة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

المقدمة

الحمد لله الذي جعل فلسطين أرض جهاد ورباط إلى يوم القيامة، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله ومن سار على هديه واقتدى بسنته ونهجه إلى يوم الدين، أما بعد.

فقد جعل الإسلام لفلسطين مكانة بارزة وكريمة، لا سيما وأنها كانت محوراً أساساً في العديد من السور القرآنية التي تحدثت عن جذور الصراع على هذه الأرض المباركة، وجولاته المتعددة، موضحة ومبينة أن النهاية والعاقبة على هذه الأرض ستكون للمسلمين، قال تعالى: "إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾".^١

وقد تجسد وعد الله سبحانه وتعالى في إرث هذه الأرض المباركة للصالحين من المسلمين في قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ".^٢، وتعددت الأحاديث النبوية الشريفة التي وسمت فلسطين بمكانة رفيعة، كيف لا، وهي أرض معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مهبط الأنبياء، أرض المحشر والمنشر، بل أرض الحشد والرباط والبركة؟.

ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "طوبى للشام"، قلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: "لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها".^٣

وحول تكريم الله لهذه الأرض المباركة بصلاة الأنبياء عليهم السلام، صلاة الجماعة في مسجدها، أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في قصة الإسراء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ".. فلما دخل النبي المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه".^٤، وقال ابن كثير في ذلك: "ببيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمرهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم".^٥

^١ - الإسراء، ٨، ٧

^٢ - الأنبياء، ١٠٥

^٣ - رواه أحمد في مسنده، (٣٧/١٦، ح: ٢١٤٩٨)، وحسنه محققه حمزة الزين، ورواه الترمذي وحسنه أيضاً، (٧٣٤/٥، ح: ٣٩٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢٢٩/٢)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

^٤ - رواه أحمد في مسنده، (٦٤/٢، ح: ٢٣٢٤)، قال محققه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

^٥ - تفسير ابن كثير (١-٤)، إسماعيل القرشي الدمشقي: ط٤، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٩٨١م، ج ٣، ص ٣.

وروى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلم، أنها سألته عليه السلام فقالت أفتنا في بيت المقدس، فقال: (أرض المحشر والمنشر، إنتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه)، قالت: رأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال (فليهد إليه زيتا يسرج فيه، فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه)، وفي رواية أبي داود قوله صلى الله عليه وسلم: (وكانت البلاد إذ ذاك حرباً)^١.

وقد تبارز علماء الأمة في وصف فلسطين وتقانوا في الإهتمام بها وبمسجدها وزيارتها وتصدير الأوصاف المميزة فيها فقد قال أبو عبد الله المنهجي في كتابه إتحاف الأخصا في فضائل الأقصى: "توضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار"^٢.

وقال ابن الجوزي: "العرض والحساب ببيت المقدس"^٣.

من هنا فإن فلسطين تميزت بمكانة رفيعة في الإسلام، حيث اعتبرها العديد من المفكرين والباحثين، جزءاً من عقيدة الأمة، لا يجوز التفريط في أرضها ولا التنازل عن ذرة من ترابها.. ورفض حكام المسلمين في الماضي حتى الضعفاء منهم المساومة عليها أو السماح لأي غاصب أو عدو أن يسيطر عليها.. ولعل رد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على ممثل الحركة الصهيونية ومندوب رئيسها ثيودور هرتسل، كان أبلغ رد سطر في التاريخ المعاصر، حيث قال: "إن فلسطين ليست ملكي وأنا لا أستطيع أن أبيع ولو قدماً واحداً من هذه الأرض، فهي ملك للشعب الذي حصل عليها بدمائه، ونحن مستعدون لتغطية هذا التراب بدمائنا قبل أن يغتصب منا"^٤.

على إثر هذا الموقف التاريخي المشرف للسلطان العثماني عبد الحميد، قامت الحركة الصهيونية ومن خلال أعوانها في جمعية الاتحاد والترقي بعزل السلطان عن العرش ونفيه إلى جزيرة سالونيك^٥.

^١ - رواه أحمد في مسنده، دار الحديث بالقاهرة، (١٨/٦٠٥، ح: ٢٧٤٩٨)، قال محققه حمزة الزين: اسناده صحيح، ورواه ابن ماجه، (٢/١٧٢، ح: ١٤٠٧)، وأبو داود في سننه، (١/١٨٦، ح: ٤٥٧)، وفي مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، (١/٤٥٤): واسناد طريق ابن ماجه صحيح، رجاله ثقات.

^٢ - إتحاف الأخصا بفضائل الاقصى، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهجي السيوطي (٨٨٠هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط١، ١٣٨٠هـ، ج١، ص ١٠٧.

^٣ - فضائل القدس، لأبي الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ) دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٦٦م، ص ١٣٧.

^٤ - السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ميم كامل اوكي، ترجمة اسماعيل صادق، ط١، الزهراء للاعلام العربي: القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٥١.

^٥ - هكذا سقطت الخلافة العثمانية، علي محمد قهوجي، دار الاستقلال - دمشق، ط٢، ١٩٩٨م ص ١٧٨.

وقد تعرّضت فلسطين لسلسلة من العدوانات الخارجية، ولم يتوقّف عنها عدوان إلا ريثما يقوم آخر، وكان أول عدوان ذلك الذي تمثل بالحروب الصليبية، والتي احتلّت فلسطين وما خرجت منها خروجها النهائي الأخير إلا بعد مائتي عام تقريبا؛ وتعرّضت فلسطين للعدوان المغولي، ولم يمكث كثيرا، حتى هُزم في فلسطين وخرج منها؛ وتعرضت للاحتلال الإنجليزي، الذي سلّم الأمر إلى احتلال آخر، هو الاحتلال اليهودي، غير أن كل ذلك لم يثّن أهل فلسطين والمسلمين عامة عن الدفاع عنها.

فلقد استمر الدفاع عن فلسطين لأهميتها وقديستها، حتى حلقة الصراع عليها في القرن العشرين، فشهدت هذه الأرض في ذلك القرن ثورات وانتفاضات عارمة، دافعت عن مقدسات فلسطين ووقفياتها، وقاد هذه الثورات حركات سياسية إسلامية ووطنية وعلماء وخطباء مسلمون.

"وفي ١٠ آذار ١٩٢١م انطلقت انتفاضة يافا وكان من أسبابها السلوك الاستفزازي اليهودي ضد دين وأخلاق وآداب المسلمين، وفي ١٥ آب من عام ١٩٢٩م كانت انتفاضة إسلامية شملت معظم أرجاء فلسطين دفاعا عن الحق الإسلامي في القدس من خلال الحفاظ على إسلامية حائط البراق، وفي عام ١٩٣٦م انطلقت الثورة الكبرى^١، وأصدرت قيادة الثورة بيانا سنة ١٩٣٨م يتضمن جوهر خطابها، وأنه خطاب إسلامي، جاء في ذلك البيان: "إن المجاهدين قد باعوا أنفسهم لله، وخرجوا في طاعته لم يخرجوا إلا ابتغاء وجهه، والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته واكتساب مرضاته لا يرضون بذلك بديلا ولا ييغون عنها حولا، صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. وهم يتسابقون إلى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق وإقامة للعدل ودفاعا عن أمتهم الكريمة وبلادهم المقدسة، فقد فارقوا في سبيل ذلك أهلهم وتركوا أموالهم وعطلوا مصالحهم.. ونحن ماضون في هذا السبيل إن شاء الله إلى أن يكتب النصر لهذه الأمة أو يأتي الله بأمر من عنده"^٢.

وكان من مؤسسي العمل الجهادي في فلسطين الشيخ المجاهد عز الدين القسام، الذي استطاعت ثورته أن تصنع تحولا في تاريخ القضية ومعطياتها السياسية على الأرض من خلال خطابها المميز الذي كان يقوم على أساس الدين وتطبيقها العملي لهذا الخطاب، ويبدو هذا من ناحية كون القسام رجل علمي متخصص بأمور الشريعة، فهو باسم الشرع يتحدث، وباسمه يحرك الناس، واستشهد الشيخ عز الدين القسام يوم ١٩٣٥/١١/٢٠م في معركة يعبد الشهيرة^٣، تاركا وراءه آثاره في كثير ممن بعده، وعلى رأسها: التوجيه نحو إسلامية القضية.

^١ - الطريق إلى القدس، محسن صالح، دار المستقبل - الخليل، فلسطين، ط٢ ١٩٩٧م ص ١٧١

^٢ - التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (١٩١٧-١٩٤٨م) د. محسن صالح، دار الفلاح - الكويت، ط٢ ١٩٨٩م ص ٣٥٨-٣٦٠.

^٣ - شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني، حسني أدهم جرار، دار الفرقان - عمان، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٣٦-١٣٧.

لكنّ هذا الأثر جوبه من جهات رسمية بغير ما قصد الشيخ القسام، ووقع تحول في وجهة الخطاب من أنظمة عربية عديدة أخذت بزمam القضية بعد القسام، وتعاملت مع الخطاب الإسلامي وإسلامية القضية على استحياء، وكانت النتيجة: معاهدات واتفاقيات أذلت العرب والمسلمين فتراجعت القضية الفلسطينية، وطففت هذه الاتفاقيات رسمياً على سطح القضية بعد نكبة ١٩٤٨م وتمخض عنها إنهاء حالة الحرب وضياع فلسطين وتهجير شعبها إلى الشتات وقيام دولة الكيان الغاصب، وقد شهدت هذه المرحلة حالة من التنافس والتدافع، ما بين الخطاب العربي التقليدي الذي كان ممثلاً بالجيوش العربية، والخطاب الإسلامي الجهادي الذي كان ممثلاً بجماعة الإخوان المسلمين بقيادة الشيخ حسن البناء، وبات ذلك واضحاً عندما رفضت الجيوش العربية السماح للمتطوعين من شباب الحركة الإسلامية في مصر المشاركة في الدفاع عن فلسطين^١.

وقد ذكر كامل الشريف صاحب كتاب جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين: "أنه تمت مطاردة دعاة الإخوان المسلمين وشبابهم، وأمر الصاغ محمود لبيب والذي كان يحمل منصب (وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية) بمغادرة البلاد وقد قدر لكاآب هذه الصفحات أن يشهد بنفسه ناحية من نواحي الإرهاق التي عاناها الإخوان المسلمون خلال الفترة القاسية"^٢.

ولن يستطيع أيّ كان أن ينكر جهاد الإخوان في فلسطين، أو ربما يقلل من أهميته، بل لقد نجح الإخوان في حمل الأمة على قبول فكرة الحرب والمطالبة بها بإصرار^٣، لكن المفارقة العجيبة أن حكومة فاروق ومن خلفها التاج البريطاني لم يرضها هذا النهج، ولم تستوعب هذا الخطاب القرآني الجهادي في المعركة مع اليهود، فصدرت الأوامر للواء فؤاد صادق قائد الجيش المصري لإلقاء القبض على مجاهدي الإخوان المسلمين وسحبهم من المعركة واحتجازهم.

مع أن اللواء فؤاد صادق كان معجباً بدور الإخوان في المعركة، إذ اعترف بأنهم كانوا "جنوداً أبطالاً أدوا واجبهم كأحسن ما يكون"^٤، لكنه يعود ليقول في مذكراته: "أصعب قرار اتخذته في حياتي وفرض علي من القصر في القاهرة، هو إلقاء القبض على شباب الإخوان المسلمين المجاهدين في ساحة المعركة في فلسطين، والذين كانوا يحررون المستوطنة تلو الأخرى ومن ثم وضعوا في سيارات عسكرية وتم اقتيادهم إلى المعتقلات في سجن أبو زعبل وليمان طره في مصر"^٥.

^١ - الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين، حسن الجمل، دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٢٣.

^٢ - الإخوان المسلمين في فلسطين، كامل الشريف ومصطفى السباعي، دار النشر والتوزيع الإسلامية - القاهرة، ط ٣، بلا تاريخ نشر، ص ٥٠.

^٣ - نفس المرجع، ص ٥٠.

^٤ - نفس المرجع، ص ٢٠١.

^٥ - قراءة في مذكرات اللواء فؤاد صادق، إبراهيم الحلبي، ط ٢، منشورات مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م ص ٣١١.

ولم تتوقف بوصلة القضية عند هذا المفترق، وإنما شهدت تحولات أخرى بفعل التفاعل الجماهيري والشعبي ما بين الخطاب الإسلامي المعاصر، الذي كانت تشرف عليه الحركة الإسلامية في فلسطين وما بين الجماهير التي كانت تتلقى هذا الخطاب بين الفينة والأخرى من خلال المساجد والنشاطات الميدانية والكتابات والأدبيات.

ولقد شهدت الساحة الفلسطينية نضوجاً فكرياً وعقدياً بفضل الله ثم بجهود أنصار الفكرة الإسلامية، وتجلّى ذلك في الصحوّة الإسلامية التي حافظت على الجيل من الضياع في ظل التهويد والتهديد الذي كان الاحتلال فارسه بلا منازع، حيث الإغراءات والإفساد والإسقاط^١، وكذلك عمليات الطمس الحضاري والغزو الفكري الجديد، إضافة إلى سياسة القتل والاعتقال والإبعاد والاستيطان وغير ذلك من الضغوط التي يقصد بها تركيع الإرادة وطمس الهوية العربية الإسلامية أمام سياسة الترغيب والترهيب الصهيونية.

ولكن الحركة الإسلامية بوعيا وفكرها ونهجها العقدي وتجربتها الطويلة، كانت تشكل حزاماً أماناً لهذا الجيل، فربت في المساجد والمؤسسات الإسلامية والمدارس الشرعية جيلاً يصلح للمواجهة والتحدي، وتطور الأمر لتصبح الجامعات الفلسطينية بوتقة لصناعة خطاب إسلامي جهادي مميز، فكانت الكتل الإسلامية في كافة جامعات الضفة والقطاع محطات خير خرجت المجاهدين والسياسيين.. والدعاة الذين أصبحوا رموزاً للجهاد والمقاومة في فلسطين، ومن هؤلاء الرموز الذين خرجتهم الجامعات الفلسطينية وقد لحقوا بالرفيق الأعلى شهداء: الشهيد فتحي الشقاقي أمين عام حركة الجهاد الإسلامي الذي تخرج من جامعة بيرزيت، والذي استشهد عام ١٩٩٥م، الشهيد جمال منصور أحد مؤسسي الكتل الإسلامية في الجامعات والمعاهد الفلسطينية والذي تخرج من جامعة النجاح الوطنية واستشهد عام ٢٠٠١م، الشهيد يحيى عياش مهندس كتائب عز الدين القسام والذي تخرج من جامعة بيرزيت واستشهد عام ١٩٩٦م، الشهيد عادل عوض الله أحد أبرز قيادات كتائب القسام والذي تخرج من جامعة القدس واستشهد عام ١٩٩٨م، رحمهم الله تعالى.

ومن الرموز الذين خرجتهم الجامعات الفلسطينية وهم على قيد الحياة: الشيخ إسماعيل هنية رئيس الوزراء الفلسطيني الذي تخرج من الجامعة الإسلامية بغزة، والدكتور ناصر الدين الشاعر وزير التربية والتعليم نائب رئيس الوزراء وابن الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح وغيرهم كثير.

لماذا دراسة الخطاب الإسلامي؟

كان من أبرز التحولات التي شهدتها الساحة الفلسطينية: الانتفاضة المباركة التي تفجرت شرارتها في ١٢/٩/١٩٨٧م والتي استمرت عدة سنوات.. "حيث شهدت هذه الانتفاضة ولادة

^١ - يُقصد بالإسقاط: تلك العمليات المنهجية التي توجّه ضد شخص أو جهة، وتستخدم فيها وسائل عديدة، يقصد منها سلخ الهدف من انتمائه الوطني والديني، ليعمل في سياق مصلحة المحتل.

حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الذراع القوي لحركة الإخوان المسلمين والتي كانت بداية انطلاقها في ١٤/١٢/١٩٨٧م^١.

فقد قادت هذه الحركة الانتفاضة المباركة جنباً إلى جنب مع القيادة الوطنية الموحدة التي كانت تمثل تيار منظمة التحرير الفلسطينية، فيما اعتبر بعض الدارسين والباحثين أن بروز حماس يشكل التجربة العسكرية الإسلامية الأولى على الصعيد الفلسطيني المعاصر.. إلا أن أدبيات الحركة ورؤى مفكرها تؤكد بأنها جذر الجهاد والمقاومة في فلسطين، مستلذين على ذلك من خلال ثورة القسام الإسلامية والدينية في فكرها ومنطلقها ومروراً بالمؤتمرات والجهود الميدانية التي كانت تقوم بها الحركة الإسلامية في القدس والمدن الفلسطينية وانتهاءً بالمشاركة الجهادية الفاعلة التي تجسدت على الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨م.

فحماس اليوم تعيد الكرة من جديد وتشارك مشاركة فاعلة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، لها رؤيتها وتصورها ولها جماهيرها أيضاً، تعمل من خلال خطين متوازيين:

الأول: خط الجهاد والمقاومة، والثاني: خط العمل السياسي والمشاركة في الانتخابات التشريعية والحكومة الفلسطينية إضافة إلى خط العمل المؤسسي والتعليمي والأهلي والاجتماعي إضافة إلى خط التربية والبناء بالجهد الدؤوب في المساجد التي تخرج الرجال.

هذه المعطيات كلها فرضت على الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين حقوقاً وواجبات في العلاقة مع الآخرين، إضافة إلى ضرورة وضع إجابات شافية للعديد من التساؤلات التي طرأت جراء النزول إلى الميدان والتعامل مع السلطات القائمة.. كل ذلك اقتضى دراسة طبيعة هذا الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين، ماله وما عليه من خلال دراسة تحليلية على الصعيد النظري لهذا الخطاب، والاستدلال على ذلك عملياً في دراسة متأنية لخطاب حركة حماس الفكري والجهادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، مروراً بتحليل هذا الخطاب وتفصيله في إطار السياسة الشرعية.

وشكّلت الصحوّة الإسلامية المعاصرة منعطفاً تاريخياً هاماً في حياة الأمة الإسلامية، حيث اعتبرت بارقة أمل لمستقبل الأمة بعد هدم الخلافة الإسلامية، وقد تصدرت هذه الصحوّة تيارات وأحزاب وجماعات إسلامية وضعت نصب أعينها عودة الإسلام إلى الحياة، عقيدة وسلوكاً ومنهاج حياة، فالتفت هذه الحركات في هدف مشترك يتمثل في إقامة دولة إسلامية راشدة، إلا أن وعورة الطريق وتعدد الأزمات بمختلف أسبابها الداخلية والخارجية، إضافة إلى تربص أعداء الإسلام وتنوع أدوات المواجهة لديهم.. كل ذلك خلق مفاهيم متعددة واجتهادات متفرقة، انعكست بدورها على طبيعة خطاب الجماعات الإسلامية بوجه عام، وعلى الخطاب الإسلامي على وجه الخصوص، وقد تطور هذا الخطاب ليصبح خلال سنوات معدودة من عمر هذه الصحوّة

^١ - حماس الفكر والممارسة، خالد الحروب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٤٤.

الإسلامية، حديث الباحثين والدارسين والمراقبين، لا بل أصبح ذا حساسية خاصة تثير حفيظة الشرق والغرب حكومات وساسة، مما جعله يشكل جزءاً من حركة الصراع والرأي العام العالمي.

لقد أدت تفاعلات هذا الخطاب وتعدد مدارسه وتنوع أساليبه في التعامل مع الواقع، إضافة إلى الاختلاف المتباين في التعامل مع المجتمع وفلسفة التغيير.. إلى ضرورة القيام بدراسات متأنية لهذا الخطاب، ودراسة مدى تأثيره على واقع المجتمعات العربية والإسلامية.

وجاءت هذه الدراسة في ذلك السياق المذكور، غير أنها تخصصت بكتاب حركة المقاومة الإسلامية حماس، على ما تقدم من نشاطها في الساحة الفلسطينية، ولما هو معروف عنها من وجود قوي، وامتداد على الساحة الفلسطينية، وبفاعلية لا ينكرها أحد.

وتأتي هذه الدراسة في ظل مرحلة حرجة جدا من تاريخ القضية الفلسطينية ومستقبلها، حيث يعيش الشعب الفلسطيني حصاراً مشدداً بل يقبع في سجن كبير جراء سياسات الاحتلال الصهيوني التي يقصد منها سلب إرادة هذا الشعب المجاهد في فلسطين ومصادرة حقوقه والتسلق على مستقبله من خلال إنكار هويته المتكاملة.

وقد فجر الشعب الفلسطيني (انتفاضة الأقصى) أواخر عام ٢٠٠٠م وجذرها بدماء عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، إضافة إلى عشرات المبعدين عنوة إلى قطاع غزة والدول الأوروبية، كل ذلك كان يجري في نفس الوقت الذي كانت تخضع فيه المدن الفلسطينية إلى دمار وخراب عشرات آلاف من المنازل والمساجد والمؤسسات الشعبية والرسمية وخراب الأراضي الزراعية والتهاهما إضافة إلى تدمير المصانع والبنى التحتية.

إن حماس باعتبارها جزءاً هاماً من هذه المعركة جنباً إلى جنب مع كافة قطاعات الشعب الفلسطيني بكل أطرافه السياسية.. تقدم الكلمة الصادقة، والعمل البناء للمجتمع، والاستشهادي الذي يزود عن حمى الإسلام في فلسطين.. إضافة إلى مشاركتها الفاعلة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي جرت في ٢٥/١/٢٠٠٦م، حيث حققت فوزاً باهراً أذهل صناع القرار السياسي فلسطينياً وعربياً وإقليمياً ودولياً إضافة إلى قيامها بتشكيل حكومة حماسوية فلسطينية برئاسة القائد السياسي الشيخ إسماعيل هنية والمشاركة الفاعلة في نظام الحكم الفلسطيني، كل ذلك دفع وبقوة إلى دراسة خطاب هذه الحركة.. مالها وما عليها وانعكاسات هذا الخطاب على الساحتين الفلسطينية والعربية. إنها ملحمة طويلة بحاجة إلى قراءة متأنية.

عقبات في طريق هذه الرسالة:

عقبات كثيرة عرقلت إعداد هذه الرسالة، كان أهمها رحلة الاعتقال، حيث تم اعتقالني من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي وأنا منهمك في البدء بكتابة الرسالة التي كنت قد جمعت مادتها وكتبت منها نحو ٣٧ صفحة فقط، جاء الاعتقال يوم ٢٦/٦/٢٠٠٢م فأضيت ستة عشر شهراً في

معتقلي عوفر والنقب الصحراوي، الأمر الذي حال بيني وبين مراجعة مشرفي، ورغم ذلك صممت على مواصلة الكتابة في السجن، فقامت بتهريب عشرات المراجع المتعلقة بالرسالة عبر سيارة الخضار التي قدمت من الخليل إلى السجن، وقد تم حجز الكتب والعديد من حاجيات المعتقلين في مخزن السجن لمدة شهر، وبعدها قام ممثل المعتقل زياد حامد بتهريبها لي في القسم الذي أمضي به فترة الاعتقال، وقد استعنت بمكتبة المعتقل التي أعدها المعتقلون أنفسهم، وأصبح بين يدي الكثير من المراجع.. وبدأت الكتابة في ظل الأجواء العسكرية والاقتحامات المتكررة لأقسام المعتقل عن موضوع -حركة حماس- الذي هو أصلاً من المحظورات في أبجديات الأمن الإسرائيلي، حيث كنت أُهرَّب الأوراق المكتوبة والمباحث الجاهزة من قسم إلى قسم وخاصة عند عمليات الاقتحام وتفتيش الأقسام وهذا جعلني في حالة إرباك دائم خشية ضياع هذا الجهد.

تمكنت من كتابة ثلاثمائة صفحة من صفحات الرسالة داخل المعتقل، وقمت بتتقيلها كاملة إلى أسرتي عبر الهاتف النقال في الوقت الذي كانوا يطبعون مباشرة ما أُمليه عليهم، وقد احتاج ذلك مني عدة أشهر وساهم في عملية التثقيف المتواصلة العديد من المعتقلين، وقبل الإفراج عني من المعتقل عملت على تهريب مخطوطات الرسالة خارج السجن لكي أقوم بعملية تدقيق المادة التي تم تتقيلها عبر الهاتف، وهرَّبْتُ الفصول تباعاً مع العديد من المعتقلين، وكل منهم كان من مدينة من المدن الفلسطينية، وبعد الإفراج عني من المعتقل قمت بجمع هذه الفصول من أماكنها، وقمت بعملية المراجعة والاتصال بالمشرف حيث جرت التعديلات والتوجيهات والتصويبات القيمة اللازمة.

وجاءت العقبة الثانية، فبعد الانتهاء من إعداد الرسالة قمت بتسليم نسختين منها إلى قسم الدراسات العليا في الجامعة، وقمت بدفع رسوم المناقشة وإعداد كافة الأوراق اللازمة، وعند اقتراب موعد النقاش إلى نقطة الصفر تم اعتقالي مرة ثانية يوم ٢٥/٩/٢٠٠٥م اعتقالاً إدارياً، كما تم اعتقال المشرف الدكتور إبراهيم أبو سالم في نفس اليوم، وعندها زادت الأمور تعقيداً بانتظار مرحلة جديدة لتجهيز الرسالة ومناقشتها.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على العشرات من الدراسات المنشورة وغير المنشورة وكذلك الوثائق الهامة والدوريات إضافة إلى المقابلات الميدانية مع رموز الفكر والسياسة ممن لهم علاقة مباشرة مع الحركة أو ممن هم مهتمون بدراسة الحركة وتتبع فكرها السياسي وانعكاساته على القضية إضافة إلى الدخول عبر مواقع الإنترنت الخاصة بالحركة والفصائل الأخرى والإفادة مما نشر عبرها.

أهمية الدراسة

تدأى الغربيون لدراسة التحول الإسلامي في منطقة الشرق، فقاموا بافتتاح مراكز للدراسات الاستشراقية والإسلامية^١، وأصدروا مئات الدراسات المتخصصة في هذا الجانب والتي كانت في غالبيتها غير منصفة^٢، بحيث قام بإعدادها مستشرقون أو سياسيون وربما رجال أمن واستخبارات، وغلب على كثير من هذه الدراسات النزعة الطائفية والعنصرية والعرقية، إضافة إلى ما تميزت به من بعد سياسي وأمني، وقصدت تلك الجهات غزو الخطاب الإسلامي المعاصر، ودراسة مدى تأثيراته في الحياة العامة، والعمل على طمسها.

جاءت هذه الدراسات المعاصرة في الوقت الذي كانت تفتقر فيه ساحتنا العلمية لمثلها وخيم على رؤيتنا العفوية، التي لا تقبل النقد الذاتي ولا ترتضي أن يكون هناك رأي ورأي آخر، وهذا بدوره أفقد الخطاب الإسلامي المعاصر فلسفة المراجعات وأبجديات الترشيد، مما جعله خطاباً وعظيماً تلقينياً لفترة من الزمن.

تأتي هذه الدراسة في إطار برنامج جديد ومعاصر تستحق جامعة القدس الشكر والثناء على اختياره، إذ أفسح المجال للعديد من الأفكار والرؤى الفكرية أن تتلاقح وأن يدفع بعضها بعضاً نحو الحقيقة من خلال دراسة ونقاش قضايا متعددة تتطلبها المرحلة المعاصرة، هذه الدراسة التي تشكل قراءة جديدة متأنية لواقع الخطاب الإسلامي المعاصر على وجه العموم وللخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين على وجه الخصوص، تستعرض جذور هذا الخطاب ومركزاته ومرجعياته ودوره في صناعة الرأي العام الإسلامي، ومدى فاعليته ودعمه لحركة التغيير الحضاري التي نجمت عن الصحوة الإسلامية.

وبما أن فلسطين المباركة تمثل قلب الأمة النابض وتعيش صراعاً عقدياً وحضارياً مع اليهود، كان لا بد من تتبع هذا الخطاب ودراسة أشكاله وآلياته ومدى تأثيره على خصوصية الصراع القائم على هذه الأرض موضعاً ذلك من الناحية التطبيقية من خلال دراسة لواحدة من أبرز الحركات الإسلامية الجهادية العاملة على الساحة الفلسطينية (حركة حماس)، هذه الحركة التي تشكل امتداداً عضوياً لحركة تاريخية تأسست بداية القرن الماضي الا وهي "جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا في مدينة الإسماعيلية عام ١٩٢٨م"^٣.

^١ - من هذه المراكز: مركز الدراسات الشرقية في جامعة بازل بسويسرا، ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا، وهو مستقل عن جامعة أكسفورد، ومركز دراسات الشرق في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية، ومركز الدراسات الإفروآسيوية في الجامعة العبرية في القدس المحتلة.

^٢ - من هذه الدراسات: كتاب الإخوان المسلمون تاليف ريتشارد بي. ميتشل، رجل الاستخبارات الأمريكية السابق في الشرق الأوسط.

^٣ - مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، دار الدعوة، الاسكندرية، ط٤ ١٩٧٩م، ص٣٤

إن دراسة خطاب (حماس) ومدى تأثيراته على مستقبل الصحو الإسلامية في فلسطين من خلال استعراض مواقفها العقدية والفكرية السياسية وتحليلها وقراءة ما لها وما عليها وانعكاسات ذلك على مستقبل القضية الفلسطينية يمثل دراسة جديدة لم تطرح من قبل بهذه الآلية وهذا الشكل.

أسباب اختيار الموضوع

يأتي اختيار الموضوع استجابة لمتطلبات ، فرضتها تطورات عديدة طرأت على صعيد الساحة الإسلامية وخاصة في فلسطين، إضافة إلى ضرورة وضع إجابات شافية لكثير من التساؤلات المعاصرة التي باتت ملتصقة تماماً بالصحو الإسلامية ومشاريعها السياسية والجهادية والاجتماعية، هذه التساؤلات التي قد يساء فهمها، وقد تحمل على غير مضمونها.

فالديمقراطية والتعددية السياسية ومشاركة المرأة في الحياة العامة، والتحالف السياسي والعمليات الاستشهادية والعلاقة مع السلطة والنظام الحاكم.. كلها أسئلة بحاجة إلى إجابة، فإذا كان بعض التيارات الإسلامية يرى أن هذه المتطلبات والتساؤلات هي جزء من عملية التغريب والعولمة الثقافية والسياسية ونوع من تمبيع الفكرة الإسلامية ومشروعها الحضاري، فإن بعضها الآخر يرى أن هذه القضايا باتت ملحة ومن الضرورة بمكان أن يتم مناقشتها في إطار (المصلحة الشرعية)^١، حتى لا يكون التعامل معها على حساب أصل من أصول الإسلام.

وبما أن الأمر يتعلق بمستجدات وبقضايا معاصرة.. فإن خطاب الجماعات والأحزاب الإسلامية المعاصرة تأثر بهذه المستجدات وعكس مفاهيم ومتغيرات جديدة، منها ما هو متشدد ومنها ما هو وسطي، حتى وصل الأمر ببعض هذه الخطابات إلى التعامل ضمن العناوين فقط، ولم تتعرض إلى صلب الموضوع من خلال الدراسة والتأصيل الشرعي.. وقامت بالحكم على الآخرين بالكفر والخروج عن الملة، بحيث أصبحت نظرتهم إلى مصلحة الأمة في ظل التطورات الإسلامية الراهنة ضرباً من المثاليات والأحلام التي لم ترتق إلى مستوى المسؤولية الحقة.

ومن هنا كان من الضرورة بمكان أن يفرد هذا الموضوع (الخطاب الإسلامي المعاصر) من خلال أطروحة علمية، تمحص هذا الخطاب وتعرض ماله وما عليه من خلال رؤية تحليلية متأنية تخدم في نتائجها مستقبل الصحو الإسلامية.

وانطلاقاً من كون فلسطين تمثل قمة الصراع العقدي والأيديولوجي في عالم الإسلام، فقد اقتضت الضرورة عرض ومناقشة الخطاب الإسلامي المعاصر فيها، هذا الخطاب الذي رسم تارة بمداد العلماء والدعاة والمفكرين، وتارة أخرى بدماء الشهداء والمجاهدين.. فكان من الواجب أن نستعرض طبيعة هذا الخطاب وحيثياته وآفاقه وما تعرض له من إشكالات وأزمات وعقبات.

^١ - عرف الإمام الغزالي المصلحة: بأنها عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة، وقال إنه يعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشارع، وذكر أن مقصود الشارع هو حفظ الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال. (المستصفى، الإمام الغزالي، ج ١، ص ٢٨٦)

ومن هنا جاء التعرض لهذا الموضوع الهام، خاصة في هذه الفترة الزمنية التي شهدت فيها فلسطين المباركة انتفاضة الأقصى حيث تدافع أبناء فلسطين نحو الشهادة لمواجهة الاحتلال الصهيوني الغاشم فدراسة الموضوع الآن، تشكل خطوة رائدة نحو تطوير وتجديد التعامل مع الصراع القائم في فلسطين.. للوصول إلى آليات عمل ومفاهيم جديدة، أمل أن تخدم الحركات العاملة على أرض الميدان من خلال تخطي الكثير من عقبات الماضي الشكلية.

أهداف الدراسة وغاياتها

تهدف هذه الدراسة بلوغ ما يلي:

١- إبراز معالم الخطاب الإسلامي المعاصر، هذا الخطاب الذي تميز بالربانية والشمولية والواقعية.

٢- إبراز إسلامية الصراع في فلسطين عبر العصور وحتى يومنا هذا.

٣- تقديم نظرة تحليلية موثقة (لحركة حماس) كنموذج إسلامي مقاوم في الصراع مع اليهود المحتلين.

٤- الدعوة إلى دراسات متأنية لخطاب الإخوان المسلمين وحركة حماس تحديداً، والتطور النوعي في خطوات هذه الحركة، وما لابسها من توازن ملامس لتطورات عملها، من عسكري وسياسي، إلى برلماني وحكومي.

٥- التأسيس الشرعي للصراع القائم في هذه الديار، ووضعه في نطاقه حسب مفاهيم الشرع.

٦- التركيز على الحفاظ على الثوابت والمنطلقات الشرعية، مع التوفيق بين ذلك وبين المرونة السياسية في إطار الشرع.

٧- التعرف على مدى إمكانية المراوحة بين العمل الجهادي المقاوم والممارسة السياسية حسب خطاب حماس.

٨- الإجابة عن تساؤلات تطرح حول موقف حماس من التعددية والديمقراطية وممارسة المرأة للعمل السياسي.

٩- التعريف بشمولية الخطاب الإسلامي المعاصر من خلال نموذج حماس في خطابها الجهادي السياسي والفكري وممارستها للعمل الأهلي والنقابي والاجتماعي والطلابي.

الدراسات السابقة

من خلال متابعة متواضعة لما صدر من دراسات تتعلق بالخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين عموماً وحركة حماس على وجه الخصوص لم أعتز على دراسات علمية شمولية متكاملة ناقشت الموضوع، وإن الكم المنشور من الدراسات حول هذا الموضوع، يتراوح بين كونه دراسات سياسية صرفة، أو تنظيراً ومديحاً لا غير، فعلى سبيل المثال لا الحصر، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت كتاب بعنوان: حماس الفكر والممارسة للكاتب خالد

الحروب والذي ناقش الموضوع من الوجهة السياسية الصرفة، كما صدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط في عمان كتاب بعنوان: دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، والذي شارك فيه أكثر من اثني عشر باحثاً وأشرف على تحريره الأستاذ جواد الحمد والدكتور إياد البرغوثي، وكان عبارة عن أبحاث متفرقة للموضوع، من خلال عدد من الدراسات التي تتحدث عن آليات عمل حماس العسكرية والسياسية.

فيما صدرت دراسة أخرى على هيئة كراس عن المركز العالمي للبحوث والدراسات في واشنطن بعنوان: حماس بين آلام الواقع وآفاق المستقبل من إعداد جهاد صالح، ولم تخرج هذه الدراسة، والتي جاءت في ٩٠ صفحة، عن الخطاب العاطفي المؤيد لحماس، وصدرت دراسات أخرى كانت جميعها تعالج قراءة سياسة تنظيمية وحزبية ومرحلية محضة لم تتعرض إلى التأسيس الفكري والفقه والتربوي للخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين، بل سلطت الضوء فقط على نشوء حركة حماس وتأثيراتها المستقبلية على الصعيد السياسي، وثمة دراسات أخرى تعرضت لنفس الموضوع برز منها:

الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع من إعداد الدكتور زياد أبو عمرو.

حماس منظمة عالمية ديمقراطية وليست سياسية من إعداد محمود جودة.

الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية من إعداد الدكتور إياد البرغوثي.

الإسلاميون والقضية الفلسطينية من تأليف إبراهيم طرابلسي.

إشكاليات الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر من تأليف الدكتور محمود الزهار.

ولذلك آثرت التجديد من خلال تقديم هذه الدراسة لإكمال متطلبات الماجستير والتمثلة: في طرح الموضوع من زاوية شمولية علمية (سياسية وفقهية وتاريخية وفكرية وتربوية) طارحاً ومحللاً العديد من القضايا الساخنة التي تتعلق بدور الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين مستعرضاً آفاقه الرحبة في إطار الفكر والفقه السياسي الإسلامي وعلاقته بالعديد من القضايا المعاصرة التي تحتل أكثر من رأي، ومناقشة موقف بعض التيارات الإسلامية التي لا ترى واجباً على أهل فلسطين في مقاومة الاحتلال وموقع هذه القضايا جميعها من هذا الخطاب إضافة إلى استعراض أزمة هذا الخطاب وأسبابها وإمكانية الخروج منها، مع تسليط الضوء على (حركة حماس) أبرز حركة إسلامية جهادية في الساحة الفلسطينية مستعرضاً دورها وتأثيراتها، من خلال العودة إلى المصادر المتعلقة بالموضوع مباشرة إضافة إلى متابعة واستعراض العديد من المواقف المتأصلة والمثبتة في الوثائق المنشورة وغير المنشورة، التي استطعت الوصول إليها، إضافة إلى الاستفسار والنقاش والحوار مع المرجعيات والرموز والقيادات التي لها دور في صناعة القرار، أملين أن يدفع ذلك كله للوصول إلى الحقيقة والنتائج المرجوة.

المنهج المتبع

المنهج المتبع هو المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي، ولما كان موضوع الخطاب الإسلامي المعاصر، موضوعاً فكرياً بحثاً هو أقرب إلى السياسة والإعلام منه إلى الفقه الإسلامي، فقد نأيت في هذه الدراسة قدر الإمكان عن الفقه الإسلامي وخلافاته وترجيحاته وقواعده، واقتصرت الحديث فقط على بعض التأصيلات الفقهية الضرورية التي يقتضيها النص، كما اتبعت في دراستي هذه، المنهج التحليلي، من خلال متابعة النصوص والمواقف والآراء الفكرية والسياسية والوقوف على مقاصدها الشرعية وتأصيلها الفكري والفقهية، إضافة إلى مناقشة بعض القضايا المعاصرة التي تتعلق بمستقبل الأمة الإسلامية عموماً والشعب الفلسطيني على وجه الخصوص.. هذه القضايا التي أثارت جدلاً فكرياً وسياسياً وفقهياً أيضاً، واستتبعت من خلال استعراض المواقف والآراء المتعلقة بأجديات الخطاب الإسلامي المعاصر في فلسطين خلاصة المواقف والأحكام المطروحة التي تشكل محوراً هاماً في طبيعة الصراع القائم على هذه الأرض المباركة.

كما نأيت في أسلوب الكتابي عن الأساليب الإنشائية وألزمت نفسي بأسلوب منهجي علمي، فيما ابتعدت عن الغموض والتعقيد مما دعاني إلى عدم الإغراق في المحسنات اللفظية والتكلف المبتذل.

خطة الدراسة:

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: قراءة نظرية للخطاب الإسلامي المعاصر

وقد تضمن هذا الفصل خمسة مباحث وهي:

المبحث الأول: مدخل إلى الخطاب الإسلامي المعاصر.

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث الثالث: معالم الخطاب الإسلامي المعاصر.

المبحث الرابع: إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر.

المبحث الخامس: رؤية نقدية للخطاب الإسلامي المعاصر.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: الخطاب السياسي والجهادي لحماس، حيث ضم هذا الفصل

خمس مباحث أيضاً وهي:

المبحث الأول: التيار الإسلامي في فلسطين (الجذور والنشأة).

المبحث الثاني: الخطاب السياسي لحماس والممارسة الفاعلة.

المبحث الثالث: الخطاب الجهادي والعسكري لحماس.

المبحث الرابع: حماس والآخر الفلسطيني والعربي والإسلامي والدولي.

وكان الفصل الثالث والأخير في هذه الدراسة بعنوان: الخطاب الفكري والثقافي والجماهيري لحماس في فلسطين، حيث تم تقسيمه إلى خمسة مباحث ، وهي:

المبحث الأول: حماس والتعددية السياسية.

المبحث الثاني: الديمقراطية في فكر حماس.

المبحث الثالث: حماس ودورها في العمل الأهلي والاجتماعي.

المبحث الرابع: المرأة في فكر حماس الديني والسياسي.

المبحث الخامس: دراسة تقييمية لخطاب حماس.

والله أسأل أن يوفقنا ويوفق شعبنا وأمتنا إلى الخير.

الباحث

الفصل الأول: قراءة نظرية للخطاب الإسلامي المعاصر

ويضم المباحث التالية:

- المبحث الأول: مدخل إلى الخطاب الإسلامي المعاصر.
- المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.
- المبحث الثالث: معالم الخطاب الإسلامي المعاصر.
- المبحث الرابع: إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر.
- المبحث الخامس: رؤية نقدية للخطاب الإسلامي المعاصر.

المبحث الأول: مدخل إلى الخطاب الإسلامي المعاصر

ويضم المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الخطاب.

المطلب الثاني: إسلامية الخطاب.

المطلب الثالث: سمات الخطاب الإسلامي.

المطلب الرابع: آفاق الخطاب الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف الخطاب

لم تعد كلمة (خطاب) حكرًا على علم من العلوم أو معرفة من المعارف، بل أصبحت تشكل انعكاساً لمفاهيم وفلسفات وتوجهات، لكنها اختلفت في مضمونها ومقاصدها من علم لآخر، فالخطاب الأصولي مثلاً ليس كالخطاب الإعلامي أو السياسي، والخطاب عند أهل اللغة، اتخذ معاني محددة، لكنه في عالم الفكر والسياسة، غير ذلك تماماً، ولهذا كان لا بد في هذا المبحث من تعريف الخطاب عند أهل اللغة، مروراً به في القرآن الكريم وما ورد فيه من أقوال، معرجاً إلى بعض التعريفات الأصولية للخطاب، ومنتهياً بتعريف الخطاب اصطلاحاً، وخاصة عند بعض المفكرين.

وفي الاستعراض التالي تفصيل لما تقدّم.

(١) الخطاب عند أهل اللغة

ذكر ابن منظور في لسان العرب: "الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان"^١ وقيل في الخطاب "هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً"^٢، وقال أبو البقاء في الكليات: معرفاً الخطاب: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام الناس من هو متهيئ لفهمه احتراز به (اللفظ) عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة"^٣. وذكر صاحب معجم مقاييس اللغة: "خطب: الخاء والطاء والباء، أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه، يخاطبه خطاباً، وقيل الخطاب هو "الكلام بين متكلم وسماع"^٤. ويرى الإمام الجويني^٥ "أن الكلام والخطاب، والتكلم، والتخاطب، والنطق واحد في حقيقة اللغة وهو ما به يصير الحي متكلماً"^٦.

^١ - لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، الكتاب بدون تاريخ طبعة، ص ١١٩٤، ج ٢، ص ١١٩٤.

^٢ - التوقيف على مهمات التعريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق دكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر ١٩٩٠، ص ٣١٦.

^٣ - الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط ٢م، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣ ص ٤١٩.

^٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، لا يوجد رقم طبعة، المطبعة الميمنية، مصر - القاهرة، ١٣٢٥، ج ١، ص ٨٤.

^٥ - الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين، من كبار الشافعية، ولد عام ٤١٩هـ، ومات عام ٤٧٨هـ. انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، ج ٤، ص ١٦٠.

^٦ - الكافية في الجدل، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ت: ٤٧٨هـ، تحقيق: الدكتور فوقيّة محمد، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٢.

والخلاصة أن الخطاب لغة هو كلام بين اثنين أو أكثر، فيه مراجعة، بمعنى أن أحدهما يقابل الآخر في رد الكلام أو الجواب عنه، وهو يكون بلغة يفهم المتكلمان معانيها.

٢) الخطاب في القرآن الكريم

وردت كلمة خطاب في القرآن الكريم في آيات عديدة، أكتفي منها بما يلي:

قال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"^١ وقال جل شأنه: "... وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا^ط إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ"^٢، وقال أيضا "رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا"^٣، والخطاب هنا هو الكلام، لأنه ينبغي أن يرجع فيه إلى أصل معناه اللغوي الذي تقدم ذكره، فلا بد إذن من ملاحظة أنه كلام فيه مراجعة كما نقلته عن ابن منظور، أي يراجع أحد المتكلمين الآخر، قال الفيروزآبادي في معجمه اللغوي القرآني الذي سماه: بصائر ذوي التمييز: "والخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام"^٤.

وكتب التفسير تتفق مع ما أوردته من كتب اللغة، قال الإمام الشوكاني: "الخطاب هو الكلام"^٥ وذكر الصابوني في تفسيره للخطاب قائلا: "هو الكلام البين الذي يفهمه من يخاطب به"^٦ وقال ابن عباس في قوله تعالى: " فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ"^٧، "أي غلبني في الكلام"، وهو ما يعني أن الخطاب هو الكلام.

فحيثما ورد الخطاب في القرآن فهو على أصل معنى الكلام، مع ما فيه من التراجع بين المتكلمين.

^١ - الفرقان، ٦٣.

^٢ - المؤمنون، ٢٧.

^٣ - النبأ، ٣٧.

^٤ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، المكتبة العلمية - بيروت، بلا عنوان ناشر ولا تاريخ نشر، ج ٢/ص ٥٥٠.

^٥ - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٥، ص ٣٧٠.

^٦ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، ط ١٩٨١، ج ٣، ص ٥٤.

^٧ - تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، دون ناشر ولا مكان نشر ولا تاريخ طبعة، دون رقم طبعة، ص ٣٨١.

٣) الخطاب عند الأصوليين

عرف الأمدي الخطاب "بأنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"^١. وقال صاحب الإبهاج: "الخطاب في الكلام وهو ما تضمن نسبة إسنادية، والثاني أنه أخص منه وهو ما وجه من الكلام نحو الآخرين للإفادة"^٢، وقد عرف الإمام الجويني إمام الحرمين الخطاب فقال: "ما فهم منه الأمر والنهي والخبر"^٣.

٤) الخطاب عند المفكرين المعاصرين

قليلون هم الذين أفردوا الخطاب بتعريف اصطلاحى واضح المعنى مفهوم الدلالة، حيث تطرق العديد من المفكرين الإسلاميين والعرب إلى جوهر الخطاب الإسلامى وآفاقه وإشكالياته، مبتعدين عن حصر الخطاب الإسلامى ضمن مصطلح جامع مانع، فقد تطرق البعض لمفهوم الخطاب الإسلامى من زوايا معينة بل محصورة، مثل الخطاب التربوي الإسلامى كما هو الحال في كتاب الخطاب التربوي الإسلامى للدكتور محمد الفرحان الذي أراد أن يوضح فيه "بأن الخطاب التربوي استمد فلسفته من القرآن الكريم"^٤ مبتعدا كل البعد عن مصطلح للخطاب.

ويرى الدكتور شحاتة صيام أن الخطاب الإسلامى: "عبارة عن منظومة فكرية تحوي كثيرا من المفاهيم والمقولات النظرية الإسلامية" ويعتبره: "معرفة منظمة لأحد جوانب الواقع الاجتماعى التى تسعى إلى تقديم مجموعة من التصورات الإسلامية والدلالات النظرية حول إحدى قضايا الواقع الاجتماعى وإشكالاته المتباينة، التى تم إنتاجها فى السياق التاريخى الذى صاحب الفكر الإسلامى منذ سبعينات القرن العشرين، حيث يعنى هذا المصطلح بالإنجليزية (Islamic Discourse)".^٥

لكن أستاذ أصول الفقه فى جامعة الأزهر ومفتى مصر فيما بعد، الدكتور على جمعة وصف الخطاب الإسلامى بالدينى حيث عرفه بقوله: "هو ذلك التوجه بالكلام المسموع والمرئى والمقروء فى الإذاعة والتلفزيون والصحافة العربية، ونقصد به هنا الخطاب الدينى، أى ما كان متعلقا بدين الإسلام خاصة"^٦.

^١ - الأحكام، الأمدي، ١/١٣٦.

^٢ - الإبهاج فى شرح المنهاج ١/٤٠.

^٣ - الكافية فى الجدل، للإمام الحرمين (الجوينى) - تحقيق د. فوقيه حسين محمد، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٢.

^٤ - الخطاب الإسلامى التربوي، د. محمد الفرحان، الشركة العالمية للكتاب - بيروت ط ١، ١٩٩٩، ص ١٣.

^٥ - العنف والخطاب الدينى فى مصر، د. شحده صيام، ط ٢، سينا للنشر، ص ٦٣.

^٦ - الخطاب الدينى فى رمضان، د. على جمعة، مجلة العربى، العدد (٥٠٥) ديسمبر ٢٠٠٠م، ص ٣٦-٣٨.

وكذا الحال عند الكاتب الإسلامي عمر عبيد حسنة، الذي ناقش الخطاب الإسلامي في إطار آلياته وليس مفهومه، ويرى أن: "الخطاب الإسلامي هو الارتقاء بمستوى الاهتمامات الصغيرة والمحلية التي تشغل بال الأمة، والاهتمام بقضايا الإنسان أينما كان كقضايا العدل والحرية والسلام والمساواة والتنمية والأمن الغذائي، بما يفيد الإسلام في مرحلة الشهود الحضاري والارتقاء بمستوى العصر"^١.

ومن خلال السياق العام فإن جوهر الخطاب الإسلامي المعاصر لا يخرج عن كونه مدرسة شمولية تعالج قضايا الأمة في إطار فكر التجديد والاجتهاد المعاصر.. فهو ليس أصولاً ثابتة من الدين وإنما أعمال العقل في هذا العصر لما تقتضيه المرحلة من تصورات وآفاق تخدم مصلحة الأمة الإسلامية.

ومن هنا يؤكد الدكتور عبد الوهاب المسيري على هذه الحقيقة فيقول: "الخطاب الإسلامي هو اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان، وهو متعدد وكثير، وتاريخ المسلمين هو تعبير عن هذه الكثرة والتعددية"^٢.

ومن خلال هذه التفسيرات المختلفة والمتباينة والمتباعدة في الوقوف على مصطلح جامع مانع للخطاب الإسلامي، فإنني لم أر شمولية وتكاملاً في هذه التعريفات، وإنما نشعر أن بعضاً منها جاء كردة فعل لحالة من حالات التدافع والحراك السياسي في المجتمع المعاصر.. خاصة تلك التي تتعلق بالصحة الإسلامية وآليات عملها في العالم العربي الإسلامي.

ولذلك خلصت إلى وضع تعريف شامل للخطاب الإسلامي المعاصر على النحو الآتي: "الخطاب الإسلامي: هو الكلام الذي يكون انعكاساً لحالة الوعي والتجديد التي رافقت الصحة الإسلامية المعاصرة، كما يمثل مفاهيم هذه الصحة على كافة الأصعدة الفكرية والسياسية والإعلامية والاجتماعية، وخاصة في عملية التغيير والتفاعل مع المجتمع والدولة والحياة". وبذلك يكون فهمنا للخطاب الإسلامي شمولياً، يشكل انعكاساً للفهم المتكامل والشامل والسوي لمقتضيات الإسلام في هذه المرحلة.

^١ - حتى يتحقق الشهود الحضاري، عمر عبيد حسنة، ط١، ١٩٩١م بيروت - لبنان، ص١٤٩.

^٢ - معالم الخطاب الإسلامي الجديد ورقة أولية، د. عبد الوهاب المسيري، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٦) السنة الثامنة والعشرون، ١٩٩٨ م، ص٤٩.

المطلب الثاني: إسلامية الخطاب

منذ أن بزغ نور دعوة الإسلام في مكة المكرمة، وتبنى الناس عقيدة لا إله إلا الله، بدأت هناك منظومة جديدة لرحلة طويلة من الصراع العقدي والحضاري، ما بين الإسلام برسالاته وتشريعاته ونظمه وما بين الآخر الذي يخالف هذه العقيدة ويتنكر لرسالة هذا الدين.

إن خطاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة من الزمن كان يدفع باتجاه زرع (لا إله إلا الله) كمنهج حياة في الوقت الذي كان فيه الناس يعبدون آلهة من حجارة وتمر وغير ذلك من دون الله.. فاقتضت رحمة الله بعباده، أن ينتقل الناس من عبادة الحجارة والبشر إلى عبادة رب البشر، وكان من الضرورة بمكان أن يصبح الإسلام عنواناً واضح المعالم في تشريعاته ومتطلباته وواجباته، أمام جاهليات عديدة تطورت عبر التاريخ لتصبح مدارس فلسفية تواجه الإسلام.

تتأى مفهوم الصراع (أيديولوجيا) وأصبح الإسلام مستهدفاً ديناً وحضارة، فكان الحرص واضحاً من قبل علماء الإسلام ومفكره على إبراز الهوية الإسلامية أمام هذا التحدي وكذلك كان الحال عند العلماء الذين تصدوا أيضاً للملاحدة لإبراز عقيدة (لا إله إلا الله).

إن هذا التحدي تطور خلال العصور المتقدمة وبرزت الدول الحديثة التي تبنت نظريات غربية وشرقية كانت كلها تسعى لاستئصال شأفة الإسلام، هذه النظريات التي ساهمت في تشكيل مدارس فكرية وفلسفية نظرت كثيراً خلال عشرات السنين لإبعاد الإسلام عن الساحة باعتباره في نظر أصحاب هذه النظريات ديناً رجعيّاً لا يصلح لزمن الحداثة والتقدم، وخاض المفكرون المسلمون معركة طويلة مترامية الأطراف مع الملاحدة والعلمانيين والاشتراكيين والتغريبيين لإثبات الهوية الإسلامية، خاصة بعد هدم الخلافة الإسلامية في بدايات العشرينيات من القرن الماضي، وبرزت حركة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨م.

في هذه الفترة لم يكن القرار السياسي بيد المسلمين وإنما بيد أنظمة تقليدية صنعها الاستعمار على عينية لتطبيق نتائج المدارس الفكرية الغربية في واقع الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للأمة.

يقول فادي إسماعيل في دراسة علمية له حول الخطاب العربي المعاصر: "إن الإسلاميين أو المنادين بتطبيق المبادئ والمعايير والسياسيات الإسلامية لم يكونوا في موقع القرار بل كانوا مهمشين مبعدين عن حركة الساحة للنخب السياسية الاقتصادية الثقافية في المجتمع".^١

وفي هذه الأجواء ظهرت بوادر معركة حضارية بين الأصالة والمعاصرة، وأصبح جمهرة من الكتاب العلمانيين يرفضون عودة الإسلام إلى الساحة، على اعتبار أنه تراث من الماضي لا

^١ - الخطاب العربي المعاصر، فادي إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الولايات المتحدة الأمريكية، فرجينيا، ط١، ١٩٩١م، ص١٣.

يصلح في نظرهم للحاضر، وتبارز الباحثون والمنظرون واختلفوا في تفسيراتهم للأصالة والمعاصرة، فمنهم من حكم على الأصالة بأنها جمود قاتل والمعاصرة تطور مبدع، لكن الفيلسوف العربي المعاصر الدكتور محمد عابد الجابري اعتبر بأن: "الأصالة تعني عدم ابتلاع العصر لنا والمعاصرة تعني عدم جمودنا في القديم.. ويرى أن النموذج العربي الإسلامي هو (الأصالة) والنموذج الأوروبي المعاصر هو (المعاصرة)".¹

وقد تعامل بعض الباحثين مع الأصالة على أنها جذر الماضي الذي لا يتخلى عن أبجدياته، فيما دعا آخرون إلى اعتبار الأصالة كمنهج جديد لتجديد الفكر، وبرزت دعوات واضحة لتجديد الفكر الإسلامي وبعضها لتجديد الفقه الإسلامي، هؤلاء الذين ينظرون إلى تجديد الفكر باعتباره نتاج عقول الماضي، فلا حرج إن تم التعامل مع نتاج عقول الماضي بالرفض أو القبول أو التعديل.

وقد برز من دعاة تجديد الفكر الإسلامي من معاصري اليوم: الدكتور حسن الترابي والدكتور محسن عبد الحميد وراشد الغنوشي والدكتور محمد عمارة والدكتور محمد سليم العوا والدكتور جمال الدين عطية والدكتور هبة رؤوف عزت، والدكتور وهبة الزحيلي وغيرهم كثير.² وفي ظل هذا التوجه تعددت الآراء والتصورات حول مستقبل الإسلام وآليات التغيير، بل تعددت أمزجة المسلمين أيضاً، "فقد يرى مسلم استناداً لمزاجه الشخصي وتجربته في الحياة أن المسلمين في انحدار مستمر منذ فجر الإسلام في المدينة المنورة، وقد يرى مسلم آخر بأن تاريخ الإسلام جاء على شكل موجات فيها سلسلة متعاقبة من الارتقاعات والانحدارات، تتقدم في شكل حلزوني إن جاز التعبير، ومسلم ثالث متفائل بوضوح يرى الإسلام في تقدم مستمر حيث يستطيع كل من هؤلاء المسلمين الثلاثة أن ينتقي من القرآن والسنة ما يؤسس عليه نظريته"³ وليس من الغرابة أن يكون هذا التصور لمسلم عربي عاش في الغرب وحضارته ردحا من الزمن، وأعلن إسلامه بداية الثمانينات، إنه الدكتور (مراد هوفمان)⁴ الذي حمل هذا التصور الانتقائي لفرض

¹ - الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، بيروت، ط ٥، ١٩٩٤م، مركز دراسات الوحدة العربية ص ١٨٦.

² - من هذه الدراسات المعاصرة حول التجديد: تجديد الفكر الإسلامي لمؤلفه حسن الترابي، وتجديد الفكر الإسلامي لمؤلفه محسن عبد الحميد، وتجديد الفقه الإسلامي لمؤلفه وهبة الزحيلي، والحركة الإسلامية والتحديث لراشد الغنوشي.

³ - الإسلام عام ٢٠٠٠، د. مراد هوفمان (تعريب عادل المعلم)، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٥م ص ١١

⁴ - د. مراد هوفمان: ولد عام ١٩٣١م لأسرة كاثوليكية، يحمل الدكتوراه في القانون، عمل في الإدارة الخارجية الألمانية حتى عام ١٩٩٤م، تخصص في مسائل الدفاع النووي، عمل مدير استعلامات الناتو في بروكسل حتى عام ١٩٨٧م، ومن ثم سفيراً لآلمانيا في الجزائر عام ١٩٩٠م، ثم سفيراً لآلمانيا في

واقع إسلامي مميز في المجتمع سواء كان ذلك في عالم العرب والمسلمين أم في العالم الغربي الذي يشهد صحوة مترامية الأطراف للوصول إلى الهدف الإسلامي العام من خلال إقامة الدولة الإسلامية الفتية.

ويرى الدكتور هوفمان: "أنه في ستينات وسبعينات القرن العشرين، على عكس ما كان يتوقع المرء، مر كل من العالم الغربي والعالم الإسلامي، بنقطة تحول كبيرة، فالإسلام المحطم بالأزمات لم يدخل القبر، وإنما أفعم حيوية بدرجة أرعبت الغرب منه، ومن الناحية الأخرى بدأت الأزمات تحوم حول العالم الغربي نفسه"¹ فهذه شهادة لمسلم ألماني الأصل، ودبلوماسي سابق، عاش في الغرب ودرس مراحل وتطوره وانتهى به المطاف إلى الإسلام.

إن إسلامية الخطاب في ظل هذه المرحلة، فرضت نفسها بنفسها أمام حركة التطور الحضاري التي شهدها هذا القرن، رغم كل ما زرع من عقبات أمام هذا الخطاب، واستطاع أنصار الصحوة الإسلامية أن يثبتوا وجودهم وجاهزيتهم أمام الكم الهائل من حركات التغريب والحداثة الغربية وما بعد الحداثة، والغزو الفكري والثقافي والعولمة بكل تفريعاتها، حيث حافظ الخطاب الإسلامي على أصالته.

وكذا الحال في فلسطين التي شهدت صراعاً أيديولوجياً وعقدياً عبر التاريخ وتقلب على أرضها أمم كثيرة، وانتهى بها المطاف في نهاية هذا القرن باحتلال عنصري بغيض سيطر على أرضها واغتصب مقدراتها وشرد أهلها.. ورغم ذلك تميز الإسلاميون في صراعهم مع المحتل، فكانت ثورات وانتفاضات ومقاومة وشهداء وما زالت، وغدت الحركات الإسلامية المجاهدة على أرض فلسطين يشار إليها بالبنان من خلال خطابها الإسلامي الشمولي المميز فكانت شوكة حادة في حلق الصهاينة المحتلين.

من هنا فاستطيع القول إن إسلامية الخطاب ضرورة من الضرورات الهامة أمام رحلة التحدي الشمولي التي تشهدها المرحلة السياسية والفكرية والأيدولوجية، إضافة إلى الواقع العربي والإسلامي والدولي الذي بات يستوعب وجود هذا الخطاب لأنه أصبح ركناً حاضراً أمام حركة التغيير التي تشهدها المجتمعات المعاصرة اليوم.

المغرب عام ١٩٩٤م، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م وأدى العمرة عام ١٩٨٢م والحج عام ١٩٩٢م، كتب العديد من الكتب والدراسات الإسلامية.

¹ - الإسلام كبديل، د. مراد هوفمان (تعريب عادل المعلم)، دار الشروق - القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٠.

المطلب الثالث: سمات الخطاب الإسلامي

وسطية الإسلام وأبجدياته الواقعية، البعيدة كل البعد عن كهنوت الديانات السابقة المحرفة، جعلت منه ديناً عملياً شاملاً، يناقش كافة مناحي الحياة بكل جزئياتها لأنه دين الفطرة، وكذا الحال في الخطاب الإسلامي الذي يمتاز بسمات عديدة مستمدة من الإسلام نفسه، هذه السمات التي تعتبر ركائز لهذا الخطاب وتميزه عن غيره من الخطابات الأخرى التي ترتبط بنظريات فلسفية مادية ومصالح دنيوية خاصة.

فالخطاب الإسلامي، خطاب شمولي خاص بالبشرية كلها وليس بأقلية أو شعب أو فئة وهو انعكاس أمين لمفاهيم تسعى جاهدة في شق دربها نحو مستقبل أفضل للإسلام وأمته، وإذا أردنا أن نعدد مزايا الخطاب الإسلامي المعاصر فإنها تبدو على النحو الآتي:

خطاب رباني

لعل من أهم السمات الملاصقة تماماً بل المجذرة للخطاب الإسلامي، أنه خطاب رباني، يستند في جذوره ومركزاته وتطلعاته إلى أحكام وقواعد ربانية، شرعها الله لسلامة البشر، وخدمة الإنسان فكانت بمثابة الضابط لهذا الخطاب، مما جعله ينعكس تلقائياً من خلال هذه الصلة على الإنسان نفسه الذي يمثل ركناً من أركان هذا الخطاب، حيث ضبط حركته ونظمها بما يقتضيه شرع الله.

يؤكد الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكار على هذه الحقيقة في دراسته النفسية (من أجل انطلاقة حضارية شاملة) حيث يقول فيما آثرت نقله بنصه: "الإنسان المسلم إنسان مستقبلي من الطراز الأول، فهو يضبط حركته اليومية وعواطفه ولسانه وسمعه، وفق ما يقتضيه وما يترقبه من رضوان الله تعالى، فهو يلاحق هدفاً واحداً طوال عمره وقد ظلت أمة الإسلام تلاحق هدفاً واحداً قرابة ثمانية قرون، وكان ذلك الهدف هو التمكين لدين الله في الأرض ونشر تعاليمه..وهي أطول مدة تلاحق فيها أمة من الأمم هدفاً واحداً".^١

وقد كان لربانية الخطاب الإسلامي انعكاسٌ هامٌ على حياة الفرد، ذلك أن الأصل في حياة الناس أن تنسجم مبادئهم ومصالحهم، لتتصدر مهمة الثقافة والمجتمع في تأسيس المعايير والنظم، تلك التي تساعد على تحقيق مصالح الأفراد، وعلى تلبية رغباتهم وطموحاتهم، اهتداءً بالمبادئ العامة للعمود الفقري للعقيدة الاجتماعية في أي مجتمع، وإنما يحدث ما يمكن أن يسمى: الوهن الاجتماعي، عند شعور الناس بعدم إمكان أن يحققوا مصالحهم المشروعة، من خلال تلك العقيدة الاجتماعية التي تسود مجتمعهم، ويعمل بها فيه، فيدفعهم هذا إلى تحقيق مصالحهم بطريقتهم الخاصة.^٢

^١ - من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أ.د. عبد الكريم البكار، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م ص ١١٠.

^٢ - المرجع السابق، ١٧٦_١٧٧.

فكانت سمة (الربانية) في الخطاب الإسلامي تشكل صمام الأمن والأمان للإنسان في حياته بكل تفريعاتها.

خطاب شامل

مما يميز الخطاب الإسلامي عن غيره أنه خطاب شامل يعالج كافة القضايا الحياتية، فلا يحصر نفسه في دائرة السياسة أو الاقتصاد أو تربية النفس فحسب، بل هو خطاب شامل يستمد هذه السمة من شمولية الإسلام.

ولهذا نرى التفصيلات لهذا الخطاب وحيثياته تكمن في اهتمامه بالنفس والمال والحياة بكل معطياتها حيث اعتبرها علماءنا من الضرورات الخمس التي ينبغي حفظها والتي تبنى عليها مقاصد الإسلام.

ولم يكن هناك إشكالية حول شمولية الإسلام وإنما كانت الإشكالية بين المسلمين أنفسهم، خاصة الحركات والجماعات الإسلامية حول الأولويات.. ولهذا "يرى الإسلاميون، أنهم بخلاف كل القيادات الفكرية والسياسية الأخرى في الوطن العربي، يملكون رؤية شاملة أو نظرية شاملة لاستنادهم إلى الإسلام، بدأ ذلك في عصر الإصلاح الإسلامي حيث القول: "إن الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف"¹.

ويرى بعض الباحثين أن هذه الشمولية في الخطاب الإسلامي بدأت تتجزأ وتتوزع في مشاريع الحركة وجماعاتها العاملة على الأرض، حيث يرى الدكتور رضوان السيد أنه في الحقبة المعاصرة "تتمحور جهود حركات الإسلام السياسي كما يسميها - على مسالة الدولة بالذات وهم يرون في هذا الصدد أن الإسلام يشكل أساس المشروع لكل نظام، فلا مشروعية لأي نظام في العالم الإسلامي لا يعلن ذلك ثم يقرن القول بالفعل"².

وتبدأ شمولية هذا الخطاب من خلال احتضانه لكافة متطلبات الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والسلوكية والقيمية.

خطاب فطري واقعي

إن الإسلام بلا شك دين الفطرة، حيث خلق الله البشر وأنزل لهم منهاجاً يوافق فطرتهم، فلم يصادم هذا المنهاج الفطرة السوية وإنما تتاسب أيضاً مع العقل السوي، ولما كان الخطاب الإسلامي انعكاساً لمفاهيم الإسلام وتصوراتهِ فإن من سمات هذا الخطاب أنه واقعي فطري، يتناسب وطبيعة البشر لأن مصدره وضابطه هو شرع الله.. وحتى ولو كان جزء من هذا الخطاب من نتاج العقل البشري إلا أنه محكوم ومقيد بضوابط شرعية.

¹ - سياسيات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات، د. رضوان السيد، دار الكتب العربي، ط ١٩٩٧، ١م، ص ٢١٨.

² - سياسيات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات، مرجع سابق، ص ٢١٨.

وما دام هذا الخطاب فطرياً فهو واقعي أيضاً يعالج قضايا الناس الحياتية، يعمل في إطار مصلحة العباد والبلاد، يضع الحلول ويسعى لتطبيقها، وواقعية هذا الخطاب ترجع إلى الإسلام ذاته، فهو الدين الواقعي الذي جاء ليعالج الواقع وليغيره، وقد نجح في ذلك في فترة وجيزة من عمر الزمن، إذ أسعد الناس، واستطاع نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم أن يربي في تلك الفترة القصيرة جيلاً قرانياً فريداً، أقام دولته في مدة لا تتجاوز ثلاثة عشر عاماً^١.

وهذا الخطاب الفطري والواقعي، جعل للإنسان قيمة ووزناً، ولهذا نِعَم الإنسان في ظله إذ الذي يستمد عناصر قوته من العقيدة والدين، ونعم الإنسان كإنسان، دونما نظر إلى دينه أو لونه أو جنسه أو وطنه أو قوته أو لغته، نعم بالسعادة في ظل الإسلام، وفي المجتمع الإسلامي الذي احتكم إلى الإسلام تحت مظلة نظام الدولة الإسلامية، حين ملأت الأرض عدلاً ونوراً، ولم يقصر هذا النعيم إشعاعه على أهل الإسلام، بل استفاد منه غير المسلمين الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية، فعاشوا حياة هائلة راغدة، فلم يأمنوا أعداء الدولة الخارجيين فحسب، بل آمنوا أن تمتد إليهم يد المسلمين أصحاب السلطان بالأذى، إلا من جعل نفسه خصيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإيذائه لأهل الذمة^٢.

وبهذه الواقعية كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، "فعندما يؤكد المفكرون الإسلاميون المعاصرون ذلك، فهذا يعني أنه بمقدور الفقه الإسلامي أن يتسع ليجيب عن المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تواجه الأمة في العصر الراهن"^٣.

خطاب الوسطية والاعتدال

رغم الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين من خلال إصاقهم جميعاً بالإرهاب والتطرف، إلا أن الخطاب الإسلامي يستند في أدواته إلى وسطية الإسلام واعتداله.. فهو خطاب ينبذ العنف والغلو وردّات الفعل، وإن كان ذلك يمثل ملاصقة لبعض مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر. ولعل العديد من القراءات والدراسات الحديثة والمعاصرة للخطاب الإسلامي المعاصر.. بالإضافة إلى خطاب الحركة الإسلامية المعاصرة وما ينطوي تحت لوائها يؤكد مدى الاعتدال والوسطية في هذا الخطاب، حيث مارس حقه في الحياة محاولاً تطبيق ما يصبو إليه من أهداف في إطار التعددية، والاعتراف بالآخر والتحالف معه أحياناً^٤.

^١ - هذا هو الحل، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٧.

^٢ - بتصرف عن نفس المرجع، ص٣٧.

^٣ - الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، منير شفيق، دار الناشر، بيروت ودار البراق، تونس، ط٣، ١٩٩١م، ص٨٩.

^٤ - للمزيد من التوسع، يراجع في ذلك: الحريات العامة في الدولة الإسلامية وحقوق المواطنة، للشيخ راشد الغنوشي، وكتاب الإسلاميون والمشاركة في السلطة من اعداد عزام التميمي، وكتاب الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع من تاليف الدكتور زياد أبو عمرو.

ويرى الدكتور عبد الكريم البكار أن العنف والاحتراب، أسوأ ما يمكن أن يلجأ إليه مجتمع ما، في تسوية مشكلاته وإصلاح أوضاعه، وقد دلت التجارب التاريخية والمعاصرة على فداحة المصائب التي يحصدها الناس من وراء اللجوء إلى القوة لتقويم ما بهم من اعوجاج، وكيف سيربحون معركة هم جنودها وضحاياها^١.

ويؤكد على هذه الحقيقة أيضاً العلامة الدكتور يوسف القرضاوي حيث يقول "بعض الفصائل التي تنسب إلى الصحو الإسلامية أو العمل الإسلامي مهمة أكبر الاهتمام بالمسائل الخلافية فهو شغلها بالنهار وحلمها بالليل"^٢، ولهذا فإن وسطية الإسلام تقتضي التعامل مع القضايا كلها بعدل وإنصاف دون تغليب جانب على آخر.

والمشكلة في ذلك كله أن هناك إشكالات كثيرة وجديدة بدأت تظهر بسبب "عملية الجدل القائمة بين القديم والجديد، فالذين احتكوا بالثقافة الغربية من أبناء جلدتنا جعلوا الشرع في مواجهة العقل، وجعلوا تراثنا كله عبارة عن نقيض للتحديث، فلا عقلانية إلا بالخلاص من الشريعة، ولا تحديث إلا بالإجهاز على التراث وغسل ذاكرة الأمة منه"^٣ هكذا يتصورون. من هنا اقتضت مصلحة الأمة، أن يحافظ الخطاب الإسلامي على خصوصيته التراثية وتميزه ولكن بعيداً عن الغلو، متأسلاً بوسطية الإسلام واعتداله.

بالرغم من هذه السمات الواضحة والشمولية، إلا أن الصحو الإسلامية والتي هي نتاج للخطاب الإسلامي المعاصر، لم تستطع أن تحاصر كافة السلبات والإشكالات التي تتم عن التخلف "ومع تزايد حركة الصحو الإسلامية وانتشار رقعتها وتأثيرها وبروز دورها في العملية الثقافية والاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي.. مع كل هذا ما زالت بذور التخلف تعيش في تربة العالم الإسلامي، مما جعل هذه البذور تشبه الكوايح الذاتية التي تمنع اعتناق المسلمين وتحررهم من أعدائهم في الداخل والخارج، ومن المؤكد أن الكثير من نقاط الضعف في مسيرة الصحو الإسلامية وإخفاقات العمل الإسلامي في هذه الحقبة يرجع بالدرجة الأولى إلى عامل التخلف وتأثيراته المتعددة على مختلف الصعد والمستويات"^٤.

^١ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم البكار، دار القلم دمشق، ط١، ١٩٩١م، ص ٣١٢.

^٢ - الصحو الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٩٠.

^٣ - نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، د. عبد الكريم البكار، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٧.

وليس تعميم الدكتور بكار صحيحاً، ذلك أنه يوجد الكثيرون مما احتكوا بالثقافة الغربية من أبناء جلدتنا، لم يفعلوا ما ذكره الدكتور بكار، وعلى رأس هؤلاء عبد الحميد أبو سليمان وإسماعيل الفراقوي وطه العلواني.

^٤ - الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٩٤.

ورغم ذلك تمكنت الصحوّة الإسلاميّة من القيام بعملية إسناد للمشروع الإسلامي الحضاري الذي بدأ يأخذ دوره إقليمياً ودولياً واتخذ طابعاً سياسياً وهوية واضحة المعالم تدافع عن مصير الأمة الإسلاميّة في ظل الحرب القائمة على الإسلام بدعوى التطرف وخاصة عقب أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠٠م.

إن هذا الخطاب بتلك السمات التي تحدّثُ عنها، هي ما ننشده في مسيرة الإسلام المعاصرة، ومسيرة العاملين له.

المطلب الرابع: آفاق الخطاب الإسلامي

كثيرة هي الآفاق التي يتطلع إليها الخطاب الإسلامي المعاصر ويسعى إلى الاندماج معها وإشغالها، بل يشكل بعضها عموداً فقرياً لهذا الخطاب وخاصة على صعيد العلاقة مع الميدان والمجتمع.

ولم يكن الخطاب الإسلامي متوقعاً على ذاته وإنما كان خطاباً موجهاً، يحمل رسالة إنسانية وعالمية، هويتها الإسلام بنظامه المتكامل ومنظوماته التشريعية، ولهذا توزعت آفاق هذا الخطاب بحسب حاجة المجتمع ومصلحة الأمة على الصعيد المحلي والإسلامي والإنساني، فكانت هذه الرحابة والشمولية عنوان سعادة ورحمة للبشرية فقد قال الله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ".^١ ومن هنا استمد الخطاب الإسلامي آفاقه وتطلعاته من الإسلام الذي شكل في حياة البشرية نظاماً متكاملًا.. عقيدة ومنهجاً وسلوكاً وسياسات، ونقصد هنا بالآفاق: المساحات التي يغطيها هذا الخطاب، وقد تكون ثقافية تعالج الخطاب الفلسفي العقدي وقد تكون اجتماعية وتربوية وسياسية وإعلامية، وقد تكون إنسانية أيضاً، تتناقص العلاقة الإسلامية العربية، والإسلامية الإسلامية، والإسلامية الإنسانية.. وبذلك تشكل هذه الآفاق انعكاساً لمتطلبات الخطاب الإسلامي المعاصر في المرحلة الراهنة.

وقد أكد على ذلك الشيخ حسن البنا بكلمات رأيت نقلها بنصّها، وذلك حيث قال: " لقد آمنا إيماناً لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي وأعماق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدي الناس سواء السبيل، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال.. هذه الفكرة هي الإسلام الحنيف، الذي لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه".^٢

ويؤكد الإمام البنا رحمه الله، على هذه الآفاق وحيثياتها مقررًا أن الفكرة التي ينطلق منه إسلامية بحتة، فعلى الإسلام ترتكز، ومن الإسلام تستمدّ، وهذه الفكرة يجاهد أصحابها من أجل إعلاء كلمة الإسلام، فلا ترضى بسواه نظاماً ولا إماماً ولا مطاعاً.^٣

وليس غريباً أن يسع الخطاب الإسلامي المعاصر تراث الماضي ويتجلى مع ضرورات الحاضر ويخطط لمتطلبات المستقبل، فهو خطاب شمولي كما برز لنا في خصائصه ومميزاته،

^١ - الانبياء، ١٠٧.

^٢ - رسالة إلى الشباب، من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، الطبعة بدون تاريخ، ص ١٧٥.

^٣ - نفس المرجع ص ١٧٥.

وإن أكثر ما يسوغ آفاقه ثقافياً أنه خطاب عقدي له فلسفته الربانية الخاصة التي تتناقص قضايا الإنسان والكون والحياة، فهو ابتداء مرتبط بعقيدة ربانية لا يخضع في تأويلاته لمزجة البشر، هذه هي العقيدة التي انبثق عنها نظام حياة متكامل.

فخطاب الروح والعقل حافظ على عملية التوازن بينهما، واتسع ذلك الخطاب لمتطلبات الروح والنفس، وتهذب القلب والوجدان، وشكل من الجانب الروحي والعقدي صمام الأمان لتوجهات الإنسان، ولتصوراته للحياة، ومن دون ذلك، سيصبح الإنسان خاوياً، أو فاقداً للاتزان. وكذا الحال على الصعيد المادي، الذي طالبنا الإسلام الاهتمام به كي تكتمل حركة الحياة، ولكن العمل فيه يقتضي التوازن مع الجانب الأول وهو الجانب العقدي والروحي.. حيث لا يوجد أي تعارض بين المفهومين مع الحياة.

وقد ركز الشيخ العلامة أبو الأعلى المودودي على هذه القضية وضرورة التوازن ما بين الخط الروحي والمادي، ووصف الحضارة الغربية بالحضارة (العرجاء) لأنها ركزت على الجانب المادي بمعزل كامل عن الجانب العقدي والروحي، فأصبح هناك تضخم في الجانب المادي وضعف وهزال في الجانب الروحي والعقدي ولهذا أصيبت الحياة الغربية بخلل كامل شامل^١ وبدأ الإنسان يهرب من نكد العيش متتبعا أساليب شتى لم تحقق له السعادة، بل كان بعضها بدايته نحو النهاية، كتعاطيه المخدرات، وشربه الخمر، وحينما لم تسعفه الملذات في تحقيق السعادة، انتهى به الأمر إلى الانتحار.

وشكل البعد العقدي تهذيباً للروح والعقل.. واتسع الخطاب الإسلامي لآفاق العقل وتطلعاته في إطار الضوابط العقدية والروحية، التي هذبت إichاعات وتطلعات هذا العقل.. ولهذا كان الاجتهاد مصدراً من مصادر التشريع.. مع أنه جهد عقلي.. لكنه يستند إلى جذور وأصول منهجية.

واستطاع مفكرو الإسلام أن يوجهوا حركة التاريخ من خلال توازن خطابهم الروحي والعقلي.. وحققوا أمام ذلك الكثير من الإنجازات الحضارية، وقد شكل الخطاب الإسلامي المعاصر في بنيته، خطاباً تربوياً ساهم في صنع فعاليات الإنسان منذ صغره.. فاهتم به وليداً وطفلاً وشاباً وشيخاً، وكان لهذا الإعداد التربوي المتأصل الأثر الكبير في صناعة المسلم النموذج الذي يصلح لعملية التغيير الحضاري.

استند الخطاب التربوي الإسلامي في فلسفته على القرآن الكريم، والقرآن الكريم ذاته لم يكتف بتقديم الإطار الفلسفي للعقل العربي الإسلامي، ولم يكتف أيضاً بتمكينه من صياغة خطابه التربوي، بل زاد عن ذلك بأنه أسس بناءً على هذا الإطار الفلسفي خطاباً تربوياً يعتمد في تفسيره على التوجيهات التربوية الكامنة في الحديث النبوي، وهي ذات ملامسة لحياة المسلمين، وذو

^١ - نحن والغرب، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٧، ص ١٤٣.

فاعلية بجوانبها المختلفة، وهو ناشط بشكل ظاهر في تحديد المباح المقبول من الحرام المستهجن، وانضاف إلى ذلك تلك الإفادات التربوية الفقهية، وصارت مصدراً للدرس والإفادة، ومن كل ذلك تعلم العقل العربي أشياء كثيرة لصالح التربية ومؤسسات التربية^١.

ولهذا لوحظ التركيز على الجانب التربوي لدى غالبية المدارس الفكرية الإسلامية أمام حركة المد اليساري والقومي التي سادت المنطقة في الخمسينات والستينات وأوائل السبعينات وكانت هذه المدارس تحرص على صقل العقل والقلب تربوياً وروحياً لمواجهة المرحلة التي تدفع نحو الماديات والإلحاد وأحياناً نحو الإباحية والسلوك المنفلت.

وركزت أدبيات الحركة الإسلامية المعاصرة في خطابها على الجانب التربوي معتبرة ذلك من الأساسيات التي تساعد في بناء جيل قرآني فريد، يحافظ على العقيدة ويهذب السلوك ويسوي الفكر.. وقد ركزت كتابات الدكتور يوسف القرضاوي، وسيد قطب، ومحمد الغزالي وسعيد حوى على هذا الجانب.. حيث ساعدت هذه الدراسات والكتابات في بناء وترسيخ البنية التربوية لجيل الحركة الإسلامية المعاصرة^٢، هذه البنية التي ساهمت في تفعيل وترسيخ جيل المقاومة والجهاد من أجل الدفاع عن قضايا الأمة المصيرية.

^١ - الخطاب التربوي الإسلامي، د. محمد الفرحان، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص١٣-١٤.

^٢ - للتوسع حول الموضوع يمكن الرجوع إلى: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا للدكتور يوسف القرضاوي، ودستور الوحدة الثقافية للشيخ محمد الغزالي، وكتاب المستخلص في تركية الأنفس للشيخ سعيد حوى.

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصالة والمعاصرة

تأثر الخطاب الإسلامي في نهجه وأدائه بتيارين كبيرين، نشأت عنهما مدارس عديدة، وهذان التياران هما: التيار الذي ينادي بالأصالة، وهو يرى ضرورة العودة إلى الأصول والأخذ بتراث الماضي، هذا التراث الذي شكل حضارة الأمة، والتيار الآخر هو تيار المعاصرة والتجديد الذي ينادي بضرورة مجازاة العصر والتفاهم مع مصطلحاته ومتغيراته والتكيف معه بما لا يخالف أصول الدين، وهذا التيار يرى أن تراث الأمة العقلي لا بد له من أن يتجدد ما دام أنه من نتاج العقل البشري، هذا النتاج الذي هو عبارة عن عصارة تفكير علماء الأمة ومفكراتها وفقهائها، فكان لا بد من إعادة النظر في بعض هذه الاجتهادات التي كانت تصلح لتلك الحقبة الزمنية والتي قد لا تصلح لزماننا هذا.

وقد شكل هذا الفهم صراعاً بين التيارين (الأصالة والمعاصرة) مما نتج عن ذلك خطابات متنافرة، لكل واحدٍ منهما فلسفة ورجال وكتابات ومؤلفات، وأصبح ذلك واضحاً جلياً من خلال مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر التي عبرت كل منها بوضوح عن هذا النهج، فشهدت الساحة الإسلامية عدداً من المدارس التي عبرت عن فهمها، وأمامنا أربعة مدارس أساسية، كل منها تأخذ من المعاصرة أو الأصالة أو كليهما، ما دعاه إليه فهمها، وهذه المدارس الأربعة هي: أولاً: المدرسة السلفية، هذه المدرسة التي التزم أنصارها قدسية النص، حيث شهدت بلدان عديدة في عالمنا الإسلامي التزاماً سلفياً تراثياً وآخر سياسياً، كما هو الحال مع الجماعات الإسلامية في الجزائر وبعض بلدان عالمنا العربي، ثانياً: برزت المدرسة التقليدية التي ضمت في صفوفها الحركات الصوفية وجماعات الدعوة والإرشاد وحركات الإصلاح وحلقات الدروشة، ثالثاً: شهد العالم العربي والإسلامي بروزاً وانتصاراً واسعاً لمدرسة المعاصرة والتجديد التي قادها جماعة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي، هذه المدرسة التي انتشرت أفكارها فكانت بذرة خصبة للصحو الإسلامية في العالم العربي والإسلامي.

ولم يحصر الأمر عند هذا الحد، بل برز على السطح أيضاً مدرسة رابعة هي مدرسة الخروج والرفض، هذه المدرسة التي ترى أن الواقع القائم هو واقع كافر جاهلي لا بد وأن يجتث من جذوره ولا مجال للحوار والتفاهم معه.

هذه المدارس كلها شكلت امتداداً واضحاً لخطابي الأصالة والمعاصرة، حيث دعت للعودة إلى الإسلام، ودعا معظمها إلى إقامة الدولة الإسلامية (الخلافة) ولكن كل مدرسة بطريقتها ونهجها الخاص.

المطلب الأول: مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر

تعددت الاجتهادات الفقهية والرؤى الفكرية والسياسية على الساحة الإسلامية مما أدى إلى تعدد مدارس الخطاب وقد برز علماء مصلحون ومجددون بارعون، قادوا هذه المدارس ونشروا أفكارها وجمعوا حولها تلامذة ومريدين وقد انتهى المطاف ببعضها ليصبح تياراً إصلاحياً يتبنى تغيير المجتمع ويدعو إلى نهضة إسلامية سياسية واقتصادية واجتماعية على أساس الدين والعقيدة، وقد شكلت هذه المدارس الصورة المجملّة للخطاب الإسلامي في العالم العربي والإسلامي، وبدأت تتخذ العديد من المواقع لها في العالم العربي والإسلامي كل بحسب مكان تأسيسها وانطلاقتها، ولوحظ أن تزايد أعداد عناصر هذه المدرسة أو تلك اعتمد على الشخصيات المؤثرة التي قادت تلك المدارس الإسلامية ورفعت صوتها.

وقد اهتمت هذه المدارس بالعودة إلى منهج السلف الصالح، فيما اهتم البعض الآخر منها بالتصوف وتهذيب النفس ومحاسبتها، وظهرت حلقات الدروشة، بما في بعضها من مخالفات شرعية، إلا أن عدداً آخر من هذه المدارس اهتم بقضايا التجديد ومتابعة مستجدات العصر، مما دفع ببعض العلماء وأهل الفقه أن يقدم للجيل فقها يتناسب مع طبيعة المرحلة أطلق عليه (فقه الأولويات والموازنات) فيما اهتم أنصار مدرسة الرفض بمواجهة المجتمع بطريقة حديثة عنيفة مما دفع البعض منهم اعتزال المجتمع وتكفيره، وقد تمحورت نشاطات وممارسات هذه المدارس على النحو الآتي:

المدرسة السلفية:

لعل من أبرز من دعا إلى السلفية ودافع عنها في العصور الماضية شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم، وقد مثلا حركة التجديد الإسلامي في عصرهما "حيث وقفوا في وجه التقليد والعصبية الفقهية المذهبية وكان لوقفهم الأثر الكبير على المسلمين في عصرهم، وقد أوجدت مواقف الإمام ابن تيمية الجريئة أنصاراً وعلماء التقوا حوله مما دفع القائمين على النظام السياسي في تلك الحقبة إلى اعتقال ابن تيمية وحبسه في السجن عدة مرات حيث مات رحمه الله في سجنه"¹.

واعتبر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أن السلفية مرحلة زمنية مباركة وليس مذهباً إسلامياً مؤكداً "أن كلمة (السلفية) ليس لها من المضمون العلمي أو الواقع الإسلامي ما يجعلها تنطبق على جماعة من المسلمين بعينها"² فيما تم التعبير عن السلفية بطريقة لا تمت إلى السلفية

¹ - أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة الراهنة، الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسس الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٠٤.

² - السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٢-٢٢.

بصلة مما أساء لها ولأنصارها، فقد أوضح الشيخ يوسف القرضاوي هذه القضية قائلاً: "إن السلفية ظلمت من أنصارها وخصومها على السواء، فعلى صعيد أنصارها فقد حصروها في شكليات وجدليات حول مسائل في علم الكلام ومسائل في علم الفقه أو أخرى في علم التصوف، وباتوا ليلهم ينصبون المجانيق ويقذفون بالمقاليع كل من يخالفهم في أية مسألة من هذه المسائل أو أية جزئية من هذه الجزئيات حتى ظن بعض الناس أن منهج السلف هو المراء والجدل لا منهج البناء والعمل، أما خصوم السلفية فإنهم يصفونها بالرجعية وإنها تنظر إلى الخلف ولا تتجه إلى الأمام ولا تهتم بالحاضر ولا المستقبل وإنها ضد التجديد والإبداع والاجتهاد وإنها لا تعرف الوسط والإعتدال"^٣.

وفي العصر الحديث قاد لواء المدرسة السلفية المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية التي نشأت في الجزيرة العربية في القرن السابع عشر حيث ارتأت في العودة إلى منهج السلف الصالح منطلقاً لما تؤكد على الالتزام بالقرآن والسنة، لكن هذه المدرسة لم تلتزم بفقه المذاهب الأربعة واتخذت من ظاهر النصوص منطلقاً لها مع دعوتها إلى الاجتهاد في إطار النصوص الشرعية وقد رفضت هذه المدرسة التصوف ولم تعر مستجدات العصر أي اهتمام ولم تضع علاجاً شافياً لقضايا الأمة الإسلامية الطارئة، وتعامل السلفيون مع النصوص الشرعية بطريقة سطحية وجامدة لا سيما أنصار المرحوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وممن انتقدوا منهج بعض أتباع المدرسة السلفية الشيخ المرحوم محمد الغزالي الذي يقول: "من الناس وباسم السلفية من تغلب عليهم البداوة، فيكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويصفون المكتشفات والمقررات الفلكية والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة ليسوا بسلف ولا بخلف وهم بحاجة إلى تشكيل جديد"^١.

ولم تُعر السلفية قضايا الانبعاث الحضاري والحوار والتقدم أي اهتمام كان، وكذلك الحال تجاه قضايا التحرر ومواجهة الاحتلال والتخلص من الاستعمار.

وعلى الساحة الفلسطينية التي شهدت صحوة إسلامية مترامية الأطراف في ظل مواجهة دامية للاحتلال الصهيوني لهذه الأرض المباركة، فقد برز تفاعل لعدد من مدارس الخطاب الإسلامي، وكانت الحركة السلفية الأكثر ضعفاً بحيث لم تجد لها موقعا أمام شعب مجاهد يواجه الاحتلال صباح مساء، ويقود الانتفاضة تلو الأخرى ويقدم الشهيد تلو الشهيد.

^٣ - أولويات الحركة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ١٠٥.

^١ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٩٧،

ويظهر أن بعض هؤلاء السلفيين اكتفوا في فلسطين بالقيام بنشاطات فردية محصورة، وهو ما وقع مثلاً من جمعية دار الكتاب والسنة التي أنشئت في خانيونس سنة ١٩٧٥م، وكل ما قامت به هذه الجمعية هو توزيع الكتيبات الصغيرة التي تدعو إلى صحة العقيدة وطهارة النفس، وأحياناً كانت توزع أشرطة صوتية فيها خطب ومواعظ لعلماء سلفيين من الأردن والسعودية، مع رفع هذه الجمعية لشعار نعم لتدوين السياسة، ولا لتسييس الدين^١، وقاد هذه الجمعية الشيخ محمود جودة الذي يعتبر نفسه أميراً لجماعة المسلمين.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة انتشار جمعيات ومؤسسات تعنى بالنهج السلفي في منطقة الضفة الغربية، حيث تم تأسيس جمعية ابن باز الخيرية، في منطقة السموع بمحافظة الخليل، كما تم تأسيس جمعية الكتاب والسنة في قلقيلية وكذلك في بيت لحم والقدس.

لم يقدم السلفيون على صعيد الساحة الجهادية الفلسطينية رغم سخونتها وأهميتها أي جهد يذكر، إلا أن الحركة السلفية شهدت انتشاراً في بعض دول العالم العربي مثل السعودية ودول الخليج والأردن وسوريا.

وقد عرفت الساحة الإسلامية المعاصرة على صعيد علماء السلف العلامة المحدث المرحوم الشيخ ناصر الدين الألباني المتخصص في علم الحديث، حيث صدر له العديد من المؤلفات في هذا الجانب.

وقد برزت مدرسة سلفية جديدة تمثلت (بالسلفية الجهادية) تلك المدرسة التي أسسها أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري والتي سأحدث عنها من خلال الحديث عن مدرسة الرفض والمواجهة.

المدرسة التقليدية:

تضم هذه المدرسة في صفوفها الحركات والفرق الصوفية بكل توجهاتها وجماعة التبليغ والدعوة التي أسست في الهند وعدداً من المدارس الإصلاحية التي تدعو إلى الفضيلة والأخلاق، حيث ترفض المدرسة التقليدية التجديد في الاجتهاد وتلتزم اتباع القديم من المذاهب والآراء الفقهية فيما تستند في رؤيتها وأفكارها على الآراء والمسابر التقليدية القديمة من تصورات الزهاد المتصوفة، كما ارتبطوا بالفقهيات المبهمة البعيدة في بعض الأحيان عن صفاء العقيدة وسماحتها فأغرقوا أنفسهم بهذه الأفكار وأصاب الخلل اعتقاد جزء منهم.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في وصف هذا الانحراف عند بعض فرقهم المنحرفة:

^١ - الإسلام السياسي، الدكتور اياد البرغوثي، ص ٣٥، ٣٧.

"لقد شوهوا تعاليم الإسلام ومنهم الصوفية المنحرفة التي راجت في عصور الانحطاط وأشاعت في الناس الدروشة فأصبح الواحد منهم يعيش منطويا على نفسه يمشي في الفلاة بغير زاد، أو يعيش في رباط أو تلقاه بلا عمل وهو قادر على العمل وهذا ما لم يشرعه الإسلام"^١. وقد أدى هذا الفهم وما نتج عنه من تصرفات إلى تشويه صورة المجتمع الإسلامي واعاقة العودة الحقة إلى الإسلام وخاصة في تلك الفترة التي انتشر فيها هذا اللون من الخطاب في ظل حركة الاستعمار التي اجتاحت بلاد الإسلام والمسلمين وحاربت الإسلام الحق "فالمجتمعات الإسلامية ما قبل الاستعمار وأثناءه قدمت صورة مشوهة للمجتمع الإسلامي الأصيل في شتى المجالات والاتجاهات"^٢.

ولم يكن لأتباع المدرسة التقليدية أي دور في السياسة والجهاد وإدارة جهود المسلمين التي تحتاج إلى تخطيط وبرمجة وإعداد لإستراتيجيات المواجهة للمرحلة الراهنة. ولم يشارك أتباع هذه المدرسة أيضاً في مواجهة الأفكار الهدامة المعادية للإسلام من مادية والحادية وعلمانية، تلك الأفكار التي غزت العالم الإسلامي، إضافة إلى عدم المشاركة في الدفاع عن قضايا التحرر الوطني والجهادي ومقاومة الاستعمار والصهيونية وقد أشار إلى هذا الأمر العديد من الباحثين الذين استعرضوا دور الحركات الإسلامية المعاصرة في المجتمع العربي والإسلامي وخاصة الساحة الفلسطينية^٣.

ومع أن جذور مقاومة الاستعمار في العالم العربي بدأت من زوايا الحركات الصوفية، مثل الحركة السنوسية في ليبيا، وهي التي واجهت الاستعمار الإيطالي، والحركة المهدية في السودان، وهي التي واجهت الاحتلال البريطاني، وكذلك عدد من الجماعات الصوفية التي واجهت الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وبلاد الشام إلا أن التجمعات والمدارس الصوفية في هذه الأيام لا تقوم بأي دور جهادي يلتقي مع دور الحركات الصوفية الأم في بداية القرن الماضي. "ومما يثير التساؤل أن بعض هذه الحركات التقليدية المنتشرة في العالم العربي، والصوفية على وجه الخصوص نالت ثقة الحكام المعاصرين حيث أصبح عدد من هؤلاء الحكام يتقدم الاحتفالات السنوية لهذه الحركات"^٤ في الوقت الذي كانت تتصب فيه أعواد المشانق لحركات أخرى، فيعدم قياداتها ويعتقل ويعذب أنصارها.

^١ - الإسلام كما نؤمن به، الدكتور يوسف القرضاوي، دار نهضة مصر - القاهرة، ط١، ١٩٩٩، م ص ٢٣
^٢ - الإسلام والقوى المضادة، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٠، ص ١٥٤.

^٣ - للتوسع انظر: الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، الدكتور زياد أبو عمرو، دار الاسور - عكا، ط١، ١٩٨٩.

^٤ - دور الحركات الصوفية المعاصرة، عبد الهادي بلقع، دار النهضة مصر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١، م ص ٧٩.

وقد ساهم انقطاع هذه المدارس التقليدية وأنصارها رغم قلتهم عن قضايا الأمة الأساسية في زيادة الانحطاط الحضاري، وقد وصف الشيخ محمد الغزالي ذلك في كتابه الدعوة الإسلامية في القرن الحالي فقال: "لقد كان من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية سوء الموقف من الدين وعلومه وبناء التربية على أفكار شاعت بين فرقة المتصوفين والزهاد والفقهاء الصغار".¹

وقد انتشرت هذه الحركات في العالم العربي الإسلامي خاصة في مصر والأردن والمغرب وسوريا وفلسطين المحتلة، وكان من بين هذه الفرق: الطريقة الشاذلية والطريقة الخلوتية الرحمانية وغيرها.

وعلى صعيد فلسطين المحتلة عرف الشيخ المرحوم هاشم البغدادي الذي كان رمزاً للمدرسة الصوفية في القدس المحتلة، كما قام الشيخ المرحوم حسني القاسمي بتأسيس العشرات من الزوايا في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وكذلك في البلدات الفلسطينية المحتلة عام ٤٨ حيث أسس الزاوية المركزية للطريقة الخلوتية الرحمانية في "بلدة زيتا" شمال فلسطين ورغم التطورات السياسية والجهادية على الساحة الفلسطينية منذ قرن من الزمان إلا أن أنصار المدرسة التقليدية لم تربطهم أية علاقة سياسية بالقضية الفلسطينية، حيث يحرمون السياسة على أنصارهم وينعزلون عنها انعزاً كاملاً، ويفرغون طاقاتهم وأوقاتهم في الذكر وحلقات الدروشة.

هذا وتعتبر جماعة التبليغ والدعوة من الحركات التي تعمل على صعيد نشر الدعوة الإسلامية ولكن بطريقة تقليدية وسطحية حيث يركزون على الجانب الوعظي والإرشادي من خلال الطواف على منازل وحوائيت المواطنين ودعوتهم إلى المساجد للاستماع إلى ما يلقون من مواعظ وقد انتشر عدد من المراكز التي يلتقي فيها أنصار جماعة التبليغ والدعوة في بعض القرى والبلدات الفلسطينية مثل يطا وبيت عور وغيرها، ولا تمتلك جماعة التبليغ والدعوة هدفاً "أو مشروعاً إسلامياً حضارياً يجتمع الناس عليه إضافة إلى عدم تدخلها في السياسة والجهاد والمقاومة والعمل الأهلي والميداني.

المدرسة التجديدية التربوية

قاد مسيرة هذه المدرسة، جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن عبد الرحمن البنا رحمه الله عام ١٩٢٨م في مدينة الإسماعيلية بمصر حيث امتد نشاط هذه المدرسة إلى كافة البلدان العربية الإسلامية.²

¹ - الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٧.

² - للمزيد من التفصيل حول جماعة الإخوان، انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ لمؤلفه محمود عبدالحليم، وصفحات من التاريخ لمؤلفه صلاح شادي، والإخوان المسلمون لمؤلفه ريتشارد بي ميتشل، والإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثه لمؤلفه الدكتور موسى كاظم الحسيني.

وقد طرحت هذه المدرسة أفكاراً جمعت بين الأصالة والمعاصرة حيث الشمولية الموحدة لكل التوجهات والتصورات الإسلامية في المنطقة، وقد أكد على ذلك مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس التي عرض فيها غايات مدرسته وخطة مسيرتها مشيراً إلى أنها دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية وثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية^١، مؤكداً من خلال ذلك على شمولية أفكار هذه المدرسة وحيويتها تجاه جميع الأفكار المطروحة على الساحة الإسلامية وقد سمحت هذه المدرسة لأفرادها وعلمائها أن يتبنوا ما تصل إليه اجتهاداتهم دون أن تلزمهم برؤى محددة، برز ذلك من خلال استضافة هذه المدرسة لعدد من العلماء والمفكرين رغم اختلاف مشاربيهم.

حيث ضمت هذه المدرسة في صفوفها الشيخ سعيد حوى الصوفي الحنفي والأديب والمفكر النائر سيد قطب والدكتور عمر الأشقر والشيخ زهير الشاويش السلفيين البارزين والشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي المجددين اللامعين والمجاهد السياسي أحمد ياسين الذي قاوم الاحتلال الصهيوني عشرات السنين حتى استشهد.

كما استوعبت هذه المدرسة تصورات ونظريات فقهية وفكرية من غير المنتمين لها من أمثال الشيخ محمد أبو زهرة والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وغيرهم، وسار على منهج هذه المدرسة حركات وتجمعات إسلامية أخرى مثل الجماعة الإسلامية في الباكستان والتي أسسها العلامة أبو الأعلى المودودي وحركة الاتجاه الإسلامي (النهضة) في تونس التي أسسها الشيخ راشد الغنوشي وحركة المجتمع الإسلامي في الجزائر التي أسسها المرحوم الشيخ محفوظ النحناح وجماعة العدل والإحسان في المغرب العربي ومراكش التي يقودها الشيخ العلامة عبد السلام ياسين والعشرات من الحركات والتجمعات التي انتشرت في العالم الإسلامي والعربي أيضاً التي تنهل من نفس المصدر^٢.

وفي فلسطين برز دور هذه المدرسة في الحياة العامة على كافة الأصعدة التربوية والسياسية والثقافية والاجتماعية ومع انطلاقة الانتفاضة المباركة ١٩٨٧ برز الدور الجهادي الفاعل لأنصار هذه المدرسة من خلال تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس^٣ أحد أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين كما ورد في ميثاق حماس، حيث ساهمت هذه الحركة مساهمة فاعلة جنباً إلى جنب مع حركات إسلامية ووطنية أخرى في مقاومة الاحتلال الصهيوني إضافة إلى النشاط الاجتماعي

^١ - مجموعة الرسائل، حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٨٤، ص ١٢٢.

^٢ - للمزيد من التوسع انظر: الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية (١-٢) لمؤلفيه د. فيصل دراج وجمال باروت، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق.

^٣ - ميثاق حماس، المادة الثانية، انظر النص الكامل لميثاق حماس في قائمة الملاحق.

والأهلي عبر المئات من المؤسسات الخيرية وكذلك النشاط الدعوي عبر المساجد والمدارس والمراكز الثقافية.

مدرسة الغلو والرفض

تسبب عنف الحكام والأنظمة الجاهلية ضد نشاط الحركات الإسلامية وجماعات الصحوة الإسلامية بردة فعل عكسية في العالمين العربي والإسلامي، مما دفع القائمين على هذه الحركات إلى الخروج عن طوعهم وتأسيس جماعات وتيارات سرية مسلحة تمارس العنف والمواجهة ضد الحكام والأنظمة ومظاهر الفساد في الحياة العامة التي يعتقدون أنها تخالف الدين وأصبح أنصار هذه المدرسة يعتمدون على مواقف اجتهدية من أفكار العلماء والمفكرين وخاصة الأستاذ الشهيد سيد قطب الذي كان يرى أن: "طاعة الناس للحكام مرهونة بإقامة هذه الشريعة وتنفيذ ذلك القانون فإذا فسق عنه سقطت طاعته، والطاعة بإقامة كتاب الله دون سواه"^١.

ومن هنا تولد لدى الشباب الإسلامي المتحمس والمتوقد قناعات بأن هؤلاء الحكام شاذون عن حركة الحياة والمجتمع "فهم يعيشون في أبراج عاجية وقصور مرصعة بالترف والنعيم والفجور لا يفكر الواحد منهم إلا في ملذاته وسلطانه والاستئثار بأكبر قسط من الترفيه ولا يتحرك إلا لحماية سلطانه وامتيازاته وحين يقارن الشبان هذه الصورة للحاكم في عصرنا بالصورة الإسلامية التي رسمتها المبادئ الإلهية التي حفظها التاريخ منذ أيام التطبيق الحقيقي لها عندها يجدون البون شاسعاً"^٢.

ولم تتوقف مهاجمة أنصار هذه المدرسة وشبابها المتحمس على الحكام فحسب وإنما طال العديد من العلماء الذين نعتوا بأنصار السلاطين، وأصبح هؤلاء الشباب يرون أن هؤلاء العلماء جزء من هذا الفساد وهذا ما أكدته الدكتور نجيب الكيلاني الأديب الإسلامي المعروف عندما قال "ولا شك أن الوزر الأكبر يقع على كاهل العلماء المسلمين وليس على الحكام المنحرفين وحدهم فليسوا هم المسؤولين عن تلك النكبة، حيث كان واجب العلماء وهم حملة الشريعة وناسروها والداعون لها أن يدعوا إلى كلمة الحق بين الشعوب وأن يندروا حكامهم ويقفوا في طريق أطماعهم ويستبسلوا من أجل الدفاع عن المبادئ الإسلامية"^٣، فكانت هذه التصورات ووجهات النظر التي قد يكون جزء منها مصيباً، مساهمة في دعم تيار المواجهة للحكام والعلماء المقصرين.

وارتكز أنصار هذه المدرسة على نصوص شرعية كمطالبة المسلمين بالطاعة وخاصة طاعة أمرائهم الذين يطبقون شرع الله، مستشهدين على ذلك بالحديث الشريف أن رسول الله صلى الله

^١ - السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط١٣، ٢٠٠١م، ص١٢٦.

^٢ - الإسلام والقوى المضادة، ص١٥٥-١٥٦.

^٣ - الإسلام والقوى المضادة، ص١٥٧.

عليه وسلم قال في حجة الوداع: "ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا"^١.

وقد تبنت مدرسة الخروج والرفض آراء فقهية وفكرية وسياسية تدفع باتجاه الخروج على الحاكم واستعمال لغة القوة في تغيير المنكر حتى ولو كان ذلك في إطار لغة الدم والمواجهة حيث اعتزل أنصار هذه المدرسة وما ينطوي تحتها من حركات وجماعات وأحزاب، العمل المؤسسي والتربوي، كما رفضوا الانخراط في الحياة العامة معتبرين أن مجتمع اليوم هو مجتمع جاهلي كافر، ولقد كان جل همهم محاربة الأنظمة الحاكمة التي يؤمنون بوجود إزالتها عن الوجود، وقد رفضت هذه المدرسة أسلوب الحوار والتفاعل الحضاري مع المجتمعات القائمة وتعدى الأمر ليصل إلى مستوى التصفيات الجسدية والانقلابات العسكرية وغير ذلك من الأساليب التي قد لا تكون مقبولة في مدارس وتيارات أخرى.

"وهذا التيار ينكر التجديد في الدين والاجتهاد في الفقه والتيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، ولا يوازن بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للشريعة، يتعمدون في التشديد على الخلق والتضييق على المكلفين وأقرب كلمة إلى ألسنتهم كلمة حرام"^٢.

وقد برز من تيارات هذه المدرسة الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر والتي اتهمت أنها كانت وراء اغتيال الشيخ محمد حسين الذهبي وينتمي إليها أيضاً خالد الإسلامبولي الذي قام بتنفيذ عملية اغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات^٣ وهي الجماعة التي تتهم أنها وراء اغتيال الأديب العلماني فرج فودة وتتهم أيضاً بأنها وراء اغتيال ومهاجمة طواقم السياح الأجانب الذين يزورون البلاد العربية والإسلامية، وكذلك برز من تيارات هذه المدرسة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر التي ينسب إليها عشرات أعمال القتل والاغتيال لمواطنين أبرياء عزل^٤، مع أن غالبية أعمال القتل كان يقوم بها جهاز المخابرات العسكرية الجزائري، كما نقلت بعض الدراسات الأجنبية.

ومن الجماعات التي تنتمي إلى هذه المدرسة أيضاً تنظيم القاعدة الذي أسسه الشيخ أسامة بن لادن، والذي يتهمة العالم الغربي بأنه وراء تفجير برج التجارة العالمي في مدينة نيويورك يوم ١١ أيلول ٢٠٠١م، هذا التنظيم الذي تطور بمشاركة الدكتور أيمن الظواهري في نشاطاته حيث

^١ - رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي، (٤٧٠/٦، ح: ١٨٣٨) وأحمد في مسنده، (٤٨٧/١٨، ح: ٢٧١٣٧).

^٢ - مستقبل الأصولية الإسلامية الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر - ط ١٩٩٧، ص ٢٧.

^٣ - التيار الإسلامي الراديكالي في العالم العربي، عثمان حسان، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٨١.

^٤ - المرجع السابق، ص ٢٢٣.

تغير اسمه ليصبح (تنظيم قاعدة الجهاد) والذي يتبنى السلفية الجهادية منهجاً، حيث يتعامل مع العالم على أنه عالم كافر مستباح المال والدم.. ولهذا قام هذا التنظيم بتفجيرات عالمية عقب أحداث ١١ أيلول في أنفاق المترو في لندن وفي جزر بالي في أندونيسيا، وفي الدار البيضاء في المغرب، وفي المدن السعودية وخاصة الرياض، إضافة إلى حرب الدم المسفوح غداً بلا ثمن في العراق حيث العمليات العسكرية ضد المدنيين من قبل مجموعات أبو مصعب الزرقاوي مسؤول تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين والذي قتل على يد الأمريكيين.

ويلتقي مع هذه المدرسة ولكن بحدية أقل حزب التحرير الإسلامي الذي أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في مدينة القدس عام ١٩٥٣م، هذا الحزب الذي يتخذ من الانقلابات العسكرية نهجاً من أجل استئناف الحياة الإسلامية وتحرير أفكار الناس كما يقول في نشراته^١، كما يهدف أيضاً إلى إقامة الخلافة الإسلامية حيث حاول الانقلاب بانقلاب عسكري في الأردن وأوزبكستان جنباً إلى جنب مع برنامج التنقيف المركزي في السياسة على وجه الخصوص حيث يسعى الحزب إلى تحرير أفكار الناس مما علق بها من أفكار جاهلية كما يقول عبر البيانات الدورية والنشرات السياسية له، لكن حزب التحرير لا يتبنى منهجية العنف والقتل وسفك دم الناس بلا ثمن، فهو يرى أن منهجية العقاب وتنفيذ الأحكام هي مناط الخليفة الذي يعمد الحزب جاهداً على إيجادها.

وفي كلمة ناقدة لإحدى هذه الجماعات، وهي الجماعة الإسلامية، يقول الدكتور القرضاوي: "تأسست هذه الجماعة داخل السجن الحربي بمصر واعتبرت نفسها جماعة المسلمين وليس جماعة من المسلمين وكان ذلك يعني أن جميع الناس عندهم كفار مرتدون، كما حكمت على البعض الآخر بأنهم لم يدخلوا في الإسلام قط وإن قالوا لا إله إلا الله فإنهم لم يعرفوا مفهومها الحقيقي بحسب زعمهم، وهذه النظرة في غاية الخطورة لأنها أدت إلى استئصال دماء الآخرين وأموالهم حيث سقطت عصمتها بالكفر والردة"^٢.

^١ - منهج حزب التحرير في التغيير، نشرة خاصة صادرة عن الحزب، بلا ناشر ولا مكان ولا تاريخ الطبعة، ص ١٢.

^٢ - مستقبل الأصولية، مرجع سابق، ص ١٧.

المطلب الثاني: المرجعية والمرتكزات الشرعية للخطاب الإسلامي

اعتمدت مدارس الخطاب الإسلامي في منطلقاتها مرتكزاً شرعياً يبنى على القرآن والسنة، وقد برز ذلك من خلال المواقف السياسية والمشاريع التراثية والحضارية وكذلك الفكرية، وقد اختلفت المدارس الإسلامية المعاصرة في اقتباساتها ومرجعياتها، حيث يرى البعض، وهم المتشككون أو المنكرون للسنة النبوية، أن المرجع فقط هو كتاب الله، فيما يرى البعض الآخر أن المرجع هو الكتاب والسنة وهناك جماعات وحركات لا تأخذ ولا تعتمد المصادر التبعية في التشريع وخاصة (المصالح المرسلة) مصدراً مع أن فقه المصالح له اعتبار عند أهل الفقه، وأخذ به فقهاؤنا الأجلاء، "فقد أخذ به المالكية والحنفية والحنابلة فيما رده ولم يأخذ به الشافعية والشيعة والظاهرية"^١ وبناء على ذلك اختلفت مدارس الخطاب الإسلامي في اجتهاداتها وآرائها وتصوراتها خاصة على صعيد القضايا والمستجدات المعاصرة.

حدد القائمون على أدبيات الخطاب الإسلامي دليلاً شرعياً يحرم على أي مسلم أن يكون له مرجعية غير أصول الإسلام التي تبدأ من القرآن الكريم، انطلاقاً من قول الله تعالى:

" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ^٢ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ^٣ .

لقد أكد علماء الأمة على أن المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، وقد أشار الشيخ يوسف القرضاوي إلى ذلك قائلاً: "حددت المرجعية العليا في الإسلام للمصدرين الإلهيين المعصومين القرآن والسنة اللذين أمرنا باتباعهما وأن نرد إليهما ما تنازعنا فيه، وإن شئت قلت: هو مصدر واحد ومرجع واحد، هو الوحي الإلهي سواء كان وحياً جلياً مثلثاً وهو القرآن أم غير جلي ولا مثلث وهو السنة"^٤.

وفي هذا الجانب أيضاً أشار الشيخ حسن البنا رحمه الله مؤسس جماعة الإخوان المسلمين بأن لا مرجعية للأمة سوى القرآن والسنة موضحاً ذلك من خلال الأصول العشرين في فهم منهج الإسلام حيث وضح ذلك في الأصل الثاني، مشيراً أن القرآن يفهم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات"^٥.

^١ - الوجيز في أصول الفقه، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ٢ ١٩٩٥م، ص ٩٣

^٢ - الأحزاب ، ٣٦

^٣ - المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،

١٩٩٢م، ص ٨.

^٤ - المرجع السابق، ص ١٥.

ورغم هذه التأكيدات إلا أن بعضاً من الجماعات والتيارات الإسلامية المعاصرة فهمت الإسلام فهماً غير سليم ولا مستقيم وحرفوا الكثير من النصوص وانحرفوا عن جادة الصواب مما دفع بهم لأن يتبنوا مواقف وآراء لا تمت للإسلام بصلة.

وقد برز هذا الانحراف لدى هذه الجماعات من خلال تجزئة الإسلام وإصدار أحكام وتعليمات منقوصة ومشوهة ، وكان ذلك بسبب الجهل في التعامل مع النصوص وتحميل الإسلام ما ليس فيه من أوهام وأفكار وشطحات بعضها مبني على الخيال والآخر مغسوس بالدم، دم الأبرياء وغيرهم، مما خلق حالة من اختلال التوازن في فهم قيم الإسلام وأبجدياته إضافة إلى خلل آخر في فهم التكاليف الشرعية وكيفية تطبيقها وكان لهذا الانحراف وهذه التجزئة الأثر الكبير في حرف مسار الصحوة الإسلامية المعاصرة وتأليب العالم عليها إضافة إلى تشتت الأفكار الإسلامية وخاصة حول عملية التغيير مما خلق حالة من المناكفة والمخاصمة بين التيارات الإسلامية نفسها وقد تطور هذا الفهم المنقوص لدى بعض التيارات والجماعات لتتعامل مع القرآن الكريم أيضاً بنفس هذا الفهم المرفوض المبتور والذي حذر منه العلماء والدعاة المعاصرون الذين عايشوا هذه المفاهيم الجديدة التي تعتبر نفسها مرجعية للأمة أو تريد أن تكون كذلك.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور يوسف القرضاوي قائلاً: "هناك اتجاهات تريد التعامل مع الإسلام بطريقة خاصة والكيفية التي تبتغي حيث تعددت هذه الاتجاهات وكانت على النحو الآتي:

- * اتجاه الذين يريدون أن يأخذوا بعض القرآن دون بعض.
- * اتجاه الذين يريدون أن يأخذوا بعض السنة دون بعض.
- * اتجاه الذين يريدون أن يأخذوا بالقرآن منفصلاً عن السنة.
- * اتجاه الذين يريدون أن يفسروا القرآن والسنة تفسيراً يؤمن بالأهواء ولا يتقيد بأية أصول.
- * اتجاه الذين يرفضون الرجوع إلى منابع الأصلية مكتفين بالتقليد في كل المسائل وإن تغير الزمن والعصر والحال.

* اتجاه الذين يحملون الإسلام وكل ما أضيف إليه على مر العصور من أفهام الرجال وتطبيقات البشر الذين يخطئون ويصيبون وهذه الاتجاهات كلها ينكرها الإسلام¹.

جاء هذه المفاهيم وغيرها برزت الخلافات والمشاحنات الحادة بين عدد من الجماعات والتيارات الإسلامية رغم أن هذا الخلاف كان محصوراً في الجماعات الصغيرة المأزومة، إلا أن الخلاف الأكبر كان حول الموقف من الأحكام الفقهية الاجتهادية المعاصرة والمستجدة على الساحة والموقف الفقهي منها، وباتت قضايا الحوار مع غير المسلمين والتحالف السياسي والدخول في البرلمانات والحكومات الجاهلية والمشاركة في العمل الأهلي والتعامل مع الديمقراطية والموقف من مشاركة المرأة في الحياة العامة والدخول في الانتخابات، من المسائل الكثيرة التي

¹ - المرجعية العليا للإسلام، مرجع سابق، ص ١٧.

تثير جدلاً وخلافاً واسعاً، والسبب في ذلك أن من يتبنى الأخذ بهذه القضايا يعتمد أدلة اجتهادية وخاصة قضايا السياسة الشرعية، إضافة إلى الارتكاز والاعتماد على المصلحة الشرعية في الوقت الذي نجد الرافضين لها ينتكرون لهذه الأحكام ويكفرون من يتبناها . وبناء على ما تقدم فإن المرجعية والمرتكز الشرعي لمدارس الخطاب الإسلامي هو مصادر التشريع التي ذكرها الفقهاء وكذلك المصادر التبعية وإن خالفها بعضهم وما يجد من اجتهادات معاصرة.

¹ - ينكر حزب التحرير الإسلامي في فلسطين وغيرها على كل الذين يأخذون بالحوار والتحالف السياسي وكذلك الديمقراطية والدخول في الحكومات الجاهلية، أو الترشيح لبرلماناتها لا بل ينكرون العمل في المؤسسات الأهلية أيضاً هذا بالإضافة إلى انقطاع الحزب تماماً عن المقاومة المسلحة ومواجهة الإحتلال والاستعمار، معتبرين ذلك ترفيعاً لا يخدم الإسلام ومؤكدين أن الحل لكل ذلك قيام الخلافة الإسلامية. انظر بيان الحزب الصادر بتاريخ ٢٣/٧/٢٠٠٣م على موقع الحزب الالكتروني في شبكة الانترنت.

المطلب الثالث: بروز مؤسسة الحزب والجماعة

تشكل رسالة الإسلام في مجملها دعوة إلى الوحدة والتجمع والترابط، حيث قال الله تعالى: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ" ^١.

وحذر الإسلام من النزاع والفرقة والاختلاف، حيث قال الله سبحانه وتعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۚ وَأَصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" ^٢ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحياة المنضبطة حيث أمر المسلمين بضرورة الاهتمام والانقياد إلى طاعة الله ورسوله وأولي الأمر، وأن لا يكونوا فوضى لا سرة لهم حيث جاء في الحديث: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" ^٣ واعتبر العديد من الدعاة المعاصرين والباحثين اللذين اهتموا في هذا الجانب أن قول الله تعالى: "وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ^٤ دعوة واضحة وصريحة لوجوب العمل الجماعي من أجل خدمة الدعوة الإسلامية ^٥.

حكم العمل في جماعة وحزب:

إن حالة الأمة الإسلامية اليوم يخيم عليها الفرقة والتمزق إضافة إلى الحملة الشرسة التي تشن ضد الإسلام والمسلمين بدعوى التطرف وخاصة بعد انهيار الخلافة الإسلامية، فرضت على المسلمين البحث عن خطوات عملية لتحسين أنفسهم من الفتن والمخاطر، مستدلين على ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية" ^٦، هذا الحديث وغيره شكل بدوره فهماً جاداً للمسلمين من أجل الاهتمام بالعمل الجماعي في عملية التغيير ومواجهة المجتمع وخاصة في ظل غياب الحكم الإسلامي كدولة وسيادة. ومن هنا وجد العديد من العلماء والمفكرين والدعاة أنه من الواجب عليهم أن يؤسسوا ويجذروا جماعات وأحزاباً إسلامية بهدف التجمع من أجل الذود عن حياض الإسلام والأمة في

^١ - المؤمنون، ٥٢.

^٢ - الانفال، ٤٦.

^٣ - رواه أبو داود، (٢/ ٣٨١، ح: ٢٨٠٨) وقال الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط محقق كتاب جامع الأصول، (٥/ ١٨): إسناده حسن.

^٤ - آل عمران (١٠٤).

^٥ - الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، صادق أمين، جمعية عمال واصحاب المطابع الاردنية، عمان، ط٤، ١٩٨٩م ص٣٤.

^٦ - رواه البخاري (٤/ ٣٦٤، ح: ٧٠٥٤)، ومسلم بشرح النووي (٦/ ٤٨٢، ح: ١٨٤٩).

ظل الهجوم على الإسلام وخاصة من الأفكار والمبادئ المعادية له، إضافة إلى القنعة بأن النهضة بالإسلام ليكون دولة وخلافة تحكم الأرض لا يكون من خلال جهد فردي وإنما يحتاج ذلك إلى عمل جماعي منظم مستدلين على ذلك بقوله تعالى في الآية السابقة: "ولتكن منكم أمة.."، وكذلك مجمل الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرت في السياق يقول الشيخ يوسف القرضاوي: "ولا بد للعمل الإسلامي المثمر من تنظيم، فلا يكفي أن يكون جماعياً حتى يكون منظماً، بل لا يكون جماعياً حقيقياً إلا بتنظيم العلاقات بين القيادة والجنود ويحدد المسؤوليات والواجبات بين الأهداف والوسائل".^١

ومن هنا كان هذا التصور دافعا لبروز العديد من الجماعات والأحزاب والحركات الإسلامية التي وضعت هدفاً عريضاً يدعو إلى إعادة الدولة الإسلامية.

وقد بدأت هذه الحركات والجماعات تعمل في إطار الواجب الشرعي الذي يفرض عليها ضرورة بناء مجتمع إسلامي رشيد وقيام حكم إسلامي سديد ولا يكون ذلك كما يقول الشيخ القرضاوي: "بالانقلابات العسكرية الثورية ولا بالوعظ والإرشاد وحده ولا بالخدمة الاجتماعية الجزئية وإنما لا بد أن يسبق بحركة إسلامية دعوية شاملة، حركة تمهد له وتدعو إليه وتعد له الرجال والأنصار".^٢

إيجابيات العمل الجماعي الحزبي:

بلا شك فإن العمل الحزبي الجماعي الذي انطلق من خلال حركات واعية ومتفهمة لمتطلبات الأمة والواجبات الملقة على عاتقها، حقق العديد من الإنجازات واستطاع هذا العمل الحزبي أن يؤسس قاعدة عريضة تصلح لتكون منطلقاً للقيام بمشروع إسلامي حضاري شمولي ينتهي بدولة إسلامية راشدة، هذه الحركات التي صنعت صحوة إسلامية عارمة، شهدها العالم العربي والإسلامي والمجتمع الدولي بل أصبحت شاهد عيان على نشاط هذه الأحزاب والجماعات، هذه الصحوة التي قادت العمل السياسي والأهلي والمؤسسي ومراكز الطلبة وقطاع المرأة، وانتهاء بالعمل الجهادي المقاوم الذي بدأ يظهر في أكثر من موقع في العالم والذي شكل بدوره إشكالية كبرى أمام الأنظمة الجاهلية والأنظمة الغربية المعادية للإسلام.

"وقد تمكنت هذه الأحزاب والجماعات الإسلامية من إعادة هيبة الإسلام إلى الحلبة الدولية وأن يطالب أنصارها بكل وضوح أنه لا حل لأزمات البشرية اليوم إلا من خلال عودة الإسلام إلى الساحة دولة ونظام حياة".^٣

^١ - الحل الإسلامي ضرورة وفريضة، الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١٩٧٧، ٣، ص ٤٠.

^٢ - المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

^٣ - دور الحركات الإسلامية في النهضة المعاصرة، جلال موسوي، دار الهادي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٩٨، ص ٨٠.

وبرزت إيجابية هذه الحركات من خلال حملها رسالة التدين والفضيلة والأخلاق إضافة إلى الوضع السياسي المتأصل من القرآن والسنة حيث أصبح الطرح الإسلامي حالة طبيعية في كل قطر وموقع بعد أن كان ينظر إليه في الخمسينات على أنه درب من الرجعية والتخلف وشهدت المجتمعات الإسلامية ثورة إسلامية كانت على النحو الآتي:

التميز الإسلامي في المظهر واللباس وإطلاق اللحي.

انتشار المؤسسات الأهلية الإسلامية التي تعمل في إطار الخدمة الاجتماعية للفقراء والمساكين.

انتشار المؤسسات العلمية والتربوية من جامعات ومعاهد وكليات ومدارس إسلامية ومساجد تساهم في إعداد جيل الصحوة الإسلامية.

بروز المظاهر الإعلامية الإسلامية التي كانت على شكل مجلات ونشرات ودوريات وكاسيتات وبرامج ومهرجانات وأعراس إسلامية والتي ساهمت بدورها في تجلي الحالة الإسلامية وزيادة الإقبال عليها.

تبني الأحزاب والجماعات الإسلامية مشاريع تحررية وجهادية تمثلت في مواجهة الحملات الغربية العسكرية ضد البلدان والأقليات الإسلامية وكذلك مواجهة الاحتلال المستعمر كما هو الحال مع الاحتلال الصهيوني في فلسطين الذي يواجه اليوم من حركات وجماعات إسلامية ووطنية.

سلبيات المؤسسة الحزبية

لعل من أخطر السلبيات التي تواجه الجماعات والأحزاب الإسلامية، ظاهرة التحزب الأعمى التي نقلت هذه الجماعات من مواقع العمل الجماعي العام إلى مواقع العمل الحزبي المجرد، وبات الاهتمام بالحفاظ على العنوان والرمز والشكل والمظهر من أخطر الظواهر التي التصقت ببعض هذه الجماعات مما خلق حالة من الخلاف والتشدد كانت أشبه بحالة الجمود التي رافقت حركة التمهذب في قرون الإسلام الماضية.

وبدا البعض من هذه الأحزاب والجماعات ينحرف عن برامجه المرسومة ويحيد عن أصالتها مما أوقع الكثير منها في مأزق فقهية وسياسية، يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد¹: "إن الجماعات ان لم تحترم قوانينها ولوائح الحقوق والواجبات فيها فان المأزق يكون وشيكا".¹

¹ - محمد أحمد الراشد: كاتب إسلامي عراقي من قيادات الإخوان المسلمين التأصيلية تخصص من خلال كتاباته في فقه الدعوة ورسم المستقبل الحركي لجماعة الإخوان المسلمين، حكم عليه النظام العراقي بالإعدام فأرغم على مغادرة العراق، عاش في دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من السنوات واعتقل فيها بسبب نشاطاته الدعوية الإسلامية ثم أرغم على مغادرتها إلى السودان ، عاد أخيرا إلى العراق ،

ويعصور الأستاذ الراشد أن الانحراف تطور وخرج من إطار التتكر للوائح والقوانين الداخلية بحيث طال المعيار الاجتماعي للفرد مما افسد الهدف حيث يقول: "عندما تؤسس الجماعة الإسلامية على قاعدة الولاء لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين يكون الحب والبغض في الله تعالى، ويكون عرض أعمال الرجال على الحق فنقبل منهم وندع، ولكن يغفل البعض هذا المعيار الإيماني أحيانا ويؤدي اختلاط الأصوات في أيام الصخب إلى ذهول ويظهر نوع من ولاء الداعية لأستاذة ومربيها بالحق والباطل حيث يلتزم موقفه وتأويله على طول الخط منتصرا له، وتكون بداية الانتكاسة"^٢.

وهذا بدوره خلق حالة من الولاء الأعمى لعدد من الدعاة والمفكرين والمصلحين بحيث تم التعامل معهم على أنهم معصومون عن الخطأ وكل ما يصدر عنهم يعتبر مثلاً وقواعد للحياة، فهذا يقدس سيد قطب وثنان يقدس تقي الدين النبهاني وآخر يعتقد أن المنقذ للأمة هو أسامة بن لادن وغير ذلك من الولاءات، الفردية والشخصية، وتطور الأمر لدى تلاميذ هذه الجماعات والحركات ليصل إلى مستوى من الضعف والهبوط بحيث أصبحوا يشعرون بأنهم أفقه من أبي حنيفة والشافعي، لا بل أصبحوا أيضاً نقاداً للآخرين ، في الوقت الذي لا يتقن بعضهم أحكام الطهارة والصلاة.

"ويرى البعض من الباحثين سبب ذلك التطاول ، انتشار بعض الكتب النقدية مثل: أين الخلل للشيخ القرضاوي وكتاب النقد الذاتي للحركة الإسلامية للدكتور خالص جليبي، هذه الكتب التي زادت رقعة الفضول اتساعاً وأصبح ابن البارحة الذي يحبو يعتلي المنابر ليعظ القادة ويوصي في التأصيل ويجول في الشورى ووقع الناس في الخلل في الوقت الذي يبحثون عن الخلل ليبرؤوا منه"^٣.

ومع أن الجماعات والأحزاب الإسلامية صنعت إيجابيات وفيرة إلا أنها في مسيرة العطاء لم تخل من إحداث سلبات متنوعة.

صدر له العديد من الدراسات الدعوية منها: المنطلق والعوائق والرقائق والمسار وصناعة الحياة وموسوعة فقيه وغيرها.

^١ - فضائح الفتن، محمد أحمد الراشد، دار المنطق، دبي - الإمارات العربية المتحدة، ط١، بلا تاريخ، ص٣٦.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢١.

^٣ - ربانية التعليم، عادل عبد الله الليلي الشويخ، دار المنطق، دبي -، ط١، ١٩٩٢، ص ٤٧.

المطلب الرابع: دور الصحوة الإسلامية في رقد الخطاب الإسلامي

شكلت عودة الإسلام إلى الساحة العربية والإسلامية صحوة نحو الدين والالتزام به بعد تعرض هذه المنطقة لعدد من الأفكار المادية والفلسفية والإلحادية المنتكرة لكل الأديان والمعادية لها، وجاءت الصحوة الإسلامية المعاصرة كنتاج واضح لحركة الوعي التي قادتها الحركات والجماعات الإسلامية منذ بداية القرن العشرين حيث لعبت حركة التنقيف والتأليف دورا هاما في هذه المرحلة، وانتشر الكتاب الإسلامي وأصبح يأخذ بعدا هاما في تنقيف الأجيال المنبعثة وبات الصراع في منتصف القرن الماضي واضحا بين فكرتين، الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية^١، وبدأ الجيل الجديد يتلقى خطابا إسلاميا يدعو إلى الفضيلة والتدين والالتزام الأيديولوجي، إضافة إلى الخطاب السياسي الذي رافق حركة التدين من أجل البحث عن مستقبل مشرق للإسلام من خلال العمل داخل المجتمعات العربية والإسلامية ليقام كيان سياسي يطبق أحكام الدين وبات (شعار الإسلام هو الحل) هو العنوان الأكبر والأشمل الذي تلتف حوله جماهير الصحوة الإسلامية.

وكان من ميزات هذه الصحوة أنها " جسدت الاتجاه الوحيد المعبر بصدق عن ضمير هذه الأمة وعن هويتها الحضارية والعقائدية الممثل لشخصيتها التاريخية المصور لطموحاتها وآمالها الناجمة من ذاتها وروحها وكيوننتها الحقيقية"^٢.

هذا الاتجاه الذي تميز في خطابه وأصبح يشكل عنوانا بل انعكاسا لمشروع الأمة الإسلامي الحضاري الذي يعمل من أجل إنقاذ الأمة كما يقول القائمون عليه من خلال إقامة الحكومة الإسلامية التي تعتبر هدفا مركزيا لكافة الحركات والجماعات الإسلامية التي تعمل على الساحة. ورغم أن الصحوة الإسلامية كانت الرافد الرئيس للخطاب الإسلامي المعاصر وتجذيره عقديا وسياسيا واجتماعيا في معركة الصراع الحضاري التي شهدتها الأمة، إلا أن خطاب هذه الصحوة تأثر ببعض السلبات العاطفية والحماسية التي خرجت عن الهدف الكبير المتمثل في إقامة الحكم الإسلامي، وأصبح الانشغال بجزئيات وتبعات حرفت المسيرة عن هدفها الحقيقي.

ولدينا توصيف هام لبعض المؤاخذات على جوانب من خطاب هذه الصحوة، وهذا التوصيف للدكتور يوسف القرضاوي الذي كتب عدة مؤلفات ودراسات عن الصحوة الإسلامية، فلقد رأى أن جيل الشباب الذي يمثل العمر الفقري لهذه الصحوة، قد انشغلوا بجزئيات الأمور، وبالقضايا الجانبية، مما أدى بهم إلى تبديد الكثير من طاقاتهم في هذه الفروع التي انشغلوا بها، والجزئيات

^١ - للتوسع والمزيد يراجع في ذلك: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن البدوي، دار القلم، الكويت.

^٢ - الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط٢، ١٩٩٧م، ص١٦٩.

التي جعلوها محور تفكيرهم، وهو ما ألهاهم عن القضايا المصيرية الكبرى، المتعلقة ببقاء الإسلام وسيادته وتحرير أراضيه وتحريك شريعته^١.

وللشيخ محمد حسين فضل الله العلامة الشيعي نظراً آخر، يلتقي جزئياً بما ذكرناه عن القرضاوي، فقد اعتبر فضل الله أن الصحوّة الإسلامية لم تتحرف عن مسارها، وإنما كل ما حدث معها هو إشغالها بمعارك جانبية مع جهات متعددة، فمرةً انشغلت بمعارك مع الحكام، ومرةً مع المهادين لهم، وذلك كله في ظل سياسة المواجهة والضغط المبرمج ضد طاقاتهم، وهو ما أثر على طبيعة خطاب هذه المرحلة، فقد أصبح يُلصق بها كل إرهاب وتطرف، ويؤكد فضل الله ثقته العالية بأن القائمين على شؤون هذه الصحوّة لم يكونوا يوماً إرهابيين، بل هم دوماً أصلاء، وهم إذا استعملوا القوة أحياناً، فمن أجل الدفاع عن كرامة صحوّة المسلمين، وأصالة الدين^٢.

وأرى أن الجهل والانحراف إضافة إلى الإشغال من قبل أعداء الإسلام لجبل الصحوّة في معارك جانبية، إضافة إلى التحزب الأعمى، كل ذلك دفع بجزء من تيار الصحوّة الإسلامية إلى الانحراف.

لكن المقلق في خطاب هذه الصحوّة أن بعضاً من مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر انشغل عن مواجهة أعداء الإسلام وأعداء الصحوّة الإسلامية بمشاغل داخلية وجانبية دفعت إلى معاداة الصحوّة الإسلامية نفسها كما وصف الشيخ القرضاوي حيث قال: "لا يزعجني أن يكون للصحوّة الإسلامية المعاصرة أعداء من خارجها يترصبون بها ويكيّدون لها فهذا أمر منطقي اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل بين الخير والشر التي شرعها الله تعالى في هذا الكون، وإنما يزعجني أن تعادي الصحوّة نفسها وأن يكون عدوها من داخلها ويكيّد بعضها للآخر وأن يكون بأسها بينها"^٣.

ويبدو أن تنافر الخطاب الإسلامي في بعض الأحيان بين الجماعات الإسلامية والذي تعدى في وقعه الإطار المذهبي والخلافات العسكرية والسياسية، كما بدا الحال في أفغانستان خلال حكم حركة طالبان قبيل الاجتياح الأمريكي لأفغانستان وبعدها إضافة إلى الصراعات الجانبية في الجزائر ومرورا بالخلافات داخل السودان بين القائد الإسلامي حسن الترابي ورئيس الحكومة الإسلامية عمر البشير وغيرها من الخلافات في لبنان الأمر الذي دفع ببعض الدارسين أن يناقشوا هذه المسألة بعيداً عن الموضوعية.

^١ - الصحوّة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق - القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٨.

^٢ - الحركة الإسلامية ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله، دار الهادي، بيروت - لبنان، ط٤، ص١٧٣.

^٣ - الصحوّة الإسلامية بين اختلاف المشروع والتطرف المذموم، دار الشروق، القاهرة - مصر - ط١ - ٢٠٠١م، ص٥.

فقد أكد الدكتور عز الدين إبراهيم في ورقة بحثية قدمها لمؤتمر الصحوة الإسلامية والديمقراطية في الوطن العربي والذي عقد في القاهرة عام ١٩٩١، أن الجماعات الإسلامية جذرت الإرهاب في العالم العربي والإسلامي، وأنشأت جيلا لا يؤمن إلا بخطاب العنف والدم، الأمر الذي فجر الكثير من الصراعات الجانبية بين هذه الجماعات وبين المجتمع الذي بات يلفظها إضافة إلى أن هذا العنف كان سببا في إعلان حرب شاملة على المنطقة تحت مظلة محاربة الإرهاب^١.

وقد برز عدد من الكتاب والباحثين العلمانيين واليساريين الذين تصدوا للصحوة الإسلامية واتهموا خطابها بأنه خطاب متطرف وموجه من الخارج من جهات دخيلة عن العالم العربي والإسلامي ولا يعمل هذا الخطاب لمصلحة شعوب المنطقة^٢، حيث أثار هؤلاء الكتاب عددا من الإشكاليات التي طفت على السطح في العالم العربي والإسلامي والتي اتسمت بسياسة العنف والتعامل بلغة الدم كما حصل بين الجماعات الإسلامية المجاهدة في أفغانستان والمذابح التي كانت ولا تزال تجري في قرى ومدن وأرياف الجزائر والتي يتهم بها الإسلاميون مع أنهم براء من جزء كبير منها.

وللحقيقة لا بد من الإقرار بأن النهج غير السوي لبعض الجماعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي والذي تمثل في اختطاف بعض الصحفيين وقتلهم وإطلاق النار على طواقم السائحين الأجانب أو القيام بعمليات ضد عدد من المصالح الأجنبية أو الحكومية العربية أو الإسلامية، كل ذلك قد ساهم في انتشار الحملة العالمية ضد الصحوة الإسلامية وجماعاتها تحت مظلة محاربة الإرهاب.

هذه الحملة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، حيث تم تدمير برج التجارة العالمي في نيويورك ، هذه الأحداث الصارخة والمثيرة والتي اتهم بها أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة الإسلامي، كل ذلك جذر حالة من الهجوم المبرمج على الصحوة الإسلامية ورموزها ومؤسساتها ومدارسها وجماعاتها فطال هذا الهجوم العشرات من المؤسسات الاجتماعية والشبابية والثقافية تحت عنوان " سياسة تجفيف المنابع " إضافة إلى ما سمي ضرب البنى التحتية للجماعات والتنظيمات الإسلامية.

^١ - التطرف الإسلامي والإرهاب، صبري متولي فينا للنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م - ص ٥٩.

^٢ - من هذه الكتابات التي صدرت، الإسلام السياسي لـ سعيد عشاوي، وكتاب حسن البنا (متى وكيف ولماذا) لمؤلفه الدكتور رفعت السعيد: والعديد من كتابات فرج فودة وفهمي جدعان وعز الدين إبراهيم.

وقد أصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قراراً بإخراج أكثر من ثلاثين منظمة وجمعية ومؤسسة تعمل في العالم العربي والإسلامي والدولي عن القانون وتجميد أموالها وإيقاف مصالحها ومطاردة رجالها ورموزها^١. وحتى يدعم الخطاب الإسلامي المعاصر الصحوة الإسلامية ويكون رائداً لها لا بد وأن يكون خطاباً رشيداً مترناً بعيداً عن الغوغائية والإفراط في العاطفة والحماسة. ومن هنا كان فهمنا لخطاب الشيخ القرضاوي عبر وسائل الإعلام^٢، والذي تمثل في رفضه العلني لعمليات تنظيم القاعدة وتفجيرات نيويورك التي اعتبرها بأنها تشكل ضرراً لمصالح الملايين من المسلمين في الغرب والذين أصبحوا في دائرة الاستهداف من قبل حكومات الغرب بلا ثمن.

كما كان ذلك واضحاً أيضاً من خلال الخطاب الإسلامي للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله والذي أكد " أنه ليس مع ما يقوم به أسامة بن لادن ولا مع نهجه الذي ينعكس سلماً على واقع الأمة الإسلامية مع احترامه لشخص الرجل كما قال " ^٣.

^١ - انظر تقرير الإرهاب لعام ٢٠٠٣م على موقع وزارة الخارجية الأمريكية على شبكة الانترنت (www.state.gov).

^٢ - من تصريح للدكتور يوسف القرضاوي ضمن حلقة الإسلام والحياة التي تبث عبر تلفاز الجزيرة يوم ٩/٤/٢٠٠٢م والتي تم أرشفتها على موقع الجزيرة نت.

^٣ - من لقاء جرى مع الشيخ حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله أجرته مع قناة المنار الفضائية مساء يوم ٣/٥/٢٠٠٢م

المبحث الثالث: معالم الخطاب الإسلامي المعاصر

لعل تنوع الخطاب الإسلامي في العصر الحديث نابع من تعدد المفاهيم نحو تغيير الواقع، إضافة إلى القوة والضعف في فهم النصوص القرآنية والنبوية والعمل بها، وبهذا كانت معالم هذا الخطاب تشير إلى تعدد المشارب ولكن في إطار الهدف الواحد.

وقد رافقت حركة الانبعاث الحضاري والصحو الإسلامية في ساحة العمل والميدان تصورات عدة للتعامل مع المجتمع الذي أطلق عليه مسميات عدة، فبعضهم سماه مجتمعاً جاهلياً وبعضهم الآخر أطلق عليه المجتمع الكافر فيما أطلق عليه صنف ثالث بأنه مجتمع ضال ومنحرف ومن خلال ذلك كان لكل حركة أو مدرسة فكرية أو دعوية معالمها الخاصة بها في التعامل مع المجتمع بحسب الفهم الذي جذرت أفكارها من خلاله.

وعليه فقد برزت عدة خطابات للتعامل مع هذا الواقع المربك، منها: خطاب الوعظ والإرشاد والذي يرى أن المجتمع ضال ومنحرف بحاجة إلى هداية وتوجيه فإذا ما وصلتته رسالة الإسلام وتوجيهاته فإن ثمة تغيرات ستحصل وتتعكس على واقع الأمة كلها.

لكن آخرين من الذين تعاملوا مع المجتمع على أنه كافر كانت نظرتهم تختلف كثيراً حيث كان خطابهم يتسم بالرفض والحدة وضرورة التغيير بالقوة والعنف الذي قد يصل في الكثير من الأحيان إلى أسلوب القتل وإزهاق أرواح الآخرين.

وقد شهدت الساحة الإسلامية المعاصرة بعض مدارس الخطاب الإسلامي التي كانت تدرك أن المجتمع تصول وتجول فيه أفكار الكفر البواح والمعاداة العلنية للدين، ومع ذلك تعاملت مع هذا الواقع بخطاب العقل المبني على لغة الحوار والتفاعل الحضاري بعيداً كل البعد عن لغة المقاطعة والتهديد والوعيد.

فيما لوحظ أيضاً أن من بين المدارس الفكرية والدعوية من اختار ضرورة تغيير الواقع بمنطق التنظير السياسي وذلك عبر البيانات والخطابات والكتابات ولم يتعد أسلوبه في عملية التغيير هذه المنطلقات البسيطة في اعتقاده بأنها ضرورة من ضرورات عملية التغيير، وقد برزت معالم الخطاب الإسلامي في هذه المرحلة ضمن المطالب التالية :

المطلب الأول: خطاب الوعظ والارشاد والدعوة

شكل مفهوم تغيير المنكر منعطفا خطيرا في نهج الجماعات والحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة مما جعلها تنتج اتجاهات شتى كل بحسب فهمه لآيات وأحاديث تغيير الواقع والنهي عن المنكر ، قال تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ "١، هذه الآية التي أكدت على إحدى الواجبات الأساسية في الإسلام ممثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث إذا التزمت الأمة بعملية التغيير منحت صفة الخيرية وقد تحدث القرآن الكريم عن الصفات الأساسية للمؤمنين فكانت قمة الأمر في ذلك أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. قال الله تعالى: " الَّتِي يُؤْتُونَ الْعَبْدُونَ الْحِمْدُ وَالْحَنَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ "٢.

وقد ذم القرآن الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حيث قال الله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ "٣، والمسلم هنا ليس مجرد إنسان صالح مكلف أن يصلح نفسه فقط وإنما هو مأمور بأن يكون مصلحا أيضاً.

فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من رأى منكماً منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان "٤ هذه الآيات وهذا الحديث وغيره من الأحاديث الأخرى في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت في مجملها تشكل قاعدة لكافة مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر التي لم تختلف أصلاً في ضرورة التغيير وإنما في آلية التغيير وفلسفتها وتعدد الأفكار حول هذا الأمر ، وقد كان طرح البعض منها منصفاً فيما كان البعض الآخر سطحياً بعيداً عن أصول العلم والفهم الحقيقي.

١- آل عمران: ١١٠.

٢- التوبة: ١١٢.

٣- المائدة: ٧٨، ٧٩.

٤- رواه مسلم.

ولعل خطاب الوعظ والإرشاد كان أحد هذه المفاهيم التي رأت أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته منطلقاً ضمن هذا النهج المتمثل في دعوة الناس بالهدوء والحسن والإقناع بعيداً عن الترهيب والتلويح بالضغط والقوة، مستدلين على ذلك بقول الله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" ^١.

وقد فهِمت بعض الجماعات الإسلامية شمولية الإسلام من خلال التقيد بهذا الفهم (الوعظ والإرشاد) وتحزبت حوله وتجمعت في إطار دعوي لنشر ذلك بين الناس، كما هو الحال مع "جماعة التبليغ والدعوة" التي تأسست في الهند وانتشرت في الباكستان حيث كان من أبرز مؤسسيها الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد يوسف ^٢.

ورغم أن جماعة التبليغ والدعوة أصبحت عالمية الانتشار إلا أنها لم تعط أي اهتمام لسياسة أو اقتصاد أو مقاومة أو جهاد رغم أنها كانت سبباً في عودة الآلاف من الغربيين إلى الإسلام إضافة إلى تأثيرها الواضح على الكثير من الشبان والشيوخ العائدين إلى الله في العالم العربي والإسلامي.

وقد اتخذت هذه الجماعة أسلوباً قد يكون ناقصاً غير متكامل في الدعوة إلى الله يتمثل في حصر الناس "للخروج في صفوفهم لدعوة الآخرين في الشوارع والطرق والبيوت والحواريات ضمن برنامج على النحو الآتي:

أولاً: الخروج بضع ساعات في اليوم.

ثانياً: الخروج يوماً في الأسبوع.

ثالثاً: الخروج أربعة أيام في الشهر.

رابعاً: الخروج أربعة أشهر في السنة" ^٣.

يقوم رواد هذه الجماعة بالتنقل والترحال عبر القرى والبلدات إضافة إلى الترحال لدول خارج الوطن عبر قارات العالم حيث ينامون في المساجد ويصنعون طعامهم بأيديهم ويحملون أمتعتهم وأعطيتهم على ظهورهم تاركين خلفهم أسرهم وأبنائهم وأعمالهم وغير ذلك.

^١ - النحل: ١٢٥.

^٢ - أمتا بين قرنين، الدكتور يوسف القرضاوي، دار اشروق - القاهرة - مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ص ١١١.

^٣ - عرف الباحث هذا الترتيب من خلال مقابلات مع العديد من امراء وأعضاء جماعة التبليغ والدعوة الذين رفضوا ذكر أسمائهم تورعاً وخشية من الرياء كما يقولون، علماً بأن هذه الجماعة لا يوجد لها نظام أساسي داخلي ولا أدبيات ومؤلفات أو تصريحات صحفية.

ومما يؤخذ على هذه الجماعة وخطابها الإسلامي أنها لا تهتم إلا بنسق واحد في الدعوة إلى الله تعالى مع أنه لم يكن بهذا الشكل في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم خاصة أن الداعية مكلف أمام الله بمسؤولية تجاه أسرته .

لقد أخفقت جماعة الدعوة والتبليغ تجاه الاهتمام بأحوال المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية إضافة إلى عدم اهتمامهم بالجانب العلمي والفقهى حيث يفتقدون في صفوفهم إلى جمهرة من العلماء والمفكرين والفقهاء، وهؤلاء لا يمكن وجودهم إلا بصعوبة في المؤتمرات الدولية في باكستان والهند، ولهذا يغلب على خطاب هذه الجماعة الخطاب السطحي الذي يكون دوما مرفقا بقصص عاطفية أخرى عن حياة أولياء الله وكراماتهم غير موثقة ولا واقعية ، إضافة إلى مفاهيم غير متكاملة عن الإسلام.

شكل خطاب الوعظ والإرشاد عنوانا لعدد من الجماعات والجمعيات والملتقيات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي مثل الحركة السلفية والجماعات الصوفية و "الجمعية الشرعية في مصر التي أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي والتي كانت تشرف على إقامة المساجد والمدارس واتباع منهج محاربة البدع"¹.

¹ - امتنا بين قرنين مرجع سابق، ص ١١١ .

المطلب الثاني: خطاب الغلو والمواجهة

تقدّم في المطلب الأول من المبحث الثاني استعراض لمدرسة الغلو والرفض، ضمن استعراض مدارس الخطاب الإسلامي، وأحدثت الآن عن تلك المدرسة بما يزيد عن الاستعراض، وبما يدفع الحديث عنها بأطراف من النقد لها، وعما انتهى إليه بعض جماعاتها من تقليص ذلك الغلو وتلك المواجهة، مع التذكير هنا بمسؤولية الجهات الحاكمة عن نشوء بعض جماعات هذه المدرسة.

فلقد تقدّم أنه برزت في الساحة الإسلامية جماعات وأحزاب تؤمن بأن عملية التغيير لا بد أن تكون باليد والقوة، فالوعظ والإرشاد في نظرهم أسلوب تقليدي لا يمكن أن يغير المنكر المنتشر والذي أصبح اليوم يمتد ويستشري بفساده تحت حماية أنظمة سياسية قائمة.

اعتمد أصحاب هذا الخطاب فلسفة خاصة بهم مبنية على فهم مغلوط لآيات قرآنية وأحاديث نبوية استنتجوا من خلالها ما يدعوههم إلى هذا النهج من خلال اجتهادات ضيقة، وبرز من هذه الجماعات والحركات، الجماعة الإسلامية المسلحة وجماعة التكفير والهجرة في مصر والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وتنظيم القاعدة المنتشر في العالم وعدد آخر من الجماعات والأحزاب الصغيرة والكثيرة المنتشرة في أكثر من بلد عربي وإسلامي، وقد نادت هذه الجماعات بضرورة القضاء على الأنظمة الحاكمة التي تعتبر في نظرهم كافرة مستباحة الدم والمال بسبب أنها لا تحكم بما أنزل الله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وقد اختلطت أفكار هذه الجماعات بأفكار جماعة التكفير والهجرة التي تكفر الناس بالجملة ولا ترمي ذلك على الحكام وحدهم، بما يترتب على ذلك من استباحة الدماء والأموال وإن كان بين جماعة التكفير وجماعة الجهاد فروق في المنطلق"،¹ وقد قامت السلطات الحاكمة باختراق بعض هذه الجماعات من خلال أجهزة مخابراتها واستخباراتها كما حصل في الجزائر وقام المخترقون بارتكاب جرائم فظيعة ومجازر مروعة نسبت للجماعات الإسلامية وهي في الحقيقة براء من كل ذلك رغم ولوج البعض في هذا الشرك .

وقد روج الإعلام الغربي هذه الأعمال الفظيعة التي نسبت لهذه الجماعات على أنها إرهاب يستمد قوته من الإسلام وقام بعرض مشاهد من ذلك على شاشات التلفزة العالمية والفضائية ، ونماذج تدعي العلم والمسؤولية عن الأمة ، هذه الرموز التي بات الغرب يستشهد بأقوالها على أنها مرجعيات شرعية وسياسية للأمة ، في الوقت الذي تتهم فيه بأنها مصدر الإرهاب ، من أمثال أبو حمزة المصري وأبو قتادة الأردني وأبو محجن اللبناني وغيرهم، هذه النماذج القاصرة في فهمها للدين والفقه وأصوله.

¹ - امتنا بين قرنين، مرجع سابق، ص ٧٥.

"هؤلاء الذين أصدر بعضهم فتاوى تجيز قتل آبائهم وأمهاتهم إذا اعترضوا دعوة الله"^١. لقد اعتمدت جماعات الغلو والتكفير الأخذ بنظرية الخروج على الحاكم ، منطلقين في ذلك من تفسيرات وأقوال للشهيد سيد قطب رحمه الله، خاصة وهو يتحدث عن الجاهلية ، حملت على غير مقصدها ومضمونها، ومن هذه الشواهد تفسيره لحكم الجاهلية ومكنوناتها، حيث يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى: "أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ^٢ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ^٣" إن معنى الجاهلية يتحدد في هذا النص والجاهلية كما يصفها القرآن ويحددها هي حكم البشر للبشر لأنها عبودية البشر للبشر والخروج من عبودية الله ورفضهم ألوهية الله والاعتراف في مقابل هذا الرفض باللوهية بعض البشر بالعبودية لهم"^٤ وحول المكان والزمان للجاهلية يقول الأستاذ سيد قطب " إن الجاهلية ليست فترة من الزمن ولكنها وضع من الأوضاع ، هذا الوضع يوجد بالأمس ويوجد اليوم ويوجد غدا فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للإسلام والمناقضة له، والناس في أي زمان وأي مكان إما أنهم يحكمون بشريعة الله وإما بشريعة من صنع البشر"^٥ ويختتم سيد قطب تفسيره لهذه الآية من خلال هذه النتيجة حيث يقول: " إما إسلام وإما جاهلية .. إما إيمان وإما كفر .. ويضيف قائلاً: لا يجوز أن تبقى القضية غامضة ولا مائعة في نفوس من يريدون أن يكونوا (المسلمين) وأن يحققوا لأنفسهم هذا الوصف العظيم"^٥.

أرى أن هذا التفسير قد يكون مقبولا في سنوات الخمسينات والستينات التي كان الإسلام فيها مستهدفا على الصعيد الأيديولوجي ، أي كانت المعركة في تلك اللحظة معركة عقيدة ودين بين الإسلام العائد للساحة من جديد ، وبين الأفكار الإلحادية بكل مدارسها ، ولهذا كان طرح الشهيد سيد قطب نحو المفاصلة مقبولا لمرحلة لا تقبل التفاوض ، أما اليوم فالمعادلة اختلفت كثيرا ، والإسلام بصحته أصبح واقعا ملموسا وله جماهير كبيرة ، وليس من السهل التسلق على هامته وشطبه أو استبعاده ، وباتت لغة الحوار والتفاهم هي لغة العصر .

لذلك كان منطق جماعات الغلو والتكفير منطقا خاطئا وهم يعتمدون على تفسيرات واجتهادات لا تصلح لمرحلة المعاصرة ، هذه الجماعات التي اعتمدت نهج المواجهة والرفض بالقوة ، فغرقت في مفاهيم منحرفة ومغلوبة حيث تعاملت مع الحكومات والأفراد والموظفين والفنانين والمتقنين و الكتاب والسياسيين وغيرهم ممن لا يطبقون شريعة الله أو يلتزمون بها بأنهم كفر

^١ - نفس المرجع، ص ٧٦.

^٢ - المائدة: ٥٠.

^٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ٢٥، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٩٠٤.

^٤ - نفس المرجع، ص ٩٠٤.

^٥ - نفس المرجع، ص ٩٠٥.

يجوز استئصال دمائهم وأموالهم، وطبق ذلك من خلال الاغتيالات التي حصلت في مصر والجزائر ولبنان وغيرها.

لم تتركز هذه الجماعات في تكفيرها للمجتمع على أحكام فقهية دقيقة، وإنما كانت العاطفة الإسلامية هي المحرك الأساس، في الوقت الذي تورع فيه جمهرة المحققين من علماء المسلمين ومن قبلهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكفير الخوارج الذين بغوا على الإمام علي كرم الله وجهه " فقد سئل الإمام علي عن الخوارج أهم كفار ؟ فكان جوابه: من الكفر فروا.. قيل فما هم ؟ قال: إخواننا في الأمس بغوا علينا^١، وأيضاً في الوقت الذي يقف فقهاؤنا فيه من المكفر ذاته موقفاً غير تكفيري.

وفي معنى عدم تكفير المكفر، موقف أهل السنة من الخوارج، فرغم أنهم سلكوا مسلك التكفير، إلا أن أهل السنة لم يجابوهم بمثل مسلكهم، قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار: "ذهب أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج مسلمون وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام"^٢.

وبذلك فإن مسألة التكفير مسألة خطيرة ولا يجوز لأحد أن يستغلها ليصنع من خلالها واقعا يبنى على أساس ليس من الإسلام العادل الذي يتعامل مع الناس برحمة وإنسانية.

وقد انعكست عملية تكفير الناس والمجتمعات وقيام بعض الجماعات لتغيير المنكر والكفر بالقوة على واقع المجتمع العربي والإسلامي والدولي، بحيث أصبح هناك إجماع دولي عقدت له مؤتمرات دفعت باتجاه محاربة الإسلام بدعوى التطرف، وإخراج الجماعات والأحزاب الإسلامية عن القانون الإنساني، كل ذلك مرفق بتوصيات وسياسات لاستئصال هذه الجماعات وصحوتها^٣.

بل قامت دول الغرب بملاحقة كل مشروع إسلامي تنموي يغذي الصحوة الإسلامية سواءً أكان ذلك على الصعيد الإنساني، مثل مؤسسات الإغاثة الإسلامية العالمية والجمعيات الخيرية الإسلامية، أم على الصعيد الفكري والثقافي والتعليمي مثل المراكز الإسلامية والمعاهد العلمية والمؤسسات الإعلامية، هذا الأمر الذي جعل خطاب الرفض والمواجهة معطلاً للصحوة الإسلامية الراشدة وليس رافداً لها وقد أدركت بعض هذه الجماعات سلبية هذا الخطاب فتراجعت عن خطاب الغلو والتكفير.

^١ - الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، مرجع سابق، ص ١١٦.

^٢ - نيل الأوطار، الإمام الشوكاني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط ٣، ج ٧، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

^٣ - من هذه المؤتمرات، مؤتمر شرم الشيخ الذي عقد عام ١٩٩٦م في منتجع شرم الشيخ بمصر وحضرة الرئيس الأمريكي السابق كلينتون والرئيس الروسي وعدد من رؤساء العالم الغربي (شرم الشيخ..وعولمة أمن المنطق، د. عبد الرحمن شلبي، مجلة آفاق العصر، فصلية تصدر عن مركز آفاق للدراسات الإسلامية، الخرطوم، خريف ١٩٩٦م العدد ٩، السنة الثانية).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إن الجماعة الإسلامية في مصر تلقت أوامر من قادتها داخل السجون تشير بأنها اقتصعت بأن العنف لا جدوى من ورائه إلا إراقة الدماء من الطرفين، ولذا أرادوا أن يدخلوا المعتزك السلساسى وطالبوا بإنشاء حزب جديء ىمئلهم وىتبئى أفكارهم"^١. ورغم ذلك ىمكننا القول بتجرء أن الأنظمة الحاكمة هى التى تنمى تيار الرفض وتءفع باتجاه الانفجار وتمرء الجماعات الإسلامية واتباع نهج العنف وذلك جراء سىاستها الظالمة وملاحقتها للنشطاء الإسلامىىن عالمىا ومحلىا، وإغلاق مؤسساتهم ومنعهم من الوظائف الرسمىة واعتقالهم إذا ما فازوا فى انتخابات بلدىة أو تشرىعىة حتى فى إطار الءىمقراطىة كما حصل مع الحركة الإسلامية فى تركيا حيث تم إلغاء حزب الرفاه الإسلامى واعتقال نجم الءىن أربكان، وكذلك الحركة الإسلامية فى الجزائر، حيث تم إخراج جبهة الإنقاذ الإسلامى عن القانون واعتقال قىاداتها ، الشىخ عباسى مءنى والشىخ على بلحاج وغيرهم وكذا الحال مع حركة الاتجاه الإسلامى فى تونس التى حكم على مؤسسها ورئىسها الشىخ راشد الغنوشى بالإعدام من قبل النظام الحاكم مما اضطره إلى العىش فى المهجر مرغما ، كل هذه الأساليب والخطوات الظالمة كانت سببا فى تنمية تيار العنف والغلو .

^١ - امتئا بىن قرنىن، مرجع سابق، ص ٧٥.

المطلب الثالث: خطاب الحوار والتفاعل الحضاري

اعتبر أنصار هذه المدرسة^١ أن لغة التفاعل مع المجتمع والأنظمة السياسية القائمة ينبغي أن تكون ضمن الإطار الشرعي الدقيق لعملية التغيير التي تجري في المجتمع وفق حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان"، فالحديث واضح يشير بأن تغيير المنكر من حق كل من رآه من المسلمين، بل من واجبه ولكن ضمن الضوابط الشرعية.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك: "دليل ذلك أن (من) في الحديث و(رأى) من ألفاظ العموم كما يقول الأصوليون، فهي عامة تشمل كل من رأى المنكر، حاكما أو محكوما، وقد خاطب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بها المسلمين كافة - من رأى منكم منكرا - لم يستثني منهم أحدا ابتداءً من الصحابة ومن بعدهم من أجيال الأمة إلى يوم القيامة، وقد كان هو الرئيس والحاكم للأمة، ومع هذا أمر من رأى منكم (وهم المحكومون) منكرا أن يغيروه بأيديهم متى استطاعوا^٢، لكن الشيخ بين لعملية تغيير المنكر شروطاً هامة ودقيقة تمحورت على النحو الآتي:

أن يكون المنكر محرما مجمعا عليه.

أن يكون المنكر ظاهرا.

أن تتوفر القدرة الفعلية على تغيير المنكر، فالمنكر إذا كان من جانب الحكومة فإن ذلك يحتاج لمن يريد أن يغيروه إلى قوة القوات المسلحة (الجيش)، أو تأثير المجلس النيابي الذي يملك السلطة التشريعية وإصدار القوانين وتغييرها أو قوة الجماهير العارمة. عدم تغيير المنكر بمنكر أكبر منه.

ويؤكد الدكتور القرضاوي في نهاية حديثه "أن تغيير المنكرات الجزئية ليس علاجاً، لأنه في الغالب يؤدي إلى أزمات وخلافات وفتن خاصة إذا تم استعمال القوة في غير موقعها خلال عملية التغيير"^٣.

^١ - يقف على رأس هذه المدرسة جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي والجماعة الإسلامية في باكستان وحزب العدالة في تركيا وحركة النهضة الإسلامية في تونس وجماعة العدل والاحسان في المغرب وحركة مجتمع السلم في الجزائر والجماعة القومية الإسلامية في السودان والجماعة الإسلامية في لبنان. (انظر كبرى الحركات الإسلامية: محمد علي ضناوي، وكتاب الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية (١-٢) لمؤلفيه: د. فيصل دراج وجمال باروت، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق).

^٢ - من فقه الدولة في الإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١م، ص ١٢٠.

^٣ - المرجع السابق، ص ١٢١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦.

ومن هنا فإن أنصار مدرسة " الحوار والتفاعل الحضاري " يرون أن عملية التغيير الجانبي وخاصة الفردية منها والتي تأخذ من العنف أسلوباً ونهجاً كما هو الحال في عمليات الاغتيال وتحطيم واجهات المقاهي ودور السينما والاعتداء على الفتيات المتبرجات بالمواد الكاوية وغير ذلك كما حصل في بعض الأماكن تحت مظلة تغيير المنكر كل ذلك يؤدي إلى منكر أكبر وفتنة وتصادمات بين أبناء المجتمع يرفضها الإسلام .

وقد اعتبر بعض العلماء أن عملية التغيير بهذا الشكل هي إساءة لمبدأ إحياء السنة، وذكر الشيخ محمد الغزالي أن بعض الناس أحبوا السنة بصدق، غير أن خدمتهم لها تمت بشيء من القسوة، وهو ما جعلهم يتقهقرون في المجتمع، وما أضر أيضاً على صورة السنة ذاتها، إذ تقهقرت في نفوس الناس مع تقهقرهم^١.

وينتقد الشيخ الغزالي الذين يسارعون في عملية التغيير حيث تكون وجهتهم الأولى نظام الحكم ، فيفكرون بضرب الحكام أولاً ، ويعتبر الغزالي أن من يفعل ذلك يتسم بالبلاهة ، ويبنى الغزالي رؤيته هذه على اعتبار أن آخر ما يفكر فيه المصلح هو تغيير أجهزة الحكم، وأن هذا يحتاج إلى مسافة زمنية طويلة ، تبدأ بكثير من الإصلاح^٢.

ولهذا يرى الشيخ الغزالي أن عملية التغيير والإصلاح لا بد أن تتم من خلال الترويج ابتداءً بالفرد وانتهاءً بالمجتمع حيث يعرف هذه العملية قائلاً: "إن على الداعية المسلم أن يبدأ بإصلاح بيئته وإعدادها إعداداً نفسياً وعقلياً لتكون منطلقاً إلى ما بعدها، وكلما أصلح جزءاً من الأرض التي يقف عليها بقدميه انتقل إلى آخر وضمه إلى قدميه لتتسع الرقعة التي ينطلق منها إلى العالم كله"^٣.

لقد عكست أدبيات هذه المدرسة وخطابها الإسلامي أثراً رائداً في المجتمع المعاصر، فأصبحت ذات شأن في عملية التغيير المجدية من خلال التغيير والإصلاح وليس المواجهة والتحدي، فهذا رائد هذه المدرسة الشيخ حسن البنا رحمه الله يؤكد على الجانب التربوي في البناء ودوره في عملية التغيير حيث يقول: "ولكي تكون الأمة عزيزة قوية يجب أن تجمع الناس والقلوب والهمم والعزائم والأفكار على مبدأ واحد وهدف واحد ومقصود واحد هو الإسلام ومبادئ الإسلام وتتسع هذه الفكرة في المجتمعات وفي البيوت وبين الأفراد في المصنع والمدرسة وبيوت العبادة والطريق وفي كل من سبقه حتى يقتنع الناس بالنتيجة الطبيعية ويتضح الحق لهم فيعرفوه،

^١ - من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي محمد الغزالي، دار مهبط مصر، القاهرة، الطبعة الأولى الحديثة، ١٩٩٨م، ص ١٦٤.

^٢ - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، دار مهبط مصر - القاهرة - ط ٤، ١٩٩٩م، ص ١٣.

^٣ - نفس المرجع، ص ١٣٧.

لا يعرفوا غيره فإنه لا قيام للباطل إلا بعد غفلة الحق ^١ هذه الرؤى دفعت بحركة التغيير أن تتوجه إلى المجتمع والحكام والحركات غير الإسلامية والأفكار الأخرى بلغة جديدة .. لغة الحوار والتفاعل الحضاري، هذه اللغة التي جسدت خطابا جديدا منافيا كليا لخطاب الرفض والمواجهة، مما دفع أنصار الصحو الإسلامية لأن يتوجهوا إلى اقتحام المجتمع بلغة سليمة مبنية على نظام التواجد والحضور في المجتمع من خلال صندوق الانتخابات.

وأصبحت الساحة الإسلامية تشهد خطابا حواريا يؤمن بحق الآخرين في التعبير عن رأيهم ويتعامل معهم من خلال التفاهم على طاولة المستقبل المشترك للأمة الواحدة، فشهدت الساحة حوارا بين الإسلاميين والعلمانيين .. بين الإسلاميين والنصارى وكذلك بين الإسلاميين والحكام. وهذا المعنى الذي ذكرته، سبق أن ذكره الدكتور القرضاوي، فلقد رأى أن جانبا من الحوار المطلوب في ساحة العمل الإسلامي هو ذلك الحوار مع العلمانيين والعقلاء والمنطقيين منهم، وكذلك مع الحكام الذين لا يتخذون موقفا عدائيا اعتقاديا من الإسلام، ومع النصارى الغربيين الذين يحكمون العالم منذ قرون، وكذلك مع المسيحيين من أجل الوقوف في وجه التيارات الإلحادية المعادية للدينين، الإسلامي والمسيحي ^٢.

وأصبح هذا خطاب غالبية الحركات الإسلامية والحركات المجاهدة والجماعات التي تعمل في الميادين في العالم العربي والإسلامي وقد حض على ذلك علماء ومفكرون ومصلحون من أمثال الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ راشد الغنوشي والشيخ قاضي حسين أحمد والشيخ حسن الترابي والشيخ محمد حسين فضل الله والشيخ محمد أبو فارس والدكتور محمد عمارة والأستاذ منير شفيق، والدكتور محمد سليم العوا والشيخ أحمد ياسين رحمه ونجم الدين أربكان وغيرهم الكثير.

وبناءً على هذا الفهم خاضت هذه الحركات الانتخابات السياسية وشاركت في عضوية برلمانات ومجالس شعب ومجالس وطنية في دول تعتبر جاهلية لا تحكم بالإسلام وباتت لغة الحوار والتفاعل الحضاري هي سيدة الموقف رغم حرص الغرب على مواجهة هذه الحركات ومن يقف خلفها من قيادات تحت مظلة محاربة الإرهاب.

وفي فلسطين كان خطاب الحركات المجاهدة خطابا يدفع بهذا الاتجاه ، حيث جرى أكثر من حوار ما بين حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وحركة الجهاد الإسلامي من جانب وحركة فتح وحركات اليسار الفلسطيني وكذلك السلطة الفلسطينية من جانب آخر، هذه السلطة التي تعتبر امتدادا نمطيا للأنظمة العربية القائمة.

^١ - نظرات في إصلاح الفرد والمجتمع، حسن البنا، مكتبة الاعتصام - القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص١٣٥.

^٢ - أولويات الحركة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩.

وفي فلسطين وبعض بلدان العالم العربي والإسلامي برز خطاب يجمع ما بين الرفض والمواجهة تارة وما بين التثقيف والدعوة إلى الله والدعوة إلى إقامة حكم الإسلام تارة أخرى، تمثل ذلك في حزب التحرير الإسلامي الذي أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في القدس عام ١٩٥٣م^١، هذا الحزب الذي انتشر في الأردن ومن ثم في مصر وعدد من دول العالم الغربي مثل إنجلترا و دول شرق آسيا وعلى وجه الخصوص أوزباكستان.

ويعتبر حزب التحرير الأنظمة القائمة جميعها كافرة وينبغي إزالتها من خلال اختراق مبرمج لقواتها العسكرية والقيام بانقلابات عسكرية تمكن الحزب من السيطرة على نظام الحكم ومن ثم إقامة الخلافة الإسلامية^٢.

يقوم الحزب في إطار التغيير بإصدار بيانات ونشرات ودراسات تدعو إلى عملية تغيير شامل ويرفض الحزب منهج التغيير المجزأ الذي تقوم به حركات إسلامية أخرى في إطار التكيف الديمقراطي ومشتقاته حيث يعتبر الحزب الديمقراطية نفسها نظام كفر لا يجوز أن ينطلي على أمة الإسلام ولهذا يقاطع الحزب الانتخابات البرلمانية والمؤسسات النقابية والجمعيات الخيرية معتبرا العمل فيها نوعا من الترفيع الذي لا يخدم الإسلام، حيث يعيب حزب التحرير على الحركات الإسلامية الأخرى لغة الحوار والتفاهم والانخراط في المجتمعات القائمة .

قام الحزب بعدد من المحاولات الانقلابية العسكرية من خلال تجنيد بعض الضباط العسكريين الذين يحملون أفكاره في عدد من الدول مثل الأردن حيث فشلت هذه المحاولات أكثر من مرة. ومما يؤخذ على حزب التحرير انقطاعه في المجتمع عن المؤسسات السياسية والأهلية رغم مشاركات برلمانية سابقة في الأردن وسوريا ولبنان في الأعوام ١٩٥٦ ، ١٩٦٤ م ، وقد عرف من قادة الحزب الميدانيين الشيخ عبد القديم زلوم رحمه الله والشيخ أحمد الداعور رحمه الله والمهندس عطا أبو رشتا وجميعهم فلسطينيون.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

"لقد ركز حزب التحرير الإسلامي على قضية الخلافة وعودتها دون أن يعنى بالعوائق وإزالتها والتقريب بين الشعوب والثقافات والتيارات بعضها من بعض تمهيدا للخلافة، كما وجه عنايته للفكر أولا ولا يكاد يعنى بالسلوك كما لا يكاد يعنى بالاجتهاد والتجديد فمنهم من يأخذ المحوريات الفقهية والفكرية قضايا مسلمة ثم يعبئها في قوالب صارمة ويلقنها لأتباعه فيحفظونها

^١ - انظر: النشرة التعريفية باسم حزب التحرير، مرجع سابق، ص ٧.

^٢ - لقد قام حزب التحرير الإسلامي بمحاولات عدة لقلب نظام الحكم الملكي في الاردن، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل وعقبها تم عملية اعتقالات في صفوف كما تم اعتقال الضباط العسكريين الذين ينتمون للحزب وقدموا لمحكمة امن الدولة الاردنية وحكم على بعضهم بالاعدام.(انظر موقع حزب التحرير على شبكة الانترنت www.hizb-ut-tahrir.org)

عن ظهر غيب ويجادلون فيها بلا هوادة، وإن كان له اجتهدات غريبة في بعض القضايا الجزئية يعجب الفقيه الحق بها"^١.

وقد تركز خطاب الحركات الإسلامية في فلسطين على الجهاد والمقاومة للمحتل بخلاف مناطق أخرى، حيث انشغل في مواجهة الاحتلال الصهيوني وإعلان الحرب عليه لا سيما حركة الجهاد والمقاومة في فلسطين حركة حماس والجهاد الإسلامي هاتان الحركتان اللتان تمثلان بوصلة الخطاب الجهادي في فلسطين^٢، هذا بالإضافة إلى تجذير الصحو الإسلامية في المجتمع، خاصة حماس التي تشرف على شبكة من المؤسسات الخيرية والأهلية والتربوية.

^١ - امتنا بين قرنين، القرضاوي، ص ٧٣.

^٢ - لا يوجد على صعيد الحركات الإسلامية في فلسطين من يواجه الاحتلال سوى حركتي حماس والجهاد الإسلامي اللتين جندتا أفرادهما في حرب ضروس ضد الاحتلال في حين انشغلت بقية الحركات بالدعوة والوعظ والارشاد والدروشة والسياسة.

المبحث الرابع: إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر

طفا على السطح إشكاليات متعددة للخطاب الإسلامي المعاصر أثرت سلباً في الكثير من الأحيان على مستقبل الصورة الإسلامية بل انعكست هذه السلبيات والإشكاليات بمجملها على حركة الانبعاث الحضاري والعلاقات الداخلية والخارجية للمسلمين على الصعيد العام وعلى المسلمين على وجه الخصوص.

فقد شهدت الجامعات والمعاهد والمساجد والمؤسسات الفكرية والثقافية صوراً واضحة لهذه الإشكاليات التي اعتمد بعضها على خطاب الوعظ والإرشاد المبني على العاطفة والبعيد كل البعد عن تفهم صراع الاستراتيجيات الدولية في ظل التحدي الحضاري الذي تواجهه أمة الإسلام. نشأ البعض من هذه الإشكالات بسبب ردات الفعل البعيدة كل البعد عن التخطيط والبرمجة، فيما برزت إشكالية أخرى تتمثل في الخلاف الحزبي وظهور ظاهرة التفريخ التنظيمي ، تلك الظاهرة التي لم يستطع أن يضبطها أي حزب أو تنظيم أو جماعة و باتت تعمل وفق المزاجيات والأهداف الشخصية.

ولعل ضعف التقنية وتبعثر أدوات الخطاب الإسلامي كان أحد الإشكاليات التي أثرت على امتداد الخطاب الإسلامي وانعكاساته الجوهرية على حركة التاريخ المعاصر والعلاقات الإنسانية، فلا زالت أدوات الاتصال لدى جماعات الخطاب الإسلامي تقليدية بحته لم ترتق إلى مستوى لغة الخطاب الرسمي الحكومي أو الخطاب الليبرالي العلماني الذي تمتع بكل وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة ، هذه الوسائل التي تنقل خطابها السياسي والثقافي إلى مئات الملايين من البشر في أسرع وقت ممكن.

إن هذه الإشكاليات كانت ولا تزال تؤثر على طبيعة العلاقات التي تجسدها الحركات والجماعات الإسلامية فيما بينها وبين الجماعات الإنسانية الأخرى تأثيراً سلبياً.

وكان من الضرورة بمكان أن يطور المصلحون والمجددون في الحركة الإسلامية المعاصرة وامتداداتها طبيعة خطابهم حتى يحظوا بالمزيد من الاندماج والتأثير في المجتمع العربي والإسلامي والعربي.

وعلى الصعيد الفلسطيني تبرز الإشكاليات نفسها مع أن طبيعة الخطاب الإسلامي في فلسطين لها ميزة خاصة بسبب انشغال الغالبية بالجهاد والمقاومة .

المطلب الأول: الاعتماد على الخطاب العاطفي والوعظي

لقد انتقد الكثير من المفكرين المعاصرين الإسلاميين وكذا العلمانيون تفوق الخطاب الإسلامي على ذاته في بداية هذا القرن وانشغال بعض الحركات الإسلامية في صفاء النفس ومظاهر الإسلام الشكلية البعيدة كل البعد عن الجوهر الحقيقي لهذا الدين ، بحيث انقطعوا عن العلوم العصرية وحاربوا تعليم المرأة واعتبروا دخولها إلى الجامعات والمعاهد ليس له ضرورة بل اقتصروا دعوتهم وأعمالهم في محاربة البدع وإقامة حلقات الدروشة داخل المساجد والتظاهر بالإسلام أحيانا من خلال ارتدائهم للملابس والدشاديش القصيرة وإطلاق اللحي الطويلة منقطعين كل الانقطاع عن التحدي الحضاري المعاصر ومتجاهلين حركة التطور التكنولوجي .

وقد بدا ذلك واضحا في كتابات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله حيث يقول في كتابه مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: "يرى البعض من هؤلاء المسلمين أن ساحة العمل الإسلامي مقتصرة على درس في المسجد وخطبة على المنبر وبزي معين يلبسه وأن يخرج في يوم من أيام الأسبوع إلى قرية مجاورة يدعو الناس معتبرا أن هذا هو الإسلام في نظره، حيث ينفصل عن المجتمع وعن الدراسة وعن العلوم العصرية وقد يدع بعضهم الجامعات في سن متقدمة اعتقادا منه بأن الدعوة أهم، فإن هذا النوع عاجز أيضاً عن أن يرى الدعوة من خلال نبوغه واختصاصه العلمي وهذه مشكلة"¹.

ولهذا لا بد للداعية الإسلامي في هذا العصر والذي يعتبر عنوانا للخطاب الإسلامي المعاصر أن يكون على قدر من العلم والمسؤولية، حيث يطالب الشيخ الغزالي جيل الصحو الإسلامية وأنصار هذه الدعوة قائلًا لهم: "إن الدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أي شخص، إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية بمعنى أن يكون عارفا للكتاب والسنة والعظمة الإسلامية والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملما بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتأثر بشتى المذاهب والفلسفات، ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى تبصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف مذاهبهم، سواء أكانوا ملحدين ينكرون الألوهية أو كتابيين ينكرون الإسلام"². ومن هنا فإننا نرى أن هناك نقدا موجها من الدعاة للإسلام أنفسهم لبعض الدعاة الذين يعتمدون الخطاب العاطفي والوعظي المنقطع عن الحضارة والأمة.

¹ - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، ص ٣٩.

² - الشيخ محمد الغزالي كما عرفته (رحلة نصف قرن)، دكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٥٩.

المطلب الثاني : ضعف التخطيط وبروز خطاب ردات الفعل

يبدو أن حالة الإرباك التي أصابت الواقع الإسلامي خلال بداية القرن العشرين بسبب ضعف الدولة الإسلامية (الدولة العثمانية) وتخلفها والتي أصبح يطلق عليها الرجل المريض، قد انعكس سلباً على واقع الأمة، وازداد الأمر سوءاً عندما أعلن رسمياً عن هدم الخلافة الإسلامية، فأصبح الإسلام متهما وبدأ التعامل معه على أنه نهج رجعي.

وتصدرت حركات اليسار والأحزاب الشيوعية والقومية ودعاة النهج العلماني خطاب الرأي العام الموجه ضد الدين والتدين والعلاقات مع العالم الليبرالي، حيث بدأت حالة من الحراك الفكري أدى إلى بروز صراع بين فكرين ، الفكر الإسلامي والفكر المادي وأصبحت حركة الصراع وما ينعكس عنها واضحة وملموسة من خلال كتابات وأدبيات الطرفين.

فقد أصدر الكاتب الشيوعي صادق جلال العظم كتاباً بعنوان (نقد الفكر الديني) مما أثار العديد من المفكرين الإسلاميين حيث قاموا بالمقابل بإصدار العديد من الكتابات والدراسات التي ترد على انتقادات الآخرين للدين وقصوره بحسب فهم ومنظور صادق جلال العظم وأمثاله ، فصدر على سبيل المثال كتاب (اشتراكية الإسلام) للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وكتاب (الإسلام في قفص الاتهام) لشوقي أبو خليل وكتاب شبهات حول الإسلام للكاتب الإسلامي محمد قطب والكثير من الكتابات التي كانت تمثل انعكاساً للخطاب الإسلامي المعاصر الذي كانت عبارة عن رد شبهات ودحض افتراءات من ردات الفعل ، وكان الأجدر بالخطاب الإسلامي في تلك الفترة أن يكون خطاباً موجهاً مخططاً له ضمن برامج عمل ومشاريع تنموية وسياسية لا خطاب ردات فعل ودفاع .

ولا زال العديد من هذه الكتابات يصدر حتى هذه الساعة مدافعاً عن الإسلام وكأن الإسلام متهم ومعطّل لحركة التاريخ ، لكن الأخطر من ذلك والأدهى والأمر أن يفتقد الخطاب الإسلامي المعاصر اليوم إلى لغة البرمجة والتخطيط والإعداد المسبق حتى على صعيد الدعوة إلى الله .

فعلى الصعيد التربوي وهو الأساس كان خطاب الأمة التربوي خطاباً عفويًا بعيداً عن الإعداد والبرمجة ، ولهذى يرى الشيخ محمد الغزالي "أن التربية لن تبلغ تمامها ولن تستقيم على فهمها إلا إذا خرجت بأصحابها من الصومعة التي يتحنثون فيها والتفت بهم وجهاً لوجه مع مشكلات المجتمع وثقافته الدينية"¹، هذا يعني أن الصحوة الإسلامية وخطابها المعاصر الذي يعتبر انعكاساً لجماعات هذه الصحوة بحاجة إلى تخطيط ناجح بعيداً كل البعد عن التوقع على الذات حتى يؤتي ثماره من أجل مصلحة الأمة ومستقبلها، في ظل تدافع واضح لحركة التكنولوجيا وحركة الأفكار والتطور.

¹ - في موكب الدعوة، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٢١.

ولهذا نجد جزءاً من هزائم الأمة الكثيرة كانت بسبب التسبب والعفوية والعاطفية وانعدام التخطيط للحركة ، وهذا ما دفع الشيخ محمد الغزالي صاحب التجربة الطويلة في الدعوة إلى الله في هذا العصر أن ينتقد حركة الأمة حيث يقول: " هزائم كثيرة أصابت الأمة وأصاب المجاهدين في هذه الأمة لأنهم لا يحسنون التخطيط للمعركة، وهذا العمل لا بد منه، لأنه هدية أعطاها الله لخلقه وقد أحصيت كلمة " أولوا الألباب " في القرآن الكريم ووجدتها تكررت في ستة عشر موضعاً ومعنى هذا أن الذين يدعون للإسلام يجب أن تكون لهم عقول كبيرة " ^١.

وللأسف كان واضحاً خلال أكثر من نصف قرن أن الاستعمار استغل الواقع المترهل للأمة من خلال إشغاله بمعارك جانبية بين الإسلاميين والماديين والعلمانيين، هذا الصراع الذي كان دموياً في بعض الأحيان في الجامعات والمعاهد والمساجد والمنشآت مما عطل حركة التخطيط، ولوث آليات الخطاب الإسلامي في تلك المرحلة.

^١ - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢١.

المطلب الثالث: الخلاف الحزبي وبروز ظاهرة التفريخ التنظيمي

بعد هدم الخلافة الإسلامية والإعلان عن قيام الدولة العلمانية في تركيا فوق أنقاضها كان أول تأسيس للحركات الإسلامية المعاصرة ولادة جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨م، على يد مؤسسها الشيخ حسن عبد الرحمن البنا رحمه الله في مدينة الإسماعيلية بمصر^١.

وفي فلسطين أسس الشيخ تقي الدين النبهاني حزب التحرير الإسلامي عام ١٩٥٣م، حيث كان الدافع لتأسيس هذا الحزب كما يقول الحزب نفسه هو: "إخفاق الحركات الإسلامية التي سبقتها في تحقيق ما يصبو إليه المسلمون"^٢.

كذلك أسس الدكتور فتحي الشقاقي نواة لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين عام ١٩٨٦م^٣، مع أنه كان قبل ذلك عضواً في جماعة الإخوان المسلمين أيضاً، وامتدت ظاهرة التفريخ الحزبي لتشمل العالم العربي والإسلامي حيث انشق أيضاً من جماعة الإخوان تنظيم التكفير والهجرة والجماعة الإسلامية في مصر والجبهة الإسلامية القومية في السودان وحركات كثيرة تعجلت قطف الثمر قبل أوانه، ولهذا كانت هذه ظاهرة سلبية وليست إيجابية، إذ انشغلت هذه الحركات الكثيرة وأمثالها في العالم العربي والإسلامي بخلافات فقهية وفكرية وسياسية فيما بينها وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال الخلاف الحزبي بين حزب التحرير الإسلامي وبين جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي، وبين الإخوان والجماعة الإسلامية المسلحة في مصر والجزائر وبين السلفيين السياسيين والحركات الصوفية وبعض الحركات الإسلامية في شمال إفريقيا.

وأصبح المتابع والدارس لهذه الظاهرة الخطيرة يرى بكل وضوح أن هذه الحركات جميعها تتمحور في خطين ومدرستين:

واحدة تدعو للبناء التربوي والمؤسسي من خلال الاندماج في المجتمع والحوار مع الآخرين. وأخرى تدعو إلى المواجهة والرفض وإعلان الحرب على كل من هو ليس بمسلم بحسب وجهة نظر هذه المدرسة، وإصدار فرمان بتكفيره، كما نشاهد ونرى من بيانات بعض الأحزاب والجماعات المعاصرة.

وحول دراسة هذه الحالة فإننا نرى أن حركة حماس التي تشكل امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين تقول بأن حركة الجهاد انشقت عنها وتعجلت في قطف الثمر، وهذا ما أكد عليه الشيخ أحمد ياسين رحمه الله^٤ "فيما تقول حركة الجهاد نفسها أنها قامت بعملية تجديد في

^١ - مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، دار الدعوة - القاهرة، ط٣، ١٩٨٣، ص ١١٩.

^٢ - مفاهيم سياسية، نشرة خاصة صادرة عن حزب التحرير الإسلامي، بدون مكان ولا تاريخ نشر، ص ٢٣

^٣ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، زياد ابو عمرو، دار الاسوار - عكا . ط١، ص ١٣٧

^٤ - من مقابلة خاصة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٥.

^٥ - من مقابلة خاصة مع الشيخ أحمد ياسين بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٧م.

الطرح التقليدي للإخوان المسلمين قبل بروز حماس، وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد الهندي أحد أبرز قيادات الجهاد في قطاع غزة^١.

ولم يتوقف الأمر عند حماس والجهاد في فلسطين ، فقد شكلت منظومة الجماعات الإسلامية في الجزائر وأفغانستان ولبنان صورا مؤلمة للخلافات والصراعات التي أزمّت الخطاب الإسلامي وانعكست سلبا على واقع الصحوة الإسلامية وآليات التغيير في المجتمع.

ولعل من أخطر انعكاسات ظاهرة العمل الحزبي دخول النظرة الشخصية وبروز وجهة النظر الفكرية والسياسية الخاصة لدى بعض القيادات التي اختلفت أصلا مع جماعتها وحركتها الأم فسرعان ما يقوم هذا الرمز أو ذاك بالانشقاق عن جماعته وحركته معتمدا على بعض الأنصار ليفاجئوا الساحة الإسلامية بالإعلان عن تنظيم جديد، حيث يبدأ في عملية الترتيب والإعداد لهذا التنظيم من حيث انتهى الآخرون، دون الاستفادة من التجارب السابقة وتجنب أخطائها أو الأخذ بإيجابياتها.

هذه الظاهرة انعكست سلبا على واقع الصحوة الإسلامية وأثرت على طبيعة الخطاب الإسلامي المعاصر الذي بات مضطربا ، بل أسيرا لهذه الجماعة أو تلك واجتهاداتها ، بل نشاطاتها غير المبرمجة والمدروسة تجاه المجتمع والأنظمة الحاكمة بل تجاه الجماعات نفسها وعلاقاتها فيما بينها .

وشهدت الساحة الإسلامية كتيبات ودراسات وبيانات وملاحق^٢ تعبر عن ردود خاصة لهذه الجماعات بل يشكل بعضها انتقادا لادعا من هذه الجماعة للأخرى، وهذا بدوره أساء للخطاب الإسلامي المعاصر ولم يخدمه.

^١ - من مقابلة خاصة مع الدكتور محمد الهندي من الجهاد الإسلامي بتاريخ ١١/٣/٢٠٠٣م.

^٢ - من هذه الكتب كتاب: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة لمؤلفه ياسر أبو هلاله وكتاب حكم المشاركة في الأنظمة الجاهلية لمؤلفه دكتور محمد عبد القادر (أبو فارس) وغيرها.

المطلب الرابع: ضعف التقنية وأدوات الخطاب

إن مما يؤخذ على الخطاب الإسلامي المعاصر أنه خطاب تقليدي غير متطور ولم يجار العصر في تقنيته وتطوره ووسائله، حيث لا زالت أدواته كما هي دون تطور وتقدم وهذا بدوره أضعف رسالة هذا الخطاب.

ورغم أن المعطيات العلمية تشير إلى تقدم في حركة الانبعاث الحضاري الإسلامي والصحة الإسلامية إلا أن حركة العلمنة والفهم المادي والنهج الليبرالي تشكل امتدادا لا يستهان به في العالم العربي والإسلامي¹.

فلا زال أنصار الفكر المادي والعلماني وفكر الاستغراب يأخذون مواقعهم ويبثون أفكارهم بتقنية عالية مستغلين ثورة الاتصالات وتكنولوجيا الإعلام حيث يوظفون لذلك المال والرجال في الوقت الذي لا زال أنصار الخطاب الإسلامي يقتصرون عملهم من خلال الإمكانيات التقليدية.. يشكون نقصا في المال والكفاءات وغير ذلك من وسائل التنمية التي تضعف خطابهم .

لكن البعض يرى أن هناك نوعا من التوجه نحو التقنية والارتقاء في أدوات الخطاب مستشهدين على ذلك بقناة المنار الفضائية التابعة لحزب الله وقناة اقرأ التابعة لمجموعة (ART) وقناة المجد وقناة الرسالة وقنوات أخرى بلغات أجنبية وموقع إسلام أون لاين التابع للشيخ القرضاوي والمركز الفلسطيني للإعلام التابع لحماس وموقع الإسلام اليوم وموقع مفكرة الإسلام على الانترنت وغيرها من المحطات والمواقع، لكن السؤال الذي يطرح: ماذا لهذا البعض من القنوات والمواقع أن تصنع أو تغير أمام ملايين المواقع على الشبكة الدولية للانترنت، وماذا لقناة أو اثنتين أن تعمل أمام المئات من القنوات الفضائية التي تصدر وتبث الرذيلة والفكر الساقط والفرقة والنزاع وغير ذلك للمجتمعات والأسر والأطفال والفتيات.

ومن أجل توفير الكثير من العناء والتعب وإنفاق الأموال في مشاريع جانبية ، كان لا بد من مشروع حضاري شامل ومبرمج يشرف عليه طاقات علمية صاحبة تجربة وليس قيادات سياسية ، بحيث يوفر الوقت الضائع في المعارك الجانبية بين مدارس الخطاب الإسلامي، ويتم الارتقاء بالخطاب الإسلامي إلى مستوى إعلامي وثقافي وسياسي أرفع بكثير مما يطرح، حتى تضع الأمة قدمها على عتبة التاريخ المعاصر بثقة وإقدام.

¹ - يلاحظ ذلك من خلال الفضائيات العالمية المتعددة والتي تنصدر الترويج للأفكار المادية والعلمانية والاباحية بل تلك التي تفتح المجال لأصحاب الآراء المرتدة الكافرة، حيث تبث لمئات الملايين دون رقابة من خلال حلقات العصف الفكري المباشر على الهواء كما يحصل عبر برنامج الاتجاه المعاكس في قناة الجزيرة.

المبحث الخامس: رؤية نقدية للخطاب الإسلامي المعاصر

يعتبر النقد وعلى وجه الخصوص نقد الذات منهجا معمولاً به ومحموداً في الإسلام، حيث ساهم في بناء مجتمع إسلامي متوازن وعلاقات حميمة بين الراعي والرعية، وقد تجسد ذلك من خلال القرآن الكريم ، فقد عاتب الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم حينما قال:

"عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى" ^١ وكذلك في التطبيق العملي لهذا النهج خلال حياة خلفاء الإسلام الذين أكدوا على العدالة والسلطان الإسلامي من خلال الخضوع للمراجعة النقدية التي قامت بها الرعية والتزمت بها قيادة الأمة.

لقد شكل هذا الفهم قاعدة انطلاق ناجحة لبناء مجتمع إسلامي متكامل يخضع للرقابة، رقابة الرعية للراعي واستيعاب الراعي للرعية، من خلال التأسيس النبوي لهذا الأمر فكانت حضارة وتاريخ مشرق لأمة آمنت بأن الإنسان ليس معصوماً وإنما يخطئ ويصيب، وكذلك كان الحال مع الجماعات والفرق والمذاهب وغيرها.

إلا أن بعضاً من المراحل اللاحقة في حياة الأمة الإسلامية وفي ظل الصراعات التي قامت بين الفرق الإسلامية وأصحاب المذاهب وأصحاب العقائد الأخرى دفعت بالكثيرين من أصحاب الآراء والمواقف أن يعتدوا بما صدر عنهم من مفاهيم وأن لا يخضعوها للنقاش الأمر الذي خلق حالة من الفرقة والتمزق والتشتت بسبب الركون إلى نزوات الشيطان والعجب بالأنفس.

ولقد كانت الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة عنواناً واضحاً وصريحاً لهذا الخلل حيث رفضت أن تخضع نفسها لدائرة الضوء إلا من رحم الله منها، وحتى بعض الحركات التي أيقنت ذلك وآمنت بضرورته لم يكن إيمانها هذا من خلال إجماع داخل الحركة نفسها وإنما كان عبارة عن وجهات نظر داخل هذه الحركة أو تلك ^٢.

هذا الأمر خلف حالة من النزاع والفرقة والخلاف بين الجماعات والحركات الإسلامية، مما دفع بعض هذه الجماعات لأن تتكاف بعضها بعضاً من خلال صراع تمثل في النقد اللاذع المبني على غير دليل والذي يحمل في طياته التطاول والتطير وإساءة الأدب أحياناً مما زاد من الأحقاد الداخلية، ويعود السبب في ذلك إلى تسرع تلاميذ هذه الحركة أو تلك في أخذ مواقع لهم ليسوا أهلاً لها بسبب افتقارهم للعلم والفقه والحكمة.

^١ - عبس، الآيات (٤-١) .

^٢ - لقد صدر كتاب النقد الذاتي للحركة الإسلامية لمؤلفه الدكتور خالص جلبي وهو اخواني وسوري، وقد هوجم هذا الكتاب من بعض غلاة الإخوان المسلمين معتبرين ذلك خروجاً عن الخط الإخواني كما صدر كتاب الإخوان المسلمون التجربة والخطأ لمؤلفه الدكتور عبد الله النفيسي والذي يوجه فيه انتقادات لاذعة، لقيادة الإخوان التي حادت عن نهج الإخوان نفسه كما يقول.

"وقد أكد بعض الدارسين والباحثين من أنصار المدارس العلمانية أن خطاب الحركات الإسلامية تأثر جراء هذا الفهم المغلوط المتمثل في الخلافات الداخلية لهذه الحركات مما جعله خطابا متحاملا بعيدا عن الواقعية والتناغم مع العصر^١.

^١ - الإخوان المسلمون التجربة والخطأ، د. عبد الله فهد النفيسي، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط١٩٨٩، ص٧

المطلب الأول: التوقع على الذات ورفض المراجعة والنقد

مما يؤخذ على بعض مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر أنها تحرص على الذات والمسمى الحزبي أكثر من حرصها على المضمون الفكري والسياسي والديني، وقد لوحظ ذلك من خلال النزاعات الحديثة التي كان سببها في كثير من الأحيان خلافاً فقهياً، فيما كان خلاف غيرهم من هذه المدارس خلافاً سياسياً أو منهجياً يتعلق بأسلوب العمل، هذا الأمر الذي جعل بعض هذه المدارس متفوقاً على ذاته ويرى كل نقد ومراجعة عداء له.

وقد وصل الأمر في شدة التوقع والخلاف بين بعض هذه الجماعات لأن يقوم أنصار متشددون بالاعتداء على رموز معتدلة تعمل في حركات إسلامية كما حصل في الجزائر عندما تم اغتيال الشيخ عبد القادر الحاشاني أحد أبرز الرموز المعتدلة في جبهة الإنقاذ الإسلامي "والذي أفادت مصادر سياسية وإعلامية كثيرة أن الذي يقف وراء اغتياله الجماعة الإسلامية المسلحة"¹.

على الصعيد الفلسطيني شهدت الساحة الفلسطينية خلافاً حزبياً ورفضاً للكثير من وجهات النظر السياسية التي تطرحها الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) وحركة حماس من جهة وحركة الجهاد الإسلامي من جهة أخرى، لكن هذا الخلاف كان حجمه أقل بكثير مما جرى في الجزائر أو الباكستان أو أفغانستان بين الجماعات الإسلامية نفسها.

ويعتبر حزب التحرير الإسلامي من أكثر الجماعات والحركات التي توجه النقد اللاذع للآخرين في الوقت الذي يرفض فيه أنصار هذا الحزب أي نقد يوجه لهم معتبرين كل من يناقشهم أو ينتقد بعض أفكارهم هو معاد لهم فيما يعتبره بعض المغالين في الحزب أنه كافر وخارج عن الملة وقد برز ذلك من خلال العشرات من المقالات التي تكتب في بعض الدوريات وكذا الحال في الدراسات والنشرات والبيانات التي جسدت هذا النهج².

ويرفض أنصار حزب التحرير الإسلامي التعددية السياسية والتعامل مع الديمقراطية والدخول في الحياة السياسية ضمن الدولة القطرية الممثلة بالأنظمة الحاكمة اليوم، لهذا يشن الحزب حرباً شعواء على كل الذين يؤمنون بهذه الأفكار التجديدية ويعتبرونهم خارجين عن النهج الإسلامي وقد تمثل ذلك بكل وضوح في بيانات الحزب التي صدرت في فلسطين حول العلاقة بين حماس وحركة فتح والسلطة هذه البيانات التي هاجمت حماس لأنها تقيم علاقات وحدوية مع حركات علمانية ومع أناس شاركوا في مؤامرة ضد القضية الفلسطينية على حد زعمهم كما انتقدوا حماس في مشاركتها في الانتفاضة معتبرينها من صنع إسرائيل وبعض الأنظمة العربية³.

¹ - الحياة اللندنية، ٥ أيار، ١٩٩٨م.

² - من ذلك مجلة الوعي التي يصدرها طلبة جامعات من لبنان، وتعبّر عن حزب التحرير ويقوم بتوزيعها.

³ - انظر: بيان حزب التحرير الصادر في ١٠/٤/٢٠٠٠م والبيان الصادر في ٢٧/١٢/٢٠٠٤م إضافة إلى العديد من بيانات الحزب على موقعه في الشبكة الدولية للإنترنت.

المطلب الثاني: الخطاب الإسلامي والإسلامي وأزمة الثقة

شكلت أزمة الثقة بين مدارس الخطاب الإسلامي عقبة في تقدم الصحوّة الإسلامية والوقوف على نتائج تخدم الأمة وترسم مستقبلاً مشرقاً لهذه الصحوّة، وقد أعاقَت خلافاً الجماعات الإسلامية هذا التقدم.

وأصبحت فلسفة النقد البناء المبني على حجة وبرهان وعلم، مفقودة بين هذه الجماعات ويعود السبب في ذلك إلى الأنانية التي تدفع أنصار هذه المدارس لأن يكيلوا للآخرين من إخوانهم سيلاً من التهم والادعاءات التي تكون في غالب الأحيان ليست في موقعها.

وقد برز ذلك من خلال الانتقادات والردود التي يتم طرحها بسبب خلاف في المواقف الفقهية والسياسية التي يتبناها هذا الحزب أو تلك الجماعة، ولهذا تخرج هذه الردود عن الإطار العلمي، وتحكم بالحزبية الضيقة ويصبح ذات الحزب أو الجماعة أو التجمع هو المقصود في النقد، الأمر الذي خلق حالة من التراكمات النقدية التي تحولت إلى أحقاد شخصية مما انعكس ذلك على طبيعة العلاقات الداخلية بين أنصار الجماعات الإسلامية.

وقد تعكرت العلاقات لدى بعض الجماعات إلى درجة وصلت فيها الأمور إلى الخلافات الدموية والاعتداءات الشخصية¹ لكن هذا الأمر يبقى محدوداً بشكل عام ولم يصبح حالة. وعلى الصعيد الفلسطيني شهدت الساحة السياسية والفكرية الإسلامية بعض الخلافات وانعدام الثقة بين جماعات الخطاب الإسلامي المعاصر لكنها لم تخرج عن الخلاف الفكري والسياسي مع انعدام الثقة في الكثير من الأحيان.

ورغم ذلك، برز في الآونة الأخيرة تحالفات سياسية بين أنصار حماس وأنصار الجهاد الإسلامي داخل سجون الاحتلال² أضف إلى ذلك الالتقاء الكبير والهام ضمن لجان التنسيق الفصائلي خلال انتفاضة الأقصى، إضافة إلى التنسيق السياسي خلال الحوار مع فتح والسلطة، حيث باتت مواقف الحركتين منسجمة.

أما على صعيد العلاقة مع الجماعات الأخرى داخل فلسطين المحتلة فلا زالت جامدة ومختلفة وخاصة كما ورد في السابق حول العلاقة مع حزب التحرير الذي يعلن حربه الشعواء على الكثير من سياسات هذه الحركات سواءً أكانت وطنية أم إسلامية وخاصة حركة حماس.

¹ - التيار الراديكالي الإسلامي في العالم العربي، مرجع سابق، ص ٧٣.

² - فقد أعلنت حركتي حماس والجهادي الإسلامي في شهر حزيران من عام ٢٠٠٢م عن تحالف سياسي للحركتين داخل سجن النقب الصحراوي، تحت مسمى (الجماعة الإسلامية)، حيث إطلعت على وثيقة الاتفاق بين الحركتين، حينما كنت امضي فترة اعتقالي نهاية عام ٢٠٠٣م في معتقل النقب الصحراوي، إلا أن هذا التحالف لم يعمر طويلاً وقد انتهى.

المطلب الثالث: البعد عن التقليد والبحث عن التجديد

تشكل قضية التقليد والتجديد منعطفا نقديا بين الجماعات الإسلامية المعاصرة حيث يعتبر بعضها أن التقليد هو الأصل وما سوى ذلك هو بدع نهى عنها الإسلام، فيما ترى جماعات أخرى أن التجديد هو مطلب حضاري إسلامي ينبغي على الجماعات الإسلامية أن تتبعه من أجل تطوير أفكارها وسياساتها وعلاقاتها، وقد شكل هذا الخلاف بين مدرسة التقليد ومدرسة التجديد واقعا ملموسا في الساحة الإسلامية.

وقد شهدت الساحة الإسلامية عددا من دعاة التجديد المعاصرين مثل الدكتور حسن الترابي، والشيخ راشد الغنوشي والدكتور محمد عماره والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي، ونجم الدين أربكان، وعباسي مدني ومنير شفيق وغيرهم كثير، هؤلاء الذين يرون أن الحركة الإسلامية بحاجة ماسة إلى الاندماج في الواقع من خلال عرض أفكار الإسلام بطريقة ليست فظة، وتقديم أحكام الإسلام بمنهجية بعيدة عن الخلاف المقيت، إضافة إلى التخلي عن التعنت والتعصب والحزبية الضيقة.

ويناقش الدكتور حسن الترابي فكرة التجديد مخاطبا الذين يعارضونه فيقول:

"الفكر الإسلامي هل يتجدد؟ أليس الدين خالدا لا مكان فيه للتجديد؟ نعم الذي يتجدد ويتقدم ويبنى إنما هو الفكر الإسلامي، والفكر الإسلامي إنما هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة، أما عقل الجيل والمسلمين الذي يضطلع بالتفكير بالإسلام، فهو يتكيف بنوع وكمية المعارف العقلية والتجارب التي يحصلها في كل زمان، فإذا ضاقت هذه المعارف ضاقت وإذا اتسعت اتسعت، ولأنه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التي تحيط به والحاجات التي يحسها الناس بالوسائل التي تتيحها له ظروف الحياة، فالفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقلا المتكيف بهذه العلوم المنفعل بهذه الظروف مع الهدي الأزلي الخالد الذي يتضمنه الوحي والذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم".^١

حيث يرى آخرون ممن لا يؤمنون بالتجديد أن هذه الأفكار التي يطرحها الترابي هي أفكار تطرفية خارجة عن النهج الإسلامي الذي يدعو إلى التمسك بالتراث الإسلامي وأحكام الدين".^٢

وقد دعا إلى ضرورة تجديد الفكر الإسلامي أيضا، الدكتور محسن عبد الحميد رئيس الحزب الإسلامي السابق في العراق والباحث الإخواني، حيث يقول "إن حركة التاريخ في العصور الإسلامية الماضية حملت في طياتها الكثير من التراكمات المبنية والمنسوبة إلى رجال من الرعيل الأول ولكنها غير موثقة ولا محققة، فيما أصبحت هذه الأقوال والمفاهيم تشكل نهجا لدى

^١ - تجديد الفكر الإسلامي، الدكتور حسن الترابي، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٩.

^٢ - حسن الترابي بوصلة الإرهاب في العالم العربي (عبري)، دكتور مارتن كارمر، مركز ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا - جامعة باي لان، تل أبيب، ط١، ١٩٩٩م، ص ٦٨.

الجيل المعاصر وبعض الجماعات الإسلامية ، وبات من الضرورة بمكان الانتقال من هذه الأفكار إلى الواقع العملي المنصف الذي يبحث عن التجديد بروح الأصالة^١. ولهذا لا زال المنعطف يشكل محور تقاطع بين العديد من الجماعات الإسلامية، ما بين مؤيد للتقليد ومعارض ورافض للتجديد، وما بين مؤيد للتجديد ومناقش للتقليد.

^١ - تجديد الفكر الإسلامي، دكتور محسن عبد الحميد، دار التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٩٩م، ص١٣٥.

الفصل الثاني: الخطاب السياسي والجهادي لحماس

المبحث الأول: التيار الإسلامي في فلسطين (الجزور والنشأة)

المبحث الثاني: الخطاب السياسي لحماس والممارسة الفاعلة

المبحث الثالث: الخطاب الجهادي والعسكري لحماس

المبحث الرابع: حماس والآخر الفلسطيني والعربي والإسلامي والدولي

المبحث الأول: التيار الإسلامي في فلسطين (الجذور والنشأة)

وفيه تمهيد وأربعة مطالب

تمهيد:

يشكل ارتباط فلسطين بالمسجد الأقصى المبارك، عمقا عقديا لأكثر من مليار ونصف مسلم من أبناء الأمة الإسلامية، هذا المسجد الذي كان قبلة المسلمين الأولى، بالإضافة إلى كونه يشكل المحطة الثانية في رحلة الإسراء والمعراج بعد المحطة الأولى التي بدأت من مكة المكرمة، حيث أحيط المكان بهالة من القدسية والبركة، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون شأن لفلسطين من خلال هذه الرحلة ومن خلال هذه القدسية.

فإذا كانت رحلة الإسراء قد بدأت من مكة المكرمة إلى القدس المباركة، فإن معراج النبي صلى الله عليه وسلم كان من القدس إلى السماوات العلى، مما جعل للمكان أهمية دينية " وبركة حسية ومعنوية، فالحسية بالخصب والثمار والأشجار والأنهار وعذوبة الماء، والمعنوية كونها مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة وأرض المحشر والمنشر والحساب "١ مصداقا لقوله تعالى "سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"٢.

لقد التصقت خصوصية بالمكان وما حوله لينعكس ذلك خيرا على فلسطين كلها، التي أصبحت في نظر الأجيال والأمم والشعوب ذات أهمية كبيرة تختلف كثيرا عن بقاع الأرض، ولهذا تميز الصراع على فلسطين ليشكل منعطفا هاما عبر التاريخ فتعرض المكان لحشودات واحتلالات وغزو متواصل من أمم كثيرة عبر الأزمان، حيث خضعت هذه الأرض المباركة لاحتلال الرومان لها وكذلك الكلدانيين والأدوميين والموآبيين والبابليين والصليبيين واليهود فكانت حلقة صراع عبر التاريخ.

ولقد كان الفتح الإسلامي لهذه البلاد المباركة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرحلة جديدة تلاها تحرير مؤزر من قبل القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي بعد احتلال الصليبيين لها.

وأصبح التيار الإسلامي جزءاً من المرحلة الجديدة لأن هناك ارتباطا عقديا ووجدانيا بين هذا التيار وهذه الأرض، حيث يعتبر هذا التيار أن الصراع عليها ليس سياسيا يتعلق بحدود أو مصالح إستراتيجية وإنما هو صراع حضاري وتاريخي يرتبط بالأجيال.

١- بيت المقدس وما حوله في ضوء السياسية الشرعية، محمد عثمان شبير، مكتبة الفلاح - الكويت، ط١،

١٩٨٦م ص١٤، ١٩

٢- الاسراء: الآية (١).

في هذا المبحث سأعرض لفلسطين بالوصف والتحليل، لأهميتها ومكانتها في الإسلام مستدلاً على ذلك بالعديد من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي يستشف منها بكل وضوح وصايا النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالرباط والمرابطة على هذه الأرض المباركة.

وامتداداً إلى جذور المد الإسلامي عليها كان لا بد من الحديث عن انتشار الصحوّة الإسلامية في فلسطين وانتشار حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا والتي اهتمت في نشاطاتها وأدبياتها وعملها الميداني بفلسطين التي كانت تخضع للاحتلال البريطاني، وسأعرض للدور الميداني العملي لهذه الحركة على الصعيد الدعوي والسياسي والجهادي أيضاً من خلال الرجوع إلى المصادر الهامة المتعلقة بخصوصية القضية والمكان.

ولأن الامتداد الجهادي والسياسي والدعوي لهذه الحركة استمر تجاه القضية الفلسطينية فكان لا بد من الحديث عن جذور حركة المقاومة الإسلامية حماس التي تعتبر امتداداً تاريخياً وفكرياً لحركة الإخوان المسلمين، هذه الحركة التي شكلت ذراعاً قوياً سياسياً وعسكرياً على الساحة الفلسطينية مزج ما بين القرآن والبندقية ولتطور أمرها فتصبح جزءاً من الحالة الفلسطينية تشارك مشاركة رئيسة وفاعلة في كافة الانتفاضات التي تفجرت في ساحات الأرض المباركة.

حضور حماس السياسي والجهادي والدعوي فرض علينا أن نناقش أبجديات هذه الحركة من كل أطرافها عرضاً وتحليلاً لخطابها السياسي والفكري والثقافي وال جماهيري وكذلك الجهادي من خلال استعراض المواقف واستنباط الآراء ومناقشة الحثثات المتعلقة بالصراع.

في هذا المبحث أيضاً كان لا بد من عرض مواقف الحركات الإسلامية الأخرى وبعض التيارات العاملة على الساحة من الصراع القائم في فلسطين ودور هذه الحركات وموقفها مما يجري بدراسة ونقد لبعض المواقف التي لا يربطها بفلسطين المباركة إلا الاسم والتتظير بعيداً عن الممارسة الفاعلة والاهتمام الحقيقي متذرعين في ذلك بوجهات نظر سياسية أو فقهية.

إن فلسطين المباركة وقضيتها وجذورها الإسلامية تفرض نفسها على طبيعة الصراع القائم ليس على صعيد الساحة الفلسطينية فحسب وإنما على صعيد الساحة العربية والإسلامية والدولية أيضاً، خاصة بعد احتلالها من العدو الصهيوني الذي شكل سرطاناً قاتلاً انعكس على كل المنطقة، سواء كان ذلك من خلال السيطرة العسكرية على المنطقة أم من خلال سعيه إلى التغلغل في عالمنا العربي والإسلامي من خلال التطبيع.

المطلب الأول: مكانة فلسطين في الإسلام

إن اختيار فلسطين في القرآن الكريم لتكون أرضاً مقدسة على لسان نبي الله موسى عليه السلام يؤكد بأن هناك أرضاً مقدسة وأخرى غير ذلك حيث يقول الله سبحانه وتعالى: "يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ"^١. وإضافة إلى أنها أرض مقدسة فهي أرض مباركة، قال الله تعالى: "وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"^٢، وقد ورد الحديث عن هذه البركة في خطاب القرآن الكريم لسيدنا سليمان عليه السلام: "وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"^٣.

وقد وصف المفسرون بركة فلسطين وبيت المقدس بأنها ليست معنوية فحسب وإنما هي بركة حسية أيضاً، لما فيها من خيرات وأرزاق وافرة كما أورد ذلك الشيخ محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير حيث قال: "أي الذي باركنا ما حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية، بالثمار والأنهار التي خص الله بها بلاد الشام وبكونه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار"^٤. واعتبر ابن كثير أن هذه البركة شمولية خاصة ببلاد الشام كلها كما اعتبر ابن عباس أن القرى التي باركها الله هي في بيت المقدس^٥، وقد أكد نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم أهمية المسجد الأقصى، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد الأقصى"^٦. وهذه الأحاديث النبوية تشكل دفعة قوية لمئات الملايين من البشر أن يتوجهوا صوب المسجد الأقصى للصلاة فيه والتبرك من المكان، وإن كان محتلاً أن يحرروه.

^١ - المائدة: ٢١

^٢ - الانبياء: ٧١

^٣ - الانبياء: ١٨

^٤ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م، ج٢، ص ١٥١.

^٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط، ١٩٦٩، ص ١٤٨.

^٦ - نفس المرجع، ص ٥٣٣.

^٧ - حديث صحيح رواه البخاري (صحيح البخاري بحاشية السندي، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت، المجلد الأول، ص ٢٠٦) ومسلم في صحيحه (صحيح مسلم مع النووي، دار البحوث العلمية، الرياض ١٩٨٠، المجلد ٩ ص ١٦٨) والامام أحمد في مسنده (مسند الإمام أحمد، دار صادر - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٣، المجلد الثالث، ص ٢٣٤).

وتتجلى عظمة هذه الأرض ببسط الملائكة أجنحتها على فلسطين حيث ورد في الحديث الصحيح الذي رواه زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "طوبى للشام، قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: "إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه"^١، وكذلك فهي أرض المحشر والمنشر كما روى الإمام أحمد رضي الله عنه بسنده عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال: "أرض المحشر والمنشر"^٢.

وتوالت الأحاديث النبوية في أهمية المكان وقديسيته حيث أكد نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم أن الشام وبيت المقدس وما حولها هي عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن، فعن سلمة ابن نفيل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عقر دار الإسلام بالشام"^٣ فيما روى عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنى رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وصادتي، فنظرت فإذا نور ساطع عمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتنة بالشام"^٤.

وتسمو هذه المكانة لبيت المقدس أكثر فأكثر، حيث يؤكد رسولنا صلى الله عليه وسلم أن من يسكن من أبناء الأمة الإسلامية بيت المقدس فهو في رباط هو وذريته إلى يوم القيامة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط واحتل منها ثغرا من الثغور فهو في جهاد"^٥ كما أن الطائفة المنصورة الثابتة على الحق تسكن الشام وخصوصا بيت المقدس كما ورد في حديث أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله: أين هم؟ قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"^٦.

وهكذا تتجلى مكانة بيت المقدس وفلسطين في الإسلام حيث شهدت هذه الأرض المباركة جل أحداث التاريخ الإسلامي، فقد رُوِّيت سهولها وبقاعها بدماء الصحابة الزكية الطاهرة ومن جاء

^١ - حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد (مسند الإمام أحمد، دار صادر - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ المجلد الخامس ص ١٨٤-١٨٥).

^٢ - حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ١٠، ص ٤٦٣.

^٣ - حديث صحيح رواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن الهيثمي " ٨٠٧"، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٥، ج ١٠ ص ٦٠).

^٤ - حديث صحيح أخرجه الحاكم وأبو نعيم في الحلية، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، (مجمع الزوائد للهيثمي، ج ١٠ ص ٥٧).

^٥ - رواه الطبراني (مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٦٠).

^٦ - رواه أحمد (مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٢٦٩).

من بعدهم من التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، هذه الأرض التي احتضنت بين جبالها ووهادها غزوة مؤتة ومعركة اليرموك وأجنادين وحطين وعين جالوت، فاختلفت دماء الصحابة بثراها الطاهر.

انعكس هذا التاريخ المشرق لهذه الأرض المباركة على الأجيال المسلمة التي أصبحت تتعامل مع فلسطين وقضيتها بخصوصية، وتسابق دعاة الأفكار والنظريات والحركات للالتصاق بالقضية والدفاع عنها كي يكتسبوا شيئاً من المصداقية في الشارع العربي والإسلامي.

وقد شهدت حركة التدافع الفكري والأيدولوجي والثقافي في المنطقة صراعاً بين فكرتين، الفكرة المادية العلمانية القومية والفكرة الإسلامية، وانتقلت حركة التدافع لهذه الأفكار داخل الساحة الفلسطينية، فنشأت فصائل وتنظيمات وحركات تدعو إلى تحرير فلسطين في إطار توجهات سياسية معينة فيما برز التيار الإسلامي الذي ربط القضية بالعمق الإسلامي معتبراً أن إسلامية القضية تنبع من عقيدة الصراع وأهمية المكان وقداسية الأرض نفسها التي تعتبر مباركة إضافة إلى كونها أرض وقف إسلامي لا يجوز لأحد من أمة الإسلام أو العرب أن يفرط بذرة من ترابها.

وتعتبر جماعة الإخوان المسلمين من أقدم الجماعات التي تعاملت مع القضية بعمقها العربي والإسلامي حيث الحشد الإسلامي العام والإعداد التربوي والأيدولوجي الذي جذر جيل الصحوة الإسلامية على مفاهيم فقهية تحرم التفريط بهذه الأرض.

لقد خاض الإخوان المسلمون حركة توعية وتوجيه نحو الاهتمام بفلسطين انتهت بإرسال كتائب من المتطوعين من طلبة الجامعات والمعاهد شاركوا مشاركة فاعلة في الجهاد على أرضها عام ١٩٤٨م، وتطورت المقاومة الإسلامية عبر السنوات في فلسطين وانتهت بتطور منظم من خلال مقاومة جهادية مسلحة تجسدت في حركة المقاومة الإسلامية حماس التي قدمت آلاف الشهداء في سبيل الله دفاعاً عن القضية.

المطلب الثاني: الإخوان المسلمون في فلسطين ودورهم التاريخي

تمهيد:

نشأت جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨م بعد أربع سنوات فقط من الإعلان الرسمي لهدم الخلافة الإسلامية، جاءت هذه النشأة استجابة لمتطلبات المرحلة التي خلفت فراغا إسلاميا في المنطقة كلها، ولهذا كان التجاوب السريع من قبل جماهير المنطقة العربية والإسلامية لهذه النشأة وبدأت جماعة الإخوان المسلمين بسرعة فائقة في استقطاب آلاف الذين يريدون إعادة الخلافة الإسلامية ورفض الأنظمة البديلة.

شكلت فلسطين ركناً هاماً في أجندة الإخوان المسلمين وقد ظهر ذلك في نشراتهم وأدبياتهم وصحفهم "حيث يعتقد الإخوان أن فلسطين بالنسبة لهم جزء من العقيدة الإسلامية وأن أرضها وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، ويرى الإخوان أيضاً أنه لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جداً منها، ولذلك فهي ليست ملكاً للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعاً وعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عملياً في تقديم المال والدم للدفاع عنها"^١.

قال الشيخ حسن البنا في معرض حديثه عن فلسطين وأهمية قضيتها: "إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى، عندما قام الفلسطينيون يحسنون من جديد صناعة الموت وعندما سرى هذا التيار من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها"^٢.

ويخاطب الشيخ البنا أهل فلسطين قائلاً: "أيها الفلسطينيون لو لم يكن لكم نتائج لثورتكم إلا أنكم كسفتُم غشاوات الزلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما في صناعة الموت من لذة وجمال وروعة وربح لكنتم الفائزين"^٣.

وحول الحديث عن الدور العملي للإخوان المسلمين في القضية الفلسطينية كان لا بد من الإشارة إلى النقاط التالية:

* النقطة الأولى: العمل السياسي والدعوي لدعم القضية

تطور نهج الإخوان المسلمين من واقع النظرية والحديث في المساجد والخطب والصحف لدعم القضية الفلسطينية إلى الواقع العملي الفعلي تجاه القضية، حيث كانت أول علاقة للإخوان المسلمين -الأم- بفلسطين " عام ١٩٣٥ عندما زار عبد الرحمن البنا - شقيق الشيخ حسن البنا -

^١ - تصور الإخوان المسلمون للقضية الفلسطينية، الدكتور عبد الفتاح العويس، دار التوزيع والنشر الإسلامية،

القاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص٢٨-٢٩.

^٢ - المرجع السابق، ص ٣٧.

^٣ - المرجع السابق، ص ٣٨.

فلسطين والتقى بالحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في ذلك الوقت، إضافة إلى أن الإخوان المسلمين وأثناء ثورة عام ١٩٣٦م في فلسطين قاموا بأعمال الدعاية لدعم القضية والاحتجاج على بريطانيا، حيث جرى تشكيل لجنة باسم (اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين) برئاسة الشيخ حسن البنا^١.

وقد قام الشيخ حسن البنا بالمساهمة في رفد ثورة القسام عام ١٩٣٦م بالسلاح والخبرات فقد "أرسل مجموعة من شباب الإخوان مع المجاهد الضابط (محمود عبده) للمساهمة في تدريب جماعة القسام، ولما قامت ثورة عام ١٩٣٦م أخذ الإخوان يمولون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح، حيث كان المجاهد يوسف طلعت يقوم بمهمة توصيل الأسلحة إلى الثوار، وكثيراً ما كان يقوم بتهريبها بنفسه عن طريق الإسماعيلية وسيناء"^٢.

لقد ظلم هذا الجهد الإخواني في التاريخ، ولم يلتفت إليه الكثير من الباحثين، مع أن أعداء الأمة يقرون به ويعترفون وخاصة الصهاينة والغربيون.

واستمراراً في العطاء لفلسطين، فقد جند الشيخ حسن البنا صهره الدكتور سعيد رمضان داعياً للقضية الفلسطينية بآلية جديدة، حيث جاب آفاق الدنيا معرّفاً بأهميتها "فاستقطب للقضية الفلسطينية جهابذة الفكر والسياسة في العالم الإسلامي"^٣ وبعد اغتيال الشيخ البنا استمر الدكتور سعيد رمضان في عطائه " فقام بتأسيس المؤتمر الإسلامي العام لإنقاذ بيت المقدس في شهر نيسان من عام ١٩٥٣ وعقد عدة دورات له في القدس ودمشق، شارك فيها مشاهير الساسة والدعاة وكان من بين الذين شاركوا في تلك اللقاءات: نواب صفوي من إيران وأمجد الزهاوي من العراق وعلال الفاسي من المغرب ومحيي الدين القليب من تونس ومحمد ناصر من اندونيسيا والفضيل الورثلاني وسيد قطب وعلي الطنطاوي وغيرهم كثير"^٤، شكل هذا المؤتمر نقلة نوعية للقضية، فأصبحت مثار اهتمام المسلمين جميعاً، وباتت تتناقش أبجديات القضية في مساجد العالم الإسلامي في الشرق والغرب، وأصبحت الموضوع الرئيس للخطباء والدعاة والمدرسين.

^١ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، الدكتور زياد ابو عمرو، (ط١، ١٩٨٩م، دار الاسوار - عكا، ص ١٩)

^٢ - شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني (١٩٢٠-١٩٣٩)، (حسني أدهم جرار، دار الفرقان - عمان، ط١، ١٩٩٣م، ص ١٦٣)

^٣ - المؤتمر الإسلامي العام في بيت المقدس، الدكتور عبد الفتاح العويسي، (دار الحسن لطباعة والنشر - الخليل الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ص ٢١)

^٤ - المرجع السابق ص ٢٢

النقطة الثانية: تأسيس دور الإخوان في فلسطين

لقد اختلف الباحثون حول التاريخ الدقيق لتأسيس أول فرع للإخوان المسلمين في فلسطين، إلا أن الدكتور زياد أبو عمرو يقول: "إلا أن أول فرع أسس في القدس في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٤٥م"^١ فيما يرى الباحث الفلسطيني الدكتور محسن صالح "أن فرع القدس تأسس في ٥ أيار ١٩٤٦م لكنه يشير إلى أن فرع غزة أسس قبل فرع القدس"^٢ ، ويلتقي خالد الحروب في كتابه حماس الفكر والممارسة مع محسن صالح تقريبا فيؤكد " أن افتتاح فرع القدس كان في ٦ أيار ١٩٤٦م، وقد ثبت في قائمة الملاحق برنامج احتفال الفرع المكون من اثنتي عشرة فقرة"^٣، فيما يؤكد الباحث الدكتور اسحق موسى كاظم الحسيني، "أن فروع فلسطين تأسست سنة ١٩٤٦م أي بعد فروع سوريا بنحو عشر سنوات، وقد حضر (عبد المعز عبد الستار) مندوبا عن الإمام البناء، افتتاح دار الإخوان في القدس يوم ١٩٤٦/٥/٥م، هذا الحفل الذي حضره ما يزيد على ألفي شخص، وتكلم فيه جمال الحسيني نائب رئيس اللجنة العربية العليا وقال أنه تمنى منذ تسع سنوات أن تنتشر دعوة الإخوان في فلسطين وأن أمنيته قد تحققت وأعلن انضمامه للإخوان المسلمين وحمل على صدره شعارهم"^٤ ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى مصداقية حركة الإخوان في الشارع الفلسطيني ما قبل النكبة الكبرى.

ويضيف الدكتور موسى الحسيني "أنه بعد انتهاء الاحتفال جمع مبلغ ١٨٧١ جنيها فلسطينيا، لبناء دار الإخوان، ثم ارتفع المبلغ إلى ٦٠٠٠ جنيها فلسطيني، واستطاع فرع القدس أن يستملك قطعة أرض من الأوقاف الإسلامية ليقيم عليها الدار وقد أقيمت"^٥.

واستمر تأسيس وافتتاح دور الإخوان المسلمين في فلسطين، لتباشر عملها على الساحة الفلسطينية ضمن مرجعيتها لمكتب الإرشاد في القاهرة، " وقد كان أول فرع للإخوان في غزة برئاسة الحاج ظافر الشوا، ثم تم تأسيس فرع في يافا برئاسة ظافر الدجاني، وقد أنشئ فرع في حيفا برئاسة الشيخ عبد الرحمن مراد وتتابع إنشاء الفروع في قلقيلية واللد ونابلس والخليل والمجدل حتى زاد عدد الفروع عن عشرين فرعاً"^٦.

^١ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، د. زياد أبو عمرو، ص ٦

^٢ - الطريق إلى القدس، د.محسن صالح، ص ١٨٠

^٣ - حماس الفكر والممارسة، خالد الحروب، ص

^٤ - الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، د.موسى كاظم الحسيني، دار بيروت للنشر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م ص ١٤٤-١٤٥

^٥ - نفس المرجع، ص ١٥٥

^٦ - الطريق إلى القدس، الدكتور محسن صالح، منشورات فلسطينية المسلمة - لندن، ١٩٩٥م، ط ١، ص ١٨٠.

وقد عقد الإخوان المسلمون عدة مؤتمرات كانت تهدف إلى شحذ الهمم لحماية فلسطين والدفاع عنها ولعل من أبرز هذه المؤتمرات مؤتمر الإخوان المسلمين في حيفا والذي عقد في ٢٧ تشرين أول ١٩٤٧م حيث اتخذ قرارات حاسمة هامة كانت على النحو الآتي:

"يعلن الإخوان المسلمون تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل.

يعلن المؤتمر باسم هيئة الإخوان المسلمين في سائر الأقطار الممثلة استتكارهم لكل محاولة تغل العرب والمسلمين بتحقيق الأهداف الوطنية عن طريق مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة بعد أن أسفرت المحاولات الكثيرة عن حقيقة هذه المنظمات الدولية وأنها ليست إلا ثوبا خالصا لمطامع الدول الكبرى المستعمرة.

يعلن المؤتمر أن هيئة الإخوان المسلمين ستحمل نصيبها كاملا من تكاليف النضال.

مطالبة المكتب الإداري بعقد اجتماع سريع لفرق الجواله في شعب فلسطين لاختيار مراقب عام يشرف على شؤونها والإشراف الدقيق عليها.

يعلن المؤتمر تعميم نظام الأسر في جميع فلسطين وان المندوب الذي اختاره المكتب الإداري في فلسطين يزاوّل هذه المهمة فعلا وعلى الإخوان أن يكونوا عوناً في تنفيذ القانون العام.

يعلن مندوبو الإخوان المسلمين في شرق الأردن أنهم على استعداد كامل لحمل نصيبهم في تحرير فلسطين.

يحيي المؤتمر أصحاب الجلالة والفضامة والسمو ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم وحكوماتهم والهيئة العربية العليا وفضيلة المرشد العام ويشكر لهم اهتمامهم بأداء الواجب المقدس ويسال الله تعالى أن يوفقهم إلى خير الإسلام والعروبة وان يجعلهم دائماً أهلاً للآمال المعقّدة عليهم.^١

وقبيل الحرب أي عام ١٩٤٧م، نشط تنظيم الإخوان في حملات التعبئة والإعداد الشعبي للجهاد والدعاية ضد اليهود وقد ورد ذلك في الرواية الرسمية الإسرائيلية للحرب، التي أشارت إلى " التحريض في المساجد والاجتماعات التي قام بها الإخوان المسلمون، معرفين هذه الحركة بأنها منظمة دينية قومية متطرفة أصلها في مصر..^٢

وقد شكلت الأعوام الثلاثة التي سبقت حرب عام ١٩٤٨م فترة خصيبة من نشاط الإخوان المسلمين الفلسطينيين وساعدهم في ذلك سرعة انتشارهم وتوسعهم التنظيمي المعروف إلى عوامل

^١ - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨م، بيان نويهض الحوت، بيروت: مؤسسة الدار الفلسطينية ١٩٨٦م، ص ٧٩٤

^٢ - حرب فلسطين (١٩٤٧ - ١٩٤٨)، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة عن العبرية أحمد خليفة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦م، ص ٤.

عدة، منها " تزايد الاحترام والتقدير الشعبي لمواقف الإخوان في مصر في دعم القضية الفلسطينية ومناصرتها، ولكون الأفكار التي طرحها الإخوان كانت تلتقي بصورة عامة مع الوعي الديني والاجتماعي السائد، فضلا عن أن الحركة الوطنية الفلسطينية كانت ذات سمات دينية واضحة " ^١. " وقد حرص الإخوان المسلمون في فلسطين إبان مرحلة التأسيس، في منتصف الأربعينات، على جذب عناصر من الوجهاء ومن العلماء ذوي المكانة إلى صفوفهم معتمدين بذلك نهجا اتبعه المرشد المؤسس الشيخ حسن البنا" ^٢.

وقد استغل شباب الإخوان دورهم المنتشرة في مدن وقرى فلسطين، " كمكاتب ومقرات للعمل من أجل القضية الفلسطينية، والتحضير للجهاد في فلسطين " ^٣. إلا أن الدكتور زياد أبو عمرو يرى: "أن العلاقة ما بين الإخوان والمفتي ساعدت الجماعة في نشر نفوذها" ^٤، بالإضافة إلى المشاركة العملية في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م.

* النقطة الثالثة: جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٨م

ساهم الإخوان في حرب فلسطين إبان النكبة الأولى مساهمة ميدانية فاعلة، فقد "أرسلوا ثلاث كتائب من المتطوعين كانت أغلبية أعضائها من الإخوان وعلى رأس هذه الكتائب كل من البكباشي أحمد عبد العزيز والبكباشي عبد الجواد طباله واليوزباشي محمود عبده، كما قام إخوان الأردن بإرسال قوة بقيادة عبد اللطيف أبو قورة مرشد الإخوان بالأردن، ومن سوريا تم إرسال قوة بقيادة الدكتور مصطفى السباعي مرشد الإخوان في سوريا، ووصل عدد المتطوعين من الإخوان المسلمين من مصر وسوريا والأردن إلى أربعمائة وواحد وسبعين متطوعا " ^٥. وكانت الكتيبة الأولى للإخوان المسلمين " قد وصلت معسكر البريج في قطاع غزة في ١٦/٥/١٩٤٨م لتقوم بدورها في معارك كفار داروم" ^٦.

وخلال مشاركة الإخوان المسلمين في معارك فلسطين، فقد كانوا مثال البطولة والشجاعة، فقد وصفت مجلة الإخوان صورة الجنود من متطوعي الإخوان للجهاد في فلسطين فتقول: "أن قلوبهم تسبقهم إلى أرض الميدان وتتحرق إلى لقاء العدو عزائمهم، كانوا يتنقلون منذ أيام قلائل

^١ - حماس الفكر والممارسة، خالد الحروب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص١٥.

^٢ - الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية (١٩٥٠-١٩٨٠)، د. بشير موسى نافع، مركز فلسطين للدراسات والبحوث - غزة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ١٣

^٣ - الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، د. موسى الحسيني، ص ١٤٥

^٤ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، زياد أبو عمر، ص ٢١.

^٥ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، زياد أبو عمرو، ص ٢٤

^٦ - العالم والمجاهد والشهيد الشيخ عبد الله عزام، د. بشير أبو رمان وعبد الله السعيد، الطبعة الأولى ١٩٩٠م،

بين مصلى المركز العام للإخوان وحجرات الدار ينقلون متاعهم، متاع المجاهد لا متاع القاعد، وهم في فرحة المؤمن ويقظة المدرك لمهمته".^١

كثيرة هي الأحزاب والجماعات العربية والإسلامية في تلك الفترة، لكنها لم تشارك في الذود عن حياض فلسطين، فكان الإخوان هم الوحيدون الذين شاركوا في المعركة، حيث يشير الكاتب محمود عبد الحليم مؤرخ الإخوان في العصر الحديث فيقول: "كان الإخوان المسلمون أول من زحف إلى أداء واجب الدفاع عن هذه الأرض المقدسة، لقد كان تطوعهم للدفاع عن فلسطين واستبسالهم في الذود عنها قد اظهر للعالم بطولات قلما يوجد الزمن بمثلها وأصبحت حديث الأعداء قبل الأصدقاء".^٢

ويصف الباحث الفلسطيني حسني أدهم جرار بطولات الإخوان في معارك عام ١٩٤٨م فيقول: " انتهر اليهود فرصة الهدنة وفاجأوا القوات المصرية بهجوم عنيف على التبة ٨٦ في منطقة دير البلح مساء يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨م وقاموا بالاستيلاء عليها، قبيل فجر ٢٣ ديسمبر اتصلت قيادة القوات المصرية بالأستاذ كامل الشريف قائد معسكرات الإخوان المسلمين في البريج بالقرب من دير البلح، وطلب منه التوجه فوراً إلى قيادة القطاع ومعه كل ما يمكن حشده من مقاتلي الإخوان حيث كان تحت إمرته أربع فصائل وبمجرد وصول قوة الإخوان إلى دير البلح تقدم حسن دوح قائد قوة الإخوان إلي قائد القطاع العسكري ليتلقى الأوامر.. و بدأت معركة استرداد التبة ٨٦ من أيدي اليهود الساعة السادسة من صباح ٢٣ ديسمبر، وفي الساعة العاشرة والنصف بدأ الإخوان المسلمون في اقتحام التبة من خلال مجموعتين من الإخوان، وتم السيطرة الكاملة على التبة ٨٦، حيث خلفت المعركة ٥٠٠ قتيل من اليهود، واستشهد اثنين من مجاهدي الإخوان هما: الطالب الأزهري عبد الحميد خطاب والمجاهد سيد منصور وجرح البعض الآخر".^٣

وللتأكيد على هذه البطولات المميزة لمتطوعي الإخوان، استشهد بشهادة قائد الجيش المصري اللواء أحمد علي المواوي القائد العام الأول لحملة فلسطين حيث قال: " لقد سبق متطوعو الإخوان القوات النظامية في دخولهم لفلسطين، وقد قام الجيش بالاستعانة بهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الأيمن وقد اشترك هؤلاء المتطوعون من الإخوان المسلمين في كثير من المواقع أثناء الحرب في فلسطين، فكانوا ينزعون الألغام التي زرعها اليهود تحت الأسلاك الشائكة ويستعملونها في تلغيم

^١ - صحافة الإخوان المسلمين دراسة في النشأة والمضمون، د. شعيب الغباشي، (دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م ص ٣٦٠).

^٢ - الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل ، (دار الدعوة، الإسكندرية، ط ١ - ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤٣٦).

^٣ - نكبة فلسطين عام ١٩٤٧-١٩٤٨م مؤامرة وتضحيات، حسني أدهم جرار، (دار الفرقان - عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ٤٣٢-٤٣٥).

الطرق الموصلة إلى المستعمرات اليهودية، لقد استرد متطوعو الإخوان بلدة (عصلاج) من اليهود رغم أن القوة التي استردتها كانت قوة صغيرة.. وأضاف اللواء الموالي في شهادته: إن الإخوان شاركوا في حرب فلسطين بعشرة آلاف متطوع^١.

كان الإخوان المسلمون الذين شاركوا في الحرب يدركون أن المعركة التي تجري مع اليهود ليست معركة حقيقية وإنما هي حرب تحريك وإسكات للجماهير الهادرة التي تطالب العرب بحماية فلسطين، ولهذا كانت القيادة الواعية في كتائب الإخوان تشعر أن جيش الإنقاذ صُنع لإنهاء القضية.

فقد أكد الدكتور مصطفى السباعي قائد كتائب المتطوعين من الإخوان المسلمين السوريين على هذه الحقيقة فقال: " إن جيش الإنقاذ الذي فتحه الجامعة العربية ووكلت قيادته إلى فوزي القاوقجي، لم يكن إلا تسكيناً لشعور العرب الهائج في كل بلد، وأنه لم يكن يقصد منه جدياً أن يقاتل ويمنع سقوط المدن والقرى العربية بأيدي اليهود، إن جيش الإنقاذ كانت مهمته تحطيم منظمة (الجهاد المقدس) التي انخرط فيها شباب فلسطين حيث أبدوا من البطولات ما سجله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار وكان قائدها الشهيد عبد القادر الحسيني الذي حاول أن يحصل من الجامعة العربية على قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه، وقال للجامعة العربية: إنني ذاهب إلى فلسطين لاسترداد القسطل وسأموت ولن أترك بلادي فلسطين طعمة للأعداء^١."

هذه الأحداث تؤكد تقاني شباب الإخوان تجاه فلسطين، وبذل أرواحهم رخيصة في سبيل الله من أجل الدفاع المتواصل عنها، ورغم هذا العطاء المميز إلا أن المؤامرة حيكت ضد مجاهدي الإخوان في فلسطين وتم اعتقالهم بدلاً من مكافئتهم.

يقول المؤرخ الإخواني عباس السيسي: " كان الثبات في ميادين القتال من جانب المتطوعين من الإخوان المسلمون لا يحقق أغراض الحكام الذين يمهدون للانسحاب ويسعون للهدنة والاستسلام، حرصاً على مقاعد الحكم، فتمادوا في غدرهم بالمتطوعين والتآمر على الإخوان المسلمين، فقتلوا زعيمهم الشيخ حسن البنا بيد عملاء حكام مصر، ثم أصدروا أوامره باعتقال المتطوعين المجاهدين وتجريدتهم من سلاحهم ونقلهم من ميادين الجهاد والقتال في فلسطين إلى السجون والمعتقلات في مصر، وتمت المأساة عندما وقع حكام مصر الهدنة مع الصهاينة المعتدين في عام ١٩٤٩م بينما كان الفدائيون المتطوعون من الإخوان المسلمين داخل السجون والمعتقلات التي أعدها حكام مصر^٢، لهذا كان هذا النهج التصفوي ضد المجاهدين كارثة في

^١ - عصلاج.. من الانتصارات الباهرة لكتائب الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٨م، يحيى عبد الحليم،

دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، ص ٢٤-٢٧

^١ - الإخوان المسلمون في فلسطين (الجهة المصرية والسورية)، كامل الشريف، د. مصطفى السباعي، دار

النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص ٣٤٨-٣٤٩

^٢ - الطريق إلى القدس، محسن صالح، ص ١٨٩

حق القضية والشعب الفلسطيني المحتل الذي كان ينتظر من العرب الكثير، فلم تكن الحرب بالنسبة للأنظمة العربية واقعية وإنما كانت شكلية وهمية، ورغم قمع الإخوان، استمر عطاؤهم من أجل القضية الفلسطينية وتواصلهم الجهادي والدعوي.

" ففي فترة الخمسينات وعلى الأرض الفلسطينية المباركة قام الإخوان في قطاع غزة بتبني وتشجيع التدريب العملي العسكري ضد الكيان الصهيوني وتحت إشراف الضابط الإخواني المصري عبد المنعم عبد الروؤف - احد ضباط ثورة يوليو ١٩٥٢ البارزين - الذي قام بدوره بتدريب الكثيرين، حيث قام هؤلاء المتدربون من الإخوان بزرع الألغام ضد وسائل النقل الصهيونية ونسف عدد من المنشآت وتخريب خطوط المياه والكهرباء فأسهمت هذه العمليات الإخوانية في إفشال مشروع توطين اللاجئين في سيناء الذي كانت قد وافقت عليه حكومة الثورة المصرية ^١.

ولاختتام الحديث عن مرحلة الجهاد الإخواني في فلسطين عام ١٩٤٨م أكتفي بشهادة للقائد الفلسطيني الفتحاوي صلاح خلف (أبو إياد) حيث قال: لقد أبلى الإخوان المسلمون بلاءاً حسناً في فلسطين عام ١٩٤٨م فكانوا مثال البطولة والشجاعة ولكنني أخالفهم من ناحية أيديولوجية لأنني علماني ^٢.

النقطة الرابعة: الإخوان ومعسكرات الشيوخ

شكلت ولادة حركة فتح التي كان أبرز مؤسسيها من الإخوان المسلمين ^٣ نقطة انطلاق نحو العمل الفدائي المقاوم للاحتلال الصهيوني، فقامت بافتتاح العديد من معسكرات التدريب في جبال وغور الأردن، وكانت المنظمات الفلسطينية التي أسست بعد نشأت حركة فتح قد أعدت هي أيضا العديد من المعسكرات، وفي ظل هذه الأجواء " ساهم الإخوان المسلمون تحت مظلة حركة فتح في معسكرات، عرفت باسم معسكرات الشيوخ والتي أسست عام ١٩٦٨م، واستمرت إلى عام ١٩٧٠م حيث انتهاء العمل الفدائي في الأردن ^٤.

وكانت قيادة الإخوان المسلمين قد أصدرت قراراً بفتح هذه المعسكرات لتدريب الإخوان ومؤيديهم فقد استفاد الإخوان من أجواء حرية العمل الفدائي والتأييد الشعبي الهائل لها، "حيث افتتح أول معسكر للشيوخ في منطقة العالوك (باتجاه طريق الزرقاء - السخنة) وتولى التدريب

^١ - المرجع السابق، ص ١٨٩.

^٢ - فلسطيني بلا هوية، صلاح خلف (أبو إياد)، دار بيسان للنشر - بيروت، ط٥، ١٩٨٧م ص ٤٧

^٣ - من القيادات الاخوانية التي شاركت في تأسيس حركة فتح: عبد الفتاح الحمود، يوسف عميره، سليمان حمد، خليل الوزير، سليم الزعنون، رفيق الننتشه، محمد يوسف النجار، ياسر عرفات، كمال عدوان، محمود عباس " ابو مازن " (انظر: مع الحركة الإسلامية في البلاد العربية، عبد الله ابو عزة، دار القلم - الكويت ط٢، ١٩٩٢م، ص ٧١، ٧٤، ٩١) الطريق إلى القدس، محسن صالح، ص ١٩١، ١٩٢

^٤ - الطريق الي القدس، ص ١٩٤.

في هذا المعسكر صلاح حسن وإبراهيم حسن، وعبد العزيز علي، وكان ينسق معهم من جهة الإخوان في الأردن الدكتور إسحق الفرحان وأبو بشير الزميلي، ومن الذين تدربوا في هذه المعسكرات الشيخ عبد الله عزام والدكتور أحمد نوفل وإبراهيم المشوخي والشيخ ذيب أنيس، إضافة إلى العديد من الشباب من دول عربية شقيقة، وقد بلغ عدد الذين تدربوا في هذه المعسكرات نحو ٢٥٠-٣٠٠ رجل من الإخوان المسلمين ومؤيديهم، بينما بلغ عدد القواعد التي فتحت سبع قواعد^١.

وقد ساهم الإخوان في هذه المرحلة في مقاومة الاحتلال وضرب مصالحه الحيوية، من خلال القيام ببعض العمليات العسكرية الهامة كعملية الحزام الأخضر، التي استشهد فيها عدد من المجاهدين^٢، هذه العمليات التي أثارت في وقعها الاحتلال من خلال جرأة تنفيذها وبسالتهن المميزة، مما جعل الاحتلال يرصدون معسكر العالوك، حيث قامت الطائرات الحربية الإسرائيلية بمهاجمته وقصفه بالصواريخ والرشاشات الثقيلة، غير أن جميع من كانوا فيه، كانوا خارج المخيم في الطابور الصباحي فلم يصب أحد بأذى^٣.

واستمر امتداد التيار الإسلامي على الساحة الفلسطينية بقيادة الإخوان المسلمين في منتصف السبعينات وخاصة على الصعيد الطلابي في الجامعات والمعاهد إضافة إلى تنامي تيار المؤسسات الإسلامية الخيرية ولجان العمل الأهلي الخيري التي انتشرت في كافة المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨م إضافة إلى حركة بناء المساجد، حيث سجل ارتفاع عدد بناء المساجد مؤشرا واضحا ومثيرا أمام سلطات الاحتلال التي بدأت تخشى صحوة المساجد إذ "ارتفع عدد المساجد من مائتي مسجد سنة ١٩٦٧م إلى أكثر من ستمائة مسجد عام ١٩٨٧م"^٤ وتنامي أيضا الإقبال على الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي، وبدأ قطاع الشباب والشابات المسلمات بإنشاء الفرق الإسلامية لتمارس فناً إسلامياً ملتزماً، حيث انتشرت ظاهرة الأعراس الإسلامية التي أصبحت منبرا للوعظ والتوجيه والسياسة متوازية مع المسرح والنشيد الإسلامي الحماسي.

ولعبت كليات الشريعة وأصول الدين والمعاهد الشرعية دوراً هاماً في رفق الصحوة الإسلامية بالجيل المتفقه والمتعلم، وأخص بالذكر كلية الشريعة الإسلامية في الخليل التي أصبحت نواة لجامعة الخليل فيما بعد، وكذلك كلية الدعوة وأصول الدين في القدس، إضافة إلى المعهد

^١ - نفس المرجع، ص ١٩٥

^٢ - مع الحركة الإسلامية في البلاد العربية، دكتور عبد الله ابو عزة، دار القلم - الكويت، الطبعة الثانية،

١٩٩٢م ص ١٤٠

^٣ - الطريق إلى القدس، ص ١٩٦

^٤ - الطريق إلى القدس، ص ١٩٧

الشرعي في قلقيلية والمعهد الشرعي في القدس، ومن ثم الجامعة الإسلامية في غزة، هذه المعاهد والكرليات لعبت دوراً هاماً في تنمية الصحوة الإسلامية.

كما كان للجان الزكاة ولجان التوعية الإسلامية ودور القرآن الكريم التي انتشرت في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية الأثر الكبير في الإقبال على الدين والعودة إلى الله وبروز التيار الإسلامي الفلسطيني.

وكان لامتداد الصحوة الإسلامية في المناطق الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م الأثر الكبير في الإقبال على الإسلام وعودة الآلاف من الشباب الذين طبعهم الاحتلال خلال العشرات من السنين عبر المؤسسات المختلطة وسياسة التهويد المبرمجة لتبدأ النهضة والصحوة من جديد من خلال زيارات وعلاقات ونشاطات إسلامية ميدانية بين مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة وبين الفلسطينيين في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م.

المطلب الثالث: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الجذور والنشأة

مرت حركة حماس خلال ولادتها ضمن ظروف متغيرة وعصيبة، فالاحتلال جاثم على الأراضي الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية مرهقة تبحث عن المفاوضات والسلام، والشعب منتفض يريد الحرية والاستقلال.

* تأسيس حماس:

بدأت مداولات العمل لتأسيس حركة مقاومة إسلامية في أكثر من جلسة تنظيمية للمكتب الإداري للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة "فقد اجتمع أعضاء هذا المكتب المكونين من سبعة وذلك في شهر أكتوبر تشرين الأول من عام ١٩٨٧م في مدينة الخليل وقد كان من بين الحضور المرحوم الأستاذ حسن القيق والمرحوم الأستاذ ناجي صبيحة وخمسة آخرين رفضت الحركة الكشف عن أسمائهم لدواعي أمنية، حيث قرروا تأسيس حركة المقاومة الإسلامية بعد نقاش طويل وصدر القرار بالأغلبية خمسة مؤيدون واثنان معارضان، لكن صيغة القرار كانت تقتضي بأن يترك قرار الإعلان الرسمي عن تأسيس الحركة للمكتب الإداري للإخوان في قطاع غزة في الظرف الذي يروونه مناسباً" لذلك جاءت الولادة الرسمية لحركة حماس "بعد اجتماع المكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة ظهيرة يوم ٩ كانون أول ١٩٨٧م في منزل متواضع في حي الزيتون بقطاع غزة، ودارت مداولات في الاجتماع حول حادثة المقطورة وما تسبب عنها من غليان شعبي وكان القرار التاريخي بدخول جماعة الإخوان المسلمين الميدان بكل قوتها وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية التي اختصرت بكلمة حماس"^١.

وقد حضر هذا الاجتماع الهام أعضاء المكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة والذين أصبحوا بدورهم أول نواة تأسيسية علنية لحماس وهم:

"الشيخ أحمد ياسين، الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، الشيخ صلاح شحادة، الأستاذ محمد حسن شمعة، المهندس عيسى النشار، الأستاذ عبد الفتاح دخان، والدكتور إبراهيم اليازوري، وتم الاتفاق على إصدار البيان الأول للحركة الذي وزع يومي (١١-١٢) كانون أول من عام ١٩٨٧م في قطاع غزة ويومي (١٤-١٥) من نفس الشهر في الضفة الغربية"^٢.

ولأهمية البيان الأول لحماس ومركزيته في موضوعنا ودوره في تقجير الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م أثبتته هنا بنصه الحرفي كما نشر والذي جاء على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

^١ - من مقابلة خاصة أجريت مع الدكتور عدنان مسوده يوم ٣٠/٩/٢٠٠٥م مع أحد القيادات الإخوانية الذي كان أحد المشاركين في عملية التأسيس الأولى.

^١ - أمير الفدائيين الشيخ صلاح شحادة، غسان دوعر، ص ٤٨

^٢ - حماس الفكر والممارسة، خالد الحروب، ص ٤٤

"يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"¹.

يا جماهيرنا المرابطة المسلمة:

أنتم اليوم على موعد مع قدر الله سبحانه النافذ في اليهود وأعوانهم.. بل أنتم جزء من هذا القدر الذي سيقُتل جذور كيانه إن آجلاً أم عاجلاً بإذن الله سبحانه وتعالى.

إن مئات الجرحى وعشرات الشهداء الذين قدموا أرواحهم خلال أسبوع في سبيل الله من أجل عزة أمتهم وكرامتها، ومن أجل استعادة حقنا في وطننا رفعا لراية الله في الأرض، لهي تعبير صادق عن روح التضحية والفداء التي يتمتع بها شعبنا والذي أقض مضاجع الصهاينة وزلزل كيانه، والذي أثبت للعالم أن شعباً يطلب الموت لا يمكن أن يموت.

لا بد أن يفهم اليهود برغم قيودهم وسجونهم ومعتقلاتهم.. برغم المعاناة التي يعانيها شعبنا في ظل احتلالهم المجرم.. برغم شلالات الدماء التي تنزف كل يوم.. برغم الجراح فان شعبنا أقدر منهم على الصبر والثبات في وجه طغيانهم وخطرستهم حتى يعلموا أن سياسة العنف ستقابل بأشد منها من أبنائنا وشبابنا لأنهم يعيشون جنات الخلد أشد مما يعيش أعداؤنا الحياة الدنيا.

لقد جاءت انتفاضة شعبنا المربط في الأرض المحتلة رفضاً لكل الاحتلال وضغوطاته.. رفضاً لسياسة انتزاع الأراضي وغرس المستوطنات.. رفضاً لسياسة القهر من الصهاينة.. جاءت لتوقظ ضمائر اللاهثين وراء السلام الهزيل.. وراء المؤتمرات الدولية الفارغة.. وراء مصالحات جانبية خائنة على طريق كامب ديفد.. وأن يتيقنوا أن الإسلام هو الحل وهو البديل.

ألا فليعلم المستوطنون المستهترون أن شعبنا عرف ويعرف طريقه - طريق الاستشهاد وطريق التضحية، وأن شعبنا جواد كريم في هذا الميدان، ولن تجديهم سياسة العسكريين والمستوطنين وستتخطم كل محاولاتهم لإذابة شعبنا برغم رصاصهم وبرغم عملائهم وبرغم مخازيهم.. وليعلموا أن العنف لا يولد إلا العنف وأن القتل لا يورث إلا القتل.

وصدق القائل: "وأنا الغريق فما خوفي من البلل".

وللصهاينة المجرمين:

ارفعوا أيديكم عن شعبنا - عن مدننا - عن مخيماتنا - عن قرانا، معركتنا معكم معركة عقيدة ووجود وحياة.

وليعلم العالم أن اليهود يرتكبون الجرائم النازية ضد شعبنا، وأنهم سيشربون من نفس الكأس.

"ولتعلمن نبأه بعد حين"

حركة المقاومة الإسلامية

١٤ / ١٢ / ١٩٨٧م¹

¹ - آل عمران: ١٢٠

وكان لانطلاقة حماس الأثر الكبير في تفعيل الانتفاضة وإبراز الوجه الإسلامي في معركة المواجهة مع اليهود، إذ تطور خطاب المعركة والمواجهة، من خطاب قومي علماني، إلى خطاب إسلامي ديني، بجانب البندقية، وبدأ الوجه الإسلامي في الانتفاضة من خلال الشعارات والهتافات والبيانات والملصقات التي زينت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعارات الإسلامية المؤثرة.

* ميثاق حماس:

تطور جهد حماس، وزاد نشاطها وتفاعلها مع جماهير الشعب الفلسطيني الثائر وفصائله المقاومة في الميدان، فأصبحت بحاجة إلى قانون وميثاق يعرض وجهة نظرها، وينظم علاقاتها، فكان صدور ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس " في ١ محرم ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٨ آب ١٩٨٨ م^٢ والذي ضم في صفحاته كافة آراء وتصورات الحركة وموقفها السياسي والعسكري والأيدولوجي من القضية.

وقد أكدت حماس في ميثاقها على هذا الامتداد، فقد جاء في المادة الثانية من الباب الأول للميثاق: "إن حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين وحركة الإخوان تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق"^٣.

"كما تعتبر الحركة أن الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان وإليه تحتكم في كل تصرفاتها ومنه تستلهم ترشيدها أخطائها" وتعتمد الحركة أيضا في عمقها وبنيتها الأساسية على المسلمين الذين أعطوا ولاءهم لله فعبدوه حق عبادته وعرفوا واجبه تجاه أنفسهم وأهلهم ووطنهم^٤.

باتخاذ حركة حماس الإسلام منهج حياة لها فان عمقها وبعدها الزماني والمكاني يمتد إلى مولد الرسالة الإسلامية والسلف الصالح^٥.

وقد أكدت حماس في مقدمة ميثاقها حول أهداف انطلاقتها أنها فكرة نضجت ونمت على أرض الواقع بعيدا عن العاطفة المؤقتة والتسرع المذموم مشيرة إلى عمقها الإسلامي وحاجتها إلى جميع الجهود وقد قالت الحركة وهي تقدم نفسها من خلال هذا الميثاق: "انطلقت حركة حماس

^١ - انظر: أرشيف بيانات حركة حماس، على موقع المركز الفلسطيني للاعلام

(<http://www.palestine-info.info/arabic/index.shtml>)

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق ص ١٠٠ .

^٣ - المادة الثانية، ميثاق حماس (انظر النص الكامل للميثاق في قائمة الملاحق).

^٤ - المادة الثالثة، ميثاق حماس .

^٥ - المادة الخامسة، ميثاق حماس .

لتأدية دورها ماضية في سبيل ربها تتشابه سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحرير فلسطين، وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كل المجاهدين الذي جاهدوا بأنفسهم على أرض فلسطين منذ أن فتحتها صحابة رسول الله عليه السلام وحتى يومنا هذا موضحة أن ميثاقها هذا يجلي صورتها ويكشف عن هويتها ويبين موقفها ويوضح تطلعاتها ويتحدث عن آمالها ويدعو إلى مناصرتها ودعمها والالتحاق بصفوفها معتبرة أن معركتها مع اليهود جد كبيرة وخطيرة^١.

ولم يختلف هذا الخطاب عما ذكرته الحركة نفسها في بيانها الأول الذي صدر ووزع بشكل عام على كافة مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة يوم ١٤ كانون أول عام ١٩٨٧م، هذا البيان الذي كان يؤكد للجماهير الفلسطينية بأن سياسية القتل والقمع التي يمارسها الكيان الصهيوني لن تنتهي الشعب الفلسطيني عن ممارسة حقه في الجهاد والمقاومة، معتبرا أن فجر الشعب الفلسطيني المجاهد قد بدأ.. فبعد أن افتتح البيان بآية من سورة آل عمران: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^٢، بدا البيان بآمال وتطلعات تدفع باتجاه اقتلاع الكيان الصهيوني من أساسه.. حيث جاء في البيان: "أنتم اليوم على موعد مع قدر الله سبحانه النافذ في اليهود وأعوانهم، بل انتم جزء من هذا القدر الذي سيقطع جذور كيانهم إن أجلا أم عاجلا بإذن الله سبحانه وتعالى"^٣.

وكان البيان عبارة عن تعبئة نفسية لمرحلة جديدة مملوءة بالتهديد والوعيد للاحتلال واصفا كل الجرائم التي ارتكبها هذا الاحتلال من قتل وقيود واعتقالات وتشريد لن تنتهي الشعب الفلسطيني عن مواصلة كفاحه وجهاده.. واختتم البيان بخطاب عالمي: "وليعلم العالم ان اليهود يرتكبون الجرائم النازية ضد شعبنا وأنهم سيشربون من نفس الكأس"^٤.

* استراتيجية حماس:

وقد حددت حماس في استراتيجياتها للمرحلة من خلال ضرورة حشد طاقات الشعب الفلسطيني الكامنة وتوجيهها نحو الصعود ومقاومة الاحتلال، "معتبرة ان ساحة المواجهة مع الاحتلال هي فلسطين المحتلة، ومشيرة إلى ساحات العالم العربي والإسلامي هي ساحات مؤازرة للشعب الفلسطيني"^٥، مع التأكيد على ضرورة الاستمرار في الجهاد والمقاومة حتى النصر والتحرير كما ترى حماس من خلال خطابها السياسي والجهادي.

^١ - المادة الخامسة، ميثاق حماس .

^٢ - آل عمران: الآية ٢٠٠.

^٣ - انظر البيان الأول لحماس الصادر في ١٤/١٢/١٩٨٧م المثبت في قائمة الملاحق.

^٤ - نفس المرجع.

^٥ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق ص ٣١٢.

وتعاملت حماس مع العمل السياسي على أنه "إحدى وسائل الجهاد ضد الاحتلال الصهيوني ويهدف بحسب مفهومها إلى تقوية الجهاد والصمود في مواجهة الاحتلال"^١ بل يؤدي إلى حشد الطاقات والنصرة للشعب الفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال.

وفي إحدى الدراسات التي قامت حماس بإصدارها قالت الحركة حول سياساتها الداخلية: "بأنها تتطرق في سياساتها من خلال منهج عقائدي حضاري يستنهض الأمة ويفجر طاقاتها ويوظف إمكاناتها المادية والبشرية في معركة التحرير وإعادة البناء الحضاري وعلى أسس من العلم الحديث والقوة المادية لاستئناف رسالاتها الإنسانية تحت شعار (الإسلام هو الحل) الذي تعتبره حماس أحد أهم شعاراتها"^٢.

* سياسات حماس:

وقد فصلت حماس برنامجها الداخلي والخارجي بطريقة أكثر وضوحاً وشمولاً من خلال الدراسة السابقة سالفة الذكر حيث قالت: "إن استراتيجية حماس بتحرير فلسطين تعمل من خلال محورين في آن واحد المحور الداخلي، والمحور الخارجي، وعلى صعيد المحور الداخلي توضح الدراسة أن حماس ستبذل أقصى جهد للجهاد والمقاومة في فلسطين بكل الوسائل، وأهمها الجهاد العملي المسلح ضد الكيان الصهيوني"^٣.

فيما وضحت حماس سياساتها على المحور الخارجي في إطار التحرير ضمن التفاصيل التالية:

"تعبئة واستثمار الروح الجهادية للشعوب الإسلامية، وخاصة في دول المواجهة من أجل القيام بدورها في مواجهة المشروع الصهيوني.

التنسيق والتخطيط مع الحركات الإسلامية الجهادية (حركات التحرير في الوطن الإسلامي) وتفعيل دورها لإنجاز عملية التقدم نحو الإسلام وخاصة في دول المواجهة ودول العمق عامة. السعي لإنجاز مشروع وحدة الحركة الإسلامية الفلسطينية.

ضرورة التعبئة العقائدية لدى الجاليات الإسلامية في الغرب وتنشيط وتوجيه الفعاليات الإسلامية غير الرسمية في أوروبا.

الوقوف بحزم في وجه السياسة الأمريكية المنحازة كلياً لصالح الكيان الصهيوني، وإفشال المحاولات الأمريكية المختلفة الرامية لتصفية القضية الفلسطينية.

^١ - نفس المرجع ص ٣١٢.

^٢ - حركة المقاومة الإسلامية حماس بين آلام الواقع وافاق المستقبل (بلا مؤلف)، شيكاغو، المركز العالمي للبحوث والدراسات، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٣.

^٣ - نفس المرجع، ص ١٨.

فضح سياسات روسيا ومن يسير في فلكها من الدول والتي تعزز وجود الكيان الصهيوني بعشرات الآلاف من المهاجرين اليهود الروس سنوياً^١.

* حماس والرأي العام:

ضمن هذه التوجهات كانت حماس تصنع رأياً عاماً عالمياً لسياساتها واستراتيجياتها التي تسعى إلى الاعتماد على ملايين المسلمين المحبين للقضية الفلسطينية والذين يرتبطون بها وبأهلها ارتباطاً عقدياً ووجدانياً.

وقد التقى حول رؤية حماس هذه العديد من الباحثين المراقبين لتطور الأحداث في فلسطين وانعكاساتها على الأمة العربية والإسلامية ومن بين هذه الرؤى البحثية: ما كتبه الباحث حسام الناصر في دراسته المنشورة في لندن عن حماس حيث ذكر أن كل مسلم وعربي في أي مكان يوجدان فيه، فهما مسؤولان بشكل أو بآخر عن تحرير فلسطين، بل عن قيام مشروع للتحرر الإسلامي برُمته، وفي رأيه أن المشروع الإسلامي الذي يرفع رايته الحركيون الفلسطينيون يؤدي دوره في فلسطين ضمن تلك رؤيته تلك، وعلى أساس العلاقات المتبادلة في الوظيفة والعضوية مع سائر جسم الأمة^٢، وتبرز خصوصية الصراع واضحة من خلال الإصرار على ضرورة إنجاز تحرير فلسطين كاملة بحسب حدودها التاريخية من قبل الجماهير الإسلامية الممتدة عبر الكرة الأرضية بسبب ارتباطهم العضوي بالقضية الفلسطينية كونها قضية عقدية مقدسة، ومن هنا ترى هذه الجماهير أن عملية التجزئة في استراتيجيات العمل تجاه القضية وتحريرها مرفوضة وخاصة من أبناء التيار الإسلامي والصحوه الإسلامية العالمية، ويرون أن الجهاد في سبيل الله هو الإستراتيجية الشاملة لتحقيق الهدف وتكريس جهود الأمة نحو فلسطين يتقدمهم في ذلك الشعب الفلسطيني^٣، وهذا يحتاج إلى جهاد عسكري وسياسي وفكري واجتماعي متعدد الأغراض والغايات ضمن خطوط متوازية بحيث يخدم أداؤها المتنوع آلياً وجغرافياً مجموعة من الأهداف^٤. واستقبل البعض ولادة حركة حماس على أنها مشروع تنافسي لمنظمة التحرير الفلسطينية بل للحركة الوطنية والتيار العلماني بشكل عام وهذا ما برز واضحاً في دراسة عبد القادر ياسين عن حماس حيث قال: "يخطئ من يظن أن الظاهرة الدينية ستصبغ الحركة السياسية الفلسطينية بلونها

^١ - نفس المرجع ص ١٩.

^٢ - حسام الناصر: حركة المقاومة الإسلامية حماس الانطلاق ومعادلة الصراع، ط١، لندن، منشورات فلسطين المسلمة، ١٩٩٠م، ص ٢٠.

^٣ - نفس المرجع، ص ٢٠.

^٤ - نفس المرجع، ص ٢١.

... لكنه نفسه وفي نهاية دراسته يعود ليؤكد: "على الرغم مما تثيره حماس من التباسات راهنة على حركتنا الوطنية، إلا أن الكثير من (التحسينات) ستدخل عليها بفعل قاطرة التاريخ".^١

لكن مسيرة حماس الميدانية على الأرض أثبتت أنها ليس كما يتصور الباحث عبد القادر ياسين، حيث اندمجت حماس مع بقية الفصائل الفلسطينية سواء التي كانت في أقصى اليسار أم يسار الوسط أم اليمين ضمن منظومة جهادية نضالية مشتركة في مواجهة الاحتلال إذ تجلّى ذلك من خلال لجان التنسيق المشتركة والدورية التي امتدت عبر مدن وقرى ومخيمات فلسطين وخاصة خلال انتفاضة الأقصى التي انطلقت أواخر عام ٢٠٠٠ ضمن عمل شعبي جماهيري مشترك، إلا أنها بقيت محافظة على استقلاليتها في عملياتها العسكرية الجهادية ضد الاحتلال لخصوصية هي تراها كما قال بعض قياداتها الميدانيين.^٢

هذا بالإضافة إلى امتداد حركي على الصعيد العربي والإسلامي والذي تمثل في حشد الجماهير نحو فلسطين وقضيتها، حيث استطاعت حركة حماس ومن خلال نشاطاتها السياسية والإعلامية الخارجية أن تصنع حالة من الرأي العام لمؤازرتها ومؤازرة القضية الفلسطينية، وقد تجلّى ذلك من خلال بعض الأحداث الهامة التي كان في مقدمتها إبعاد ٤١٥ فلسطينياً من مؤازري الحركة في نهاية عام ١٩٩٢م إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني، هذا الحدث الذي لفت أنظار العالم نحو تأثير هذه النخبة التي كانت حماس تتال النصيب الأكبر منها " حيث بلغ عدد مجاهدي حماس المبعدين ٣٨٢ مبعداً فيما بلغ أنصار الجهاد الإسلامي ٣٣ مبعداً " ^٣.

ولعل اعتقال الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي السابق لحماس هذا الاعتقال الذي تم في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٩٥م كان له الأثر في تسليط الضوء على هذه الحركة جنباً إلى جنب مع الحدث الأكثر بروزاً والذي تمثل في محاولة اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسي للحركة في مدينة عمان، هذا الحدث الذي رافقه أحداث درامية كان من ضمنها إلقاء القبض على اثنين من رجال الموساد اللذين شاركوا في محاولة الاغتيال والذي تبع كل ذلك الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين من سجون الاحتلال بطلب من الملك حسين إضافة إلى الرحلة الطويلة والمكوكية التي قام بها الشيخ أحمد ياسين والتي تحولت إلى رحلة سياسية للسعودية واليمن ودول الخليج وإيران حيث كان لرمزية الشيخ ياسين الأثر الكبير لخروج الملايين لاستقباله في عواصم تلك الدول مما زاد شعبية هذه الحركة والتأييد لمواقفها العقيدية والسياسية.

^١ - عبد القادر ياسين: حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، ط١، ١٩٩٠، سينا للنشر - القاهرة، ص ٨٠، ٨١.

^٢ - من مقابلة مع المرحوم صلاح شحادة بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٥م.

^٣ - على مشارف الوطن (المبعدون الفلسطينيون في مرج الزهور): نزار عبد العزيز رمضان، دار الرشاد الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣ ص ١٠.

لقد خرجت الحركة من دائرة المواجهة المسلحة مع الكيان الصهيوني، ومن دائرة المواجهة السياسية مع السلطة الفلسطينية إلى دائرة مجاملة الرأي العام العالمي والإسلامي والعربي من خلال اجتذاب الأصدقاء ومؤازرة الآخرين في قضاياهم.

"ولدى حماس الشمولية التواجدية حيث ينتشر أصدقائها ومؤيدوها في كافة بلدان العالم، وحيث العالم الإسلامي واسع الامتداد لذلك نرى الحركة تصر على شمولية نشاطها المتعدد الجوانب وشمولية وسائلها وتتصرف بناءً على هذا الامتداد في تعاملها مع العالم، ومع إسرائيل ومع السلطة"^١.

وعلى صعيد المواقف السياسية ورغم أن حماس تعلن باستمرار: "أنها ليست بديلاً لمنظمة التحرير إلا أن مشروعها بقي المشروع المنافس والأكثر تحدياً لمشروع المنظمة"^٢ وليس هذا فحسب بل "رفضت حماس اتفاقيات أوسلو جملة وتفصيلاً وحشدت من الحجج الدينية والدنيوية من أجل دحض هذه الاتفاقيات ورفضت الكثير مما انبثق عنها مثل اتفاقية باريس الاقتصادية واتفاقية تنفيذ المرحلة الأولى"^٣ وكانت حماس حضارية في رفضها السياسي للاتفاقيات بحيث لم تمنع أحداً من أبناء الشعب أن يؤيد هذه الاتفاقيات أو يدعو ويُنظر لها، واكتفت بالرفض السياسي والإعلامي حيث لم تمارس أي عنف ضد رموز السلام كما حصل مع رابين في المجتمع الصهيوني^٤ وهكذا كانت ولادة هذه الحركة ولادة ميسرة انطلقت من رحم المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني والذي يواجه الاحتلال صباح مساء، لا بل أصبح الموت هو الحدث الطبيعي في حياته.

ولدت حماس في ظل هذا الظرف الذي كانت الدولة اليهودية تسيطر بكل إمكانياتها على الأرض المباركة، فتحتلها كلها وتقتل أبناءها وتعتقل شيوخها وشبابها ونساءها فكانت المرحلة الأشد محنة وحلقة والتي كانت بحاجة ماسة إلى فكر شمولي في المعركة يجمع بين القرآن والبندقية ليحافظ على ديمومة الصراع والمواجهة في إطار الحق التاريخي.

^١ - الإسلام السياسي في فلسطين، دكتور اياد البرغوثي، المركز القدس للاعلام والاتصال، القدس المحتلة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٩٦.

^٢ - (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دكتور اياد البرغوثي) في: الفكر السياسي للحركات الإسلامية: تجربة مصر والاردن وفلسطين، الدكتور محمد اشتية (محرراً)، اصدار المركز الفلسطيني للدراسات الاقليمية: البيرة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٤٦.

^٣ - نفس المرجع ص١٤٦.

^٤ - يرى الباحث ان حماس قامت ببيع بعض الأعمال العسكرية المميزة لإفشال مشاريع السلام التي كانت تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية بدلا من اثاره الخلافات الداخلية داخل المجتمع الفلسطيني، وكان يلاحظ ان حماس تتحين الاوقات المناسبة لذلك لا سيما اللقاءات الامنية والمؤتمرات وتوقيع الاتفاقيات رغم ان حماس كانت تؤكد دوما ان عملياتها العسكرية ليست مرتبطة باي ظرف سياسي.

المطلب الرابع: نظرة الحركات الإسلامية تجاه الصراع على فلسطين

يؤكد الإسلاميون بأن جذور الصراع القائم بين العالم العربي والإسلامي والكيان الصهيوني هي جذور عقديّة وليست سياسية، هذه الجذور التي انعكست على حركة التاريخ وتطور الأجيال التي تقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا^١ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ^٢ " هذا النص القرآني الذي يؤكد حقيقة الصراع القائم وجذوره العقديّة التي تتمحور فيما بعد لتصبح حركة تدافعية تخوض غمار هذا الصراع من خلال جهاد مستمر أو نظرة أخرى نحو استجماع جهود المسلمين للخروج من هذه الأزمة.

"سيرة اليهود وقصتهم العملية عبر العصور تلزم المسلم بالحدّ في تعامله معهم، ومن الجدير بالذكر هنا التفرقة بين ما حدده الله تعالى من الحقوق والواجبات لمن يعيش في دولة الإسلام من أهل الكتاب وما ينتج عن المعاهدات من التزامات، وبين العدو المحارب الذي يحتل أرض المسلمين ويخرج أهلها منها"^٣.

هذا الفهم انعكس بالضرورة على واقع العمل الإسلامي في الساحة الفلسطينية والذي بدأ من خلال الدفاع عن إسلامية القضية وجذورها القرآنية وربط الأجيال بهذه الأسس العقديّة وتطور ليصبح خطاباً متداولاً في المساجد والجامعات والمعاهد معتبرا فلسطين أقدس مقدسات الأمة الإسلامية.

يقول الشيخ جميل حمامي أحد المساهمين في تأسيس حماس في الضفة الغربية: إن الحركة الإسلامية تنظر إلى فلسطين نظرة خاصة مميزة، فهي في نظرها أرض وقف إسلامي لا يملك أي زعيم أو شعب أو أمة أن يتنازل عن ذرة من ترابها، والحركة الإسلامية تنظر إلى فلسطين على أنها أرض تهم كل المسلمين في العالم وليس الفلسطينيين وحدهم، بل تعتبر الأمة الإسلامية وأجيالها المختلفة مطالبة أيضا بمساندة قضية فلسطين، وترى أن هذا البعد هو أقوى ما يمكن أن يواجه به الأعداء وبه تثبت صحة الفكرة بعد فشل كل النظريات التي قامت على أساس إقليمي ضيق أو قومي محصور وترى الأمة أيضا أن هذا البعد هو الأقدر على تجسيد الوحدة الوطنية ووحدة الأمة"^٣.

^١ - المائدة: الآية ٨٢.

^٢ - فلسطين بين الاغتصاب والتسليم، متولي موسى، (الدار الإسلامية للاعلام: بون، ط ١، ١٩٩٢م) ص ٢٣.

^٣ - الإسلاميون والمرحلة القادمة، جميل حمامي (مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس - فلسطين، ط ١٩٩٤م) ص ١١.

وقد برزت مواقف الحركات الإسلامية عبر التاريخ مؤازرة ومتفاعلة مع القضية ونكبتها وقد تفاوتت هذه الحركات في مواقفها ما بين مؤازر بعواطفه وما بين مشاركة بجهودها وما بين منتقد، وقد تجلت المواقف بصورة أكثر وضوحاً عندما بدأت مشاريع السلام تطرح على واقع القضية وخاصة بعد الانتفاضة المباركة التي تفجرت عام ١٩٨٧، وكان موقف الإسلاميين صريحاً وواضحاً في رفض هذه المشاريع، حيث رفض الإخوان المسلمون ذلك على لسان مرشدكم الأسبق المرحوم الشيخ محمد حامد أبو النصر في بيان أصدره يوم ٢٦/٥/١٩٩١م معتبراً أن أي تصرف سواء كان فردياً أم حكومياً تجاه التنازل عن فلسطين باطل وجاء في البيان: "لا يحق لأهل فلسطين ولا لحاكم من حكام المسلمين أن يتصرف بفلسطين وفق ما يهوى ويشتهي، فليست فلسطين ملكاً لسكان فلسطين وحدهم، بل هي ملك لجميع المسلمين وكل تنازل عن أرض فلسطين من أية جهة من الجهات تصرف مبني على باطل"^١.

وقد برز تفاعل المسلمين في العالم والحركات الإسلامية على وجه الخصوص مع القضية الفلسطينية من خلال الفتاوى التي وقعت من قبل مرجعيات إسلامية عالمية تحرم التنازل عن فلسطين المباركة وتطالب بالاستمرار في جهاد اليهود الصهاينة، وقد انتشرت هذه الفتاوى ووزعت عبر الصحف والمجلات والدوريات الإسلامية بالإضافة إلى توزيعها في مساجد فلسطين وأكدت هذه الفتاوى مدى تفاعل علماء العالم الإسلامي مع القضية، حيث حملت توافيق العشرات من العلماء من أقطار عدة في شرق آسيا وبلاد الشام والجزيرة العربية وشمال أفريقيا وإيران وتركيا وغيرها، مما يؤكد شمولية النظرة الإسلامية للصراع القائم في فلسطين، هذه الفتاوى التي شكلت امتداداً لفتوى علماء الإسلام عام ١٩٣٥م والتي حرمت أيضاً التفريط بالأرض المباركة^٢.

فعلى صعيد الحركات الإسلامية العاملة والمجاهدة على الساحة الإسلامية عامة والفلسطينية خاصة، قال الدكتور رمضان شلح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين خلال مقابلة خاصة: "إن صلة الإسلام بفلسطين أعمق وأوثق من فكرة - أرض وقف) التي يطرحها بعض الإسلاميين، فصلة الإسلام بفلسطين بدأت بواقعة الإسراء حيث تم الربط الإلهي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.. ويؤكد الدكتور شلح أن عقدة الصراع على فلسطين تتجه نحو وراثية راية الإيمان والتوحيد إلى جانب وراثية الأرض بعد فساد بني إسرائيل وطغيانهم وهذا هو معنى الارتباط العقدي للمسلمين في فلسطين"^٣ وبناء على هذا التطور تعاملت حركة الجهاد الإسلامي

^١ - الحكم الذاتي الإسرائيلي والرفض الإسلامي، صادق عبد الرحمن (المركز الإسلامي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، القدس ١٩٩١م) ص ١١٤.

^٢ - لماذا نرفض السلام مع اليهود، محسن عنبتاوي، الكتاب بدون مكان نشر ولا تاريخ ورقم طبعة، ص ١٧.

^٣ - انظر المقابلة الخاصة التي اجراها الدكتور ناصر الدين الشاعر مع الدكتور رمضان شلح أمين عام حركة الجهاد الإسلامي والمثبتة في ملاحق كتابه: عملية البناء الوطني الفلسطيني وجهة نظر اسلامية: دكتور ناصر الدين الشاعر، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية - فلسطين، ط ١، ١٩٩٩م ص ١١٥.

مع القضية وصراعها فقاومت الاحتلال وقدمت الشهداء ضمن منظومة عمل مقاوم أطلق عليه "سرايا القدس" وهي الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مما دفع الاحتلال الصهيوني ومن خلال جهاز الاستخبارات الخارجي له (الموساد) أن يقوم باغتيال الأمين العام المؤسس لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور فتحي الشقاقي عام ١٩٩٥م بينما كان متواجداً في أحد الفنادق في جزيرة مالطا.

لكن حزب التحرير الإسلامي لم يؤمن بتاتا بآلية الجهاد والمقاومة في فلسطين معتبرا جموع الشعب الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة أسرى سقط عنهم الجهاد وليسوا مكلفين به، هذا بالإضافة إلى أن الحزب يرى ضرورة تحرير العالم الإسلامي ليكون مقدمة لتحرير فلسطين، لأن التحرير في نظره يأتي من خارج فلسطين وليس من داخلها^١

وعاب الحزب على كل القائمين على العمل من أجل فلسطين، سواء أكانوا من أنصار الحركة الوطنية الفلسطينية أم أنصار الحركة الإسلامية، فعندما تأسست منظمة التحرير الفلسطينية، أصدر الحزب بياناً في ١٦/١٢/١٩٦٤م مؤكداً فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية التي يرأسها أحمد الشقيري هي مشروع يؤدي إلى فصل الضفة الغربية عن الأردن وإقامة كيان قومي مستقل لا يخدم الأمة الإسلامية، بل هي مساهمة في التجزئة^٢.

وكان لحزب التحرير أيضاً موقف واضح من الانتفاضة الفلسطينية " التي يرى أنها مضيعة للوقت ولا فائدة منها بالإضافة إلى أنها صنيعة صهيونية عربية"^٣ وكما هو الحال في موقفهم من انتفاضة الأقصى إذ اعتبرها حزب التحرير " مقدمة لمؤامرة دولية تجري ضد الأرض المباركة في فلسطين"^٤، فيما كان يعيب الحزب على حماس مشاركتها في هذه الانتفاضة بل كان ينتقدها أيضاً في علاقاتها مع الفصائل الوطنية الفلسطينية ومشاركتها لها في المسيرات والاحتجاجات والمظاهرات ضد سلطات الاحتلال.

أما الحركة الثانية في فلسطين والتي لا يوجد لها نشاطات فاعلة على صعيد الصراع الفلسطيني الصهيوني فإنها الحركة السلفية التي تنتكر للعمل الجهادي والمقاومة بل تنتكر للعمل السياسي الميداني أيضاً، إذ نرى ومن خلال تصريحات لأحد رموزها في قطاع غزة بأنها تنتكر

^١ - الحركة الإسلامية الفلسطينية والنظام العالمي الجديد، دكتور إياد البرغوثي، (الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس ١٩٩٢م) ص ٢٤.

^٢ - انظر: بيان حزب التحرير الصادر في ١٦/١٢/١٩٦٤م المثبت في (دوسية مطبوعة تحتوي على العشرات من البيانات القديمة والحديثة).

^٣ - من محاضرة لعصام عميرة أحد قيادات حزب التحرير والتي أُلقيت في منتدى الخليل الثقافي في العاشر من آذار عام ١٩٩٩م ومحفوفة في أرشيف التسجيلات في المنتدى المذكور (ولدى الباحث نسخة منها).

^٤ - انظر: بيان حزب التحرير الإسلامي الصادر في ١١/تشرين الثاني ٢٠٠٠م عقب انتفاضة الأقصى والمنشور على موقع الحزب على شبكة الانترنت.

إلى " كل فعل جهادي مقاوم في فلسطين معتبرة أن الجهاد له شروطه ولا بد من توفيرها وإلا فلا داعي له في هذه المرحلة، ومن هذه الشروط: القدرة وتعني وجود قدرة لمحاربة الأعداء التي هي بيد الكفار الآن وينبغي أن يتوفر قائد تجمع عليه الأمة ومن دون توافر هذه الشروط يكون الجهاد باطلاً^١.

فيما يشن الشيخ (محمود جودة) أحد أبرز القيادات السلفية هجوماً على حماس والجهاد والسلطة معتبراً هذه الفصائل كلها علمانية كافرة.

ولم يكن الحال بالنسبة لجماعة التبليغ والدعوة أفضل، فهم يصلولون ويجولون في مدن وقرى ومخيمات فلسطين دون أن يربطهم بقضية فلسطين رابط، فهمم الأكبر جمع الناس نحو المساجد لتعبئتهم بخطاب تقليدي لا صلة له بالجهاد ومقاومة المحتل وكأنهم يعيشون في عالم آخر؟ حيث يشاهدون بأعينهم شلال الدماء الهادر والشهداء الذين يتدافعون، لكن ذلك لا يعينهم ولم يغير في واقع أفكارهم شيئاً.

وهكذا تفاوت التفاعل بين الحركات الإسلامية تجاه الصراع على فلسطين، في الوقت الذي نرى فيها تلاحماً عالمياً بين الجماعات الإسلامية العالمية التي ترى بان الصراع على فلسطين صراع عقدي وحضاري يحتاج إلى جهود الأمة كلها، وقد دعت هذه الحركات في برامجها إلى إعداد الكفاءات وتجهيز الطاقات من أجل الدفاع عن قضية الشعب الفلسطيني والحفاظ على خصوصيتها الإسلامية كونها مرتبطة بمكان مبارك ورد ذكره في القرآن الكريم وحض على الاهتمام به نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

^١ - الإسلام السياسي في فلسطين، مرجع سابق ص ٣٦، ٣٨ نقلاً عن: مقابلة مع نائل جودة: رئيس دار الكتاب والسنة في خان يونس بتاريخ ٣ نيسان ١٩٩٩م.

المبحث الثاني: الخطاب السياسي لحماس والممارسة الفاعلة

يشكل الخطاب السياسي لحماس انطلاقة فاعلة على الساحة الفلسطينية، ففي الوقت الذي تمارس فيه حماس عملها الجهادي وتقوم بعمليات عسكرية مميزة ضد الاحتلال الصهيوني، لا تغفل حماس الجانب السياسي الذي يعبر عن الأهداف والإستراتيجيات العامة للحركة. وقد كان ملفتا للنظر أن الحركة الإسلامية الفلسطينية في تصاعد شمولي على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، فقد أكد الباحث الفلسطيني المتخصص في شؤون الحركة الإسلامية الفلسطينية الدكتور إيد البرغوثي في هذا الإطار قائلاً: "لم تتل حركة سياسية في المنطقة خلال أكثر من عشر سنوات مضت اهتماما من قبل الأوساط العلمية والمحلية المهمة أكاديمية كانت أم سياسية كذلك الذي نالته الحركة الإسلامية في فلسطين وكان ذلك بسبب دورها المتميز وصعودها الملفت للنظر وقدرتها على الحركة وامتدادها في أوساط مختلفة من الجماهير وتأثيراتها المحلية والإقليمية"^١.

ويعتبر البرغوثي أن اهتمام الحركة الإسلامية الفلسطينية بقطاع الفقراء والطبقات المعدمة زاد من جماهيرية هذه الحركة، في الوقت الذي لم تستطع فيه الفصائل والحركات الوطنية واليسارية القيام بهذا الدور، فتراه يقول: "مما زاد من جماهيرية الحركة الإسلامية الفلسطينية تدهور الأوضاع الاقتصادية عند الفقراء والاستقطاب الطبقي الحاد وسوء توزيع الموارد حيث تلازم ذلك مع زيادة نشاطات الحركة المادية والمعنوية الداعمة لفئات عريضة من الجماهير، كل ذلك في الوقت الذي عجزت فيه حركات سياسية يسارية وقومية ووطنية عن تحقيق المطالب السياسية التي دعت لها"^٢.

وعندما نقول الحركة الإسلامية الفلسطينية فإن ذلك يعني أن حماس رأسها وفي مقدمتها، لأنها حركة ذات جماهيرية عالية إضافة إلى كمّها النسبي الكبير، جنبا إلى جنب مع تمتعها بشبكة من المؤسسات الخيرية الاجتماعية والأهلية الواسعة والممتدة عبر المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، ومما ميز خطاب حماس السياسي عن غيره أنه خطاب متفاعل إضافة إلى كونه خطابا متجددا غير جامد، مر في مراحل عدة، أثر وتأثر بالواقع القائم للشعب الفلسطيني، لكن هذا الخطاب ورغم تطوره وتجده إلا أنه حافظ على أصالته ومركزاته خاصة وأنه انطلق من خلال ثوابت شرعية مصدرها الدين الإسلامي، لذلك يخضع هذا الخطاب في أبجدياته إلى الرقابة الذاتية لمئات الملايين من المسلمين المتعاطفين مع الحركة والذي لا يمكن له أن يتخطى الخطوط الحمراء الشرعية المبنية على الأحكام الفقهية.

^١ - الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ٧.

^٢ - نفس المرجع، ص ٨.

وفي الوقت نفسه فهو خطاب محافظ على حركته السياسية التي تمر عبر مراحل قد تكون استراتيجية وقد تكون براغماتية ويعود السبب في ذلك، أن الرقيب على هذا الخطاب هو الله عز وجل.

وقد تبنت حماس في برنامجها السياسي مشروع فلسطين التاريخية بشموليتها من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة، وقد برز ذلك من خلال العشرات من بيانات الحركة التي صدرت خاصة في الانتفاضة الأولى¹، حيث استطاعت أن تجمع حول هذا النهج جماهير كثيرة تهتف لحيفا وعكا والنقب، بل برز ذلك واضحا في التراثيات الفنية والخطابات الجماهيرية عبر المهرجانات والاحتفالات.

لكن هذا الخطاب تطور وعاد إلى الوراء قليلا، ليس تراجعا وإنما تتاغما مع ثقل الحصار وشدة الأزمة، من خلال القبول بالحل المرحلي بعيدا عن التفريط أو التنازل عن الباقي أو الإقرار بالمحتل اليهودي الغاصب، جنبا إلى جنب مع طرح مشروع الهدنة لترتيب هذه السياسات، هذه الهدنة التي تحافظ على المرتكز الشرعي الذي تنطلق من خلاله الحركة.

رغم كل ذلك فإن هذا الطرح لم يمنع حماس من معارضة كل الحلول السياسية التي طرحت على الساحة العربية أو الفلسطينية في إطار مفاوضات السلام ومشاريع الحل الدائم والتي أقرت بوجود الكيان الصهيوني الغاصب وحقه في السيطرة والاحتلال لأكثر من ٧٠% من الأراضي الفلسطينية المباركة.

فقد كانت هذه المعارضة واضحة وصريحة على الصعيدين الديني والسياسي، فعلى الصعيد الديني أكدت حماس من خلال العديد من فتاوى العلماء والفقهاء أن الحلول التنازلية حرام شرعا وعلى الصعيد السياسي بينت حماس أن هذه الاتفاقيات لن تقدم للشعب الفلسطيني السيادة والحرية والاستقلال.

¹ - للاطلاع والبحث يراجع في ذلك: المجموعة الكاملة لبيانات حماس (١-٥) اصدار المكتب الاعلامي لحماس، كذلك يمكن مراجعة موقع المركز الفلسطيني للاعلام على الشبكة الدولية للانترنت.

المطلب الأول: خطاب يحافظ على الثوابت الإسلامية

يتميز خطاب حركة المقاومة الإسلامية حماس بمرتكزه الشرعي الذي ينطلق في آفاقه وحيثياته من الشريعة الإسلامية والأحكام الفقهية التي تجعل لهذا الخطاب ضوابط شرعية لا يمكن لسياسي الحركة أن يتجاوزوها، ولهذا تتكيف حماس في خطابها السياسي مع أحكام الشريعة الإسلامية المستمدة من كتاب الله عز وجل أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو اجتهادات الفقهاء والعلماء عبر العصور.

ولما كانت المصلحة الشرعية المرسلّة من مصادر التشريع التبعية في الإسلام فقد كان لها الأثر الكبير في فقه الحركة السياسي التي ارتكزت فيه على العديد من المستجدات السياسية على الساحة العربية والإسلامية.

وقد اتخذ علماء الحركة وقادتها من المصلحة الشرعية مرتكزا للكثير من الاجتهادات المعاصرة التي لم يتطرق لها فقهاء الإسلام، " فالمصلحة المرسلّة من الأمور التي تقصد السياسة الشرعية حفظها ودائرتها تتسع وتترايد بتزايد حجم الأمة، وتزايد حاجاتها وتزايد وظائف الدولة أو الجماعة وتضخمها وهي تمس كيان الأمة ومصيرها وتؤثر على أرزاقها وكرامتها ووطنها وأمنها وسلامتها وعلى انحطاطها وتقدمها"¹.

ومن هنا اتسعت دائرة القضايا السياسية التي تتبناها بها حماس والتي تعتبرها من الضرورات بل الحاجيات التي ضمنت الشريعة حفظها، وقد ارتكزت الحركة في علاقاتها وتحالفاتها على إيمانها بالتعددية السياسية والاستفادة من النهج الديمقراطي القائم على هذه المقتضيات معتمدة في ذلك على "إجماع علماء الأمة على اختلاف تخصصاتهم ومذاهبهم وعصورهم على كون الشريعة قد ضمنت حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات وأن أمهات المصالح المحفوظة هي: الدين، النفس، العقل والنسل والمال، وأن كل ما تضمن هذه الأحوال الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة وتدفعها مصلحة"².

ولقد اختلفت حماس مع غيرها من الحركات في الكثير من المواقف السياسية كون غيرها لا يأخذ بالمصلحة الشرعية مكتفياً بالمصادر الأصلية في التشريع ومنكراً للمصادر التبعية غير مبال لما جد على واقع الأمة من تطورات مما دفعه بالانقطاع الكامل عن شؤون الحياة وتدافعها، ومن هنا فإن العمل السياسي واجب على الأمة ويعتبر من السياسة الشرعية لأنه يحقق مقاصد الشرع ويراعي متطلبات الأمة وحاجاتها في هذا الإطار.

¹ - دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، جواد الحمد وإياد البرغوثي (محرران) مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان - الأردن، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٩٠، نقلا عن نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لمؤلفه أحمد الريسوني.

² - نفس المرجع، ص ١٩٠.

ولأن حركة حماس حركة إسلامية تتطلق من الإسلام دستوراً ومنهاج حياة كما بينت ذلك في ميثاقها فإنها تعتبر الجهاد منطلقاً لتحرير فلسطين المحتلة، هذه الأرض المباركة التي أكد الباحثون والدارسون أنها أرض صراع وتدافع عبر التاريخ.

إلا إن حماس لا تتكر العمل السياسي في إطار الفهم المشروع المستمد في مرتكزاته من الأحكام الشرعية ولذلك فإننا نرى أن حماس التي كانت وما تزال تطرح فلسفة تحرير فلسطين من البحر إلى النهر هي نفسها التي تؤمن بآلية الحل المرحلي المبني على مبدأ خذ وطالب وليس خذ وتنازل، وطبعاً فإن ذلك لا يتم إلا بتفاوض.

والتفاوض في فكر حماس السياسي مع اليهود الصهاينة ليس محرماً من حيث المبدأ وإنما هو عمل سياسي مشروع، لكن الضوابط الشرعية والتي تميز خطاب حماس السياسي عن غيره من الحركات هي نفسها التي تطرح سؤالاً واضحاً: على ماذا نفاوض؟ وضمن أي فهم؟ ولماذا؟ ومن هنا فإن حماس تجد نفسها منكراً لهذه المفاوضات لأنها تعتقد أن الشروط الموضوعية للتفاوض حتى يحقق أهدافه غير متوفرة^١.

لقد أنكرت حماس على كل الذين أبرموا اتفاقيات ومفاوضات وسلام دائم مع الكيان الصهيوني معتبرة ذلك مخالفاً للشرع وتنازلاً عن أرض الإسلام المباركة، لأن الإسلام لا يبيع لأي كان أن يعترف بشرعية الكيان اليهودي الصهيوني القائم فوق الأرض المباركة في فلسطين^٢ إضافة إلى رفضه إبرام أي اتفاق كان مع هؤلاء المحتلين يفضي إلى سلام دائم معهم والإقرار بشرعيتهم فوق أراضي المسلمين، وقد برز ذلك واضحاً في رفض الحركة لسياسات المفاوضات التي بدأت منذ مدريد وانتهت بطابا وما زالت رغم كل المتغيرات السياسية.

لقد صبح خطاب حماس السياسي بصيغة دينية انطلاقاً من المحافظة على الأحكام الشرعية والالتزام بها والتي تعتبر مرتكزاً لهذا الخطاب فقد جاء في المادة الثالثة عشرة من ميثاق حماس: "تتعارض المبادرات أو ما يسمى بالحلول السياسية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين"^٣.

وقد ركز خطاب حماس السياسي على الجوانب العقيدة والإسلامية خاصة في إعداد الجماهير العربية المسلمة والتأثير عليها، فقد أصدرت حماس بياناً في موسم حج عام ١٩٩٠م ناشدت فيه الأمة العمل على تحرير فلسطين وتخليصها من الاحتلال اليهودي الصهيوني الغاشم مستدلة في ذلك على العديد من الآيات والأحاديث النبوية التي تؤكد على قدسية الأرض المباركة^٤.

^١ - نفس المرجع، ص ١٩١.

^٢ - انظر: بيان حماس الصادر بتاريخ ٢٣/٩/١٩٩١م تحت عنوان: لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس

^٣ - انظر: ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس في قائمة الملاحق.

^٤ - بيان حماس الخاص بعنوان نداء الوحدة والحشد نداء الحج، ٣٠/٦/١٩٩٠م.

ورغم حالة الاندماج ما بين الفكر السياسي والفكر الديني في كافة جزئيات خطاب حماس إلا إن خطاب حماس تميز بحفاظه المستمر على ثوابته الإسلامية التي تتسع في دائرتها عن دائرة الإقليم أو القطر، حيث تعتبر حماس نفسها أنها صاحبة مشروع إسلامي شمولي يتعلق بالأمة كلها وليس بالشعب الفلسطيني فحسب "إذ تميز مشروعها بكونه يتألف من مستويين: المستوى الديني العام الذي يهدف إلى تحكيم شرع الله في الأرض. والمستوى الثاني الذي يتمثل في تحرير فلسطين من الاحتلال فهو بذلك مشروع عقدي يتطلب مرحلة دينية لإيجاد مجتمع مسلم في وطن محرر"^١.

وقد كان لتوجيهات الإسلام الذي يعتبر مرتكزاً شرعياً لحماس في مسارها السياسي الأثر الكبير في سعة هذه الحركة وحرية تحركها، فقد أكد على ذلك الباحث الدكتور إباد البرغوثي عندما قال: "إن سعة الأيديولوجيا الإسلامية التي تسمح بالحركة ذات اليمين وذات الشمال بسهولة دعمت مشروع الحركة الإسلامية الشمولي"^٢.

ولهذا ساهم البعد الإسلامي والمرتكز الشرعي لحماس على حالة الديمومة الجماهيرية بالنسبة لها، إضافة إلى النفاذ الجماهيري الإسلامية حولها كونها حركة إسلامية مجاهدة تقاوم الاحتلال وتسعى إلى تحرير فلسطين المباركة.

^١ - الإسلام السياسي في فلسطين، مرجع سابق، ص ١٣٣.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٨١م.

المطلب الثاني: نظرة حماس للصراع على فلسطين

هل الصراع على فلسطين صراع ديني عقدي بين الإسلام واليهودية؟ أم أنه صراع حضاري بين حضارتين لكل منهما ثقافته الخاصة ومصادره الدينية التي تجذر قدسية المكان؟، أم أن الصراع هو صراع على أرض مقدسة وليس على عقيدة لإثبات صحتها؟ استفسارات كثيرة طرحها العديد من الباحثين والدارسين الذين تعاملوا مع منطق الصراع من خلال طبيعته وجذوره وآفاقه إضافة إلى العودة إلى تراثيات الصراع المبنية في أصولها على العقيدة والدين.

ففي الوقت الذي تتعامل فيه حماس والأمة الإسلامية بأسرها مع القضية الفلسطينية على أنها قضية إسلامية عقدية تستمد عمقها من اختيار بيت المقدس ليكون نقطة الانطلاق لنبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج، مما جعل منها أرض وقف إسلامي، في هذا الوقت يأتي الاحتلال الإسرائيلي ويهود العالم وفي مقدمتهم الحركة الصهيونية ليتعاملوا مع فلسطين على أنها أرض الميعاد أي بحسب النص التوراتي المحرف: الأرض التي وعدهم الله بها من تخوم مصر حتى نهر العراق، إضافة إلى مفاهيم عنصرية عقدية محرفة تدفع اليهود نحو عقدية الصراع حجتهم في ذلك ما ورد في سفر التكوين: "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام (إبراهيم) ميثاقاً قائلاً: لنسلكَ أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".¹ بناء على هذه المفاهيم، خيم على واقع القضية المزيد من وجهات النظر التي تعاملت مع الصراع على أنه صراع عقدي ديني، مع أن نظرة الباحث والفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه جارودي تشير إلى أن اليهود في طبيعتهم ليسوا متدينين بل هم متسلقين على الدين ويستغلونه من أجل مطامع دنيوية وأهداف استعمارية.²

ورغم ذلك فحماس ترى أن قدسية الأرض وأهميتها ومكانتها في الإسلام تفرض على المسلمين اهتماماً مميزاً يدعوهم للدفاع عن القضية الفلسطينية وعدم التفريط بها، لهذا تميز خطاب حماس العقدي عبر بياناتها منذ اليوم الأول الذي انطلقت فيه بهذا النهج، فقد جاء في البيان الأول للحركة: "انتم اليوم على موعد مع قدر الله سبحانه النافذ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزء من هذا القدر الذي سيقبض جذور كيانه إن أجلاً أم عاجلاً بإذن الله سبحانه وتعالى، وفي نفس البيان جاء ما نصه: "لقد جاءت انتفاضة شعبنا المرابط بالأرض المحتلة رفضاً لكل الاحتلال وضغوطاته ورفضاً لسياسة انتزاع الأراضي وغرس المستوطنات ورفضاً لسياسة القهر التي يمارسها الصهاينة، جاءت لتوقد ضمائر اللاهثين وراء السلام الهزيل.. وراء المؤتمرات الدولية

¹ - قراءة سياسية للتوراة، شفيق مقار، ط ١، دار الرئيس، لندن ١٩٩١م، ١٣.

² - فلسطين أرض الرسالات الأهلية، روجيه جارودي، دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق ط ٤، ١٩٩٣، ص ١٧٨.

الفارغة.. وراء مصالحات جانبية خائنة عن طريق كامب ديفيد وأن يتيقنوا أن الإسلام هو الحل وهو البديل".^١

وقد دعت الحركة إلى جهاد اليهود ومقاتلتهم امتدادا لوعد الله سبحانه وتعالى واتباعا لهدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود".^٢

وقد استشهدت حماس بهذا الحديث في المادة السابعة من ميثاقها لتؤكد على قدسية هذه الأرض وطبيعة الصراع عليها، ومع ذلك وفي المادة السادسة من ميثاق حماس تؤكد الحركة عدم تنكرها للديانات الأخرى وأن بإمكانها العيش معها في ظل الإسلام، حيث ورد في المادة الثالثة من الميثاق ما نصه: "ففي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعا في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم وفي غياب الإسلام ينشأ الصراع ويستشري الظلم وينتشر الفساد وتقوم المنازعات والحروب".^٣

وبذلك يتضح للباحث أن عملية الجزم في الصراع القائم بأنه بين عقيدتين ليس مؤكداً لأن الإسلام لا يعادي اليهودية كدين ورسالة وإنما يعادي اليهود الذين حرفوا الدين نفسه، فالله سبحانه تعالى يقول في كتابه العزيز: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" ، وهذا يؤكد بأن اليهودية في نظر القرآن والإسلام هي رسالة ودين ، وقد اعتبر في الدين الإسلامي بأن الإيمان بالرسول هو من أركان الإسلام وما يفهم من الآية: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..."^٤، فإن هذه العداوة التي تتحدث عنها الآية تشكلت جراء الإفساد والانحراف في الدين وقتل الأنبياء وعدم الالتزام بنهج نبيهم موسى عليه السلام.

ولهذا فإن عداة المسلمين لليهود ليس لأنهم يهود وإنما لأنهم كفرة مغتصبون محتلون أعداء للإنسانية جمعاء، فهم في نظر المسيحيين قتلة قاموا بقتل المسيح عليه السلام - رغم رفض هذه العقيدة من قبل المسلمين - حيث قال الله سبحانه وتعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ

^١ - بيان حماس الأول الصادر في ١٤/١٢/١٩٨٧م.

^٢ - رواه مسلم مع شرح النووي (٢٩٢٢).

^٣ - المادة الثالثة، ميثاق حماس.

^٤ - الصف: الآية ٥.

^٥ - المائدة: الآية ٨٢.

مَرِّمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا^١، وبذلك تتجلى أبجديات الصراع مع اليهود عبر التاريخ على أنهم كفرة ظلمة قتلة انحرفوا عن دينهم وعقيدتهم.

وأما على أرض فلسطين المباركة فإن شدة الحقد والصراع ازدادت ضد اليهود ليس لكونهم يهودا وإنما لأنهم عنصريون محتلون غاصبون مع أن هذه القضية أثارت نقاشا وخلافا بين العديد من الباحثين ممن كتبوا عن طبيعة الصراع وناقشوه، فقد ذكر الكاتب عدنان النحوي في معرض حديثه عن هذا الصراع قائلا: "إن قضية فلسطين ليست قضية أرض فحسب على أهمية الأرض وخطورة منزلتها، ولا هي قضية وطنية ولا قومية، إنها قضية إيمان وتوحيد دين وعبادة، إنها قضية الإسلام وقضية الأمة الإسلامية، وقضية كل مسلم في الأرض إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر"^٢.

ونجد أن الباحث حسام الناصر، يتجه بنفس الاتجاه حيث يرى: "أن اغتصاب فلسطين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين هو أوضح صورة من صور الصراع العقدي القائم، ولذلك يرى أن المعركة على أرض فلسطين هي أوضح المعارك وأكثرها استدعاء لحوافز المشاركة والجهاد، فالمغتصابات مقدسة والمغتصبون هم اليهود"^٣.

لكن باحثين ممن ينتمون لحركة حماس بل من المؤسسين لها يمحورون الصراع على أنه صراع شامل على كافة الأصعدة مستخدمين مصطلح إنه صراع حضاري حيث أكد على ذلك الدكتور إبراهيم المقادمة^٤ رحمه الله أحد مؤسسي الجناح العسكري في حركة المقاومة الإسلامية حماس عندما قال: "يتبين لنا أن الصراع القائم في فلسطين والمعركة الدائرة ليست من أجل مساحة من الأرض وإن كانت الأرض ساحتها، وليست صراعا قوميا أو عرقيا وليس طبقيا كما يدعي الشيوعيون بل ليس صراعا بين واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط والمتخلفين العرب كما يدعي الأمريكيان والغربيون ولكنه صراع حضاري بكل معنى الكلمة وبكل ما تحمله كلمة الحضارة من معان روحية وثقافية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وسياسية"^٥.

^١ - النساء: الآية ١٥٧.

^٢ - فلسطين بين المنهج الرباني والواقع، عدنان النحوي، الرياض، ط١، ١٩٨٩م، ص٧.

^٣ - حركة المقاومة الإسلامية حماس الانطلاق ومعادلة الصراع، مرجع سابق، ص٢٣.

^٤ - الدكتور إبراهيم مقادمة ولد في مخيم البريج ١٩٥٢ درس طب الأسنان في القاهرة اعتقل في ١٩٨٤ مكث ثمانية سنوات ونصف في سجون الاحتلال ونحو خمسة سنوات في سجون السلطة، يعتبر أحد مؤسسي الجناح العسكري لحماس، اغتاله الاحتلال الصهيوني بقصف سيارته بخمسة صواريخ يوم ٢٠٠٣/٣/٨م.

^٥ - معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، الدكتور إبراهيم المقادمة، الأرض المحتلة، مؤسسة اليم، ط٢، ١٩٩٤م، ص٦٩.

وتعتبر نظرة الدكتور المقادمة للصراع نظرة شاملة، تصف حيثيات الصراع بعيداً عن الدخول في خلاف حول كون الصراع دينياً أم سياسياً، وإن كان دينياً ضد اليهود فهل كل اليهود أعداء للفلسطينيين لمجرد يهوديتهم، وإن كان صراعاً سياسياً فهل هو صراع قابل للنقاش والتفاوض ويمكن لأطرافه أن يتوصلوا إلى حل وتعايش؟، هذا الأمر بالنسبة للشمولية التي يطرحها الدكتور المقادمة في بحثه تؤكد بأن الصراع قائم عبر الأجيال والتاريخ وهو صراع بين حضارتين وليس صراعاً بين دينين.

رغم الهالة التي رافقت الصراع من قبل الكثير من الإسلاميين والتي دعمت بالآيات العديدة وأحاديث الشام الكثيرة ووقفية الأرض وربطها بحادثة الإسراء والمعراج، رغم ذلك كله يرى باحثون آخرون أن الصراع هو صراع على أرض مباركة محتلة وليس صراعاً على عقيدة مشيراً إلى أن هذه الهالة الإسلامية والعقدية من أجل أن تحفز المسلمين بالهبة والقيام بتحرير فلسطين وإنقاذها من براثن الاحتلال.

ويرى خالد الحروب الباحث في مركز الدراسات الدولية بجامعة كامبردج في مدينة لندن أن الكثير من الأدبيات التي تناولت رؤية حماس الفكرية والسياسية للصراع على أرض فلسطين كانت تصور بأنه صراع عقدي بين الإسلام واليهودية في حين يؤكد الحروب: "أن جوهر النزاع بين الطرفين هو الأرض لا العقيدة، والجهاد بحسب ما يورد ميثاق حماس موجه ضد تحكم أهل الكفر في أرض المسلمين، مشيراً أن الميثاق عندما تحدث عن قدسية القضية وإسلاميتها، فإنه وظفها من أجل حشد البعد الإسلامي الخارجي وإثارة التأييد العام في أوساط المسلمين".^١

وهذا ما يؤكد عليه الميثاق عندما يذكر في المادة الخامسة عشرة: "لا بدّ من ربط قضية فلسطين في أذهان الأجيال المسلمة على أنها قضية دينية ويجب معالجتها على هذا الأساس فهي تضم مقدسات إسلامية حيث المسجد الأقصى الذي ارتبط بالمسجد الحرام رباطاً لا انفصام له ما دامت السماوات والأرض، بإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه منه".^٢

ولعل الدكتور ناصر الدين الشاعر يلتقي مع الباحث الحروب في نفس التصور حيث يرى أن المسلمين يعادون اليهود ليس لأنهم يهود وإنما لاحتلالهم وإفسادهم واغتصابهم لأرض المسلمين ومقدساتهم، مشيراً أنه لا داعي لتحميل النصوص أكثر مما تحتمل "فلا داعي لزجّ العقيدة مثلاً في موضوع حياتي، بالرغم مما لذلك الموضوع من خصوصية وامتياز، حيث يرى الدكتور الشاعر " أن علماء الإسلام تحدثوا عن عقيدة المسلمين عهوداً من غير أن تكون فلسطين جزءاً من هذه العقيدة في مؤلفاتهم... ويتساءل الدكتور الشاعر: هل كانت عقيدة المسلمين منقوصة قبل فتح القدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب! وهل ذكر فلسطين وبيت المقدس في القرآن الكريم يعني

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٧.

^٢ - المادة الخامسة عشرة، ميثاق حماس.

أنها بذلك تصبح جزءاً من عقيدة المسلمين ؟ أم أن ذلك يشير إلى أمر آخر وهو المكانة الخاصة والبركة المميزة مثلاً ؟^١.

ومن هنا فإن المجلد العام لخطاب حماس السياسي تجاه الصراع على فلسطين أنه صراع حضاري شامل جذرته العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي ضد اليهود الصهاينة المحتلين الذين احتلوا فلسطين المباركة بدعم استعماري غربي لتمكين الحركة الصهيونية من إقامة دولة يهودية، وينبغي على المسلمين أن يجاهدوا هؤلاء اليهود ضمن معركة شمولية تجمع المسلمين في صفوفها.

^١ - عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (وجهة نظر إسلامية)، الدكتور ناصر الدين الشاعر ، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس - فلسطين، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٨.

المطلب الثالث: البرنامج التحرري والسياسي لحماس

إذا كانت حماس ترجع في أصلاتها وعمقها الفكري والسياسي إلى حركة الإخوان المسلمين فإن ذلك يعني أن خطاب حماس السياسي لن يختلف عن خطاب حركة الإخوان المسلمين نفسها التي تسعى جاهدة لإقامة حكم إسلامي يحكم شريعة الله في الأرض.

لكن خطاب حماس التحرري والسياسي ورغم هدفه البعيد الذي يرنو لدولة قرآنية راشدة، حافظ على خصوصية المكان المتمثل في القضية الفلسطينية، فغلب على هذا الخطاب الخوض في برنامج عمل تجاه قضية الشعب الفلسطيني القائمة على الأرض إضافة إلى الصراع اليومي مع الاحتلال الصهيوني.

وعندما نتحدث (حماس) عن بعدها المكاني فإنها تجيب عن ذلك بقولها: "توجد حماس حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهج حياة لهم في أية بقعة من بقاع الأرض، فهي بذلك تضرب في أعماق الأرض وتمتد لتعانق السماء"¹ في الوقت نفسه تؤكد بأنها حركة فلسطينية متميزة تعطي ولاءها لله وتتخذ من الإسلام منهج حياة وتعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين"² وبذلك نفت عن نفسها صفة العالمية بعكس حركة الإخوان المسلمين التي بين الإمام حسن البنا رحمه الله أنها حركة عالمية لا يحدها قطر، ومن هنا فإننا نفهم أن استراتيجية حماس تجاه الدولة لا تتعدى الحدود الفلسطينية التاريخية، ولكن دولة تحت راية القرآن كما يوضح ميثاق حماس نفسه.

لكن يعود الميثاق ليؤكد في الباب الثاني الذي يتحدث عن أهداف حماس وعلى وجه الخصوص في المادة التاسعة: " أن من أهداف حماس منازلة الباطل وقهره ودحره ليسود الحق وتعود الأوطان وينطلق من فوق مساجدها الأذان معلنا قيام دولة الإسلام "³.

ورغم حديث حماس عن الدولة الإسلامية (الخلافة) في أدبياتها وميثاقها وبيانها، إلا إنه لا يأخذ تلك الخصوصية الشمولية في خطاب حماس، وإنما ينصب برنامجها في مراحلها المتعددة تجاه تحرير فلسطين.. فلسطين فقط، ضمن رؤية متكاملة تنطلق من خلال دوائر ثلاث: الدائرة الإسلامية والعربية والفلسطينية، ولهذا ترى حماس أن البرنامج التحرري ضمن هذه الدوائر هو الأقرب والأجدر لاقترب يوم التحرر كما ورد في المادة الرابعة عشرة من ميثاق الحركة حيث تقول: " قضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث، الدائرة الفلسطينية والدائرة العربية والدائرة الإسلامية وكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث لها دورها في الصراع مع الصهيونية وعليها واجبات، وإنه لمن الخطأ الفادح والجهل الفاضح، إهمال أية دائرة من هذه الدوائر، ففلسطين

¹ - المادة الخامسة، ميثاق حماس.

² - المادة السادسة، ميثاق حماس.

³ - المادة التاسعة، ميثاق حماس.

أرض إسلامية بها أولى القبيلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ولما كان الأمر كذلك ف تحريرها فرض عين على كل مسلم حيث ما كان وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إلى القضية ويجب أن يدرك ذلك كل مسلم^١.

الدولة الإسلامية بين مفهوم الإخوان وحماس

لقد عملت حركة الإخوان المسلمين طوال سبعة وسبعين عاما منذ إنشائها وولادتها على إيجاد دولة إسلامية قرآنية راشدة لا تحدها حدود ولا تحجب آفاقها الشمس، وتجسد ذلك من خلال نهج الإمام البنا رحمه الله الذي كان يجند الملايين من البشر للعمل من أجل إقامة هذه الدولة ليس في مصر فحسب وإنما فوق هذه الأرض دون حدود سياسية، وقد برز ذلك وتجلّى عندما بدأت دعوة الإخوان المسلمين تنتشر في كافة مدن وقرى وأرياف مصر لتنتقل بعد ذلك إلى الشام والمدن السورية واللبنانية ومن ثم إلى الأردن وفلسطين وشمال إفريقيا ولتصبح دعوة عالمية تهدف إلى إقامة الإسلام في الأرض والحفاظ عليه من خلال إقامة الدولة الإسلامية وحكومتها القائمة على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية.

لقد تعامل الإمام البنا مع مشروع الدولة الإسلامية، ليس كمشروع إسلامي سياسي فحسب، وإنما كان يرى أن " تطبيق الإسلام كمنهج حياة كامل لا يكون إلا من خلال هذه الدولة " ^٢ ولهذا أكد على ضرورة إقامة دولة الخلافة في رسالة المؤتمر الخامس حيث قال: "والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات.."^٣.

ولم يفصل الإمام البنا العمل على إقامة الدولة الإسلامية عن العمل الدعوي معتبرا أن سلامة الدعوة ونقاءها واستمرارها هو الجذر الحقيقي لهذه الدعوة، فنجده يقول في رسالة نظام الحكم: " لا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية دولة تحفظها وتنتشرها وتبلغها وتقويها"^٤.

^١ - المادة الرابعة عشر، ميثاق حماس.

^٢ - حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، (قراءة في فكر الإمام الشهيد حسن البنا)، الدكتور عبد الحميد الغزالي، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث - دار النشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ١٥٣.

^٣ - مجموعة رسائل الإمام الشيخ حسن البنا، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، ط٣، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م، ص ١٤٤.

^٤ - نفس المرجع، ص ٣١٧.

ولهذا فإن الدولة في نظر الإخوان المسلمين هي دولة عالمية لكل الأمة، وليس لقطر واحد.. فيما تعمل حماس على تحرير فلسطين وإقامة هذه الدولة في فلسطين وليس في قطر آخر، انطلاقاً من خصوصية القضية، هذا الأمر الذي أثار خلافاً لدى أوساط بعض الإخوان ممن يقومون على العمل الإسلامي وبين حركة الإخوان نفسها، التي كانت تناقش قضايا الأمة بمنطق العالمية، في الوقت الذي كان البعض يدعو لخصوصية القطر وأوضاعه الخاصة.. مما أدى إلى فصله من الحركة، ونخص بالذكر الدكتور حسن الترابي الذي كان يرى " أنه ينبغي أن يكون لكل قطر خصوصيته ولا يجب أن تخضع كل الأقطار لتوجيه سياسي وفكري واحد، وأن خير من يصوغ نظرية العمل والحركة في القطر هو أهله وليس أي طرف خارجي " ¹.

ورغم خصوصية حماس في فلسطين وظروفها التحريرية إلا إنها ما زالت تفتخر بجذورها الإخوانية وامتدادها الطبيعي للحركة الأم مع تتمرس حماس ببرنامجه السياسي الخاص.. مع عملها الدؤوب لإقامة الدولة الإسلامية القادمة على أساس الإسلام، وكان أنصار حزب التحرير دوماً يهاجمون حماس على مواقفها المتعددة، وخاصة موقفها من الدولة الفلسطينية لأنهم يعتقدون أن حماس من خلال ذلك الموقف تقزم مشروع الأمة الإسلامية من دولة خلافة عالمية إلى دولة قطرية إقليمية محدودة في فلسطين.

ومع ذلك لا تجد حماس حرجاً شرعياً ولا سياسياً في ذلك لأن الدولة التي تؤيدها حماس وتدعو لها في فلسطين ينبغي أن تكون إسلامية، وقد أكد الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، مؤسس حركة حماس في مقابلة له قائلاً: "نحن نختلف مع الآخرين بالنسبة للدولة لأننا نريدها إسلامية وهم يريدونها علمانية لا تتقيد بشريعة الإسلام ولا بنظامه وعقيدته" ²، وقد أكدت حماس على ذلك أيضاً خلال مشاركتها في مؤتمرات الحوار الفلسطيني الفلسطيني إنها "تدعو إلى قيام مجتمع فلسطيني يتمتع بالهوية العقدية المرتبطة بالله، والتمسكة بحقوقها مؤمنة برسالتها الحضارية لتسود روح العدل والإخاء والمحبة والمساواة في ظل الاحترام المتبادل وسيادة القانون المنبثق عن الشريعة الإسلامية" ³ وبذلك ترى حماس أن مقاومتها الجهادية المسلحة جنباً إلى جنب مع برنامجها الدعوي والفكري والعمل المؤسسي سيؤدي في الحصلة إلى إقامة مشروع تحرري إسلامي ووطني ينهي وجود الاحتلال ويؤدي إلى إقامة الدولة المنتظرة التي تراها حماس إسلامية بحسب طرحها الأيديولوجي.

¹ - الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية (أوراق في النقد الذاتي)، الدكتور عبد الله النفيسي (محرراً) مكتبة المدبولى، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٢٥٣.

² - مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث، السنة ١٣، آذار ١٩٩٥م.

³ - من خطة عمل قدمتها حماس حول العلاقات الوطنية الداخلية، للمؤتمر السياسي للقوى الوطنية والإسلامية الذي عقد في نابلس بتاريخ ٣٠/٨/١٩٨٨م.

تحرير فلسطين التاريخية (من البحر إلى النهر)

أكدت حماس منذ تأسيسها أنها تتعامل مع فلسطين المباركة على أنها أرض إسلامية وقفية لها خصوصية عقدية، ولهذا فإنها ترى أن آفاق الجهاد والعمل على تحريرها ينبغي أن يكون مطلقاً وليس محدداً، بمنطقة أو فترة زمنية.

وقد جاء خطاب حماس السياسي منذ ولادة الحركة داعياً إلى عدم جواز التنازل أو التفريط عن أية ذرة من تراب فلسطين، وما دام أنها أرض موقوفة على أجيال المسلمين حتى يوم القيامة، فإنه لا يحق لأي كان سواء كان دولة أو منظمة أو فرداً أن يساوم عليها أو يقطع جزءاً منها، وقد تجلّى ذلك من خلال بيانات الحركة الدورية^١.

إضافة إلى أن ميثاق الحركة ركز على هذا المبدأ معتبراً فلسطين كلاً لا يتجزأ، وقد قامت حماس خلال سنوات الانتفاضة الأولى وما بعدها بتعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية والإسلامية في إطار شعار أن فلسطين التاريخية حدودها من البحر إلى النهر وأنه لا سبيل لتحريرها سوى الجهاد والمقاومة، وقد لاقى هذا البرنامج إقبالا كبيراً لدى الفلسطينيين في الوطن المحتل وفي الشتات أيضاً، حيث يزيد عدد الفلسطينيين خارج الوطن عن خمسة ملايين لاجئ أبعدوا عن وطنهم عام ١٩٤٨ تحت تهديد السلاح، هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون على أمل العودة إلى فلسطين بعد تحريرها.

كما تم دعم هذا البرنامج الشمولي لمسألة التحرير من قبل الجماهير الإسلامية في العالم العربي والإسلامي والتي ترتبط وجدانيا وعقدياً بالقضية الفلسطينية، معتبرين أن برنامج حماس يحقق طموحاتهم، وقد تجلّى صدق البرنامج أمام هؤلاء المسلمين المؤازرين عندما شاهدوا عملياً أن حماس ومن خلال جناحها العسكري (كتائب عز الدين القسام) توجه جل عملياتها واستشهادياتها داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م تأكيداً منها أنها هي عمق القضية وأنه لا حل للقضية الفلسطينية بدونها.

"وكان لهذا التصور الشمولي الأثر الكبير في زعزعة الكيان الصهيوني الذي بات لا يستطعم العيش والحياة في فلسطين المحتلة جراء عمليات حماس المستمرة التي كانت تسعى جاهدة لإقناع كل محتل أنه لن يعيش آمناً في أرض اغتصبها وما عليه إلا أن يعود من حيث أتى"^٢.

وقد شهدت سنوات الانتفاضة الأولى وخاصة عقب العمليات الاستشهادية النوعية في عام ١٩٩٦م هجرة عكسية ملموسة تحدثت عنها الكثير من المؤسسات اليهودية الصهيونية، "فقد نقل على لسان المتحدث عن دائرة الاستيعاب والهجرة في الوكالة اليهودية أن عدد الذين هاجروا من

^١ - بيان حماس الدوري رقم (١٠) الصادر في ١٢/٣/١٩٨٨م.

^٢ - المقاومة الإسلامية ودورها في ضرب العمق الصهيوني، دكتور محمد عبد الفتاح غانم، الدار الإسلامية للإعلام والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٦٣.

داخل الكيان الصهيوني كهجرة عكسية ما بين سنوات الانتفاضة الأولى (١٩٨٩-١٩٩٣) إلى الولايات المتحدة والدول الاشتراكية والدول الأوروبية بلغ مائة وثلاثة وسبعين ألفاً من اليهود، فيما بلغ عدد اليهود الذين هاجروا هجرة عكسية ما بين سنوات (١٩٩٣-١٩٩٦) جراء العمليات الاستشهادية مائتان وثلاثة وخمسين ألفاً^١ وهذا يؤكد على مدى نجاعة البرنامج الجهادي الذي تبنته حماس والذي لم يستثن جزءاً واحداً من الكيان الصهيوني.

لهذا اعتبر بعض الباحثين أن الحفاظ على شمولية التحرير من البحر إلى النهر كمشروع جهادي إسلامي متكامل سيؤدي إلى علاقة عضوية وظيفية مع بقية جسم الأمة الذي سيكون هدفه أيضاً "العمل على إنجاز تحرير فلسطين كاملة من البحر إلى النهر، هذا الهدف الذي سيكون خياراً وحيداً للأمة يحدد رؤيتها التاريخية وأفقها المستقبلي"^٢

حماس والحل المرحلي

إن المنتبغ للتطور المرحلي في فكر حركة حماس السياسي، يرى أنها حركة تحاكي الواقع وتتكيف مع المتغيرات السياسية، بحيث تمتلك مرونة مميزة لكن هذا التكيف لا يتعدى الخطوط الحمراء المتمثلة بالضوابط الشرعية التي تعتبر مرتكزاً بل مرجعاً لكافة سياسات الحركة.

ومع أن بعض الباحثين يرى أن حماس لم تكيف المراحل السياسية التي مرت بها ولم تسلسلها، وإنما فرضت عليها في ظل زحمة الأحداث والضغوطات، إلا إنه يلاحظ ومن خلال التسلسل التاريخي لنشأة الحركة أن خطاب حماس السياسي وبرنامجها المطروح كان مواكبا لتطور الصحو الإسلامية في فلسطين ومتناغماً مع حركة التاريخ المعاصرة التي خلفت جيلاً فعله أكبر من عمره، فجاءت حماس بمراحلها السياسية لتلبي طموحات هذا الجيل المتوقد للجهاد والمقاومة والذي ولد من رحم انتفاضة الحجور، تلك الانتفاضة التي تفجرت عام ١٩٨٧ جنبا إلى جنب مع صحو المساجد التي استوعبت التدافع منقطع النظير لجيل الشباب الذي تربى في المساجد فكانت له بمثابة الحاضنة.

ويرى الباحث خالد الحروب أنه "باتساع شعبية الحركة في فلسطين وتساعد قوتها الانتفاضية ثم العسكرية في الشارع قد سبقا تطورها السياسي مما أدى ذلك إلى عجز السياسي عن احتواء الشعبي ممثلاً بالقوى المتصاعدة"^٣.

ولهذه العوامل التي سبقت يلاحظ أن التعامل مع واقع القضية الفلسطينية نحو التحرير كان يتمحور باتجاه ثلاث مواقف "وهي على النحو الآتي:

١- فلسطين التاريخية من البحر إلى النهر.

^١ - نفس المرجع ص ٩٧.

^٢ - حركة المقاومة الإسلامية حماس الانطلاق ومعادلة الصراع، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٣ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٧٥.

٢- الموقف المرحلي (دولة فلسطينية في الضفة والقطاع).

٣- الحل المرحلي باتجاه الهدنة.

هذه المواقف التي لم تكن متتابعة زمنياً بمعنى أنها لم تتطور تدريجياً^١.

ومما يؤكد ذلك أن الطرح المرحلي من قبل حماس لحل القضية طرح في أكثر من موقع، حيث يرى الباحث الحروب " أن أول مشروع سياسي طرح على الكيان الصهيوني كان من قبل الدكتور محمود الزهار الذي قدم في آذار ١٩٨٨م إلى شمعون بيرس الزعيم الصهيوني الذي كان يشغل آنذاك منصب وزير الخارجية وقد تحدث عن هذا المشروع بإسهاب الباحث زكريا إبراهيم في كتابه: مشاريع تسوية قضية فلسطين من عام ١٩٢٠ حتى نهاية عام ١٩٩١م ولم يكن الزهار آنذاك ناطقاً باسم حماس بل كان عضواً فيها ومتحدثاً بصفته الإسلامية العامة وقد اشتمل مشروعه على حلين، أحدهما معجل والآخر مؤجل، فالحل المعجل كان ينص على ما يلي:

١- إعلان إسرائيل الانسحاب من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م بما فيها القدس المحتلة بالتحديد.

٢- توضع الأراضي المحتلة وديعة في يد الأمم المتحدة.

٣- يسمى الشعب الفلسطيني ممثليه من "الداخل" و "الخارج" بالطريقة التي يريتها من دون أن يكون لإسرائيل أي حق في الاعتراض إلا إذا أعطي الشعب الفلسطيني حق الاعتراض على ممثلي إسرائيل.

٤- تبدأ المباحثات بين الممثلين بشأن النقاط المتعلقة بالحقوق كافة في الوقت الذي يوافق الطرفان عليه.

أما الحل المؤجل فكان على النحو الآتي:

— إخراج طبيعة الصراع من الدوائر الضيقة إلى الدائرة الأوسع وهي إسلامية الطرح وربط قضية فلسطين بالشعوب المسلمة ربطاً عقدياً^٢.

كان هذا المشروع مفاجئاً للجماهير الثائرة المنتفضة التي لم يكن بمقدورها أن تستوعب مثل هذا الطرح وخاصة بعد مرور ثلاثة أشهر ونصف فقط من اندلاع الانتفاضة المباركة، أضف إلى ذلك أن هذا المشروع كان من بنات أفكار شخص وليس حركة تعمل في الميدان وتقدر مقتضيات أمرها ومستقبلها إضافة إلى أن طرح الزهار هذا لم يكن خلال مؤتمر أو جلوس رسمي بينه وبين ممثل عن حكومة إسرائيل وإنما كان ذلك خلال استدعاء الحاكم العسكري الصهيوني للدكتور الزهار مرغماً، والحديث معه عن الواقع السياسي ودوافع الانتفاضة، وكانت القيادات العسكرية الصهيونية دوماً تحاول الالتقاء بقيادة الانتفاضة سواء عن طريق استدعائهم مرغمين إلى دوائر

^١ - نفس المرجع، ص ٧٦، ٧٥.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٨٠.

الحكم العسكري الصهيوني أو من خلال الالتقاء بهم داخل السجون والمعتقلات، كما حصل مع الشيخ أحمد ياسين عندما كان يلتقيه التلفزيون الصهيوني كما حصل يوم اختطاف الجندي الصهيوني (نسيم توليدانو) من قبل حماس يوم ١٤/١٢/١٩٩٢م وغيرها من اللقاءات الكثيرة، مثل لقاء إسحاق رابين الذي كان يشغل منصب وزير الحرب الصهيوني الأسبق مع المعتقلين الفلسطينيين في معتقل النقب الصحراوي عام ١٩٩٠م حيث كان من بين الذين التقاهم الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، أحد أبرز قيادات حماس آنذاك^١، هذه اللقاءات الصهيونية كانت تهدف مرارا محاوره قيادات حماس والتيار الوطني حول تفاعل الانتفاضة وتطورها، كما تم الالتقاء أيضا مع الشيخ صلاح شحادة رحمه الله مؤسس الجناح العسكري لحركة حماس والذي كان يفاوض السجائين مرغماً من أجل " الكشف عن المكان الذي دفن فيه الجنديان الإسرائيليان المخطوفان من قبل حماس وهما (آفي سبورتر وإيلان سعدون)"^٢، ولم تتوقف هذه اللقاءات التي كانت حكومة الكيان الصهيوني تتعامل معها بالمنطق الأمني وليس بالمفهوم السياسي المتعارف عليه في المفاوضات والحوارات.

ورغم ذلك كانت حماس تعتبر أن أي لقاء من هذه اللقاءات لا يمثلها ولا يمثل سياساتها، لأن المعتقل لا يملك زمام أمره ولا يتحكم بإرادته، أضف إلى ذلك أنه يعيش تحت الضغوطات، ولهذا كان موقف الحركة واضحاً، من أن هذه اللقاءات غير ملزمة للحركة حتى ولو صدرت عن مرشدها ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين من داخل سجنه آنذاك.

لقد أسفرت حركة التدافع ما بين (حماس) المتصاعدة وما بين حركة فتح التي تدفع باتجاه المفاوضات مع الكيان الصهيوني إلى خلافات حادة في الشارع الفلسطيني وخاصة داخل حرم الجامعات الفلسطينية، وتزايدت حدة هذه الخلافات بعد دخول السلطة الفلسطينية وفتح أبواب معتقلاتها للمئات من قيادات وأفراد حركتي حماس والجهاد الإسلامي وبعض عناصر قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

"أما خارج الأرض المحتلة فلعل أولى الإشارات وضوحاً وأبرزها في خطاب حماس بشأن قبولها بالحل المرحلي، ما ورد على لسان ممثلها في الأردن محمد نزال، في تصريحات شهيرة له في عمان في كانون الثاني ١٩٩٣م حينما أعرب عن استعداد الحركة للقبول بحل سلمي مقابل

^١ - هذه المعلومات كانت نتاج لقاءات وحوارات مع معتقلين فلسطينيين التقاهم الباحث في معتقل عوفر العسكري في ١٤ شباط و٢٣ آذار ٢٠٠٣م حينما كان معتقلاً في نفس المعتقل حيث تحدث هؤلاء المعتقلون عن تلك الحوارات التي عايشوها بشخصهم مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في معتقل النقب الصحراوي.

^٢ - القادم لقتلك، يعقوب بيرى (رئيس الشاباك السابق) طبعة مترجمة، بدون تاريخ ولا مكان نشر، ص ١٤٨

انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م ومن دون شرط الاعتراف بدولة إسرائيل^١.

عوامل كثيرة دفعت "حماس" نحو هذا التوجه قد يكون أبرزها التحول السريع والمباشر في سياسة منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح نحو المفاوضات والسلام والإقرار بقيام دولتين وخاصة بعد دورة المجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في الجزائر في تشرين الأول من عام ١٩٨٨م والتي أعلنت قيام الدولة الفلسطينية في المنفى إضافة إلى اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، مما دفع المنظمة إلى استثمار الانتفاضة ومن ثم السعي إلى إيقافها الأمر الذي أثر سلباً على حركة ناشئة وليدة مثل "حماس"، إضافة إلى متغيرات دولية كان أبرزها حرب الخليج الثانية والتحالف الدولي ضد العراق والذي خلق حالة من اليأس والقنوط في الشارع العربي والإسلامي والفلسطيني أيضاً.. جنبا إلى جنب مع الضربات المتوالية التي تلقتها الحركة خلال حملات الاعتقالات المستمرة ضد قيادات الحركة وعناصرها عقب عمليات حماس النوعية المتمثلة في العمل الاستشهادي في العمق الصهيوني وخاصة في الأعوام ١٩٨٩ - ١٩٩٣ م، حيث وصلت ذروة القمع الصهيوني للحركة إلى إبعاد المئات من أفرادها أواخر ١٩٩٢م إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني وما تلاها من اعتقالات^٢.

كل ذلك أدى إلى بروز الطرح المرحلي غير المستوعب لدى جمهور وتيار حماس الذي كان يرى أن حل القضية لا يكون إلا بالجهاد كما تربي في صفوف جماعة الإخوان المسلمين إضافة إلى أدبيات حماس التي عبأت الجماهير بضرورة الحل التاريخي القائل بأن فلسطين من البحر إلى النهر، فكانت أطروحات حماس نحو المرحلية سواء أكانت فردية أم من الحركة نفسها، بمثابة الصاعقة على جمهور الحركة الذي كان يعيب هذا النهج على منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها.

حماس ومشروع الهدنة

لقد كان لتوقيع الرسول صلى الله عليه وسلم على بنود صلح الحديبية في العام السادس للهجرة مع سهيل بن عمرو مندوبا وممثلا عن قريش والقبائل العربية، انعكاس هام في التاريخ، حيث كان هذا الحدث تشريعا للمسلمين في علاقاتهم مع غيرهم.

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٨١ نقلا عن تصريحات لمحمد نزال في صحيفة الراي الاردنية في ٣١/١/١٩٩٣م وأخرى لوكالة رويترز العالمية.

^٢ - تعتقد قيادات ميدانية في حماس ان عملية الابعاد إلى مرج الزهور جرت لتهيئة الوضع السياسي وتخفيض وتيرة الانتفاضة أمام تيار منظمة التحرير الفلسطينية الذي يريد الدخول في مفاوضات مع إسرائيل حتى ينجح هذا التيار في مهمته بعيدا عن معارضة حماس والجهاد الإسلامي الفاعلة على الأرض من خلال =تغيبها خارج الوطن مدة عامين.. حيث استنتج الباحث ذلك من خلال لقاءاته المتعددة مع قيادات حماس في مرج الزهور كونه احد المباعدين.

"فقد استدلت العلماء والأئمة بهذا الصلح على جواز عقد أي هدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة، سواءً أكان ذلك بعوض يأخذونه منهم أم بغير عوض، أما بدون عوض فلأن هدنة الحديبية كانت كذلك، وأما بعوض فبقياس الأولى لأنها إذا جازت بدون عوض، فلئن تجوز بعوض أقرب وأوجه"^١.

وقد كانت مدة صلح الحديبية عشر سنين، أي صلحا مؤقتا وليس صلحا دائما، ومن هنا "ذهب الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وكثير من الأئمة إلى أن الصلح لا ينبغي أن يكون إلا إلى مدة معلومة وأنه لا يجوز أن تزيد المدة على عشر سنوات مهما طال، لأنها هي المدة التي صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشا عليها عام الحديبية"^٢.

وحتى لو كان الصلح مؤقتا فقد اشترط العلماء أن تكون بنود الصلح مشروعة صحيحة وليست باطلة وقد اتخذ المسلمون من بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم هذا الصلح ليكون حكما فقهيا قائما يرتكزون عليه في علاقاتهم مع الآخرين من غير المسلمين.

وعلى نفس النهج واستنادا لنفس الحكم الشرعي القاضي بمشروعية عقد الهدنة، فقد عقد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي صلحا مع الصليبيين أطلق عليه (صلح الرملة) "وذلك عام ١١٩٢م بحيث تتوقف الحروب والمواجهات بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وقد قدر القائد صلاح الدين واقع المسلمين وما حل بالجيش من سأم فقام بعقد هذا الصلح"^٣.

ولأن حماس تحافظ على الثوابت الإسلامية في خطابها السياسي ومبادراتها وخططها، فقد كان ذلك مسوغا لها أن تطرح مشروع الهدنة مع الكيان الصهيوني بما يخدم مصلحة الأمة والشعب والحركة.

حيث بدأت إرهابات الحديث حول هذه الهدنة تصل إلى قواعد الحركة الذين كانوا يستوعبون ذلك فقهيا لكن الكثير منهم لم يستوعبوا ذلك سياسيا، جراء الهالة الكبيرة التي اكتسبتها حماس من خلال عملياتها العسكرية المميزة وعطائها الفكري والدعوي والسياسي في الشارع الفلسطيني، مما أخرجها ابتداء عند طرح هذا المشروع الذي يصعب استيعابه من قبل التيار الشعبي الكبير الذي التحق بحماس تأييدا أكثر منه التزاما تنظيميا، وهذا يؤكد وجهة النظر السابقة التي طرحها الباحث خالد الحروب.

وقد بادر الشيخ أحمد ياسين بالتلميح ابتداءً وبالتصريح الرسمي انتهاءً حول إمكانية قبول حماس لهدنة مع إسرائيل من خلال كلمات كان يكتبها في رسائل وهو داخل سجن (كفار يونا)

^١ - فقه السيرة النبوية، دكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م، ص ٢٤١.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٤٢.

^٣ - سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، بهاء الدين المعروف بابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان، بلا تاريخ، ص ٣٠٤.

الصهيوني، ويرسل بها إلى إخوانه وأنصاره، حيث وصل بعض هذه الرسائل إلى مخيم مرج الزهور في الجنوب اللبناني عام ١٩٩٣م، واطلع عليها الباحث، فيما نشر البعض الآخر من خلال تقرير موسع عن حركة حماس في مجلة الوسط الصادرة في لندن^١، حيث أكدت هذه الرسائل أن الشيخ أحمد ياسين أجاب عن عدة تساؤلات وأطروحات طرحها عليه عضو الكنيست العربي طلب الصانع لدى زيارته الشيخ ياسين والالتقاء به داخل السجن، حيث أبدى فيها الشيخ موافقته على توقيع هدنة لعشر سنين مع الكيان الصهيوني شريطة أن ينسحب من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس المحتلة إلى حدود عام ١٩٦٧م دون شروط وتترك الحرية للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره^٢.

وكان الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس آنذاك، قد قدم مبادرة لمشروع هدنة مؤقتة باسم حماس عام ١٩٩٤م أبدى خلالها استعداد الحركة للموافقة على هدنة تفسح المجال للآخرين بالخروج من مآزقهم الإقليمية والدولية ويقصد بذلك منظمة التحرير الفلسطينية، وسلطتها التي كانت تتعامل مع عمليات حماس على أنها مشروع يفسد الحلم الفلسطيني الوليد المتمثل بالسلطة الفلسطينية. وقد نشر المكتب السياسي لحماس تفاصيل مبادرة الدكتور موسى أبو مرزوق "والتي كانت على النحو التالي:

- ١- إن حماس لديها الاستعداد لعقد هدنة مؤقتة مع الكيان الصهيوني وهذا مباح شرعا.
- ٢- تنسحب قوات الاحتلال الصهيوني من الضفة والقطاع والقدس دون شروط.
- ٣- تفكيك وإزالة المستوطنات وترحيل المستوطنين في الضفة والقطاع والقدس.
- ٤- إجراء انتخابات تشريعية حرة وعامة للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج لاختيار قيادته وممثليه، بحيث يكون من صلاحية هذه القيادة المنتخبة والشرعية التعبير عن إرادة الشعب وطموحاته^٣.

ويعتبر هذا الطرح وبهذا الشكل وضمن هذه النقاط هو المشروع الأول في تاريخ الحركة الإسلامية الفلسطينية من خلال برنامج سياسي واضح تجاه العلاقة مع الاحتلال الصهيوني، وكذلك بالنسبة لحماس "فإنه ولأول مرة في تاريخها السياسي تقدم حماس رؤية غير تاريخية على شكل برنامج سياسي محدد"^٤.

^١ - مجلة الوسط (لندن) عدد ٩٢ الصادر في ١١/١١/١٩٩٣م.

^٢ - من مقترحات الشيخ ياسين التي وردت في رسالة له خرجت من السجن ووصلت إلى مخيم مرج الزهور بجنوب لبنان وحفظت في أرشيف اللجنة الاعلامية، وتمكن الباحث من الاطلاع عليها هناك عام ١٩٩٣م.

^٣ - السبيل الاردنية، ١٩/٤/١٩٩٥م، وكذلك بيان المكتب السياسي لحماس الصادر في ٢٦/٤/١٩٩٤م.

^٤ - حركة حماس بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل: من مثلث القوى إلى المطرقة والسندان، خالد الحروب، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٨، ربيع ١٩٩٤م، ص ٣٢.

إن ما تراهن عليه حماس في قبولها للهدنة أنها تقدم مشروعاً سياسياً لا يخالف ثوابت الحركة الشرعية، مستدلة بمشروعيتها فقهاً من خلال ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم لها، إضافة إلى عدم إقامة صلح دائم مع الكيان الصهيوني، لأن حماس تعتقد بأن هذا النوع من الصلح لا يجوز، أضف إلى ذلك أنها لم ولن تعترف بالكيان الصهيوني نفسه كما تؤكد من خلال نصوص هذه الهدنة وغيرها من أدبيات الحركة وكافة المشاريع التي تطرحها في هذا الإطار.

وبعد خروج الشيخ أحمد ياسين من السجن وبعد دخول السلطة وبسط نفوذها في مناطق الضفة والقطاع وخلال مقابلات عدة للشيخ ياسين أعيد طرح موضوع الهدنة بنفس التفاصيل السابقة وشروطها¹، وقد زاد الحديث عن موضوع الهدنة من خلال الضغوطات التي تعرضت لها الحركة في ظل السلطة والتي تمثلت في اعتقال رموز الحركة وعلمائها وقادتها من أمثال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والدكتور إبراهيم المقادمة والشيخ جمال منصور رحمهم الله إضافة إلى الدكتور محمود الزهار والشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين والشيخ محمد جمال الننتشة وغيرهم كثير، هذا بالإضافة إلى فرض الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد ياسين رحمه الله عقب توقيع اتفاق (واي بلانتيشن) في الولايات المتحدة الأمريكية، مما دفع بالحركة للاتجاه نحو الهدنة أكثر فأكثر خشية دخولها في صراع مع السلطة نفسها جراء وقع العمليات الاستشهادية التي كانت تقوم بها الحركة، فيقوم الكيان الصهيوني بتحميل السلطة ورئيسها مسؤولية ذلك.

وخلال لقاءات الحوار المتكررة التي كانت حماس تشارك فيها مع السلطة الفلسطينية وبحضور الفصائل الفلسطينية الأخرى كان نقاش الآخرين دوماً إنه ينبغي على حماس مراعاة المصلحة الفلسطينية العليا، حيث ترى السلطة الفلسطينية مصلحتها العليا تكمن في الحفاظ على الإتفاقيات المبرمة والتنسيق الأمني المتفق عليه وعدم القيام بأعمال عسكرية جهادية من قبل التنظيمات والفصائل الفلسطينية.

وخلال انتفاضة الأقصى وفي حزيران من عام ٢٠٠١م، أعلنت حماس وعلى لسان الشيخ حسن يوسف ممثل الحركة في الضفة الغربية عن هدنة من طرف واحد تتمثل في وقف العمليات الاستشهادية داخل المنطقة الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م ولمدة عام مقابل قيام الكيان الصهيوني وقف كامل أعماله العدوانية العسكرية ضد الفلسطينيين، إلا إن هذه الهدنة لم تعمر سوى أسبوعين، حيث قامت دولة الكيان الصهيوني بعمليات اغتيال وقتل ضد الفلسطينيين.

وفي حوار القاهرة الذي بدأ يوم ٢٤/١/٢٠٠٣ م لمناقشة المبادرة المصرية المطروحة لتوصل الفصائل الفلسطينية لوقف إطلاق النار لمدة عام^٢، حضر اللقاء خالد مشعل رئيس المكتب

¹ - جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٥/٦/٣م، فلسطين المسلمة، اذار ١٩٩٥م.

² - انظر: التفصيل الكامل لحوار القاهرة الذي عقد في ٢٤/١/٢٠٠٣م من خلال وثيقة غير منشورة حصل عليها الباحث ومثبته في قائمة المراجع.

السياسي لحركة حماس ومحمود عباس أبو مازن ممثلاً عن حركة فتح والسلطة الفلسطينية وبقية قادة الفصائل الفلسطينية في الداخل والخارج، وقد عرض على حماس وقف العمل المسلح لمدة عام من طرف واحد للضغط على إسرائيل لوقف أعمالها ضد الفلسطينيين ولكن حركة حماس رفضت ذلك فيما أبدت استعداداً لوقف العمليات العسكرية ضد المدنيين اليهود إذا ما التزم الكيان الصهيوني بوقف العمل العسكري ضد المدنيين أيضاً، في حين احتفظت حماس بحقها في استمرار أعمالها الجهادية ضد العسكريين في كل مكان من فلسطين التاريخية، كما أكدت حماس أيضاً أنه إذا لم تلتزم إسرائيل بوقف الأعمال العسكرية ضد المدنيين الفلسطينيين فإن العمليات العسكرية ستبقى مستمرة ضد المدنيين الإسرائيليين أيضاً¹.

لكن الكيان الصهيوني رفض هذه الهدنة وهذه الطروحات التي طرحتها حماس خلال لقاء القاهرة وبذلك فشلت المبادرة المصرية المطروحة وهكذا يظهر خطاب حماس التفاوضي خطاباً يستند إلى جذور ومرتكزات شرعية تحرص أن يكون لكل هدنة فترة زمنية وليس مطلقة لأن حماس تعي أن الصلح الدائم غير جائز شرعاً، ولهذا فإنها ميزت خطابها السياسي التفاوضي بحيث يلتقي مع الهدنة وليس مع الصلح الدائم.

¹ - من مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي يوم ١٧/٢/٢٠٠٣م.

المطلب الرابع: رفض الحلول السياسية للقضية دينيا وسياسيا

امتدادا لخصوصية الصراع على فلسطين والتي اتخذت طابعا حضاريا منذ اغتصاب اليهود الصهاينة لها وحتى بعد اتفاقية أوسلو، أن الباحث يرى أن جماهير الأمة الإسلامية في العالم الإسلامي ترفض بناء أية علاقات مع الكيان الصهيوني باعتباره كيانا حربيا كافرا غاصبا، استباح أراضي المسلمين الوقفية المباركة، وبناء على ذلك صدرت فتاوى علماء المسلمين منذ بداية الثلاثينات والتي حرمت على المسلمين أن يبيعوا أو يتنازلوا عن أي جزء من فلسطين، " فقد انعقد مؤتمر في القدس عام ١٩٣٥م ضم العشرات من العلماء والقضاة ورجال الإفتاء وصدر عن هذا المؤتمر فتوى تحرم البيع أو التنازل عن أي جزء من فلسطين لليهود الصهاينة"^١. وتوالى اهتمام العلماء والفقهاء لفلسطين وقضيتها واحتلال الصهاينة لها، محذرين من الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب ومحذرين من مغبة بناء علاقات معه كونه محتلا لأراضي المسلمين.

"فقد أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر الشريف فتوى تحرم الصلح مع الكيان الصهيوني عام ١٩٥٦م بما في هذا الصلح من إقرار للغاصب على غصبه فلا يجوز للمسلمين أن يصلحوا هؤلاء اليهود، على أي وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا لاسترداد هذه البلاد"^٢.

كما تبع ذلك عدد من الفتاوى التي تؤكد على نفس الفهم والتصور حيث "ذهب علماء الإسلام المجتمعون في المؤتمر الإسلامي الدولي الذي انعقد في باكستان عام ١٩٦٨م إلى التأكيد على عدم جواز الصلح مع إسرائيل الغاصبة للبلاد"^٣ وعقب زيارة الرئيس السادات إلى الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٧٧م، " عادت لجنة الفتوى في الأزهر الشريف عام ١٩٧٧ بالتأكيد على حرمة الصلح مع إسرائيل بما في ذلك من إقرار للغاصب على غصبه"^٤ إضافة إلى العديد من الفتاوى اللاحقة التي صدرت بعد اتفاق أوسلو في فلسطين وخارجها.

هذا التراث الفقهي من فتاوى علماء الإسلام، فرض حالة الرفض الصريح للاعتراف بالكيان الصهيوني، إضافة إلى رفض بناء أي نوع من العلاقات السياسية والاجتماعية مع التتكر والرفض الصريح لكل مشاريع السلام والمفاوضات المطروحة منذ الانتداب البريطاني.

^١ - فتاوى علماء المسلمين في تحريم بيع اراضي فلسطين لليهود، دون مؤلف، الناشر مطبعة دار الايتام

الإسلامية - القدس، ط١، ١٩٦٩م، ص٢٣.

^٢ - عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (وجهة نظر اسلامية)، مرجع سابق، ص٥٢.

^٣ - نفس المرجع، ص٥٢.

^٤ - نفس المرجع، ص٥٢ - ٥٣.

وقد رفضت الحركة الإسلامية الأم (الإخوان المسلمون) كل المشاريع السياسية التي طرحت على واقع القضية، مثل مشروع (الكتاب الأبيض) ولجنة (كنغ كراين) ومؤتمر الدائرة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٨م، كما رفضت بعد ذلك (حلف بغداد) وشاركت في مظاهرات حاشدة في عمان والقاهرة ودمشق لإسقاط هذا الحلف الخياني حسب شعاراتهم المطروحة في تلك الفترة^١.

واعتبرت حركة الإخوان المسلمين أن قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين، قرارات تصفية للقضية لا سيما قراري (٢٤٢) و(٣٣٨) كما رفضت الحركة الإسلامية العالمية معاهدة كامب ديفيد التي وقعها الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٧٧م والتي شكلت أول اعتراف عربي رسمي للكيان الصهيوني^٢، لم يكن مقبولا ولا مستساغا من قبل جماهير التيار الإسلامي الأمر الذي دفع الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر ومن خلال عدد من ضباطها المنخرطين في الجيش المصري القيام باغتيال الرئيس السادات على يد خالد الإسلامبولي.. إعلانا من هذه الجماعة والرأي العام الإسلامي عن سياسة الرفض للدخول في مفاوضات مع الاحتلال الصهيوني.

وقد صدر عن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين والذي كان يتواجد خارج البلاد العربية العديد من البيانات السياسية^٣، التي كانت تعلن الرفض لكل المبادرات السياسية المطروحة عربيا ودوليا وفلسطينيا.

وقد انعكست مواقف الحركة الإسلامية العالمية على الشارع الإسلامي والتي جسدت مفهوما رافضا لكل الحلول المطروحة سياسيا لحل القضية الفلسطينية وكذا الحال على صعيد الساحة الفلسطينية، فقد أكدت الكتل الإسلامية في الجامعات والمعاهد رفضها الإقرار بوجود إسرائيل وقيام أية علاقات معها.

وبعد بروز حركة المقاومة الإسلامية حماس وتعاملها مع الشارع الفلسطيني والجماهير العربية والإسلامية من خلال خطاب إسلامي جهادي متابع لما يجري على الأرض حيث البيانات الدورية للحركة والتي جسدت الموقف الإسلامي والسياسي الرفض لكل الحلول السياسية المطروحة.

^١ - للمزيد والمراجعة انظر : أحداث صنعت التاريخ من الداخل، محمود عبد الحليم، دار الدعوة القاهرة، وكتاب الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، لمؤلفه د. إسحاق موسى كاظم الحسيني.

^٢ - الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية، زياد أبو غنيم، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٥م.

^٣ - انظر بيان التنظيم العالمي للإخوان المسلمين حول زيارة السادات للكنيست الإسرائيلي والذي حمل عنوان (لا لسياسة الاستسلام والتخاذل) الصادر في ١٥/حزيران/١٩٧٨م.

فقد اعتبرت حماس في بيانها الأول الصادر في ١٤/١٢/١٩٨٧م أنها جاءت " لتوقف ضمائر اللاهثين وراء السلام الهزيل.. وراء المؤتمرات الدولية الفارغة.. وراء مصالحات جانبية خائنة عن طريق كامب ديفيد "١.

" وأكدت الحركة في المادة الثالثة عشرة من ميثاقها أن الحلول السياسية والمؤتمرات الدولية تتعارض مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية حماس "٢ ولأنها تعتبر أن التفريط في أي جزء من فلسطين هو تفريط في جزء من الدين.

وقد برز موقف حماس هذا واضحا من خلال بياناتها الثورية حيث رفضت كل الحلول السياسية المطروحة والخطط التي كانت تعرضها قيادات أمريكية وأوروبية وكذلك صهيونية. "فقد رفضت حماس خطة شامير التي عرضت في شهر نيسان ١٩٨٩ الداعية إلى إجراء انتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة، معتبرة ذلك محاولة إسرائيلية لإجهاض الانتفاضة "٣. كما رفضت حماس خطة شولتز وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وخطة جيمس بيكر وخطة رابين وخطة مطروحة من الإتحاد الأوروبي وخطة عرضها الملك فهد وأخرى من الملك الحسن الثاني الراحل، معتبرة كل هذه المشاريع تصفوية للقضية.

ورفضت حماس بشدة مؤتمر مدريد وأصدرت بياناً بتاريخ ٢٣/٩/١٩٩١م تحت عنوان "لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس "٤ كما أصدرت الحركة بياناً بتاريخ ٩/٩/١٩٩٢م بعنوان: "موقفنا من الحكم الذاتي والانتخابات المرتبطة به "٥، وبعد انتخابات جامعة بير زيت عام ١٩٩٣م وفوز الكتلة الإسلامية أمام كل التيارات الوطنية أصدرت حماس بياناً بتاريخ ٢٥/١١/١٩٩٣ تحت عنوان: "نتائج انتخابات جامعة بير زيت رفض لمهزلة الاستسلام"، وبعد التوقيع على اتفاق أوسلو ورفضه رفضاً قاطعاً من قبل حماس أصدرت حماس بياناً بتاريخ ٢٨/٢/١٩٩٤م تحت عنوان: " لا للمناورات.. نعم للتراجع عن خطيئة أوسلو "٦ ولم تكتف الحركة بالرد على هذه المبادرات والمشاريع السلمية للبيانات فحسب وإنما صعدت من عملياتها العسكرية والاستشهادية داخل عمق الكيان الصهيوني، وقد كان من بين هذه العمليات، عمليتي العفولة والخضيرة ضد جنود الاحتلال، وقد أصدر المكتب السياسي للحركة بعد هذه العمليات بياناً هاماً في ١٦ نيسان

^١ - انظر النص الكامل للبيان الأول لحماس في قائمة الملاحق.

^٢ - المادة السادسة عشر، ميثاق حماس.

^٣ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، دكتور زياد ابو عمرو، مرجع سابق ، ٩٨.

^٤ - بيان حركة حماس الصادر في ٢٣/٩/١٩٩١م بمناسبة انعقاد مؤتمر مدريد.

^٥ - بيان حماس الصادر في ٩/٩/١٩٩٢م حول الموقف من الحكم الذاتي.

^٦ - بيان حماس الصادر في ٢٨/٢/١٩٩٤م.

١٩٩٤م أكد فيه أن حماس تنتظر إلى السلام الذي تطرحه حكومة الاحتلال بأنه ليس سلاماً وإنما هو تكريس للاحتلال^١.

وقد خاطبت حماس أيضاً جميع المجتمعين من رؤساء وملوك وزعماء دول في مؤتمر شرم الشيخ الذي عقد في ١٩٩٦/٣/٣م لمحاصرة حماس ومن يسير في دربها وتجفيف منابع عليها ووضع الخطط والشروط لإنجاح مشاريع السلام المقترحة، إلا إن الحركة ومن خلال مذكرة هامة كاملة وشاملة أرسلتها إلى المجتمعين أكدت من خلالها أن ما يطرح من مشاريع سياسية لحل القضية إن هي إلا مشاريع تصفوية لا تخدم القضية ولا أصحابها.. وبينت حماس في مذكرتها أن المقاومة حق مشروع للشعب الفلسطيني للدفاع عن نفسه واستعادة أرضه ومقدساته^٢.

وبذلك يتجلى بوضوح مواكبة حماس لمسلسل المشاريع السلمية ورفضها الواحد تلو الآخر ليس من باب العمل الإعلامي والدعائي وإنما من موقع تعاملها الثابت مع هذه المشاريع على أنها مشاريع استسلامية تصفوية، تنافي الحق التاريخي للشعب الفلسطيني المجاهد، إضافة إلى رفض حماس لها انطلاقاً من الثوابت الدينية التي تحرم على المسلمين سواء أكانوا أفراداً أم حكومات أن يتنازلوا لليهود الغاصبين عن أي جزء من هذه الأرض المباركة.. ولهذا فإن حماس ومن موقع كونها الرفض الأقوى لكل الحلول السياسية التصفوية فإنها ترفض أيضاً الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب بل ترفض فكرة التعايش مع هذا الكيان.

^١ - بيان صادر عن المكتب السياسي لحماس بتاريخ ١٦/٤/١٩٩٤م.

^٢ - مذكرة حماس للمجتمعين في شرم الشيخ والصادرة بتاريخ ١٣/٣/١٩٩٦م.

المبحث الثالث: الخطاب الجهادي والعسكري لحماس

لقد شرع الله الجهاد من أجل الحفاظ على ببيضة المسلمين والدفاع عن أموالهم وأنفسهم، إضافة إلى أهميته في نشر رسالة الإسلام العظيم التي كانت تحتاج إلى قوة ومنعة جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ولذا كانت الفتوحات الإسلامية والتدافع المتواصل بين أهل الحق والباطل.

ولما كانت بلاد المسلمين وديارهم محتلة بيد الكفار من المشركين أو اليهود والنصارى، أصبح قتالهم واجباً لاسترجاع حقوق المسلمين وفرض هيبته، فالله سبحانه وتعالى يقول: "قَتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" ^١ وقال في مشهد قرآني آخر: "وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" ^٢.

وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد والدفاع عن حقوق المسلمين فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "الغداة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها" ^٣، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" ^٤.

"والجهاد في الإسلام فرض كفاية وليس فرضاً على كل فرد من المسلمين، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ويصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم إذا غزا العدو المكان أو البلد الذي يقيم به المسلمون فيجب على أهل البلد جميعاً أن يخرجوا لقتاله، وكذلك إذا حضر المكلف صف القتال فإن الجهاد يتعين عليه، إضافة إلى استنفار الحاكم المسلم للمكلفين أو للمسلمين فيصبح الجهاد أمام هذه الحالات كلها فرض عين" ^٥، فكيف بالأمة اليوم عندما تكون ديارها ومقدساتها كلها محتلة بيد اليهود؟.

قال الشيخ حسن البنا رحمه الله: "فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة الإسلامية وضماناً للسلم وأداة للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل" ^٦.

^١ - التوبة: الآية ١٤.

^٢ - البقرة: الآية ١٩٠.

^٣ - متفق عليه: البخاري (٢٥١٨) في باب الجهاد السير، باب الغداة والروحة في سبيل الله، ومسلم مع شرح النووي (١٨٨٠).

^٤ - رواه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

^٥ - فقه السنة، السيد سابق، مكتبة دار التراث - القاهرة، بلا رقم طبعة ولا تاريخ، ج ٣، ص ٢١-٢٢.

^٦ - مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا، مرجع سابق، ٨٥.

ولأن الجهاد أداة لتحرير الإنسان والأرض من سلطان غير سلطان الله فإنه من أهم الفرائض في زمن الهزيمة حيث يسيطر أعداء الإسلام على بلاد المسلمين وديارهم.

" يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: " إن هذا الدين موضوعه الإنسان ومجاله الأرض وهو إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله وهو إعلان حركي واقعي إيجابي يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشرية بشريعة الله.. " ^١.

وقد تفاعل علماء الإسلام مع القضية الفلسطينية عندما حلت بها النكبة وأصبحت محتلة بيد اليهود، وقاموا بتوجيه النداءات والخطب بضرورة هبة الأمة الإسلامية للدفاع عن الأرض المباركة، وقد تدافع شباب الأمة العربية والإسلامية بتسجيل أسمائهم كمجاهدين متطوعين للدفاع عن فلسطين، وحضر المئات من هؤلاء المتطوعين من عدد من الأقطار العربية عام ١٩٤٨ وقاتلو على أرض فلسطين المباركة فكانوا مثار إعجاب لبطولاتهم ^٢.

وقد أكد شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله أن فلسطين المباركة بحاجة إلى جهود كل المسلمين لتحريرها من اليهود " لأنها قضية كل المسلمين وليست قضية العرب والفلسطينيين فحسب، ولهذا لا بد من الأفكار والمواقف أن تترجم على الأرض في فلسطين لتصبح معركتنا مع اليهود حقيقة واقعة نهايتها تحرير بيت المقدس من دنس المحتلين " ^٣.

وقد تدافعت الحركات الإسلامية المجاهدة في الدفاع عن فلسطين في الوقت الذي تعامل معها البعض على أنها جزء من قضية كبرى ألا وهي قضية الإسلام والخلافة الإسلامية، ورغم أن جل الحركات الإسلامية تعتبر قبلة الجهاد بالنسبة لها هي فلسطين المباركة، إلا إن بعضها يرون بأنهم غير مكلفين وهم بمثابة الأسرى. وبهذا الرأي أخذ حزب التحرير الإسلامي: الذي يرى أن الفلسطينيين غير مكلفين بالجهاد لأنهم أسرى فيما يرى الحزب أن الجهاد بحاجة إلى وجود خليفة مسلم حتى يرعاه ويشرف عليه.

لكن حركة الإخوان المسلمين والتي تعتبر من أقدم الحركات الإسلامية المعاصرة، اعتبرت أن فلسطين بمجرد وقوعها تحت حكم اليهود واحتلالها من قبلهم فإنه من الواجب على كل مسلم الدفاع عنها وتحريرها.. ومن هذا المنطلق وقف الشيخ حسن البنا رحمه الله يطالب جماهير الأمة المسلمة لتحرير فلسطين، فيما شارك الإخوان أنفسهم بالدفاع عن هذه الأرض المباركة.

وطورت الحركة نفسها بتأسيس جناح عسكري لها في فلسطين، تمثل في حركة المقاومة الإسلامية حماس التي شاركت في تفجير الانتفاضة المباركة عام ١٩٨٧م والتي طورت نفسها إلى كتائب عسكرية مجاهدة تحت اسم (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

^١ - الطريق إلى القدس، مرجع سابق، ص ٦٣.

^٢ - انظر: الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، كامل الشريف، دار المختار الإسلامي - القاهرة.

^٣ - معركتنا مع اليهود، سيد قطب، دار الشروق، ط ٤، القاهرة، ص ٤١، ٤٥.

في هذا المبحث يسلط الباحث الضوء على دور حماس الجهادي في فلسطين، وموقفها من الانتفاضة الشعبية وانتقالها إلى العمل العسكري النوعي، وقيام أفرادها بعمليات استشهادية من خلال تفجير أجسادهم داخل تجمعات اليهود الصهاينة، مستدلين على ذلك بمواقف فقهية رغم أن البعض من العلماء يعتبر منفذي مثل هذه العمليات ليسوا بالشهداء إنما هم منتحرون. وتعدى فعل حماس الجهادي العمليات الاستشهادية، لتقوم بتطوير صواريخ قليلة المدى وبمفجرات شديدة الفاعلية ضد الدبابات الثقيلة.. الأمر الذي جعل هذه الحركة في دائرة الضوء والبحث.

وقد أوضحت (حماس) في ميثاقها وبياناتها وأدبياتها استراتيجياتها التحريرية تجاه فلسطين المحتلة، هذه الإستراتيجية التي تنطلق من خلال فهم شرعي يدعو المسلمين لضرورة تحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين، ولم تكتف الحركة بمباشرة العمل الجهادي بل كانت دوما تستنهض الأمة الإسلامية والأشقاء العرب في العالم العربي لمشاركة أهل بيت المقدس جهادهم ولو بالكلمة، وكانت دوما تدعو الجماهير للخروج إلى الشوارع والطرق والميادين العامة انتصارا لفلسطين وقضيتها، بل تطور خطابها لتوجيه نداءات للحكام والزعماء العرب والمسلمين لأخذ مواقفهم أو مواقفهم ودورهم في الدفاع عن القضية.

المطلب الأول : حماس ودورها في الانتفاضات الشعبية

الكثير من الباحثين يرى أن مشاركة الحركة الإسلامية الفلسطينية في الانتفاضة والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال الصهيوني جاءت متأخرة، حيث سبقها في ذلك تيار منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة فتح التي انطلقت عام ١٩٦٤م.

يعتبر الإخوان المسلمون أنها انطلقت من رحم جماعتهم حيث المؤسسون الأوائل: "عبد الفتاح حمود و خليل الوزير (أبو جهاد) ويوسف عميرة وسليمان حمد وجميعهم من الإخوان وياسر عرفات المقرب منهم، ومن الشخصيات الإخوانية التي لحقت بالمؤسسين وانضمت إلى حركة فتح: كمال عدوان ورفيق النتنشة ومحمود عباس (أبو مازن)^١ وغيرهم، وباشرت فتح مقاومتها للاحتلال بعملياتها العسكرية وهجماتها المسلحة ضد دوريات المحتلين في كافة المدن والقرى، في الوقت الذي لا زالت فيه جماعة الإخوان المسلمين تعد أفرادها إعدادا تربويا في المساجد.

يعزو البعض سبب تأخر العمل الجهادي من قبل الإخوان إلى "الظروف التي عايشها الإخوان المسلمون في مصر جراء مطاردة النظام المصري لهم واعتقال قياداتهم مما فتح المجال لنشاط الحركات القومية والاشتراكية فضلا عن هجرة العديد من كفاءات ورموز الإخوان المسلمين إلى الخارج وخصوصا دول الخليج مما أضعف من قوة الإخوان في القطاع على وجه الخصوص"^٢.

ويؤكد على هذه الحقيقة الدكتور زياد أبو عمرو الذي يرى أيضا أن الإخوان المسلمين وخاصة في قطاع غزة كانوا يعانون الكثير جراء الملاحقة والمحنة التي تعرضوا لها في مصر، حيث يقول: "أما في قطاع غزة فقد كان الإخوان المسلمون يعانون من حالة ضعف وتشتيت من جراء الملاحقة والاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الإدارة المصرية، كما أن قيام فتح في أواخر الخمسينيات كان قد سلب تنظيم الإخوان في القطاع خيرة قياداته وكوادره.. ولذلك كان الإخوان بحاجة إلى وقت طويل لاستجماع قواهم والعودة إلى الساحة كقوة سياسية ولم يتحقق ذلك إلا في أواخر السبعينات"^٣.

وازداد نشاط الإخوان المسلمين صعودا في الضفة الغربية وقطاع غزة في بدايات السبعينات إثر بروز أحداث وثورات شهدتها المنطقة مثل حادثة الكلية الفنية العسكرية بقيادة الفلسطيني الإسلامي صالح سرية والذي كان يسعى لقلب نظام الحكم في مصر عام ١٩٧٤م وبرز تنظيم الجهاد وجماعة التكفير والهجرة.. إضافة إلى الثورة الإسلامية في إيران مما دفع إلى حالة من الململة داخل حركة الإخوان نفسها وبرز عناصر متحمسة للمطالبة بالعمل الجهادي.

^١ - مع الحركة الإسلامية في الدول العربية، عبد الله أبو عزة، دار القلم - الكويت، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٧١، ٩٦.

^٢ - الطريق إلى القدس، مرجع سابق، ص ١٩٠.

^٣ - الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مرجع سابق، ص ٢٩.

وشكل بروز الكتل الإسلامية في الجامعات الفلسطينية وهي "العنوان النقابي لنشاط الطلبة الإخوانيين" الأثر الأبرز في تنامي وتطور نشاط الحركة، هذا النشاط الذي أصبح واضحاً في عمله الميداني ومنافسته الواضحة لتيار منظمة التحرير الفلسطينية " وقد أسس تيار الكتل الإسلامية في الجامعات والمعاهد " الشيخ جمال منصور رحمه الله الذي كان أول رئيس للكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس ^١ وبرز تنامي هذا التيار خلال الانتخابات الطلابية في الجامعات والتي تحولت من نشاط نقابي إلى نشاط سياسي، حيث " حازت الكتلة الإسلامية الممثلة للإخوان في جامعة النجاح الوطنية عام ١٩٧٩م على عشرة مقاعد من أصل إحدى عشر في حين حاز تيار منظمة التحرير بقيادة فتح على مقعد واحد، فيما حصلت الكتلة الإسلامية نفسها عام ١٩٨١م على كامل مقاعد مجلس اتحاد الطلبة ^٢."

وقد زاد من تنامي حركة الإخوان في فلسطين، عودة المئات من شباب الحركة الذين تخرجوا من الجامعات المصرية والأردنية والسعودية إضافة إلى حركة الوعي والصحو الإسلامية التي كانت تربي الشباب اليافع في المساجد، جنباً إلى جنب مع حركة العمل المؤسساتي والنقابي إضافة إلى زيادة عدد لجان التوعية الفكرية والثقافية وكذلك بروز النشاط النسوي الإسلامي في المساجد والمراكز النسوية، مما أدى إلى دفعة حماسية أكثر فأكثر داخل صفوف حركة الإخوان تطالب القيادة بضرورة العمل الفعلي المادي في مواجهة الاحتلال الغاصب في الوقت الذي مر فيه على حركة فتح نحو عشرين عاماً من المواجهة مما كان يخرج شباب الكتل الإسلامية في الدعاية الانتخابية عند استعراض برامجهم الانتخابية.

وبدأت إرهابات بداية عمل إسلامي جهادي في فلسطين عندما اعتقلت سلطات الاحتلال الصهيونية مجموعة من الشباب الإسلامي داخل المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨م والتي أطلق عليها تنظيم أسرة الجهاد كان من بينهم الشيخ فريد أبو مخ والشيخ عبد الله نمر درويش والشيخ رائد صلاح ونحو ستين شاباً آخر من قرى المثلث الشمالي لفلسطين وهي أم الفحم وكفر قاسم وقلنسوة وبقا الغربية.

"ولعل الحدث الأبرز هو اكتشاف سلطات الاحتلال الصهيوني أسلحة داخل قبو أحد المساجد واعتقال الشيخ أحمد ياسين بسبب علاقته بالأمر وكان ذلك عام ١٩٨٣م، حيث حكم على الشيخ بالسجن ثلاثة عشر عاماً، غير أنه أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى التي تمت في ١٩٨٥/٥/٢٠م على يد منظمة الجبهة الشعبية القيادة العامة التي يرأسها أحمد جبريل ^٣."

^١ - الكتل الإسلامية في فلسطين، نشرة خاصة صادرة عن الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين، بدون مؤلف ولا ناشر، ١٩٩٢م، ص ٣١.

^٢ - اقرأ الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، مرجع سابق، ص ٣٥.

^٣ - الطريق إلى القدس، مرجع سابق، ص ١٩٧.

وقد شهدت الجامعات الفلسطينية في ظل هذه الفترة مشاركات بارزة ولأول مرة للكتل الإسلامية في المظاهرات الاحتجاجية ضد الاحتلال، وفي الانتفاضة الصغيرة والمساهمة الفاعلة في إلقاء الحجارة والزجاجات الفارغة والحارقة ضد دوريات الاحتلال، "وكان من هذه المشاركات ما قامت به الكتلة الإسلامية بجامعة النجاح الوطنية يوم ذكرى نكبة فلسطين من عام ١٩٨٥م من خلال مظاهرة حاشدة طافت خلالها شوارع مدينة نابلس واشتبكت خلالها مع سلطات الاحتلال مما أدى إلى إصابة العشرات بجراح واعتقال العشرات الآخرين من الطلبة حيث تم نقلهم إلى معتقل الفارعة"^١.

"وقد جاء هذا التوجه الجديد للحركة إثر قرار رسمي اتخذته قيادة الإخوان المسلمين في فلسطين صيف عام ١٩٨٥م يقضي بدعوة كافة عناصر الحركة في كافة أماكن تواجدها إلى المشاركة في المظاهرات والصدامات مع الاحتلال بل الدعوة إلى مظاهرات وصدامات أيضا"^٢. في عام ١٩٨٦م، قادت الكتلة الإسلامية في جامعة بير زيت مظاهرة حاشدة ضد سلطات الاحتلال، استمرت خلالها المواجهة عدة ساعات مما أدى إلى استشهاد اثنين من طلبة الكتلة الإسلامية في الجامعة وهما: صائب ذهب وجواد سلمية، وإصابة آخرين بجراح "^٣ مما يؤكد التزاما واضحا لقرار الحركة ومشاركة واضحة في العمل الانتفاضي، كل ذلك جنبا إلى جنب مع المهرجانات الجماهيرية المؤثرة والمحرضة ضد الاحتلال والداعية إلى خروج الجماهير الإسلامية ورواد المساجد لمواجهة المحتلين الغاصبين، وقد أصدر الإخوان المسلمون في تلك الفترة مجموعة من البيانات الهامة تحت مسميات إسلامية وجهادية متفرقة كبيانات لعمل جهادي مقاوم، "وغالبا ما كانت تحمل اسم: (حركة الكفاح الإسلامي)، أو (المرابطون على أرض الإسراء) أو (حركة المقاومة الإسلامية)"^٤، وقد أكد على هذه الحقيقة الكاتب والمحلل العسكري الصهيوني زئيف شيف وزميله الصحفي الصهيوني إيهود يعاري، حيث أشارا إلى أن الإخوان المسلمين استخدموا أسماء حركية بالمقاومة قبل تأسيس حماس وبروزها"^٥.

في أواخر عام ١٩٨٧م شهدت الضفة الغربية وقطاع غزة على وجه الخصوص أحداثا جساما كان لها الأثر الكبير في تفجر انتفاضة عارمة، وفي يوم الثامن في كانون الأول عام ١٩٨٧م وهو التاريخ الرسمي لانطلاقة الانتفاضة المباركة، استشهد أربعة شبان فلسطينيين جراء حادث شاحنة صهيونية قامت بمداهمتهم وجرح تسعة آخرين مما أدى إلى إثارة الرأي العام فانطلقت التظاهرات الجماهيرية الفلسطينية احتجاجا على الحادث المذكور وخاصة في منطقة

^١ - الكتل الإسلامية في فلسطين، مرجع سابق، ص ٣٣.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٣٥.

^٣ - الكتل الإسلامية في فلسطين، مرجع سابق، ص ٣٤.

^٤ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٤٠.

^٥ - انظر: كتاب انتفاضة، تأليف زئيف شيف، يهودا عاري، حيث طبع الكتاب بالعبرية والعربية والانجليزية.

جباليا بقطاع غزة التي ينتمي إليها ثلاثة من الشهداء الأربعة، مما أدى إلى تفاعل الحركة الإسلامية مع الوضع القائم " حيث اجتمعت قياداتها وقررت تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس والمشاركة الفاعلة في الانتفاضة الفلسطينية المباركة وذلك يوم ١٢/٩/١٩٨٧م هذا الاجتماع الذي صدر عنه قرار إصدار البيان الأول لحماس والذي وزع يومي (١١-١٢) كانون الأول ١٩٨٧م في قطاع غزة ويومي (١٤-١٥) من نفس الشهر في الضفة الغربية "١ وقد أطلق البيان كلمة انتفاضة ولأول مرة على الأحداث ومما جاء في البيان الأول المذكور: "لقد جاءت انتفاضة شعبنا المرابط في الأرض المحتلة رفضا لكل الاحتلال وضغوطاته.. رفضا لسياسة انتزاع الأراضي وغرس المستوطنات، رفضا لسياسة القمع من الصهاينة..".٢

انتشرت الانتفاضة المباركة في كافة المدن والمخيمات والقرى الفلسطينية في الضفة والقطاع، وقد أصبح يوم التاسع من كل شهر يعلن فيه الإضراب العام والشامل في كافة الأراضي المحتلة، وقد حافظت حماس على مشاركتها في الانتفاضة من خلال تجنيد عشرات آلاف الشباب المنتظمين وغير المنتظمين وكذلك شباب المساجد، مما أضفى على الانتفاضة مسميات عديدة لدى الكثير من الباحثين الإسلاميين والعرب، وقد أطلق عليها الكاتب الإسلامي (محمد حلمي القاعود) ثورة المساجد، فيما أطلق عليها الكاتب القومي العلماني (لطي الخولي) انتفاضة الدولة الإسلامية. وشهدت الشوارع الفلسطينية مواجهات ساخنة ودامية شاركت فيها حماس مع إخوانها في فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى المشاركة في المسيرات والمظاهرات وكتابة الشعارات ذات الخطاب الإسلامي على الجدران وتطور عمل حماس ليدخل في مرحلة جديدة أكثر تطورا من مرحلة الانتفاضة الشعبية حيث ملاحقة العملاء وقتل العديد منهم، إضافة إلى ثورة السكاكين والقيام ببعض عمليات الطعن ضد المحتلين والتي تطورت فيما بعد إلى أعمال عسكرية أخرى تتمثل في قتل جنود واختطاف آخرين، إضافة إلى زرع المتفجرات والعبوات والقيام بعمليات استشهادية وإطلاق نار وغير ذلك.

لقد كان واضحا للكثير من المراقبين والباحثين أن الانتفاضة في تفاعل وتطور وأن هناك عنصرا جديدا دخل ساحة المعركة وأراد أن يمزج بين البندقية والمصحف، وأوضح ذلك زئيف شيف الكاتب والمحلل الاستراتيجي الإسرائيلي "أن المواجهة مع الاحتلال من قبل الفلسطينيين أصبحت مواجهة أيديولوجية"٣، وهذا ما أقلق الإسرائيليين كثيرا، لأن هؤلاء الشبان يواجهون دوريات الاحتلال وهم لا يخشون الموت وإنما يبحثون عنه.

١- حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٤٤.

٢- انظر: النص الكامل للبيان الأول لحماس في قائمة الملاحق.

٣- انتفاضة، زئيف شيف ويهودا يعاري، طبعة ٣، بالعربية دار الغد، القاهرة، بلا تاريخ، ص ١٧٦.

المطلب الثاني: نشأة العمل العسكري والتطور النوعي

تشير بعض الدراسات المعاصرة أن جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة "اتخذت قرار بتشكيل لجنة عسكرية للإعداد لأعمال المقاومة منذ عام ١٩٨٣، وكان ذلك بقرار رسمي من المكتب الإداري للجماعة"^١.

وفي نفس العام أسس جهاز (مجد) وهو جهاز مخابرات خاص بالجماعة ترأسه يحيى السنوار، أنيط لهذا الجهاز مهمة متابعة ورصد العملاء، وصدرت في هذه المرحلة بيانات عسكرية تحمل اسم (مجاهدو فلسطين)، وفي هذه الأجواء وفي شهر حزيران من عام ١٩٨٤م جرت اعتقالات لقيادات بارزة في الحركة الإسلامية من بينهم الشيخ أحمد ياسين والشيخ صلاح شحادة، واكتشفت كميات من الأسلحة والمتفجرات، أكدت أن الإخوان المسلمون كانوا يسعون لتأسيس عمل جهادي في قطاع غزة"^٢، حيث تبين من خلال التحقيقات التي جرت مع هؤلاء المعتقلين والتي نشرت فيما بعد، أن المرحوم صلاح شحادة كان أول مسؤول عسكري في الحركة الإسلامية الفلسطينية في قطاع غزة.

وامتداداً لهذه الأفكار قام عدد من مجاهدي الحركة الإسلامية بعمليات عسكرية في شهر رمضان من عام ١٩٨٥م، وتبع ذلك مجموعة رقم ٤٤ التي نظمها الشيخ شحادة عام ١٩٨٦م ثم تبعتها مجموعة رقم ١٠١ بقيادة محمد شرatische والتي هاجمت سيارات عسكرية صهيونية في أيلول عام ١٩٨٧م^٣، وقد حملت بيانات جهادية عسكرية وقبيل التأسيس سميت الحركة بأسماء عديدة عام ١٩٨٧م مثل (حركة الكفاح الإسلامي) و(حركة المرابطون على أرض الإسراء) و(حركة المقاومة الإسلامية).

وقد قامت هذه المجموعات بأول عمل عسكري مميز تمثل في اختطاف جنود صهيانية عام ١٩٨٩م، حيث قام مجاهدو الحركة باختطاف الجندي اليهودي (آفي اسبورتر) من داخل الخط الأخضر في شباط عام ١٩٨٩ وبعد ثلاثة أشهر قامت نفس المجموعات باختطاف الجندي اليهودي الصهيوني (إيلان سعدون) وذلك في أيار نفس العام، وأعلنت حماس مسؤوليتها عن قتلهم^٤، وكانت هذه الأعمال عبارة عن شرارة لبروز عمل جهادي منظم قادم.

وبرزت كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس في "أوائل عام ١٩٩٢م امتداداً لمشاريع العمل الجهادي والعسكري التي جذرها صلاح شحادة والدكتور إبراهيم المقادمة منذ عام

^١ - أمير الفدائيين صلاح شحادة، غسان دوعر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، عمان، دون اسم دار نشر ص ٣٦.

^٢ - نفس المرجع، ص ٣٧.

^٣ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

^٤ - نفس المرجع، ص ٢٦٨.

١٩٨٤م وبرز من قيادات الكتائب الأوائل بشير حماد وطارق دخان وغيرهم^١ وقد جاء الإعلان الأول لعمل الكتائب بعد اختطاف جندي حرس الحدود الصهيوني (نسيم توليدانو) أواخر عام ١٩٩٢م^٢ من أجل المطالبة بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين الذي كان معتقلاً في سجن كفار يونا العسكري الصهيوني، وبعد ثمانية وأربعين ساعة من اختطافه، أعلنت كتائب القسام عن قتله بسبب رفض الكيان الصهيوني لمطالبها، مما أدى إلى إبعاد ٤١٥ فلسطينياً ممن ينتمون لحماس والجهاد أو المقربين منهم إلى الجنوب اللبناني.

اتخذت حماس من خلال كتائبها العسكرية الجهادية قراراً لحصر العمل الجهادي داخل فلسطين المحتلة وعدم القيام بأي عمل ضد المصالح الإسرائيلية خارج فلسطين، إضافة إلى عدم استهداف المدنيين، واعتبر الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي للحركة أن: "العمل العسكري استراتيجي ثابتة لن تتغير، وإن حصل تغيير فإنه سيكون في الأدوات"^٣، فيما ارتفعت وتيرة العمليات العسكرية لكتائب القسام وتفجيراتها داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م وعلى وجه الخصوص في المدن الهامة المحتلة مثل القدس وتل أبيب وعسقلان خاصة في الأشهر ما بين شباط وآذار من عام ١٩٩٦م.

كانت حماس تسعى من خلال عملياتها أن تجسد رؤية على الأرض تتمثل في إضفاء الهوية الإسلامية على العمل الفلسطيني المقاوم جنباً إلى جنب في المحافظة على عمق القضية التاريخي، بالإضافة إلى إثارة العالم العربي والإسلامي من خلال انعكاسات نجاحات المقاومة الإسلامية، حتى يؤثر ذلك على استنهاض العالمين العربي والإسلامي لنصرة شعب فلسطين.

وكانت حماس تهدف ولو ضمناً من خلال عملياتها عرقلة الحلول السياسية التصفوية التي كانت الحركة ترى أنها لا تخدم الأمة العربية ولا شعب فلسطين، خاصة وأن جزءاً من هذه الحلول السياسية ومقتضياتها ومستلزماتها الأمنية تقتضي تصفية حماس وملاحقة رجالاتها ورموزها كما حصل بعد نتائج مؤتمر "واي بلانتيشن" في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تجسد على الأرض من خلال لجان التنسيق الأمني ما بين الكيان الصهيوني ودول الغرب لا سيما أمريكا والتي تبعتها حملة اعتقالات واسعة ضد الفلسطينيين، وقد كانت حماس ولا زالت ترى أن خيار المقاومة الإسلامية هو تنفيذ لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "الجهاد ماض إلى يوم القيامة" إضافة إلى الدفاع عن أرض مباركة وقفية يعتبر فيها الجهاد من أهم فروض العين في العصر الحديث، اختيار حماس لاسم جهازها العسكري، يعتبر امتداداً لرحلة جهاد ومقاومة قام بها

^١ - كراس: (حركة حماس ونشأة الجناح العسكري) بلا مؤلف ولا تاريخ طبعة، ولا مكان نشر، مكتبة سجن مجدو أرشيف حركة حماس الخاص، ص ١٧.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

^٣ - من مقابلة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، مجلة فلسطين المسلمة، عدد حزيران ١٩٩٤م .

الشيخ المجاهد عز الدين القسام خلال ثورته المشهورة عام ١٩٣٦ ضد الانتداب البريطاني هذه الثورة التي رسمت في عقول الأجيال لشيخ وإمام مسلم اتخذته قدوة ومثلاً، وجاء اختيار حماس لجناحها العسكري امتداداً لمقاومة مميزة قادها الشيخ المرحوم عز الدين القسام ضد اليهود والانكليز في أحرش يعبد بالقرب من مدينة جنين، ومما يلاحظ على المقاومة الإسلامية والعمل الجهادي النوعي الذي بدأته حماس في فلسطين أنه عملاً متطوراً وأكب العصر وارتقى بمستوى المواجهة المسلحة من خلال أدوات المعركة ونتائج الضربات النوعية التي أذهلت الاحتلال.

وقد تطور العمل الجهادي لحماس ضد الاحتلال فكانت نتائج هذا التطور على النحو التالي:

لقد استطاع الشاب المهندس يحيى عياش^١، ان يبتكر قنبلة شديدة الانفجار من خلال استعمال وخط عدد من المواد الكيماوية المتوفرة في الأسواق والتي أصبحت فيما بعد من أشد أنواع المتفجرات التي تم استعمالها في مقاومة الاحتلال، إضافة إلى استعمال هذه المواد المتفجرة في أحزمة ناسفة للاستشهاديين وتفخيخ حقائب متفجرة ضمن دائرة إلكترونية، حيث كان لهذه القنبلة الأثر الكبير في إنجاح الكثير من عمليات المقاومة التي هزت كيان اليهود الصهيوني والتي أصبحت حديث الساعة حيث أصبح رجال المقاومة الإسلامية التابعة لجهاز حماس العسكري يجهزون هذه المتفجرات من خلال إعداد مختبرات خاصة في مطابخ منازلهم أو في ورشات صغيرة خاصة بنشاط الحركة، حيث أصبحوا يتداولون معادلات تركيبها الكيماوية ومقادير خلطها ومكوناتها، فانقلبت قنبلة يحيى عياش المبتكرة إلى كامل الفصائل والتنظيمات العسكرية التي تواجه الاحتلال، مما أدى إلى قيام الاحتلال باغتيال المهندس يحيى عياش ظناً منه أنه سينهي هذه الظاهرة.

بعد قيام السلطة الفلسطينية قامت حماس ومن خلال جهازها العسكري بتطوير مواجهتها مع الاحتلال من خلال البنادق الآلية إلى إعداد وتصنيع قذائف يصل مداها إلى خمسة آلاف متر هذه

^١ - المهندس يحيى عياش: ولد يحيى عبد اللطيف ساطي عياش يوم الأحد ١٩٦٦/٣/٦ في رافات التابعة للواء سلفيت بمحافظة نابلس شمالي فلسطين، تربى في بيت دين فكان يتابع والده إلى المسجد وهو ابن الرابعة، تلقى يحيى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدارس القرية، وحصل على الثانوية العامة من مدرسة بديا الثانوية عام ١٩٨٤م بمعدل ٩٢,٨، درس الهندسة الكهربائية في جامعة بير زيت، حيث انتمى إلى الكتلة الإسلامية فيها عام ١٩٨٤م، وانتمى إلى الإخوان المسلمين عام ١٩٨٥م، وانتمى إلى حماس في كانون الثاني من عام ١٩٨٨م تزوج من ابنة خالته هيام عياش في ١٩٩١/٩/٩م وبرزت ملامح انتمائه لكتائب الشهيد عز الدين القسام بداية عام ١٩٩١م. أصبح المهندس يحيى عياش مطارداً منذ يوم الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٩٣م، حيث ينسب إليه التجهيز والتخطيط لعشرات العمليات الجهادية، بقي مطارداً حتى استشهاد صباح يوم الجمعة الخامس من كانون الثاني من عام ١٩٩٦ في قطاع غزة بعد عملية اغتيال مدبره عن طريق هاتف نقال فجر عن بعد بواسطة طائرة مروحية. (المهندس الشهيد يحيى عياش، غسان دوعر، منشورات فلسطين المسلمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، لندن).

القذائف التي أطلق عليها (قذائف الهاون) والتي أسست لها حماس ورشات صغيرة لصنعها حيث تم استعمالها ضد المستوطنات القريبة من قطاع غزة والتي أثارت الفزع في نفوس المستوطنين مما غير من طبيعة التعامل في المعركة، وقد وصف الدكتور عبد العزيز الرنتيسي المتحدث باسم حركة المقاومة الإسلامية حماس في مقابلة مع صحيفة الشرق القطرية: "أن إدخال حماس لقذائف الهاون خلق حالة من توازن الردع والرعب لدى الاحتلال والذي بدأ يولول جراء هذه القذائف التي باتت تصل المستوطنين المحتلين في عقر دار مستوطناتهم".^١

ابتكار صاروخ قسام (١-٢) كان تطورا علميا في مقاومة حماس للاحتلال الصهيوني وكان له الأثر الكبير في إرباك التواجد الاستيطاني حول مدن وقرى ومخيمات قطاع غزة، حيث كان أحد الأسباب التي دفعت قوات الاحتلال الصهيوني لاقتحام مناطق متعددة في قطاع غزة لتدمير هذه الورشات التي قال الاحتلال أنها تستعمل لصناعة هذا النوع من الصواريخ، إضافة إلى محاولة إعادة الثقة للمستوطنات الصهيونية وخاصة مستوطنة (سيديروت) التي كانت تستقبل نصيب الأسد من هذه الصواريخ. وقد اعتبر زئيف شيف المحلل العسكري الصهيوني في صحيفة هآرتس: "إن عمل حماس العسكري يشهد تطورا نوعيا خطيرا يمس أمن إسرائيل رغم كل الضربات المتوالية التي تتعرض لها الحركة مشيرا أن هذه الحركة حركة متوالدة سريعا ما تستعيد عافيتها".^٢

استخدام وابتكار القنابل الثقيلة ضد الآليات، حيث تمكنت كتائب عز الدين القسام من زرع عبوتين ثقيلتين في مرات متفرقة تمكنت هذه العبوات بعد انفجارها من تدمير شامل لدبابة (المركافا) الثقيلة والتي كانت حكومة الكيان الصهيوني تفاخر بها أمام الدول الأوروبية والصناعات العسكرية وكان لهذين الحدثين الأثر الكبير في: "توقيف صفقة دبابات قامت إسرائيل بإبرام عقد بيعها مع تركيا"^٣، مما أثار حفيظة مهندسي الصناعات العسكرية في إسرائيل.

كما قامت حماس ومن خلال الجهاز العسكري بابتكار قنبلة الهاتف النقال والتي تزرع في الموقع الذي يراد لها حيث يتم برمجتها مع الهاتف النقال حيث يتم الاتصال على رقم الهاتف المفخخ فيما بعد وبمجرد ارتباط الدائرة الالكترونية في الهاتف واستقبال المكالمات تبدأ عملية التفجير. "وقد جرب ذلك عندما تمكن مجاهد من حماس من زرع قنبلة موقوتة بهاتف نقال حيث قامت الحركة بتفجيرها من داخل مدينة نابلس".^٤

^١ - من مقابلة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي مع صحيفة الشرق القطرية الصادرة يوم ٢٨/١١/٢٠٠٢م.

^٢ - هارتس، العدد الصادر في ٥/١/٢٠٠٣م.

^٣ - مجلة فلسطين المسلمة عدد كانون أول ٢٠٠٢م.

^٤ - انظر موقع قساميون على شبكة الانترنت.

وآخر ابتكار لجناح حماس العسكري كان يتمثل في التخطيط باستعمال طائرة صغيرة بلا طيار والتي يتم استعمالها باستخدام الريموت الإلكتروني " حيث كان تفكير الحركة أن يتم ملء هذه الطائرة بالمتفجرات و ثم توجيهها لتنفجر في داخل المواقع الصهيونية كما أكدت على ذلك مصادر إسرائيلية، لكن الطائرة المشتراة والتي وصلت إلى الحركة عبر بعض التجار كانت ملغومة ومفخخة مما أدى إلى انفجارها قبل استعمالها واستشهاد أربعة من مجاهدي حماس^١.
وقد أدرج موقع الخارجية الأمريكية على الشبكة الدولية للإنترنت تقريره السنوي الذي صدر نهاية شهر كانون أول عام ٢٠٠٢م والذي تحدث فيه بإسهاب عن (الإرهاب الفلسطيني الإسلامي) بحسب نص التقرير والمتمثل في تطور الأدوات التي يستعملها الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال لا سيما كتائب القسام التي تبذل جهدا كبيرا في عملية التطوير كما يقول التقرير^٢.
وبذلك نرى أن هناك تطورات في الخطاب العسكري وآلياته وأدواته، مما جعله خطابا مميزا أمام كل الحركات التي تعمل في الميدان الخطاب المواكب للصراع وحيثياته ومستقبله بحسب إمكانيات الحركة البسيطة.

^١ - يديعوت احرنوت، ٢٠٠٣/٢/٦م.

^٢ - انظر: تقرير الإرهاب لعام ٢٠٠٢م على موقع وزارة الخارجية الأمريكية.

المطلب الثالث: العمليات الاستشهادية بين الميزان الفقهي والسياسي

تعتبر العمليات الاستشهادية والتي تقوم بها حركة حماس والمتمثلة في تجهيز استشهادي يتمنطق بحزام متفجر ناسف أو يحمل حقيبة مفخخة بالمتفجرات، من أبرز العمليات التي تقوم بها الحركة وبشكل دوري والتي تشكل انعكاسا كبيرا على الشارع الإسرائيلي الصهيوني. هذا النوع من العمليات الذي أربك العديد من الحكومات الصهيونية المتعاقبة والتي لم يستطع أحدا من دوائرها الأمنية أن يحد منه حيث كان يتردد دوما شعار على لسان وزير الكيان الصهيوني الأسبق (اسحاق رابين) قائلا: "ماذا نصنع لأناس يبحثون عن الموت"، حيث انعكس أثر هذه العمليات الجريئة والتي توزعت على كافة أرجاء وتجمعات الكيان الصهيوني من شماله إلى جنوبه وعلى حياة الإسرائيليين، فباتت تفقدهم طعم العيش والتمتع بالحياة سواء كان ذلك على الصعيد التجاري أم السياحي أم العيش والتنقل وغير ذلك. لقد اختارت حماس واستشهاديها أماكن متنوعة: سيارات، حافلات، مطاعم، فنادق، صالات أفراح، أسواق عامة، محطات باصات، تجمعات جنود، وغيرها مما أثر نفسيا على حركة العيش والتنقل اليومية كافة أرجاء الكيان الصهيوني.

هذه العمليات كانت مثار نقاش طويل وكبير سواء على الصعيد السياسي عالميا أو الصعيد الفقهي إسلاميا، وعلى الصعيد السياسي: أثارت هذه العمليات حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والكثير من الدول خاصة وأن هذه الدول التي تعتبر نفسها أنها من العالم الأول ترى أن هذا النوع من العمليات يوقع قتلى في الأطفال والنساء والشيوخ وغيرهم ممن لا علاقة لهم بحديثات الصراع معتبرين ذلك أن هذا إرهابا خطيرا يجب أن يحارب دوليا.

لكن حماس وغيرها من المنظمات والحركات الفلسطينية والإسلامية ترى أن من حق الشعب الفلسطيني "أن يدافع عن نفسه بكل الطرق والوسائل مشيرين إلى أن الكيان الصهيوني يمارس إرهاب الدولة المنظم، حينما يقصف عشوائيا القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية بطائرات الأباتشي ويقتل النساء والأطفال والشيوخ ويمزقهم إربا، هذا النوع من الأعمال الجهادية المميزة التي تقوم بها كتائب عز الدين القسام وغيرها كانت مثار تنافس بين الاستشهاديين الذين كانوا يتنافسون على الموت ويبحثون عن الجنة، حيث شهدت ساحة العمل شبانا في عمر الورود لم تتجاوز أعمارهم الثامنة عشرة والعشرين، وطلبة جامعيين على أبواب التخرج وحملة شهادات عليا، ورجال كبار في السن فوق الأربعين، تركوا من خلفهم أسرهم ونساءهم، بل تسابقت فتيات في عمر الورود أيضا مثل آيات الأخرس ووفاء إدريس ودارين أبو عيشة وعندليب طقاطقة.

وقد أربك هذا العمل الكيان الصهيوني أمنيا حيث فرض طوقا أمنيا منذ سنوات على كافة مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة ووضع الجدار الفاصل في الشمال وانتشار الدوريات

¹ - حركة حماس ونشأة الجناح العسكري، مرجع سابق، ص ٢١.

الصهيونية المتنقلة والراجلة، ومع كل هذه الاحتياطات الأمنية المركزة كان الاستشهاديون يصلون إلى مواقعهم وينفذون أعمالهم.

أثارت هذه الظاهرة خلافاً فقهياً ما بين معارض ومؤيد وتم مناقشتها من خلال رسائل علمية، فقد اعتبر الباحث نواف التكروري في رسالة علمية له تحت عنوان: (العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي) أن هذا النوع من الأعمال العسكرية "مشروع والقائم بها مجاهد ساع لاسترداد المغتصب من بلاد المسلمين وهو حين يقتل ولو بسلاح نفسه يعتبر شهيداً بل من أفضل الشهداء إذا أخلص النية وكان خروجه لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه السفلى"^١.

كما اعتبر الدكتور يوسف القرضاوي: "العمليات الاستشهادية بأنها من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله وهي من الإرهاب المشروع الذي أشار إليه القرآن الكريم (تزهبون به عدو الله وعدوكم.. الأنفال الآية ٦٠) فهي عمليات فدائية بطولية استشهادية وهي أبعد ما تكون عن الانتحار... ويضيف الشيخ القرضاوي ذلك قائلاً ومميزاً الفرق بين المنتحر والاستشهادي فيقول: إن المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، لكن هذا الاستشهادي يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، والمنتحر إنسان يائس من نفسه ومن روح الله وهذا المجاهد إنسان كله أمل في روح الله تعالى ورحمته، والمنتحر يتخلص من نفسه ومن همومه بقتل نفسه، والمجاهد يقاوم عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد الذي وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جيروت الأقوياء المستكبرين... فأصبح المجاهد (قنبلة بشرية) تتفجر في مكان معين وزمان معين في أعداء الله والوطن الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الشهيد الذي باع نفسه لله ووضع رأسه على كفه مبتغياً الشهادة في سبيل الله، هؤلاء الشباب الذين يدافعون عن أرضهم فهي أرض الإسلام وعن دينهم وعرضهم وأمتهم ليسوا منتحرين ولا إرهابيين.. فهم مقاومون مقاومة شرعية من احتل أرضهم وشرذ أهاليهم واغتصب حقهم وصادر مستقبلهم. ويضيف القرضاوي مسهباً في هذا الجانب حيث يقول: ولا يعد عمل هؤلاء الأبطال من الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما يتصور بعض البسطاء من الناس، بل هو عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة في الجهاد ويقصد به النكاية بالعدو وقتل بعض أفراد وقذف الرعب في قلوب الآخرين وتجربة المسلمين عليهم. ويختتم القرضاوي حديثه في هذه الفتوى قائلاً: "المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري رجاله ونساؤه جنود في الجيش يمكن استدعاؤهم في أية لحظة، وإذا قتل طفل أو شيخ في هذه العمليات فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ وبحكم الضرورات الحربية والضرورات تبيح المحظورات"^٢.

لكن آخرين من أهل العلم وجدوا أن هذه العمليات ليست جهاداً ومن يقوم بها ليس بشهيد، وممن قال في هذا الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ سابق في كلية

^١ - العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، نواف هابل التكروري، ط ١ ١٩٧٧م بلا ناشر، دمشق، ص ١٤٤.

^٢ - فتاوى معاصرة، د يوسف القرضاوي، دار القلم - الكويت - القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٥٠٣.

الشريعة بالمملكة العربية السعودية حيث يرى رحمه الله: "أن ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل الآلات متفجرة ويتقدم بها إلى الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم أبد الأبدين كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.. ويضيف ابن عثيمين: ولأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام ولأن من قتل نفسه وقتل عشرة أو مائة أو مائتين لم ينتفع الإسلام بذلك فلم يسلم الناس، بخلاف (قصة الغلام) وهذا ربما يجعل العدو يتعنت أكثر ويوغر صدره، هذا العمل قد يفتك بالمسلمين أشد الفتك، وكذا الحال مع أهل فلسطين وما يصنع اليهود معهم، فإذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة أخذوا من جراء ذلك ستين نفرا أو أكثر فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين ولا انتفاع للذين فجرت المتفجرات في صفوفهم، ولهذا يرى ابن عثيمين أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار أنه قتل للنفس بغير حق وأنه موجب لدخول النار وأن صاحبه ليس بشهيد ويعود ويعقب في نهاية الفتوى أنه إذا فعل الإنسان هذا متأولا ظانا أنه جائز، فأننا نرجو أن يسلم من الاثم وأما أن تكتب له الشهادة فلا، لأنه لم يسلك طريق الشهادة ومن اجتهد وأخطأ فله أجر"^١.

وقد اعتبر اخرون من علماء الأمة ما اعتبره الشيخ القرضاوي في فتواه السابقة، حيث أخذ بذلك شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي الذي اعتبر ما يقوم به الفلسطينيون من عمليات استشهادية ضد الجيش الصهيوني المحتل هو جهاد وشهادة، واشترط تجنيب المدنيين ذلك، كما أخذ بهذه الفتاوى وشارك فيها معتبرها عملا جهاديا خالصا ومنفذوها شهداء كل من المرحوم الدكتور عبد الله عزام والشيخ راشد الغنوشي والشيخ الدكتور عبد القادر أبو فارس والدكتور همام سعيد والشيخ حسن أيوب، كما أجازتها هيئة علماء الأزهر وكذلك عدد من علماء الشام من بينهم الدكتور محمد الزحيلي والعلامة الشيخ وهبة الزحيلي والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، كما أجازها جمهرة من علماء الكويت: الدكتور عجيل جاسم النشمي والدكتور عبد الرزاق الشايجي، والشيخ أحمد القطان وغيرهم " ٢ كما صدرت في ذلك فتوى تجيز مثل هذه العمليات عن رابطة علماء فلسطين عام ٢٠٠٠م.

ورغم هذه التصورات الفقهية التي دارت حول هذه المسألة، إلا أن الاستشهاديين من الشباب الإسلامي الفلسطيني يتسابقون نحو الشهادة باحثين عن الجنة غير مباليين بالموت وما سيحل بهم من نتائج هذا العمل معتقدين أن ما يقومون به من عمل هو جهاد خالص لا شائبة فيه وأن حور العين تنتظرهم بل هو عن قناعة بأنهم سيشفعون بسبعين من أهلهم مما وجبت عليهم النار بحسب كرامات الشهيد.. وفي لقاء مع أحد هؤلاء الاستشهاديين الذي لم يقدر له الله ذلك بسبب خلل فني،

^١ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام الحافظ ابي زكريا النووي، شرح محمد بن صالح

العثيمين (١-٤)، دار البصيرة - الاسكندرية، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص١٢٤.

^٢ - انظر: العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع سابق ص ٩٤، ٩٦، ٩٨ .

قال بأنه عندما خرج قاصدا الشهادة والقيام بعمل جهادي ضد الاحتلال الصهيوني، كان على قناعة أن عمله هذا سيخدم الإسلام والقضية الفلسطينية وسيعلي رايات حماس كما سيخدمه شخصيا لأنه سيلقى الله شهيدا^١.

وقد أثارت هذه العمليات حفيظة الرأي العام العالمي الذي اعتبرها إرهابا مبرمجا لقتل اليهود لأنهم يهود فقط " فكما أكدت قيادات من حركتي حماس والجهاد الإسلامي وأنهم يقومون بهذه الأعمال انطلاقا من كونهم حركات تحرر مشروعة تواجه احتلالا غاصبا يسيطر على الأرض والخيرات ويشرد العباد بغير حق "^٢ فيما يعزو بعض الباحثين أن هذا الإرهاب يستمد شرعيته من الدين الإسلامي الذي يبيح هذه العمليات معتبرا الإسلام بحد ذاته إرهابا خالصاً.. وهذا ما أكدته دراسة يهودية صهيونية حول فلسفة الشهادة في الإسلام عن إحدى مراكز الأبحاث الصهيونية: بأن "الدافع الرئيسي للاستشهاديين هو الإسلام كدين وآيات القرآن التي تدعوه لقتل اليهود والذي ينتظر بعد استشهاد جائرة ثمينة وهي الجنة وما فيها من نعيم وزوجات حسان، وتعتبر الدراسة أيضا أن هذه الإغراءات تدفع بالفلسطيني اليائس من الحياة بسبب ضنكها في ظل الإحتلال أن يموت باحثا عن هذه الأوهام !!"^٣.

ورغم كل التصورات، ترتفع وتيرة هذا الفهم لدى الشباب المتحمس نحو نجاعة هذه العمليات التي أصبحت سلاحا فتاكا في نظر حماس والحركات الأخرى لمواجهة الاحتلال الغاصب الذي يملك أسلحة متطورة لا يمكن لحركات المقاومة مجاراتها.

^١ - من مقابلة اجراها الباحث في داخل سجن عوفر بتاريخ ٢٧/٣/٢٠٠٣م مع الشاب اسلام فتحى محمد شناوي (٢٠ عاما) من مدينة جنين والذي كان ينوي القيام بعملية استشهادية، لكنه اعتقل في اللحظات الاخيرة قبل عملية التنفيذ داخل بلدة باقة الغربية شمال فلسطين وقد كان متوجها إلى مدينة الخضيره المحتلة كما قال في مقابلته، وذلك في الأول من شهر كانون الأول ٢٠٠٢م.

^٢ - من مقابلة مع الدكتور محمود الزهار بتاريخ ٢٥/٢/٢٠٠٣م.

^٣ - فلسفة الاستشهاد في الإسلام ، آفي دان (دراسة باللغة العبرية) مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية، جامعة بار ايلان، تل ابيب ، ١٩٩٨م ، ص ٥٤.

المبحث الرابع: حماس والآخر الفلسطيني والعربي والإسلامي والدولي

تتمتع حماس بشبكة من العلاقات المميزة والوسطية مع كافة الفصائل الفلسطينية العاملة على الساحة السياسية رغم كل الخلافات السياسية والأيدولوجية التي تعكر صفو العلاقات أحياناً، فقد تمكنت حماس من تجذير هذه العلاقة وبرمجتها ضمن القواسم المشتركة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومستقبلها، وتجلّى ذلك من خلال برنامج العمل السياسي الميداني الوطني الإسلامي المشترك في مواجهة الاحتلال الصهيوني.

ولم يحصر الأمر في العلاقات الداخلية وإنما انعكست حماس بواقعها وجهادها ومواقفها السياسية على الواقع العربي والإسلامي لا سيما الشعوب والحركات السياسية والإسلامية منها والوطنية، إضافة إلى مؤسسات العمل الأهلي والنقابي والتي استغلت حماس علاقاتها بها من أجل إثبات حضور شعبي للقضية الفلسطينية وانتفاضة شعبها، ولم يحصر عمل حماس في الشعب العربي فحسب، بل كان لها أعمال رسمية مع الحكومات ورؤسائها وتجديد هذه العلاقة لمستقبل القضية، بل جرت لقاءات ومراسلات بين قيادة حماس وعدد من زعماء ومسؤولي الأنظمة العربية، وجرى مناقشة التطورات السياسية والحلول المطروحة ومستقبل المقاومة وضرورة دعمها.

ولم يكن هذا الأمر في سياسات حماس الخارجية طارئاً وإنما واضحاً ومبرمجاً من خلال ميثاق الحركة الذي نص على ضرورة المحافظة على العمق العربي والإسلامي للقضية واستنهاض الأمتين العربية والإسلامية من أجل دعم القضية وإنهاء الاحتلال.

وكانت حماس حريصة على عدم التدخل في شؤون الأنظمة العربية الداخلية خشية الدخول في إشكاليات جانبية تخرج الحركة عن أهدافها الحقيقية والمرسومة، مما يحافظ على ديمومة العلاقات بينها وبين هذه الأنظمة، التي قد تكون ضرورة بل من أهم الضرورات في إحدى المراحل.

وامتدت علاقات الحركة بالعالم الإسلامي وساهمت في مشاريع دعم ومؤازرة للشعوب الإسلامية المقهورة مثل أفغانستان والبوسنة والهرسك والشيخان والفلبين وغيرها من حملات التبرعات أو إرسال المبعوثين والرسائل وإرسال رسائل المؤازرة وأصبحت الحركة ذات بعد إسلامي عالمي جراء هذا النهج الوحدوي لتوسيع دائرة المؤازرة للقضية الفلسطينية، ورغم حصرها لدائرة الصراع والمواجهة في داخل الوطن إلا أنها ومن خلال نهجها الإسلامي والعقدي كانت عالمية في علاقاتها فاتخذت المؤازرين والأصدقاء واستضافتهم ضمن بوتقة إسلامية وطنية هدفها تحرير القدس وفلسطين المباركة التي يرتبط بها كل مسلم كونها أرض الإسراء والمعراج وتحتضن بين جنباتها المسجد الأقصى المبارك.

وأما على الصعيد العالمي، فقد كانت لحماس علاقاتها الخاصة مع حركات التحرر العالمية، بل شاركت في مؤتمرات دولية تخص الإنسانية ومصالح الشعوب واستغلت هذه العلاقات الدولية في حشد أكبر قدر ممكن من الجماهير للمطالبة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هذه الجماهير التي كانت تطوف العواصم الدولية في مظاهرات عارمة لمؤازرة الشعب الفلسطيني ومحكمة الاحتلال على ما يقوم به من جرائم ضد الشعب، وقد ساهمت مؤسسات أكاديمية وثقافية واجتماعية وإنسانية عالمية مقربة من الحركة الإسلامية العالمية في دعم الشعب الفلسطيني من الخارج والاتصال بأصدقاء هذا الشعب بل استغلال الملايين من المسلمين لدعم الشعب المحتل المنتفض إعلاميا وسياسيا وماليا، وأقامت هذه المؤسسات المشاريع العالمية لمؤازرة القضية وكان من بين هذه المؤسسات:

مؤسسة الأرض المقدسة في الولايات المتحدة الأمريكية.

مؤسسة الإنتربال للإغاثة في المملكة البريطانية.

مؤسسة صندوق الأقصى في النمسا.

مركز العودة للدراسات ومتابعة شؤون اللاجئين الفلسطينيين في لندن.

المنتدى الفلسطيني في لندن.

المركز العالمي للبحوث والدراسات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية - شيكاغو.

ورغم أن هذه المؤسسات مؤسسات مستقلة تعمل في إطار التنمية والثقافة إلا أنه كان لها الأثر الكبير في دعم الشعب الفلسطيني وانتفاضته المباركة، وقد شن الاحتلال الصهيوني وبالتنسيق مع الأجهزة الأمنية الأمريكية حملة تحريض عالمية ضد هذه المؤسسات مما أدى إلى إخراجها عن القانون وإغلاق العديد منها تحت حجة أنها على علاقة مع حماس وأنها تدعم الإرهاب.

ولم تحصر علاقة حماس الدولية بالمؤسسات والعمل الخيري بل كان للحركة علاقات دبلوماسية مع مسؤولين حكوميين ومناقشة العديد من القضايا المتعلقة بالقضية الفلسطينية مع عدد من هؤلاء وخاصة في ظل الأزمات التي كانت تثار وتستهدف تشويه موقف الحركة، حيث كان لابد من مثل هذه اللقاءات لتبيان الحقيقة وتوضيح مواقف الحركة في الكثير من القضايا العالقة.

المطلب الأول: حماس والعلاقات الداخلية الفلسطينية

أوضح ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس طبيعة الموقف من الآخر الفلسطيني وضبط العلاقة في إطار الفهم المشترك بعيدا عن التطرف والتشنج رغم وجود الكثير من الإشكاليات في النهج السياسي لهذه الفصائل وقد اعتبر ذلك بمثابة سعة أفق للحركة التي تمكنت أن توظف عقليتها وسلوكياتها الميدانية في إطار الفهم والتصور العام المشترك والذي يراه الجميع يصب في صالح القضية.

حماس ومنظمة التحرير:

لقد ورد في المادة الخامسة والعشرين من ميثاق حماس حول موقف الحركة من العلاقات الوطنية عامة " أنها مبنية على الاحترام المتبادل وأن حماس تقدر ظروف هذه الحركات والعوامل المحيطة بها وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك قولا وعملا حاضرا ومستقبلا، تجمع ولا تفرق تصون ولا تبدد توحد ولا تجزئ تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية ولا تصغي للإشاعات والأقوال المغرضة " ¹.

ويتجلى الموقف أكثر وضوحا من منظمة التحرير الفلسطينية التي تقود التيار الوطني على الساحة الفلسطينية وتعتبر نفسها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني، حيث وضحت حماس موقفها من المنظمة في ميثاقها وعلى وجه الخصوص في المادة السابعة والعشرين: " منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية حماس ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد ومصابنا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك " ².

ورغم كل هذه الأسس لم يمنع ذلك أن يكون هناك تنافس ومدافعة نحو التسابق للعمل ومواجهة الاحتلال، رغم أن هذا التنافس خرج عن طوعه في بعض الأحيان، وطفا على السطح على شكل خلافات ملموسة محسوسة تأثرت بنتائجها الساحة الفلسطينية التي تحتضن السواد الأعظم لكلا التيارين.

إن نقطة الخلاف الجوهرية التي كانت تخشاها منظمة التحرير الفلسطينية في علاقاتها مع حماس دوما هي (مسألة البديل)، مع أن حماس أكدت أكثر من مرة أنها ليست بديلا عن احد ولم تؤسس لتكون كذلك.

وقد أثار صدور كتاب لحماس في العالم الغربي وتم إعادة طبعه في فلسطين المحتلة بعنوان: (حركة المقاومة الإسلامية حماس بين آلام الواقع وآمال المستقبل) زوبعة وحملة إعلامية من قبل

¹ - المادة الخامسة والعشرين، ميثاق حماس، انظر النص الكامل في قائمة الملاحق.

² - المادة السابعة والعشرين نفس المرجع.

منظمة التحرير الفلسطينية التي شككت بدورها حول منهجية حماس والاتجاه الإسلامي المجاهد في فلسطين وكان ذلك من خلال هجوم صارخ شنته مجلة (فلسطين الثورة) المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في عددها الصادر بتاريخ ٨ تموز ١٩٩٠ حيث اعتبرت المجلة المذكورة أن: "كل خروج أو محاولة خروج عن سنن وكيان وقوانين وأنظمة البيت الفلسطيني خروج مارق، وأي افتعال لخصام مع منظمة التحرير الفلسطينية افتعال لخصام مع الوطن، وقد عنونت فلسطين الثورة غلافها الرئيس بالنص التالي: (كي لا تضيع الحقيقة.. ردنا على الحماسيين؟!)"^١.

وقد فوجئت حماس آنذاك بهذا الموقف واعتبرته لا يمثل خط الوفاق الوطني المجمع عليه ولم يكن هذا الموقف الأخير في الخشية من ظهور حماس والتعامل معها على أنها بديل.

فقد صرح ياسر عرفات في أكثر من موقع تصريحات هجومية ضد حماس والتي كان أبرزها خلال اجتماع لأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في عمان بتاريخ ٧/١٠/١٩٩٢، قائلاً: "ألا تعلمون من هي قبائل الزولو الفلسطينية إنها هي التي تطلق على نفسها اسم حماس، أن نلسون مانديلا لا يطلق الرصاص: أما أنا فإنني سأطلقه وليعلم الجميع هذه الحقيقة"^٢.

وقبائل الزولو التي يتحدث عنها عرفات ويشبه حماس بها هي تلك القبائل التي وقفت في وجه نلسون مانديلا الذي كان يعمل لتحرير جنوب أفريقيا من عنصرية البيض، وكأنه يقصد بذلك أن حماس هي ضد منظمة التحرير الفلسطينية وما دامت كذلك فإنها ضد التخلص من الاحتلال.

"واعتبرت حماس أن مثل هذه الدعوات والتصريحات تحرف مسار القضية والشعب، لأن حماس توجه إسلامي انطلق من خلال عقيدة ودين ولا يعرض نفسه بديلاً عن أحد وإنما يريد أن يعيد نصاب القضية إلى طبيعتها"^٣، ورغم كل ذلك واصلت حماس مشوارها التحرري جنباً إلى جنب مع منظمة التحرير الفلسطينية بكافة فصائلها وشاركت في كافة الحوارات الفلسطينية الفلسطينية لرأب الصدع والتوصل إلى قواسم مشتركة بينها وبين كل العاملين على الساحة، وقد وضحت حماس ذلك رسمياً من خلال مذكرات رفعتها الحركة إلى المجلس الوطني والمجلس المركزي وخلال أوراق العمل التي قدمت في مؤتمرات الحوار.

وقد أكد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس خلال حوار القاهرة الذي عقد في القاهرة بتاريخ ٢٤/٢/٢٠٠٣م، بحضور كافة الفصائل الفلسطينية وحضور عمر سليمان مدير المخابرات المصرية، موقف حماس التاريخي الذي أكد بأنها ليست بديلاً عن أحد وقد جاء في محضر

^١ - مجلة فلسطين الثورة (المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية) العدد ٨٠٤ السنة التاسعة عشرة، تموز ١٩٩٠.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٣٣ - ١٣٤، نقلاً عن اللواء الاردنية الصادرة يوم ١٤/١٠/١٩٩٢م.

^٣ - من مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين لصحيفة السبيل الاردنية الصادرة يوم ١٤/٣/١٩٩٥م.

الجلسات: " إن على حماس أن تحترم وحدانية سياسة السلطة وأن لا تكون في الوطن سلطتان ؟ فكان رد خالد مشعل رئيس وفد حماس في اللقاءات: إن حماس تقر بوحداية السلطة ولكنها لا تقر بوحداية البرنامج السياسي^١، فحماس لا تنظر ولا تتطلع لسلطة سقفها اتفاقيات أوسلو كما قالت في أكثر من تصريح لكنها ترى أنه من حقها أن تحافظ على برنامجها السياسي والجهادي الذي يدعو إلى الاستمرار في مقاومة الاحتلال.

ويرى بعض الباحثين أن السلطة ورئيسها لا يحبون بتاتا أن ينافسوا حتى في فلسفة التحرير وقد يصل الأمر إلى درجة إنهاء الآخر جراء هذه المنافسة: يقول الدكتور عبد الستار قاسم، أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح: "تردد على السنة بعض الفلسطينيين أن الاحتلال الإسرائيلي أنشأ حماس وقدم لها الدعم لكي تأخذ دور حركة فتح، لا يبتعد هذا الاتهام عن محاولة القيادة الفلسطينية في محاربة أي شخص فلسطيني أو حركة يمكن أن تشكل بديلا قياديا"^٢.

وتأتي رؤية الدكتور قاسم من خلال عراكه السياسي ومواقفه الجريئة مع السلطة الوطنية الفلسطينية فهو من أشد المعارضين لها ولرئيسها وقد تعرض لمحاولة اغتيال في وضح النهار داخل الحرم الجامعي في جامعة النجاح الوطنية عام ١٩٩٥م، وأصيب على أثرها بأربعة رصاصات نقل على أثرها إلى المستشفى كما اعتقل في سجون السلطة لأكثر من مرة.

ويرى الدكتور قاسم: "أن حماس لا تضع حواجز ومعوقات أمام التعاون مع الآخرين سواء كانوا ضمن تنظيم إسلامي أو غير ذلك، وإذا حصل وأن اختلفت مع جهات أو تنظيمات فإنها أي حماس لا تعتمد الطعن والصدام والتشويه كوسائل لحل الخلافات وهي تبقى حريصة على الوحدة الوطنية ورص الصفوف"^٣، ورغم كل ذلك إلا أن التطور السياسي لدى السلطة واستجاباتها للمستحقات الأمنية، نسف الكثير من العلاقات بينها وبين الفصائل الفلسطينية وعلى وجه الخصوص الإسلامية منها خاصة حركتي حماس والجهد الإسلامي عندما قامت السلطة باعتقال المئات من قيادات وأفراد هذه الحركات وملاحقة الآخرين من رموزها مما أدى إلى إصابة العلاقات الوطنية الإسلامية بهزة وأزمة ثقة.

ولم تحصر الاعتقالات على الصعيد السياسي فقط بل كانت اعتقالات أمنية أيضا غير مبنية على قانون ولا تراعي حقوق الإنسان وقد طالت هذه الاعتقالات رموز بارزة لها قدرها في العمل الوطني والإسلامي ولها دورها في الحوار الوطني الإسلامي بل كان لها أثر في ترسيخ العلاقات الوطنية الإسلامية في المجتمع الإسلامي، غيبت هذه الشخصيات في سجون نابلس وأريحا والخليل وقد تعرض بعضهم إلى ألوان من العذاب وصفت على النحو الآتي: " الضرب باستعمال

^١ - محضر جلسات لقاء القاهرة المنعقد في ٢٤/٣/٢٠٠١م وقد حصل الباحث على نسخة منه غير منشورة.

^٢ - الطريق إلى الهزيمة، الدكتور عبد الستار قاسم، بلا ناشر ١٩٩٨م، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

^٣ - نفس المرجع، ص ٢٤٣.

الأيدي أو أدوات تشبه الحبال والشبح المتواصل والحرمان من النوم لفترات طويلة ووضع المعتقل الفلسطيني في ظروف غير مريحة للنوم، إضافة إلى الحد من استعمال الحمامات وكذلك استخدام ألفاظ بذيئة تجاه الدين والشرف والانتماء حيث رافق ذلك أيضا حلق بعض اللحى والرؤوس وكذلك استخدام أغطية للوجوه واقتناص مخبرين من بين هؤلاء المعتقلين كي يعملوا لصالح أجهزة الأمن^١.

هذا بالإضافة إلى اعتقالات طويلة الأمد لمدد تراوحت ما بين ستة أشهر و ٥ سنوات دون محاكمة أو السماح بإدخال محام مع الاستمرار أيضا في الاعتقال لكثير من القيادات والإبقاء عليها محتجزة حتى بعد صدور قرار بالإفراج عنها من قبل محكمة العدل العليا الفلسطينية. وبالرغم من كل هذه التصرفات التي صدرت عن السلطة الفلسطينية إلا أن حماس حافظت على منظومة العلاقات الفلسطينية الفلسطينية ولم تستقر أو تنجر إلى أي اقتتال داخلي ويعود الفضل في ذلك لحكمة حماس وليس السلطة، لأن الأولى تلقت الضربات والثانية هي التي مارست.

ويصف الدكتور اياد البرغوثي الباحث والمتخصص في علم اجتماع ما تعرضت له الحركة الإسلامية الفلسطينية حيث يقول ومن خلال لقاءات عدة أجراها مع معتقلين إسلاميين بغرض الدراسة كانوا قد اعتقلوا في سجون السلطة: "وصف بعض الذين جرت مقابلتهم بعض المحققين الفلسطينيين بأنهم معبئين ضد الحركة الإسلامية من الخارج وقال بعضهم بأن بعض المحققين لم يحترموا الدين ولا الذات الإلهية فكان بعضهم سكراناً أثناء التحقيق، والبعض شتم الدين والذات الإلهية...! أحدهم قال: بأن المحقق لم يأخذ بعين الاعتبار أن بعض المعتقلين كانوا أئمة مساجد، وأفاد آخرون بأنه تمت إهانة الشهداء أمام أهاليهم وقال معتقل آخر أن أكثر ما ضايقه هو الإهانة التي وجهها المحقق له عندما طلب منه إحضار أمه (خليها تترجى)؟! وأضاف: أنا لا أقبل لأمي أن تذهب إلى أي مكان ولا حتى إلى السوق... وادعى آخرون أن بعض المعتقلين حقق معهم على ملفات لهم عند إسرائيل على أفعال قاموا بها في الانتفاضة السابقة"^٢.

إن هذه الممارسات اللاإنسانية والتي نجمت عن استحقاقات الاتفاقيات الأمنية "ألقت بظلالها السلبية جدا على العلاقات الوطنية والإسلامية، وكان من أهم هذه الأعمال عملية اغتيال القيادي العسكري في حماس محيي الدين الشريف والأخوين عماد وعادل عوض الله، حيث ادعت حماس أن تعاوناً أمنياً إسرائيلياً وفلسطينياً كان وراء مقتلهم في حين ادعت السلطة أن خلافات داخل حماس نفسها كانت وراء عملية الاغتيال"^٣.

^١ - نفس المرجع، ص ١٨٢.

^٢ - الإسلام السياسي في فلسطين، مرجع سابق، ص ١٢٣.

^٣ - المرجع السابق، ص ١٦٦.

وسبقت هذه الحوادث بحادثة اعتقال خلية صورييف التابعة لحماس والتي تدعي الأخيرة أن العقيد جبريل الرجوب مسؤول جهاز الأمن الوقائي في الضفة الغربية لدى السلطة كان وراء عملية التسليم وتبع ذلك الحادث حدث آخر قبيل احتلال مدينة رام الله واقتحامها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي حيث تم اقتحام مقر الأمن الوقائي في بيتونيا واعتقال أبرز مطلوبي الجهاز العسكري لحماس، وقد قالت حركة حماس أن الرجوب رفض الإفراج عنهم قبل عملية الاقتحام حتى تمت عملية تسليمهم ضمن هذه المسرحية بحسب وصف حماس.

ومع ذلك يرى الكثير من أنصار حماس وعلى وجه الخصوص الرموز المعتدلة في الحركة أن العلاقة مع السلطة لم تصل إلى حد الاشتباك لأنهم يثقون بالحركة الإسلامية التي لا تستهدف إلا إسرائيل فيما ذهب البعض "إلى أن السلطة فصيل وطني يرفض الاقتتال معه.. وقال أحدهم لن يكون هناك تكفير وهجره ولا ردة فعل، وقال آخر: إن شباب الحركة الإسلامية منضبطون وعندهم تقوى الله، إلا أن البعض الآخر لم يقلل الطريق نهائيا أمام إمكانية تردي الأمور".^١

لكن الدكتور البرغوثي يرى أن "قوى التعقل ما زالت مسيطرة داخل الحركة الإسلامية، وما زال الفكر الديني قابلا أن يستخدم بالاتجاه الإيجابي في الحالة الفلسطينية".^٢

وخلال هذه الأحداث كلها شاركت حماس في منظومة عمل شعبي مشترك، فقد كانت ولا زالت توجه انتفاضة الأقصى جنبا إلى جنب مع كافة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ومنذ شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٠م، والشارع الفلسطيني يستقبل توجيهاً الانتفاضة من خلال بيانات مشتركة موقعة باسم (القوى الوطنية والإسلامية) حيث كان هذا بارزا في كل المحافظات من خلال لجان العمل الوطني الإسلامي المشتركة التي كانت حماس جزءا مركزيا فيها.

^١ - نفس المرجع، ص ١٢٥.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٢٥.

المطلب الثاني: حماس والفصائل الإسلامية

قد بدا واضحاً من خلال مسلسل الأحداث، أن الشارع الفلسطيني يقاد من قبل حركتي حماس والجهاد الإسلامي، هاتان الحركتان اللتان تمارسان المقاومة المسلحة والجهاد في وجه الاحتلال، في الوقت الذي يتأثر فيه عدد من الجماعات والحركة الإسلامية التي تمارس العمل السياسي والدعوي بعيداً عن المقاومة والمواجهة المسلحة مع الاحتلال.

ورغم أن هناك ثمة تنافساً مشروعا بين حركتي الجهاد الإسلامي وحماس على الصعيد الجهادي إلا أن قيادات الحركتين تؤكدان أن ثمة علاقة مميزة بين الحركتين لا سيما أنهما متفقتان في البرامج السياسية والجهادية.

وقال الدكتور موسى أبو مرزوق عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس "إن لحركته علاقات أخوة مع الأخوة في حركة الجهاد الإسلامية وأن كلا الحركتين متعاونتان في مواجهة الاحتلال رغم عدم وجود برنامج عسكري مشترك، حيث تلتقي مواقف الحركتين معا في مواجهة الحلول الاستسلامية، إضافة إلى كون الحركتين تتبعان الإسلام وتدعوان إلى قيام دولة إسلامية وتحرير فلسطين المباركة)^١، وقد جرى نقاش جاد لوحدة الحركتين ووحدة برامجهما وهذا ما كشف عنه دكتور رمضان عبد الله شلح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في إحدى المقابلات معه حيث قال: (هناك محاولات جادة لوحدة الحركة الإسلامية في فلسطين نحن والإخوة في حماس ونذكر أنه إذا تعذر تحقيق وحدة الإطار التنظيمي نتيجة ظروف نشأة وواقع كل تنظيم، فلا بد من تحقيق وحدة العمل الإسلامي، وهذا التوجه موجود على الأرض الآن ويتجسد في الكثير من التحالفات التي تمت بين حركتي حماس والجهاد الإسلامي في كثير من الجامعات والتجمعات داخل الأرض المحتلة)^٢.

وأما على صعيد حركة حماس والحركات الإسلامية الأخرى مثل حزب التحرير الإسلامي فإنها تبدو متوترة وخاصة من جانب الحزب حيث يلاحظ من خلال علاقاته وتعهيداته وانتقاداته على مواقف حماس لأنه غير راض بل يرفض العمل الجماهيري المشترك، ولا يؤمن بفكرة التعددية الحزبية مع الأحزاب والجماعات غير الإسلامية، ولهذا لا يوجد أي نوع من التنسيق ما بين حماس وحزب التحرير الإسلامي بسبب التنافر من الموقف السياسي لحماس المبني على الكثير من المفاهيم التي يرفضها الحزب أصلاً مثل التعامل مع الحكومات المعاصرة الجاهلية.

لكن هذه العلاقة تختلف ما بين حماس وجماعة التبليغ والدعوة التي ترى حماس فيها الإخلاص في العمل الدعوي والصدق مع احتجاج حماس على الكثير من النقص خاصة عدم اهتمامها بقضايا الأمة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

^١ - فلسطين المسلمة، كانون أول، ٢٠٠٢م.

^٢ - عملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية (وجهة نظر إسلامية) مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.

ورغم ذلك فإن حماس لم تمنع ولم تتكر على أحد من أفرادها الخروج للدعوة إلى الله مع جماعة التبليغ والدعوة، بل تعتبر ذلك صقلاً إيمانياً لأفرادها وضرورة تعودهم على حياة التقشف. وترتبط حماس بال جماهير الإسلامية الفلسطينية المستقلة ارتباطاً وثيقاً من خلال النشاطات الميدانية، حيث أن حماس تجمع عشرات الآلاف من أنصار التيار الإسلامي المتدين في احتفالاتها ومهرجاناتها مع أنهم غير منتظمين في صفوف الحركة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جماهيرية الحركة ومدى ارتباطها بأنصار الصحوة الإسلامية، وتوضح ذلك المادة الثالثة والعشرون من ميثاق حماس التي تقول: "تتظر حركة المقاومة الإسلامية حماس إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فإن اختلفت معها في جانب من جوانب التصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات أخرى وتتنظر إلى تلك الحركات أن مؤثرة النوايا السليمة والإخلاص لله بأنها تتدرج في باب الاجتهاد ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية ولكل مجتهد نصيب.. وحماس تعتبر تلك الحركات رصيذاً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع".^١

وترتبط حماس بعلاقة حميمة مع الحركة الإسلامية داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، نظراً للتوافق الفكري والأيدلوجي والانتماء المشترك المرتبط في حركة الإخوان المسلمين. ويلاحظ أن حماس قد "اكتفت في ما يبدو من الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر القيام بدور الإسناد العام في مجالات الإغاثة والإعلام والسياسة، فعلى صعيد الإغاثة تتم مساعدة الانتفاضة والأسر المحتاجة التي وجدت نفسها بدون معيل، وعلى صعيد الإعلام تقوم الحركة الإسلامية في الداخل بالتنظير من خلال صحفها ونشراتها لكفاح حركة حماس على قاعدة الحقوق الفلسطينية المستباحة، وعلى صعيد السياسة يمارس الضغط السياسي على حكومة الكيان الصهيوني من خلال الاحتجاجات والمظاهرات والمسيرات مهما يكن محدوداً لمصلحة الحقوق الفلسطينية عامة وللدفع باتجاه تحقيق بعض المطالب الجزئية وخصوصاً الإفراج عن المعتقلين وإعادة المبعدين وإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين سابقاً".^٢

وقد كان واضحاً هذا الدور من خلال تدخل الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في الداخل في مصالحة بين حماس والسلطة والالتقاء بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من أجل هذه المهمة.

"وأغلقت سلطات الاحتلال الصهيوني أكثر من مرة صحف الحركة الإسلامية الصراط وصوت الحق، تحت حجة أنها تنشر أخباراً لحماس وتبث بياناتها، كما تم إغلاق المراكز

^١ - المادة الثالثة والعشرون، ميثاق حماس (انظر النص الكامل للميثاق في الملاحق).

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٥٩.

الاجتماعية المتمثلة بلجان الإغاثة الإسلامية والإنسانية بالمناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م بحجة دعمها لأسر شهداء حماس والاستشهاديين^١.

ورغم إنكار الحركة الإسلامية في الداخل لأية علاقة لها مع حماس رسمياً إلا أنه يلاحظ أن جل نشاطات رئيس الحركة تتجه نحو المسجد الأقصى وترميم ساحاته والوقفات الإسلامية الأخرى التي تتم من خلال مؤسسة الأقصى وإن كان يرتبط بعلاقة مع حماس فإنها لا تخرج عن كونها علاقة عمل مشترك في اتجاه المشاريع الخيرية وترميم الوقفات الإسلامية فقط.

^١ - الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر - فلسطينيو ال٤٨، أحمد بن يوسف، المركز العالمي للبحوث والدراسات، ط٣، ٢٠٠٠م، واشنطن، ص ٣٤

المطلب الثالث: موقف حماس من السلطة والدولة والبناء الوطني الفلسطيني

تتمحور علاقة الحركة الإسلامية العالمية مع الحكومات غير الإسلامية والتي يطلق عليها بعض العلماء (جاهلية) ضمن ثلاث توجهات:

أولاً: علاقة مفاصلة ومواجهة

ثانياً: علاقة اندماج وانخراط

ثالثاً: علاقة حياد ومراقبة

وقد تجسدت التوجهات الثلاثة في سياسات الحركة في أكثر من موقع في العالم العربي حددتها مصلحة الحركة وخصوصيتها.

فعلاقة الإخوان المسلمون مع النظام السوري مثلاً كانت علاقة مفاصلة ومواجهة في الوقت الذي كانت فيه العلاقة للحركة نفسها مع النظام الأردني علاقة اندماج وانخراط في ما كانت علاقة الإخوان مع النظام المصري علاقة حياد ومراقبة وكذا الحال في علاقة حماس مع السلطة الوطنية الفلسطينية ورغم هذه المفارقات إلا أن اجتهادات الحركة الإسلامية فيما بينها اختلفت حول الدخول أو عدم الدخول في الحكومات القائمة على غير الإسلام " ففي مصر مثلاً وهي مركز الحركة الإسلامية لم يكن الإخوان المسلمون في السلطة في يوم من الأيام، وإن كانت علاقتهم بالسلطة من حيث المبدأ: لا يعادون ولا يكفرون حاكماً ولا يستعدون نظاماً ولا يطلبون صراعاً"^١.

"وعندما طلب جمال عبد الناصر من الإخوان المسلمون تقديم أسماء ثلاثة وزراء للاشتراك بالحكم رفض المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله ذلك"^٢.

وفي تاريخ الإخوان المسلمين الغابر في سوريا قبيل مذبحة حماة شارك الإخوان المسلمون في الحكم، فقد " دخل الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله البرلمان السوري وتعاون مع الأحزاب لإقرار الدستور السوري الذي اعتبر نصراً كبيراً للمسلمين فقد نصت مادته الأولى أن الإسلام هو دين الدولة والمصدر الرئيس للتشريع، وشارك أيضاً الأستاذ عصام العطار المرشد العام الثاني للإخوان المسلمين في سوريا وشكل كتلة إسلامية شاركت مع الأحزاب الأخرى وكان الإخوان في تلك الفترة ثلاثة وزراء وهم: عمر عودة الخطيب وزيراً للتموين وأحمد مظهر العظمة وزيراً للزراعة والدكتور نبيل الطويل وزيراً للصحة وكان ذلك في ظل وزارة خالد العظم"^٣.

^١ - الفكر الحركي بين الاصل والانحراف، مصطفى محمد الطحان، دار الوثائق - الكويت، بلا تاريخ طبعة، ص ١٢.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٢.

^٣ - نفس المرجع، ص ١٣.

ولم تتوقف تجارب الحركة الإسلامية في المشاركة في الحكم، بل طالت أكثر من قطر وكانت في مجملها تشكل اقتراباً من الحكومات ومشاركة بعيدة عن الصراعات والخلافات والمواجهات، وكان يظهر بعض الخلافات ما بين اللحظة والأخرى لاعتبارات سياسية وتنظيمية وليس لاعتبارات منهجية، "فقد واجه الإخوان المسلمون اشتراك الدكتور اسحق الفرخان في الوزارة الأردنية وجمدوه مدة من الزمن، في الوقت الذي لم ير قسم كبير منهم بأساً في ذلك ولأحدهم مقولة مشهورة حول هذا الموضوع: كيف نقبل الأخ فراشاً في الوزارة ولا نقبله وزيراً"^١.

وفي باكستان قبل أمير الجماعة الإسلامية أبو الأعلى المودودي رحمه الله الدخول في تحالف سياسي مع مجموعة من الأحزاب اليمينية واليسارية من أجل إسقاط الحاكم الظالم، ولم ير المودودي بعلمه وفقهه في هذا التحالف شيئاً منكراً " بل إن الجماعة الإسلامية شاركت بعدد من الوزراء في أول حكومة مدنية عقب انقلاب ضياء الحق العسكري"^٢.

وفي الأيام الحالية المعاصرة شاركت الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) في الحكومات القائمة ترشيحاً وانتخاباً بل مشاركة في بعض الوزارات، ولعل تجربة الحركة في الأردن كانت الأكثر وضوحاً حيث تسيطر الحركة على أكبر كتلة معارضة داخل البرلمان.

ويجاهد الإخوان المسلمون في مصر كي يسمح لهم ليشاركوا في البرلمان دون تحالف مع الآخرين، فيما شاركت الحركة مشاركة فاعلة في اليمن وكذلك في الكويت وفي الجزائر قبل الفتنة، فيما منع الإخوان مرغمين أي نوع من المشاركة في الحكومة في تونس بل تمت ملاحقتهم وحكم على أمير الحركة الشيخ راشد الغنوشي بالإعدام غيابياً.

وتتبنى الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين) وكل تياراتها موقفاً فقهياً يجيز المشاركة في الحكومات غير الإسلامية والمشاركة في برلماناتها من أجل المصلحة الشرعية التي تعتقد الحركة من خلالها أنه بمقدورها أن تغير المنكر وتخفف الشر والظلم أو ترى انعكاساً خيراً للمشاركة على مستقبل الدعوة الإسلامية، " وقد أفتى بذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام وشيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك الشيخ العلامة يوسف القرضاوي"^٣.

لكن بعضاً من علماء الحركة الإسلامية نفسها لا يجيزون الدخول في المشاركة في وزارة الأنظمة الجاهلية، وكذا الحال مع الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس الذي رفض مشاركة الإخوان في وزارة مضر بدران رغم مشاركة الحركة رسمياً وإقرارها بذلك، وقد أصدر كتاباً

^١ - نفس المرجع، ص ١٤.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٤.

^٣ - من فقه الدولة في الإسلام، دكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١، ص ١٧٧ - ١٩٢.

بعنوان: منهج الحركة الإسلامية في التغيير، عام ١٩٩١م حيث كان يحوي فصلاً كاملاً وهو عبارة عن فتوى في تحريم المشاركة في الوزارة في الأنظمة الجاهلية، إلا أن الحركة نفسها قامت بمنعه من إصدار كتابه الذي يحوي فصل تحريم المشاركة والذي يخالف فيه رأساً على عقب خطوة الإخوان أنفسهم التي تمثلت في مشاركة كل من: عبد الله العكايلة وزيراً للتربية والتعليم ويوسف العظم وزيراً للشؤون الاجتماعية وإبراهيم زيد الكيلاني وزيراً للأوقاف وكذلك وزارة الصحة.

وبعد انتهاء الحظر على الفتوى عاد الدكتور أبو فارس وأصدر كتاباً مستقلاً يحوي الفصل الكامل حول الموضوع والذي يشكل في مجمله فتوى في تحريم المشاركة ودخول وزارة الأنظمة الجاهلية^١.

ومن العلماء والمفكرين المعاصرين من تعامل مع المسألة بحجم ضرورتها باحثاً عن حرية المسلمين وانقاذهم من الاستبداد والسماح لهم بحرية العبادة والرأي حتى في ظل الأنظمة العربية والإسلامية المستبدة "ولهذا يجيز الشيخ راشد الغنوشي الدخول والمشاركة في السلطات الجاهلية المستبدة الكافرة المعادية للإسلام من أجل الوصول إلى جو ديمقراطي علماني يحترم الحريات العامة"^٢، وقد استعرض الدكتور عبد الله العكايلة من الحركة الإسلامية الأردنية منجزات الحركة من خلال مشاركتها في نظام الحكم وما هي الإيجابيات التي ذكرتها حول هذا النهج، حيث يعتبر "أن الحركة الإسلامية اكتسبت تجارب جديدة وأصبحت أكثر واقعية، وقد استطاعت الحركة أن تطور قدراتها وتحسن أدائها وأن تقدم صوراً مختلفة عن تلك التي ترسخت في عقول الخصوم الدائبين على توصيف الإسلاميين والحركات الإسلامية كما لو كانوا فئات من المتشددين أو المتطرفين أو المتعصبين مشيراً إلى عدد من النقاط الهامة التي أنجزت والتي يراها الدكتور العكايلة على النحو الآتي:

تكوين فكرة سليمة وإزالة المخاوف التي كانت تثيرها بعض الجهات الأخرى.
كان للمشاركة حضور في اللجان المتخصصة والتي تم من خلالها انتقاد النظام ومحاسبته.
المشاركة في إنجاز مجموعة من القوانين والتشريعات التي تتفق مع الشريعة وتلائم المصلحة العامة.

طرح الرأي والموقف الإسلامي في الأحداث ودفع الحكومة إلى الالتزام به.
الإسهام في تأسيس حزب جبهة العمل الإسلامي.

^١ - لمزيد من الاطلاع انظر: المشاركة في الوزارة في الانظمة الجاهلية، الدكتور محمد عبد القادر ابو فارس، (مطبعة النور - صويلح - الاردن) ط ١، ١٩٩١م.

^٢ - "حكم مشاركة الإسلاميين في نظام غير اسلامي، الشيخ راشد الغنوشي": الإسلاميون والمشاركة في السلطة، دكتور عزام التميمي، ليبرتي - لندن، ط ١، ١٩٩٤، ص ١٢١.

المساهمة في رد الحقوق إلى أصحابها والحد من تدخل أجهزة الأمن.
تخفيف حالة الاحتقان والعداء ما بين الحركة والحكومة وحماية الحركة من الصدام مع الحكومة.

دعم القضية الفلسطينية والسعي قدر الإمكان إلى دفع الحكومة للالتزام بما لا يضيع حقوق الفلسطينيين في أرضهم.

دعم القضايا الإسلامية الأخرى والتفاعل مع الأحداث على الساحة العربية والإسلامية من خلال عشرات البيانات والبرقيات التي صدرت في مناسبات مختلفة بل من خلال المشاركة عبر وفود برلمانية إلى الأقطار العربية والإسلامية.

مواجهة الفساد المالي والإداري ومحاسبة الوزراء وكبار المسؤولين.

السعي في حاجات المواطنين في ظل غياب الحريات وانتشار الظلم^١.

"وكذلك يرى نصر طه مصطفى أحد قيادات الحركة الإسلامية اليمنية أن مشاركة الحركة في الحكومة من خلال حزب الإصلاح وعبر ثلاثين عاماً أو يزيد تركت أثراً إيجابياً على المستوى الشعبي من خلال إنجازات الإسلاميين في مجالات الفكر والسلوك والتربية والحركة التعاونية والتشريع والثقافة"^٢.

ويرى الدكتور عصام العريان عضو مجلس الشعب المصري السابق عن الإخوان المسلمين أن الرئيس مبارك تعلم تجربة أو درسا من التجربة الجزائرية وقال بأنه لن يكرر نفس الخطأ في الحكم الجزائري من خلال منح الإسلاميين الحق في ممارسة العمل السياسي بشكل رسمي أو السماح لهم في المشاركة بالانتخابات الديمقراطية^٣.

ولا تزال جماعة الإخوان المسلمين وهي أكبر تجمع إسلامي في مصر تمنع من ممارسة العمل السياسي وتحرم من تشكيل حزب سياسي.

وقد نقل عن الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله: "أننا لا نحرص على ما يسمونه بنصر سياسي وإنما الذي يهمنا تحقيقه هو نصر الله بتطبيق شرعه فينا، فإذا دخلنا مجلس الشعب فلا نعتبره نصراً بمعايير الناس ولكننا نعتبره منبراً له قدرة في تبليغ دعوة الله"^٤.

^١ - تجربة الحركة الإسلامية في الأردن، الدكتور عبد الله العكايلة (مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي، محرراً) منظمة ليبرتي، لندن، ط١، ١٩٩٤م، ص١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

^٢ - الحركة الإسلامية اليمنية: عشرون عاماً من المشاركة السياسية، نصر طه مصطفى، (مشاركة الإسلاميين في السلطة) عزام التميمي محرراً لندن، ط١، ١٩٩٤م، ص١٦٥.

^٣ - عوائق المشاركة السياسية في مصر، الدكتور عصام العريان، في: (مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي (محرراً)، مرجع سابق، ص٢١٧.

^٤ - نفس المرجع ص٢١٨.

وهكذا تبدو الصورة واضحة بالمشاركة السياسية في الأنظمة الحاكمة بغير الإسلام من قبل الحركات والجماعات الإسلامية التي ترى ضرورة إصلاح البيت من داخله مما يعطي هذه الحركات حرية التعبير عن الرأي وحرية التحرك وإقامة المشاريع.

حماس والمشاركة في السلطة الفلسطينية

قد تختلف المشاركة السياسية بالنسبة للحركة الإسلامية في فلسطين، كون الأرض محتلة ومغتصبة، ولا يوجد للشعب دولة مستقلة ذات سيادة، يتم انتخاب رئيسها وبرلمانها بعدالة مطلقة ومشاركة شعبية كاملة فعدد الفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات يقارب ضعفي العدد المتواجد داخل الأراضي المحتلة.

أضف إلى ذلك أن هناك ثمة إشكالية يكاد يجمع عليها الإسلاميون الفلسطينيون تتمثل في وجود تشابك بين عملية التحرر الوطني وعملية البناء والمشاركة السياسية، وهذا ما أكد عليه الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس عندما قال: "بأن المرحلة اختلط فيها جانب التحرر مع جانب البناء"¹ فيما يرى الشهيد المهندس إسماعيل أبو شنب رحمه الله أحد قادة حماس السياسيين: "أن المرحلة يجب أن توفق بين الخطين، خط البناء الداخلي وخط التحرر من خلال المقاومة ولا غنى لأي منهما عن الآخر"²، لكن حيثيات الصراع تغلب جانب التحرر والمقاومة على جانب البناء الوطني، فالتحرر والتخلص من الاحتلال هو الأصل وهو القاعدة التي يبنى على نتائجها قيام الدولة والمشاركة الفاعلة في بنائها، ولهذا يرى سياسي آخر في حركة حماس ألا وهو الدكتور موسى أبو مرزوق: "أنه لا يمكن فصل مرحلة البناء الوطني عن مرحلة التحرر الوطني ولكن إذا تعارض شيء من ذلك مع الجهاد والتحرر فالتحرر مقدم، لأنه لا يمكن أن نقارن رغبة الخبز بالحرية"³.

ولقد انشغل خطاب حماس في هذه المرحلة في صب نار الغضب ضد الاتفاقيات السياسية وفي مقدمتها اتفاقية أوسلو جنباً إلى جنب مع استمرار برنامج المقاومة الذي لم ينحصر في حماس أو الجهاد فحسب بل شاركت فيه حركة فتح نفسها التي يطلق عليها حزب السلطة، إضافة إلى الجبهتين الشعبية والديمقراطية هذه الحركات كلها عملت ضمن منظومة مواجهة للاحتلال خلال انتفاضة الأقصى رغم الاتفاقيات التي أفرزت السلطة.

وبات محرجاً لدى البعض من هذه الفصائل وفي مقدمتها حماس أن عملية المساهمة الفاعلة في عملية البناء الوطني هي تجسيد لاتفاقيات أوسلو وأن السلطة التي تبسط شيئاً من النفوذ على

¹ - عملية البناء الوطني الفلسطيني وجهة نظر اسلامية، خالد الهندي، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية،

نابلس - فلسطين، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٧٣.

² - نفس المرجع ص ٧٣.

³ - نفس المرجع، ص ٧٤.

الأرض تستظل بمظلة هذه الاتفاقيات التي خلفت التزامات أمنية قاتلة، ومن هنا رفضت حماس المشاركة في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٦م وأمرت أفرادها بعدم المشاركة انتخاباً وترشيحاً ليس من باب عدم الجواز شرعاً وفقها وإنما من موقع رفض الحركة للاتفاقيات وما أنجزته من تجزئة سياسية يرفضها الشرع الإسلامي إضافة إلى التزامات واعترافات بالعدو.

لقد كان بعضهم يرى أن الطريق الأسلم لاحترام السلطة والمحافظة على البناء الوطني هو محاولة الفصل بين الشرعية السياسية للسلطة والشرعية الإدارية لها، وهذا الأمر الذي لم يتم التمكن من الوصول إليه بسبب زحمة الأحداث والتناقضات إضافة إلى شدة وضوح الالتزامات الملقة على عاتق السلطة والتي يجمع الشعب الفلسطيني أنها لا تخدم مستقبله.

"لقد رفض الإسلاميون الإقرار بشرعية السلطة الفلسطينية وذلك نظراً لكونها قد جاءت نتيجة اتفاقيات أوصلو التي اعتبرتها الحركة الإسلامية اتفاقاً فاسداً وباطلاً"^١ ورغم هذا الرفض وفي ظل اتساع دائرة الخلافات بين حماس والسلطة "وقعت حماس مسودة بينها وبين السلطة ومن خلال لجنة وساطة لتأكيد الجانبين على أن هناك سلطة واحدة تحكم الوطن"^٢.

ورغم أن وحدانية السلطة كانت بالنسبة لها ولا زالت مطلباً رئيسياً إلا أن الكثيرين من أبناء الشعب الفلسطيني الذين قدموا أبناءهم شهداء يرون أن هذه السلطة ولدت بطريقة مشبوهة، وفرضت على الشعب بإدارة عربية رسمية وغربية وإسرائيلية أيضاً.

ويرى الباحث الإسلامي خالد الهندي أن السلطة الحاكمة "قد لا تستند في أصل نشأتها إلى كل مصادر الشرعية وبعضها، لكنها تبني أو تعزز شرعيتها فيما بعد وتكتفي بقدرٍ من الشرعية لحكمها، كما أن بعض السلطات قد تفقد مصدر من مصادر شرعيتها بمرور الزمن بعد أن كانت تستند إليه في أصل نشأتها"^٣.

ويلاحظ أن الحركة الإسلامية وعلى وجه الخصوص حماس قد أحجمت عن التعاطي مع السلطة الفلسطينية في بدايات تكوينها وعدم إقامة أي نوع من العلاقات السياسية مع أن التعاون الإداري كان موجوداً، حيث تسلمت السلطة زمام المؤسسات التعليمية والاجتماعية والثقافية مما كون علاقة وظيفية بين الحركة والسلطة.

وكانت حماس ترى أن لا جدوى في أي نوع من الحوار والعلاقات السياسية بسبب الاتفاقيات المبرمة التي اعتبرتها في بياناتها مشروعاً تصفويلاً لا يخدم الشعب الفلسطيني "لكن بروز نوع من

^١ - نفس المرجع ص ٢٣.

^٢ - لقد وقع هذا الاتفاق في ٢٩/١١/١٩٩٤م مع قيادة حماس ولكن لم يجري اعتماده بسبب تمادي السلطة في إجراءاتها مع حماس وعدم الاعتراف بمجزرة مسجد فلسطين.

^٣ - عملية البناء الوطني وجهة نظر اسلامية، مرجع سابق، ص ٢٥.

الاحتكاكات ما بين أفراد حماس والسلطة جعل حماس مضطرة لإجراء اتصالات لإنهاء بعض الإشكالات لتجنب ويلات المخاطر".^١

وكانت قيادة الحركة في الخارج تصر على المقاطعة وتشتترط في الجلوس في أي حوار مع السلطة أن تراجع السلطة مشروعها السياسي وهذا ما قاله إبراهيم غوشة عضو المكتب السياسي لحماس والناطق الرسمي سابقاً باسمها " أن الحركة لن تتفاوض مع عرفات إلا إذا تخطى عن اتفاق أوسلو وأوقف المفاوضات مع العدو الصهيوني معتبراً ذلك الشرط أساسياً في أي حوار كان".^٢

ورغم هذا التشدد إلا أن قيادة الداخل في حركة حماس كانت تشعر بحاجتها الماسة لبناء حوار بناء من أجل الحفاظ على الصف الداخلي، وجرت بعض اللقاءات الفردية في قطاع غزة بين قيادات من حماس وأخرى من السلطة " حتى توجت هذه اللقاءات بلقاء على أعلى مستوى في شهر كانون أول من عام ١٩٩٥ م وهدفت السلطة من خلاله إلى إيقاف العمليات العسكرية في حين تشبثت حماس بنهجها لمواصلة الكفاح مما أغلق التوصل إلى أي حل كان".^٣

لقد فشلت كل الحوارات التي جرت ما بين السلطة وحماس ولم يتمكن المحاورون من الوصول إلى أية نتيجة كانت لأن السلطة كانت تهدف خلال هذه اللقاءات وقف عمليات حماس العسكرية لا سيما تلك العمليات الاستشهادية التي تقوم بها الحركة داخل المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨م.

وكانت حماس تسعى للوصول إلى اتفاقيات تحافظ على سقف في العلاقات الداخلية مشيرة إلى أنه لا يجوز من أي من الطرفين أن يتعدى الخطوط الحمراء، والخروج عن النص والخوض في إشكاليات داخلية قد تحرف المسار نحو منعطف حاد قاتل، وقد حافظت الحركة ومن خلال قياداتها على مستوى واضح وصريح من التصريحات التي تُحرّم الاقتتال الداخلي حتى بعد أحداث مسجد فلسطين في غزة، ومن هذه التصريحات ما قاله الدكتور محمود الزهار موضحاً "أن الحرب الأهلية بالنسبة لحماس خط أحمر لا ينبغي الوصول إليه مهما كلف ذلك من ثمن".^٤

لقد حافظت حماس على هذا النهج ولم تتجاوزته حتى بعد اختراق السلطة نفسها لهذه الخطوط الحمراء والقيام بحملات اعتقال واسعة طالت المئات من قيادات الحركة وعناصرها وإصدار الأحكام المؤبدة على بعضهم إضافة إلى الهيمنة على المساجد وإغلاق مؤسسات وإطلاق النار على البعض أحيانا أن كل ما سبق كان ينظر إليه داخل الحركات الإسلامية على أنه خطوط

^١ - نفس المرجع ص ٢٨.

^٢ - جريدة السبيل الاردنية - عمان، ١٤/٣/١٩٩٥م.

^٣ - عملية البناء الوطني، مرجع سابق، ص ٢٩.

^٤ - مجلة الدراسات الفلسطينية عدد ٢٠ خريف ١٩٩٤م.

حمراء لا يقبل الإسلاميون الاعتداء عليها غير أن الحركات الإسلامية ومن بينها حماس اعتصمت بالصبر الجميل حيال اختراق السلطة لكافة هذه الخطوط الحمراء، رغم أنه كان يمكنها أن تؤثر بشكل كبير على إعاقه السلطة وإضعاف سيطرتها، لا سيما في بداية دخولها الأراضي الفلسطينية^١.

وقد كان من بين الشهادات التي أكبرت موقف حماس والحركات الإسلامية وسياسة ضبط النفس، تصريح للسيد هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ووزير الأمن الداخلي في السلطة عندما قال: "إننا ننظر بإكبار وتقدير لضبط النفس الذي مارسته القوى الإسلامية، هذه القوى التي وضعت مصلحة الوطن فوق الكثير من الجراح وتبعت إلى الفخ المنسوب لها وللسلطة الوطنية في نفس الوقت، وبالتالي لقد مارست للحقيقة ضبطاً للنفس ومسؤولية قيادية سيقف المؤرخ أمامها بدون شك^٢.

ومع سياسة ضبط النفس التي أبدتها حماس زادت السلطة من قمعها وتعيدها كل الخطوط الحمراء وكلما أوغلت السلطة في قمع حماس، كلما أوغلت حماس في تصعيد عملياتها ضد الاحتلال الصهيوني.

وقد كان لعمليات حماس النوعية وتصعيدها المميز الأثر الكبير في محاصرة السلطة التي بدت وكأنها لا تملك من زمام أمورها شيئاً، وعقب كل عملية استشهادية كان شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني يحمل الرئيس عرفات المسؤولية، واستمر الأمر على هذا الحال حتى قامت دبابات الاحتلال الصهيوني باجتياح كامل للمدن والقرى الفلسطينية والضفة الغربية ومحاصرة مقر عرفات وذلك عقب عملية نانا العسكرية التي قامت بها حماس.

وبدأت السلطة تدرك أنه ينبغي عليها أن تجلس مع حماس لتضع النقاط على الحروف وأنه من الصعب إدارة الظهر لها فكان لقاء القاهرة في ٢٣/١/٢٠٠٣م والذي سبق الحديث عنه. إن كل المعطيات السياسية والحضارية تشير إلا أن حماس لم تشارك في السلطة في ظل هذه المعطيات، وخاصة بعد اقتحام مناطقها وتفجير مراكزها وبعد أن أصبحت في مهب الريح، وما تعيين رئيس وزراء للسلطة من خلال الضغط الأمريكي والصهيوني إلا دليل على أن هذه السلطة لا تملك من زمام أمورها شيئاً.

وبخصوص موقف حماس من الدولة الفلسطينية، فإنها مع قيام دولة مستقلة ذات سيادة على كامل التراب الفلسطيني من البحر إلى النهر، وبالتأكيد فإنها تريد دولة إسلامية استناداً إلى أي رؤية حماس الإسلامية.

^١ - عملية البناء الوطني، مرجع سابق، ص ٣٣.

^٢ - صحيفة القدس العربي (لندن) ١٦/٢/١٩٩٦م.

"ولا يجد الإسلاميون حرجاً في الإشارة إلى اختلافهم مع القوى الوطنية حول مسألة هوية الدولة، وهي المفهوم الذي ينظم عملية البناء الوطني والنضال الفلسطيني وقد قال الشيخ أحمد ياسين: نحن نختلف مع الآخرين بالنسبة للدولة في أننا نريدها إسلامية وهم يريدونها علمانية لا تنقيد بشرعية الإسلام ونظامه وعقيدته"^١.

ومع ذلك يرى آخرون في حماس أن لديها الاستعداد لتقبل رأي الشارع الفلسطيني حول هوية الدولة، حيث يقول الدكتور محمود الزهار "إن حماس تحترم رأي الشارع الفلسطيني ولو كان عكس رغبتها لكن على الآخرين أن يحترموا رأي الشارع الفلسطيني إذا قال نعم للإسلام"^٢.
هكذا تتمحور علاقة حماس مع السلطة ما بين مد وجزر، حماس تعمل ضمن المصلحة الشرعية ومنهجيتها التي تؤمن بها جنب إلى جنب في المحافظة على العمق القومي العربي والإسلامي، انطلاقاً من قدسية الجهاد والمقاومة بالنسبة لها ولن تخضع للمساومة لأنها تعتبر هذا النهج سنة قائمة إلى يوم القيامة.

حتى على صعيد المجتمع الفلسطيني، فقد ساهمت حماس في تفعيل دور المعارضة الفلسطينية بشكل عام من خلال شحذ الهمم في صفوفها والعودة إلى دائرة المواجهة واحترام الرأي الآخر الذي قد ينظر إليه البعض على أنه رأي يصادم المصلحة الوطنية العليا ومع ذلك تمكنت حماس وظل تفرد فتح كشف للسلطة من المساهمة في خلق مجتمع فلسطيني يستوعب كل الأطراف رغم التباينات السياسية التي طفت على السطح.

وأصبح هذا النهج تبعاً لدى الفصائل الأخرى حتى القريبة من السلطة التي كانت ترى في ضرورة وجود الرأي والرأي الآخر مصلحة وطنية حقيقية، ولهذا نرى الدكتور محمد جاد الله أحد القيادات السياسية في الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين يؤكد خلال دراسة له حول هذا الفهم فيقول: "إن المجتمع الفلسطيني استطاع أن يحقق مرحلة الرأي والرأي الآخر عبر الكثير من المعاناة وأشكال الاقتتال، وكان هذا مكسباً عظيماً لنضال الشعب الفلسطيني، ولكن غياب المؤسسة الدستورية ودولة القانون، أصبح هذا المكسب من السهل التراجع عنه، بسبب اتفاق "أوسلو" وطبيعة الإصلاحات التي أحييت إلى السلطة الفلسطينية"^٣.

وليس غريباً أن يلتقي تصور المعارضة الفلسطينية اليسارية مع تصور المعارضة الفلسطينية الإسلامية، في تصحيح مسار المجتمع في ظل عدم سيادة القانون وفقدان المؤسسة

^١ - عملية البناء الوطني، مرجع سابق، ص ٩٥.

^٢ - نفس المرجع، ص ٦٧، نقلاً عن صحيفة الوطن بتاريخ ١٩/١/١٩٩٥م المقربة من حماس والتي كانت تصدر في قطاع غزة ويرأس تحريرها المهندس عماد الفالوجي.

^٣ - المعارضة والسلطة الوطنية، دكتور محمد جاد الله، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية - نابلس، فلسطين، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٣.

داخل السلطة التي ينبغي عليها أن تحافظ على مسلكيات المجتمع ضمن احترام الرأي والرأي الآخر.

ولهذا تمكنت حماس ومن خلال علاقتها مع الفصائل الفلسطينية الأخرى أن تجند حملة واسعة ضد الاعتقالات السياسية التي طالت في الدرجة الأولى قيادات حماس وأنصارها، وقد شاركت كافة الفصائل جنباً إلى جنب مع حماس في بيانات وزعت على الرأي العام وفي مسيرات طافت الشوارع الفلسطينية رفضاً لمصادرة حرية الرأي واعتقال السجناء وعدم محاكمتهم، وطالبت حماس من خلال لجان العمل المشترك الوطنية والإسلامية بمبدأ العدالة وسيادة القانون.

حماس والمسيحيون في فلسطين

تتعامل حماس كحركة إسلامية مع المسيحيين بمنطق الإسلام، الذي يحترم أصحاب الرسالات السماوية الثلاث، فلا يعادي أحداً لهويته الدينية وإنما يعلن العداء فقط على المحاربين الذين أشهروا سيوفهم وأسلحتهم في وجه المسلمين.

ولهذا حظي غير المسلمين من النصارى واليهود بأمن وأمان في ظل دولة الإسلام، وحافظ النبي عليه السلام على منظومة من العلاقات الإنسانية مع غير المسلمين، بل ناشد المسلمين موجهاً ومشرعاً باحترام هؤلاء وعدم التعرض لهم بالأذى حيث قال: "من أذى ذمياً فقد آذاني".^١ وفي فلسطين المحتلة عاش المسلمون والمسيحيون محنة واحدة وتعرضوا للأذى المشترك على يد سلطات الاحتلال الصهيوني، وكانت العهدة العمرية تشكل قاسماً مشتركاً في العلاقة، شكلت موقفاً متسامحاً عبر التاريخ بل عكست آلية مميزة في العلاقات الاجتماعية والحياتية حتى في ظل الصراع السياسي، الذي لم تشهد الساحة الفلسطينية أي نوع من الصراع الطائفي الديني عبر كل الحقب، وكان هذا الموقف أيضاً امتداداً لموقف نصارى فلسطين من صلاح الدين الأيوبي في مواجهة الصليبيين حيث وقف نصارى فلسطين مع صلاح الدين الأيوبي يدافعون عن القضية ويعملون جاهدتين لتحرير بيت المقدس. والتاريخ المعاصر الذي شهد ولادة حركة حماس كان موقف الحركة واضحاً ومميزاً من خلال ميثاق الحركة الذي أكد على سماحة الإسلام وإمكانية التعايش المشترك بين المسيحيين والمسلمين على أرضية حق المواطنة، ثم يستلهم الميثاق تاريخ التعايش في فلسطين المحتلة والمنطقة فيقول: "في ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية في ظل أمن وأمان ولا يمكن توفر الأمن والأمان إلا في ظل الإسلام".^٢

وعلى صعيد الممارسة الفعلية كانت حماس تتعامل مع مسيحيي فلسطين المباركة على أنهم أصحاب قضية وأبناء شعب واحد فكان يلاحظ النشاطات الميدانية الجماهيرية المشتركة وخاصة

^١ - رواه الترمذي

^٢ - المادة الحادية والثلاثون، ميثاق حماس.

في ظل الانتفاضة وقد سمت روح التسامح والأخوة وعدم الكراهة في الدين فرغم أن المسيحيين في فلسطين لا يزيد عددهم عن ٥% من سكان فلسطين أمام الغالبية المسلمة، إلا أنهم يحظون باحترام ويحصلون على حقوقهم الوطنية كاملة في العمل الوطني العام، وكانت حماس دوماً في بياناتها تقدم لهم التهاني في الأعياد وتطالب المسلمين في فلسطين بتقديم التهاني لهم واحترام مشاعرهم الدينية وقد أصدرت حماس أكثر من مرة بيانات تهنئهم في أعيادهم^١.

وقد صاغت حماس سياسات واضحة المعالم لتنظيم رؤيتها في التعامل مع نصارى فلسطين سواء أكان ذلك دينياً أم سياسياً وذلك في آب ١٩٨٨ م، تحت عنوان (سياسات الحركة تجاه نصارى فلسطين)، هذا الإطار العام الذي رسم سياسات الحركة بمسيحيي فلسطين والتي كانت على النحو التالي:

اعتبار نصارى فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية وهويتها الحضارية.

للنصارى من الحقوق المدنية ما لبقية أبناء الشعب الفلسطيني وعليهم من الواجبات ما عليهم. تذكيرهم بأهمية ارتباطهم بمقدساتهم وأرضهم من منطلقات دينية ووطنية. الإشارة إلى أعيادهم ومناسباتهم الدينية في بيانات وفعاليات الانتفاضة ومشاركتهم في الممكن منها.

دعوتهم لعدم الهجرة بسبب ضغط الإرهاب الوحشي الصهيوني ووحشيته في ممارسته العدوانية ضد أبناء شعبنا.

التأكيد على أهمية اشتراكهم في الحياة السياسية والكفاحية للشعب الفلسطيني، في فترة الاحتلال وبعد التحرير والعمل على استقطابهم في العمل والمؤسسات الوطنية. العمل على فتح علاقات متينة مع قياداتهم الدينية والسياسية وكسبها في المواقف الوطنية العامة ومشاورة زعاماتهم في شؤون الوطن العامة^٢.

وقد تجسدت هذه المبادئ إلى واقع عملي في توجهات حماس وبياناتها للرأى العام الفلسطيني والعربي مراعية شؤون المسيحيين ومشاعرهم، " فقد أصدرت الحركة في أواخر كانون الأول من عام ١٩٩٠م، بياناً يدعو للإضراب العام بحسب النسق النضالي القائم في الانتفاضة ولكن بعد اكتشاف الحركة أن هذا الإضراب قد يعكر صفو الاحتفالات بالأعياد لدى المسيحيين، عادت الحركة مرة أخرى إلى الإعلان عن إلغاء الإضراب والمطالبة في بيانها الدوري رقم (٦٧) والذي صدر بتاريخ ٣ كانون أول في عام ١٩٩٠م، بفتح المحال التجارية طوال يومي ٢٥، ٢٤/١٢/١٩٩٠م، بمناسبة ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام، بل اعتبرت الحركة أيضاً

^١ - انظر بيان حماس في ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام الصادر في ٢٥/١٢/١٩٩٣م.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٥٣.

وطالبت جميع أبناء الشعب الفلسطيني بأن أيام عيد الميلاد هي أيام تتوافد فيها جموع المسلمين على بيوت المسيحيين مهنتين بالعيد مباركين وحدة أبناء الشعب الفلسطيني".^١

كما نددت حماس بالاعتداءات الصهيونية على أملاك كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس الشريف من خلال بيانها الصادر بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٩٠م، تضامناً مع الطائفة المسيحية حيث جاء في البيان: "إن حركة المقاومة الإسلامية حماس تستنكر اليوم عدوان قطاعان المستوطنين الذي تم يوم الخميس ١٢/٤/١٩٩٠م، ضد أملاك كنيسة الروم الأرثوذكس في القدس الشريف، والاعتداء على الرهبان الذين تظاهروا ضد الظلم والعدوان، خاصة وأن هذا الاعتداء أتى في أيام أعياد المسيحيين، وأن حماس إذ تستنكر هذا العدوان الهجمي ضد المسيحيين من أبناء شعبنا الفلسطيني لتؤكد للعالم أجمع بأن دولة الاحتلال الإسرائيلي دولة عنصرية تعادي العقائد الدينية".^٢

كما استنكرت حماس الاعتداءات الإسرائيلية "على كنيسة القديس أنطون في يافا عام ١٩٩٥م، وأصدرت بياناً في ذلك، واستنكرت الحركة مقتل الأستاذ الجامعي (إبرت غلوك) في جامعة بيرزيت وهو أمريكي الجنسية".^٣

وشارك المسيحيون والمسلمون في مظاهرات حاشدة ومشاركة ضد سياسة الإبعاد التي تعرض لها شعبنا الفلسطيني وخاصة بعد عملية الإبعاد الجماعي التي تمت أواخر عام ١٩٩٢م، "حيث كان في مقدمة المشاركين لطفي لحام وذلك خلال اعتصام وطني شامل أمام الكنيست الإسرائيلي في أواخر عام ١٩٩٢ احتجاجاً على عملية الإبعاد المذكورة، ومما قاله المطران لحام في كلمته التي ألقاها: نحن كلنا في خندق واحد فإذا كان هؤلاء مبعدين فكلنا مبعدون، وإذا كان هؤلاء إرهابيين فنحن كلنا إرهابيون وإذا كانوا أصوليين فكلنا كذلك".^٤

ولم يتوقف نشاط حماس وعلاقاتها مع المسيحيين داخل فلسطين فحسب بل آذرت كل مسيحي يؤازر القضية الفلسطينية، ومثل ذلك تلك الرسالة المفتوحة التي "قامت بتوجيهها حركة حماس إلى الأنبا شنودة في مصر إزاء رفضه للتطبيع مع إسرائيل".^٥

وقد شاركت حماس في مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي وآليات المواجهة مع الاحتلال، وكانت هناك تفاهات مشتركة ما بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين نحو تقاسم المحنة واستيعابها من أجل تثبيت شعبنا والانطلاق به نحو الحرية والاستقلال.

ولم يلاحظ وخلال خمسة عشر عاماً من عمر الحركة أنها أثارت خلافاً مع المسيحيين أو أبرزت خلافاً طائفياً بل كانت حماس السباقة دوماً للمحافظة على العلاقات الإسلامية المسيحية في

^١ - انظر بيان حماس رقم ٦٧ الصادر في كانون أول عام ١٩٩٠.

^٢ - انظر بيان حماس الصادر في ١٣/٤/١٩٩٠م.

^٣ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٥٥.

^٤ - نفس المرجع، ص ١٥٦.

^٥ - انظر: رسالة مفتوحة من حماس إلى البابا شنودة الثالث في ١٨/١/١٩٩٥م.

فلسطين في الوقت الذي كان العالم الغربي يمارس فيه أبشع المجازر ضد المسلمين في البوسنة والهرسك وغيرها.

لقد حافظت حماس على منظومة العلاقة مع كافة الطوائف المسيحية في فلسطين بعيداً عن الخلاف الطائفي والديني الذي لم يجد له مكاناً على أرضيه صلبة مثل فلسطين المباركة التي يتوجه جميع السكان فيها مسلمون ومسيحيون نحو جبهة واحدة أمام الاحتلال الغاصب. وقد ظهر التلاحم المسيحي الإسلامي في انتفاضة الأقصى وأحداث قصف بيت جالا وبيت لحم وحصار المقاومين الفلسطينيين في كنيسة المهد حيث اختلط دم الجميع بعضهم مع بعض وسال على ثرى فلسطين مؤكداً أن هذه الأرض المباركة وطن رحب يسع جميع أبناء الشعب الفلسطيني على اختلاف توجهاتهم وأديانهم.

المطلب الرابع: البعد العربي والإسلامي والدولي لحماس

تميز خطاب حماس عن غيره من الحركات الإسلامية والسياسية الأخرى أنه كان ولا يزال خطاباً عالمياً خرج من دائرة الإقليمية الضيقة ولم يحصر نفسه ليتحدث عن الفلسطينيين فحسب وإنما كان خطاباً عربياً وإسلامياً ودولياً ويعود السبب في ذلك إلى ناحيتين:

الأولى: أن حركة حماس حركة إسلامية تتخذ من الإسلام بعداً ومنطقاً، ولأن الإسلام دين عالمي، فإن ذلك يعني انعكاساً لكل ما يصدر عن هذه الحركة من مواقف وآراء على جماهير الأمة الإسلامية رغم اختلاف جنسياتهم.

الثانية: تعامل حماس كحركة تحررية مع القضية الفلسطينية، جعل لها بعداً إسلامياً وعربياً وعالمياً، لأن قضية فلسطين هي قضية كل الجماهير الإسلامية ولهذا كان من السهل على حماس أن تطرح نفسها كحركة إسلامية مجاهدة تدافع عن أقدس مقدسات الأمة الإسلامية (المسجد الأقصى المبارك).

لقد تطور خطاب حماس الخارجي في فترة سريعة جداً مقارنة مع الحركات العاملة على الساحة، وقد اعتبرت السنوات الثلاث الأولى، هي سنوات التأسيس والتجذير للمرحلة التي لم تتعامل الحركة خلالها مع العالم العربي والإسلامي مباشرة، حيث كانت منشغلة في تفعيل الانتفاضة المباركة ومواجهة الاحتلال ولم يكن للحركة في هذه الفترة خارج فلسطين المحتلة مكتبٌ سياسيٌ أو ناطقٌ رسميٌ.

"لقد كان أول تنفيذ رسمي علني خارجي للحركة تحت صفة الناطق الرسمي باسم الحركة، هو اعتماد المهندس إبراهيم غوشة ممثلاً للحركة في الوفد الشعبي الإسلامي الذي تألف من ممثلين وقيادات من الحركة الإسلامية في العالم، حيث قام بزيارات إلى العراق والسعودية والأردن وإيران قبيل اندلاع حرب الخليج في كانون الثاني من عام ١٩٩٠ بهدف الإصلاح وتسوية الأمر سلمياً".^١

لقد اتسم خطاب حماس ما قبل هذه المرحلة بالعفوية وعدم الأخذ بالأصول الدبلوماسية في العلاقة مع العالم العربي والإسلامي، فشهدت بيانات حماس من الألفاظ ما لا يمكن لأي نظام من الأنظمة العربية والإسلامية أن يقبلها، خاصة في البيانات الأولى التي حملت في طياتها خطاباً يرشق الآخرين بالخيانة وبيع فلسطين كما كان الحال في البيان الثاني للحركة والذي صدر في كانون الثاني من عام ١٩٨٧، كما وجه بيان حماس الذي صدر قبيل انعقاد مؤتمر مدريد مزيداً من الاتهام بالخيانة لكل الذين يريدون بيع فلسطين وبيت المقدس بحسب البيان الذي وزع على الجماهير في ١٩٩١/٩/٢٣ تحت عنوان: لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس.

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٦٢.

وبعد المرحلة الأولى ودخول خطاب حماس مرحلته الثانية التي بدأت عام ١٩٩١ أصبح خطابها اقرب إلى الدبلوماسية والاعتزان مراعاة للآخر، ووصف من الحركة وغيرها بأنه أصبح أكثر نضجاً.. يقول الدكتور موسى أبو مرزوق: " لقد تكون لدى الحركة مفهوم عدم الاستعداد الإقليمي الهادف إلى تنمية تحالفات استراتيجية إقليمية تدعم الحركة معنوياً وسياسياً على أرضية رؤيتها السياسية لمعادلة الصراع"^١ وقد شهدت هذه الفترة خلو خطاب حماس الداخلي والخارجي من العبارات الراديكالية والنعوت والتهم وبات خطاب الحركة أكثر شمولاً وسمواً بحيث أصبح خطاباً مقبولاً على الصعيدين الرسمي والشعبي.

وقد تعرض الخطاب الخارجي لحماس إلى صعوبات وعوائق وخاصة على الصعيد الرسمي العربي، الذي لا زال مشحوناً بالعداء تجاه الحركات الإسلامية بشكل عام لا سيما جماعة الإخوان المسلمين التي كان لها خلافات سياسية ودموية مع العديد من الأنظمة العربية، كون حماس ولدت من رحم الإخوان المسلمين كما حددت ذلك في ميثاقها، فان هذا الأمر شكل إعاقة بل إشكالية في بعض الدول والأقطار لهذه الحركة الوليدة، أضف إلى ذلك أن تزامن بروز خطاب حماس الخارجي مع دخول الأنظمة العربية في مفاوضات مع إسرائيل زاد من حجم الإشكالية على الصعيدين، صعيد حماس التي تعادي مشاريع السلام وتعتبرها مشاريع تصفوية وصعيد الأنظمة العربية نفسها التي ترى التيار الإسلامي بشكل عام معطلاً ومحرضاً ضد المسيرة السلمية.

وثمة عائق ثالث يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية التي أسست من قبل العالم العربي وتعتبر بالنسبة له الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، فكان محرراً لكثير من الأقطار العربية والإسلامية أن تتعامل مع حماس بصفتها الفلسطينية الجهادية هذا كله جنباً إلى جنب مع الحملة الأمريكية والغربية ضد الحركات الإسلامية بشكل عام واتهامها لحماس وغيرها بالتطرف بشكل خاص.

ورغم ذلك تمكنت حماس من خلال زيارات قياداتها ومشاركاتها لنشاطات سياسية وجماهيرية في العالم العربي والإسلامي من استعطاف الجماهير لها ومحاولة استيعابها من قبل الأنظمة العربية والإسلامية الصديقة للشعب الفلسطيني، حيث كونت علاقات رسمية مع دول الطوق ودول الخليج وبدأت تظهر في مؤتمرات شعبية، ولقاءات سياسية ودبلوماسية، مما فصح المجال لحماس نحو هذه العلاقات لتؤكد الأخيرة على عدم تدخلها في شؤون الدول العربية والإسلامية الداخلية.

وقد أكدت وثائق الحركة وسياساتها في تعاملها مع العالم العربي والإسلامي على الخطوط العريضة التالية:

^١ - نفس المرجع، ص ١٦٣.

"تسعى حركة حماس إلى الاتصال بمختلف الأطراف العربية والإسلامية: دولا ومنظمات وقوى وأحزاباً وأفراداً، وإقامة علاقات إيجابية معها بغض النظر عن توجهها أو انتمائها الفكري أو السياسي أو الطائفي أو العرقي، بهدف تشجيعها على القيام بواجبها ومسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني ونصرة قضيته العادلة، وتحرص الحركة على استمرار علاقاتها واتصالاتها مع مختلف الأطراف العربية والإسلامية وعدم توقفها ما دامت إيجابية وتخدم القضية الفلسطينية. لا تتدخل حماس في الشؤون الداخلية للدول العربية والإسلامية وترفض في نفس الوقت تدخل هذه الدول في سياساتها وموقفها وشؤونها الخاصة.

ليس للحركة معركة مع أي طرف عربي أو إسلامي ولذا فهي لا تتبنى سياسة الهجوم على أي طرف عربي أو إسلامي، ولكنها تعبر بشكل مرضي وملتزم بأداب الإسلام عن ملاحظاتها ونقدها لمواقف الأطراف المختلفة من الصراع مع العدو الصهيوني.

تعتبر الحركة فلسطين هي ساحة الصراع العسكري مع العدو الصهيوني وتحرص على عدم نقل المعركة خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة ولكنها لا تستنكر أي عمل جهادي ضد الاحتلال الصهيوني ينطلق من أي جزء خارج فلسطين.

توضح الحركة للأطراف المختلفة أن هدف علاقاتها معها تدعيم عمل الحركة في مواجهة الاحتلال، وأن هذه العلاقات ليست موجهة ضد أي نظام أو منظمة.

تدعو حماس إلى وحدة الصف العربي والإسلامي وتشارك في إصلاح ذات البين وفق قدراتها وإمكاناتها.

تسعى الحركة إلى إيجاد توازن في علاقاتها السياسية مع الأطراف العربية والإسلامية وترفض أن تكون علاقاتها مع أي طرف عربي أو إسلامي على حساب طرف آخر¹ هذه الخطوط العريضة للحركة والتزامها بها فعلاً وليس قولاً ساهم في اتساع دائرة علاقات الحركة مع العالم العربي والإسلامي ومع المؤسسات الأهلية والرسمية وتم افتتاح بعض المكاتب للحركة في أكثر من عاصمة عربية وإسلامية، بل أصبح لهذه الحركة مكتب سياسي وإعلامي خارجي لعب دوراً هاماً في نشر سياسات الحركة واعتمادها والتعامل معها.

وجاء في المادة الثامنة والعشرين وكذلك التاسعة والعشرين من ميثاق حماس ما يعزز ضرورة بناء العلاقات المشتركة ما بين حماس والأنظمة العربية، وأن تأخذ الأنظمة العربية موقفها وموقعها الداعم تجاه القضية الفلسطينية. ولم تتوان حماس ولو لحظة واحدة في هذا المضمار فقد مدت يدها للجميع وشاركتهم في كل مناسباتهم وأشعرتهم أنها الوجه المشرق لمواجهة الاحتلال وأن همها الأكبر تحرير الأرض وليس الانشغال في سياسات جانبية مما عزز

¹ - المادة الثامنة والعشرون، والمادة التاسعة والعشرون، ميثاق حماس، وكذلك سياسات الحركة الخارجية على موقع المركز الفلسطيني للاعلام وكذلك: حماس الفكر والممارسة مرجع سابق، ص ١٧٢، ١٧٣.

موقف الحركة داخل هذا الواقع. وأصبح اسم حماس في نظر كثير من الشعوب العربية والإسلامية هو رمز للمقاومة المشرقة مما حدا ببعض الفصائل أن تسمي نفسها باسم حماس كما حصل مع حركة مجتمع السلم في الجزائر ذلك التيار الإخواني الذي يقوده محفوظ النحاح.. وكذلك في الكويت خلال حرب الخليج الثالثة حيث أطلقت حركة إسلامية مقاومة تطلق على نفسها حماس ضد القوات الأمريكية المتواجدة في الخليج العربي.

وتجلى امتداد الحركة خارج فلسطين من خلال العمل في شقين الرسمي والشعبي، على الصعيد الرسمي التفت قيادات حماس بالعديد من زعماء ورؤساء العالم العربي والإسلامي وخاصة خلال زيارة الشيخ أحمد ياسين المشهورة إلى عدد من بلدان العالم العربي إضافة إلى عدد من اللقاءات السياسية الهامة التي قام بها رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل مع بعض القيادات العربية.

وعلى الصعيد الشعبي شاركت حماس بل شكلت العديد من الوفود المؤازرة لقضايا الأمة، وشاركت أيضا في مناسبات عدة ومناسبات وطنية خاصة لبعض الدول، إضافة إلى مؤازرة قضايا الأقليات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي.

لقد فرض هذا الوضع آلية جديدة أكثر حداثة وتطوراً على حماس لتبسط نفوذها من خلال عمقها الإسلامي وجهادها المميز "فوجدت نفسها تشارك في الوفد الإسلامي الفلسطيني الذي حاول الصلح بين العراق والكويت أثناء الأزمة بينهما، فوجدت نفسها تعزي مصر بضحايا الزلزال وتعزي ليبيا بضحايا سقوط الطائرة وتستنكر الاعتداء على حسن الترابي في كندا وتستنكر العقوبات ضد ليبيا، وتشكر الملك حسين على قراره العفو عن المعتقلين وتهنئ السودان بتطبيق الشريعة الإسلامية وانتصاره على المتمردين، وتتحدث عن أفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوف، وكذلك اعتداء القوات الهندية على مسلمي كشمير والاعتداء على مسجد بابري في الهند"¹.

¹ - الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ٩٤ ، وكذلك انظر البيانات التالية:

- بيان حماس الخاص بعنوان (نداء الوحدة والحشد نداء الحج) ٣٠/٦/١٩٩٠م.
- بيان تهنئة السودان بتطبيق الشريعة الإسلامية الصادر في ١٣/١٢/١٩٩١م.
- بيان مؤازرة لشعب البوسنة والهرسك الصادر بتاريخ ٢٥/٤/١٩٩٢م.
- بيان استنكار العقوبات على ليبيا الصادر في ١٥/٤/١٩٩٢م.
- بيان تهنئة للشعب الافغاني بنصره المؤزر الصادر في ٢٥/٤/١٩٩٢م.
- بيان تعزية للشعب المصري بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٢م.
- بيان استنكار الاعتداء على مسجد بابري في الهند والصادر في ٩/١٢/١٩٩٢م.
- بيان تضامن مع الشعب الشيشاني المسلم الصادر في ١٤/١٢/١٩٩٤م.

ويلاحظ المراقب لنشاطات حماس الخارجية بأنها سلسلة من العمل الدبلوماسي المبني على الثقة بالنفس والاعتماد على النهج الأخوي المنبثق من الإسلام والذي يفرض عليها هذا النوع من السياسات الخارجية التي تستهدف مد جسورها إلى العالم الخارجي حيث يرى الباحث إيد البرغوثي قائلاً: "لقد تصرف حماس كأن العالم رقعة شطرنج أمامها وتابعت كل تحركات الأطراف في حين تصرف غيرها من القوى الأخرى ضمن الذي حولها".^١

ولم يكن استثمار حماس لعلاقاتها الخارجية في إطار البحث عن المعنويات والعواطف والدعم النفسي فحسب بل طالب الأنظمة بأخذ دورها الحقيقي في دائرة الصراع مع الاحتلال وفتح أبواب الجهاد والمقاومة للشعوب ضد هذا الاحتلال هذا بالإضافة إلى دعوة الشعوب ومشاركتها في احتجاجات جماهيرية عارمة ضد سياسات الاحتلال الغاشمة.

وعلى صعيد العالم الإسلامي كان لحماس علاقات مميزة خاصة مع إيران، لكن يبدو كما هو واضح من خلال تصريحات قيادات الحركة أن هذه العلاقات هي سياسة تجاه، "حيث تم اعتماد ممثل رسمي للحركة في طهران في تشرين الأول من عام ١٩٩٠ وهو المهندس عماد العلمي، فيما تم افتتاح مكتب رسمي للحركة في شباط عام ١٩٩٢"^٢ ورغم أن هذه العلاقات لا تتعدى كونها علاقات سياسية ودبلوماسية، إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية تعاملت معها بجدية متهمة إيران بإفساد العلاقة الداخلية بين حماس والمنظمة حيث تتهم الأخيرة حماس بتلقي دعم منقطع النظير من إيران يصل إلى ٣٠ مليون دولار سنوياً لتقوية حماس وإنهاء منظمة التحرير، وهذا ما نفتته حماس قطعياً.

ومع تزايد عمليات حماس العسكرية وخاصة الاستشهادية منها أصبح هناك ضغط مبرمج من الإدارة الأمريكية على الأنظمة التي تحتضن تواجداً سياسياً لحماس، وكان من بين هذه الدول الأردن الذي تواجد فيها رئيس وأعضاء المكتب السياسي لحماس، ورغم أن الأردن لا يوجد فيه مكتب رسمي لحماس معتمد من قبل وزارة الخارجية أو الداخلية كما هو الحال في التمثيل الدبلوماسي إلا أن تواجد قيادات حماس في عمان كان مزعجاً للإسرائيليين، مما زاد من وتيرة الضغط الإسرائيلي والأمريكي على النظام لإنهاء هذا التواجد، "ففي نيسان من عام ١٩٩٤ تم سحب جوازي السفر الأردنيين من محمد نزال وإبراهيم غوشة المتحدثين باسم الحركة جراء ادعاء السلطات الأردنية من خلال قيام نزال بالإعلان عن مسؤولية حماس لإحدى العمليات العسكرية من مكتبه في عمان، وفي نيسان ١٩٩٥ عقب إحدى عمليات حماس الاستشهادية استجاب الأردن للضغوطات عليه وقام بطرد اثنين من قادة حماس وهما الدكتور موسى أبو

^١ - الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ٩٦.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ١٩٨.

مرزوق رئيس المكتب السياسي السابق للحركة وعضو المكتب المهندس عماد العلمي^١ وأتبع ذلك حملة اعتقالات قامت بها السلطات الأردنية لنفر من العاملين والنشطاء في حماس في عمان، وكانت قاصمة الظهر في العلاقة ما بين حماس والأردن هي إبعاد خالد مشعل وإبراهيم غوشة وعزت الرشق وحسين أبو خاطر، رئيس وأعضاء المكتب السياسي إلى قطر بعد اعتقالهم في السجون الأردنية، وإضافة إلى إغلاق جميع المكاتب الإعلامية والشخصية في عمان، وإنهاء أي وجود للحركة في الأردن.

يعتبر الباحث خالد الحروب أن حادثة الإبعاد لنشطاء وقيادات حماس إلى الجنوب اللبناني عام ١٩٩٢ كانت المفصل الأهم في ترجمة السياسات المكتوبة والنظرية بشأن التعامل مع الآخر على الصعيد الدولي^٢ حيث تمكنت الحركة من اختراق الحصار الإعلامي والسياسي الذي كان ملازماً للحركة خلال تواجدها داخل الأرض المحتلة.

وخلال تلك الحادثة فرض على حماس أن تتصل بالعديد من القيادات السياسية والدول وخاصة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن من خلال مراسلة سفاراتها مستغلة أجواء التعاطف مع المبعدين الذين يعيشون بين الصخور والتلوج.

وتمترست حماس آنذاك بقرار مجلس الأمن رقم (٧٩٩) الذي طالب إسرائيل بإعادة جميع المبعدين، "حيث يرى محمد نزال المتحدث باسم الحركة في الأردن أن عملية الإبعاد واتهام الحركة جراء عملياتها بالإرهاب والتطرف فرض على الحركة فتح حوارات واتصالات مع الغربيين"^٣ لتجلية الصورة التي يسعى الإعلام الغربي لتشيويها تجاه حماس.

وقد اتسعت دائرة العلاقات الخارجية لحماس خارج إطار إرسال المذكرات الرسمية إلى دائرة اللقاء والجلوس في حوارات بناءة لتوضيح أهداف حماس وسياساتها وغاية جهادها، فقد تمت لقاءات مع الدبلوماسيين في سفارات الدول الكبرى الخمس بالإضافة إلى اليابان وألمانيا وإيطاليا وكندا وإسبانيا، وسلمت هذه السفارات وخلال اللقاءات رسائل رسمية شرحت فيها باقتضاب موقف الحركة السياسي وممارساتها العسكرية^٤.

"ولعل أهم اتصال جرى كان مع الجانب الأمريكي أول مرة عبر السفارة الأمريكية في عمان وكان ذلك في كانون ثاني من عام ١٩٩٣ واستمر لمدة شهرين، ثم توقف في آذار عام ١٩٩٣

^١ - نفس المرجع، ص ١٨٦.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢١٣.

^٣ - مجلة فلسطين المسلمة (لندن) نيسان ١٩٩٣م.

^٤ - انظر: بيان حماس حول طبيعة اللقاءات والاتصالات السياسية مع عدد من دول العالم الصادر في

١٩٩٣/٣/١م

بضغط من اللوبي الصهيوني في واشنطن^١ وأعلن الناطق باسم الخارجية الأمريكية ريتشارد باوتشر في آذار ١٩٩٣/٣/٣ من نفس العام وقف الاتصالات مع حماس رسمياً.

ورغم أن الدور الأمريكي كان يستهدف من لقاءاته قراءة حماس وأهدافها والضغط عليها لوقف عملياتها العسكرية، إلا أن حماس كانت تستهدف أيضاً عرضاً لفكرها السياسي والإسلامي وأنها حركة تحرر ومن حقها أن تدافع عن أبناء شعبها وأنها ليست حركة إرهابية كما يصورها الغرب.. فيما تصاعدت حملة التشويه للحركة من قبل واشنطن حيث أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية وضمن تقريرها السنوي اتهامات متكررة لحماس على أنها حركة إرهابية عنصرية.

وامتداداً لهذا الفهم تم تتبع العديد من الشخصيات السياسية والفكرية المقربة من الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى إغلاق العديد من المؤسسات الفكرية والثقافية والخيرية.

ولعل الحدث الأبرز في تصعيد الولايات المتحدة موقفها ضد حماس هو اعتقال الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي للحركة آنذاك وذلك في شهر تموز من عام ١٩٩٥ لدى وصوله إلى مطار نيويورك رغم حيازته لجواز سفر أمريكي وتم اعتقاله وتقديمه للمحاكمة فيما شددت سلطات الاحتلال الصهيوني في الطلب لتسليمه لها بحجة وقوفه وراء عمليات حماس العسكرية ضد إسرائيل.

وكانت هناك ثمة اتصالات مع سفارات وقنصليات أوروبية بهدف استجلاء مواقف وشبهات صدرت ضد الحركة، "حيث وجهت حماس رسالة إلى (هلموت كول) مستشار ألمانيا الاتحادية وموقعة باسم المهندس إبراهيم غوشة الناطق الرسمي لحماس وذلك في ١٩٩٥/٤/٦ تستنكر فيها الحركة تصريحات وزير الاقتصاد الألماني التي طالب فيها بأن يكون الهدف الأول في الشرق الأوسط هو محاربة حماس وحزب الله^٢."

ورغم محاولات الحصار الحثيثة لخطاب حماس الدولي والدبلوماسي إلا أن الحركة ماضية في تبيان حقيقة مواقفها وأهدافها دون وجل ما دامت هذه المواقف تعمل لصالح القضية والشعب الفلسطيني نفسه، إضافة إلى إصرار الحركة في رفض كل سياسات الاحتواء والمراوغة، حيث تعتبر الحركة أن الجوانب السياسية والدبلوماسية لا تقل أهمية عن الجوانب الجهادية والعسكرية.

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢١٥.

^٢ - مجلة فلسطين المسلمية (لندن) العدد الصادر في نيسان عام ١٩٩٥م.

الفصل الثالث: الخطاب الفكري والثقافي لحماس

- المبحث الأول: حماس والتعددية السياسية .
- المبحث الثاني: الديمقراطية في مفهوم حماس .
- المبحث الثالث: حماس ودورها في العمل الأهلي والاجتماعي .
- المبحث الرابع: المرأة في فكر حماس الديني والسياسي .
- المبحث الخامس: دراسة تقييمية لفكر حماس .

المبحث الأول: حماس والتعددية السياسية

ويتضمن هذا المبحث تمهيدا وأربعة مطالب

تمهيد:

أقر الإسلام العظيم وجود الآخرين من غير المسلمين، وحقق لهم مواطنتهم في ظل الدولة الإسلامية، رغم رحلة المواجهة معهم عبر التاريخ، لكن هذا الإقرار كان ضمن أحكام وشروط تضمن للمسلمين حقوقهم في الوقت الذي تحافظ فيه على حقوق الآخرين، حيث يعيش غير المسلم حريته دون أن يكون مرغماً على تغيير دينه أو أفكاره أو شعائره؛ وقد عاش غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حياة مطمئنة وُصِفَت في التاريخ بالعصر الذهبي، وحفظت خلالها معابدهم وأموالهم ومقدّراتهم التي لم يصل إليها أحد من المسلمين، بل كانت محرمة عليهم، ومن اعتدى عليها فإنه يضمنها ويُرغم على إعادتها إلى أصحابها.

وتطور هذا المفهوم في ظل الصحوة الإسلامية، بحيث شاركت الحركة الإسلامية العالمية في نشاطات ومشاريع مشتركة مع الحركات الوطنية والقومية والعمانية تحت شعار توحيد الأمة، وخاصة ضمن نشاطات مواجهات الاستعمار والاحتلال وبعض برامج التغيير داخل الأنظمة العربية.

ويعتبر قبول حماس لمنهجية الاندماج السياسي مع الفصائل الأخرى في ظل الانتفاضة الفلسطينية والمواجهة المشتركة ضد الاحتلال، قبولاً بهذا الآخر، أي قبولاً بالرأي الذي يخالف نهج حماس سياسياً وفكرياً، وقد يخالفها عقدياً وأيديولوجياً لكنه يلتقي معها في قاسم مشترك، ألا وهو مقاومة الاحتلال والمحافظة على الثوابت الفلسطينية.

إن ذلك الاندماج يعتبر إقراراً بالتعددية السياسية داخل المجتمع الفلسطيني، الذي تتلاطمه أمواج التيارات السياسية الليبرالية والقومية واليسارية والعمانية والإسلامية طوال فترة الصراع القائمة، مما فرض ضرورة من الضرورات تقتضي القبول بمبدأ التعددية السياسية، تلك التعددية التي تمنع السيطرة والتسلط، وتُمهّد للوصول إلى قواسم مشتركة، تمكّن جميع وجهات النظر من الالتقاء حول هذه القواسم.

ويعتبر مصطلح التعددية مصطلحاً معاصراً جديداً، مع أنه كان يُمارَس كمضمون في العصور السابقة، إذ كانت هناك تفاهات بين بني البشر، وكانت بينهم قواسم مشتركة، ولكنها كانت في النهاية قائمة على إبراز "الواحد" وإلغاء الآخر، بل عدم الاعتراف به.

إن الإقرار بمبدأ التعددية، هو إقرار بحق الآخر بالوجود، وحقه في إبداء رأيه، ولهذا كان الخطاب الإسلامي المعاصر مستوعباً لوجهات نظر مخالفة له، من خلال إعطائها حقّها في إبداء رأيها، في إطار عدم مصادمة النصوص الشرعية.

في هذا المبحث سيسلط الباحثُ الضَّوءَ على مفهوم التعددية بشكل عام، ومفهوم التعددية السياسية بشكل خاص، وهل يقرّ الإسلام بالتعددية؟ وما هو موقفه من وجود أحزاب داخلَ الدولة الإسلامية، إضافةً أنه سيبيّن حكم التعددية السياسية في الإسلام، مورداً الآراء الواردة في ذلك، إضافةً إلى استعراض مواقف الحركاتِ والتنظيمات الإسلامية من التعددية.

كما وسيعرض الباحثُ موقف حماس من التعددية، وممارساتها الفاعلة في هذا الإطار، ولثمار سيرها على هذا النهج، ولسلبياته إن وُجدت؛ علماً بأن الحياة في ظل الاحتلال، قد تقتضي شكلاً من التعددية السياسية المميزة لمواجهة هذا الاحتلال.

المطلب الأول: مفهوم التعددية السياسية

ثمة تصوراتٌ ووجهاتُ نظر عديدةٌ قيلت في التعددية السياسية، جميعها تقرّ بحق الرأي الآخر بالوجود، وبضرورة التواصل والتفاهم بين الآراء المتعدّدة، وفيما يلي بيان لها :

(١) تُعرّف موسوعةُ السياسةِ التعدديةَ بأنها: "مفهوم ليبرالي ينظر إلى المجتمع على أنه متكون من روابط سياسية وغير سياسية متعددة، ذات مصالح مشروعة متفرقة"^١.

(٢) تعريف المفكر والكاتب الإسلامي محمد سليم العوا: "التعددية تعني في جوهرها التسليم بالاختلاف، التسليم به واقعاً لا يسع عاقلاً إنكاره، والتسليم به حقاً للمختلفين، لا يملك أحد أو سلطة حرمانهم منه، وهي توصف بالموضوع الذي يكون الاختلاف حوله، أو الذي ينحصر في نطاقه، فتكون سياسية أو اقتصادية أو دينية أو عرقية أو لغوية، أو غير ذلك"^٢.

(٣) وقد عرّفها آخرون بأنها: إرادة العيش المشترك، بما يتضمنه ذلك من ضرورات التسامح السياسي والحوار والاعتراف بالآخر، وجوداً ورأياً وتعبيراً؛ كل ذلك ضمن ما تؤكدُه فكرةُ التعددية من الاعتراف بحقوق الإنسان السياسية والفردية والاجتماعية والجماعية"^٣. والتعددية السياسية تتوجه دوماً إلى تنظيم الكيان السياسي بما يمكن التوجهات المختلفة، (السياسية والفكرية)، من الحفاظ على رؤاها الخاصة بها، والمشاركة بفاعلية في العملية السياسية، وذلك عن طريق إنشاء مؤسساتها ومنظماتها الخاصة للوصول إلى الأهداف المنشودة.

ومفهوم التعددية المعاصرة يُعدُّ من إفرازات النظام الديمقراطي، بل من أهم مفاهيمه التي تعتبر أحد شروط ممارسة الديمقراطية، مما دفع الكثيرين إلى تسمية المجتمع المعاصر بالمجتمع التعدّدي الديمقراطي.

(٤) يؤكد الباحث الإسلامي مصطفى الطحان أن التعددية من المفاهيم الأساسية التي برزت مع احتياجات المجتمعات الحديثة والمعاصرة، حيث تنظر هذه المجتمعات إلى التعددية على أنها "تنظيم لحياة الناس على أساس من القواعد المشتركة، تتضمن الاحترام، وتقرّ بوجود الاختلافات، والاعتراف بالتنوع في الاتجاهات التي يتبناها المواطنون"^٤.

^١ - موسوعة السياسة، الدكتور عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية لدراسات والنشر: بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٩م، ج١، ص٧٦٨.

^٢ - التعددية السياسية من منظور إسلامي، الدكتور محمد سليم العوا، في: (مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي - محرراً) مرجع سابق، ص٢٥.

^٣ - التعددية السياسية قراءة إسلامية، (مجموعة من المؤلفين، مركز الدراسات الحضارية ومركز الاعلام العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص٩.

^٤ - تحديات سياسية تواجه الحركات الإسلامية، مصطفى الطحان، دار التوزيع النشر الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص٦٢.

٥) يرى الدكتور جمال النهري أحد المشاركين في ندوة التعددية السياسية من منظور إسلامي والتي أقامها مركز الدراسات الحضارية بالقاهرة: "أن التعددية نشأت من أبوين مشبوهين، ويطرح تساؤلاً: هل التعددية نبعت من الداخل أو الخارج؟"^١.

٦) ويرى فريق من الدارسين والباحثين أن رؤية الشيخ حسن البنا رحمه الله القائمة على قاعدة: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، هي بحد ذاتها إقرار بالتعددية بين المسلمين، وبإمكانية التعايش بين رأيين مختلفين.

٧) ويوضح الكاتب طارق البشري: "أن التساؤل عن مصدر فكرة التعددية تساؤل مهم، وهو لا يؤدي إلى رفضها وإنما إلى إعادة فهمها، كما يؤكد أن التعددية لا تُحصر فقط في تعدد الأحزاب وإنما بمعنى تعدد التنظيمات في الجماعات الموجودة داخل الأمة بشكل كامل"^٢.

٨) ويعرف إبراهيم البيومي، وهو باحث إسلامي مصري، التعددية بقوله: "هي كيفية تنظيم الاختلاف وإدارته في الرؤى الإصلاحية، وإدارة العملية السياسية في المجتمع"، فيما يشترط الدكتور أحمد العسال لإقرار التعددية في الإسلام: "أن يكون هناك اعتراف أن المرجعية العليا هي للشريعة الإسلامية، مشيراً أن الإسلام يتعامل مع المخالفين بالبر والقسط، وفي الوقت نفسه يضبط عملية التعددية في المجتمع الإسلامي بالمحكمات والقيم الحاكمة"^٣.

٩) يرى الدكتور توفيق الشاوي، وهو من قدامى الإخوان المسلمين يرى أن قضية التعددية ليست مطروحة بين الإسلاميين وغيرهم فحسب، "بل بين الإسلاميين أنفسهم، فبعض الأحزاب والجماعات التي تعتبر أكثر الحركات الإسلامية ليبرالية، تعلن صراحة أنها إذا وصلت إلى الحكم فلن تسمح بقيام أي حزب شيوعي أو غير إسلامي، بل لن تسمح بتشكيل حزب إسلامي آخر عداها"^٤، ولهذا يخلص الدكتور الشاوي بنتيجة أن المشكلة الحقيقية للتعددية هي بين الإسلاميين أنفسهم قبل أن تكون بينهم وبين غيرهم.

ولهذا نخرج بنتيجة مفادها أن هناك إقراراً بأن الإسلام يفسح المجال لتعددية مبنية على احترام الرأي والرأي الآخر شريطة ألا يتضمن السماح بالرأي الآخر تناقضاً مع ما سمح به الإسلام نفسه، واستدل البعض لهذه الرؤية بوجود تعددية فقهية، بل تعددية عقيدية تمثلت بالسماح بأشكال من الحرية الدينية للأديان الأخرى، التي يدخل أصحابها فيما عُرف بمصطلح أهل الذمة.

^١ - التعددية السياسية قراءة إسلامية، مرجع سابق، ص ٢٥.

^٢ - نفس المرجع، ص ٥١.

^٣ - نفس المرجع، ص ٧٣.

^٤ - نفس المرجع ص ٩٤.

وعلى الصعيد السياسي الذي يعتبر القراءة الحقيقية لمتطلبات الأمم والشعوب، وأمام وجهات النظر العديدة والمختلفة في الجانب السياسي، فقد كان لا بد من إقرار أشكال من التعددية السياسية، والسماح لضروب من وجهات النظر المختلفة حتى يصل الناس إلى عين الصواب. إن كان البعض يرى أن التعددية فكرةً ونشوءاً تمّ في الغرب، فإن ذلك لن يمنعنا من التعاطي معها، ولكن في إطار الضبط الشرعي الذي تقتضيه مصلحة الأمة..

وعندما تعيش البشرية جمعاء اليوم وأحكام الإسلام فيها مغيّبة، فإن مثل هذه الحياة تعني أن الناس سيكتوون بنار التسلط والفردية والرأي الواحد، وهذا بالضرورة يتطلّب منا أن يكون الإسلاميون أول من ينادي بالتعددية، وذلك حتى نحفظ على الناس أموالهم ودماءهم المهدّرة، في ظل التفرد وغياب عدالة الإسلام، ولا يحق لأحد أن يشرع للفردية تحت مظلة انتظار دولة الخلافة التي ستعيد الحقوق لأصحابها.

المطلب الثاني: حكم التعددية السياسية في الإسلام

لقد أجاب الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي على تساؤلات عديدة تدور حول حكم الإسلام في التعددية السياسية، وحكم الإسلام في وجود أحزاب إسلامية أو سياسية في ظل الدولة الإسلامية، ولقد تضمن كتابه النفيس (الفتاوى المعاصرة)، وكتابه الآخر (من فقه الدولة في الإسلام)، إجابات على هذه التساؤلات، حيث يرى الشيخ " أنه لا مانع من وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة الإسلامية، إذ المنع يحتاج إلى نص ولا نص هناك؛ وأن هذا التعدد قد يكون ضرورة لهذا العصر، لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم، ومن تسلط فرد أو فئة على سائر الناس، وتحكمهما في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لم! كما اتضح ذلك من قراءة التاريخ واستقراء الواقع^١.

وحتى يكون وجود هذه الأحزاب شرعياً، فإن ذلك يتطلب أمرين كما وصف الشيخ القرضاوي:

"١- أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة ولا تعاديه أو تنتكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص في ضوء الأصول العلمية المقررة.

٢- ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمتها أياً كان اسمها وموقعها.. فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو يطعن في الأديان السماوية عامة أو في الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام وعقيدته وشريعته وقرآنه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم^٢.

وبناء على الآراء المتقدمة فقد ذهب العلماء المعاصرون في النظر إلى التعددية إلى عدة مدارس كانت على النحو الآتي:

الأولى : أباحت التعدد على الإطلاق.

الثانية : أباحت التعدد بشروط.

الثالثة : رفضت التعدد على الإطلاق.

الرابعة : سمحت للتعدد في المجتمع الإسلامي فقط.

ومن ذلك نفهم أن الإسلام يسمح بوجود أحزاب مسيحية أو يهودية للزميين داخل الدولة الإسلامية، ضمن الشرطين المذكورين في موقف الشيخ القرضاوي، كما ويسمح بتعددية إسلامية تتمثل في أحزاب لها برامجها وآراؤها وأفكارها التي تخدم الإسلام، وتساعد في انتشاره.

^١ - من فقه الدولة في الإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق - القاهرة، ط٣، ٢٠٠١م، ص١٤٧-١٤٨.

^٢ - فتاوى معاصرة، الدكتور يوسف القرضاوي، دار القلم - الكويت، ط٣، ج٢، ١٩٩٤م، ص٦٥٣.

ولم يكن الإسلام في يوم من أيامه متقوقاً على ذاته منعزلاً عن الآخرين، وإنما كان دوماً دينَ حقوقٍ وواجباتٍ، دينَ مصالحٍ والتزاماتٍ؛ ولهذا كان خطابه شمولياً عالمياً يواجه به كافة الأمم والشعوب، بعدالته وإنسانيته ورحابته، يسعُ الناسَ جميعاً، ولا يحجُرُ على عقولهم، بل يعطيهم فرجةً من الزمن والوقت كي يعبروا عما يدور في نفوسهم، وليسمعوا بعد ذلك موقف الإسلام مما يطرحون، على شكل حوارٍ هادئٍ يسمح لهم بالاستمرار على رؤيتهم؛ بخلاف المبادئ والآراء والأفكار المادية الدنيوية، التي لم تتسع صدور أصحابها لسماع الآخرين.

ولهذا فتح الإسلام البابَ أمام المسلمين ابتداءً، وأمام البشرية جمعاء، لتُعبّر عما يدور في خلدنا من مواقف وآراء، وكان العنوان لذلك هو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أن تواجه الأمة الظالمَ بالحقيقة، حيث ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُؤدَّع منهم"^١، وفي حديث آخر: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعُمَّهم الله بعقاب من عنده"^٢.

وعندما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافةَ، خطب في الناس، وطلبهم بإعانتته إن أحسن، وبتقويمه إن أساء: (أطيعوني ما أطعتُ اللهَ فيكم، فإن عصيتهُ فلا طاعةَ لي عليكم)؛ وكذا الحال مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، الذي خاطبَ رعيته قائلاً: (أيها الناس، من رأى فيّ اعوجاجاً فليؤمِّنني)، فقال له أعرابي: (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا!!)، فقال عمر: (الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر!!).

ولأن اعوجاجَ الحاكم والأنظمة السياسية في هذا الزمان قد ازداد حتى طفق كيّله، ولأن القوة باتت بعيدة عن قدرة الرعية على تملكها، بل هي دوماً في يد الحاكم وحاشيته؛ فإن تقويم الاعوجاج في مثل هذا الحال سيؤدي في الكثير من الأحيان إلى فتنٍ ومهالك، كان لا بد من اتباع سبيل تتمكن فيه الرعية ممثلة بمنقفيها وقادة الرأي فيها أن تغير دون إراقة دماء، لأن منهجية التغيير بالدم سلاح ذو حدين، قد يؤدي إلى فتنة أكبر لا تحمد عقباها.

ويشير الشيخ يوسف القرضاوي إلى ذلك حيث يقول: "إن البشرية استطاعت في عصرنا بعد صراعٍ مرير وكفاحٍ طويل، أن تصل إلى صيغة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقويم عوج السلطان دون إراقة للدماء من خلال وجود (القوى السياسية) التي لا يستطيع الحاكم وسلطته أن يقضي عليها بسهولة وهي ما يطلق عليها اليوم (الأحزاب)"^٣، هذه الأحزاب التي إن تحالفت واتحدت ضمن هدف واضح وواحد هو إسقاط السلطان في حال ضرورة إسقاطه، اجتماعياً وسياسياً وأمنياً، فإن ذلك سيكون أنجح بكثير من الخطوات الفردية التي تموت في مهدها.

^١ - رواه أحمد ابن حنبل عن عبد الله بن عمر وصححه الشيخ شاکر ورواه الحاكم ووثقه الذهبي.

^٢ - رواه ابو داود في سننه من حديث ابي بكر، ورواه أحمد وأصحاب السنن وقال الترميذي حسن صحيح.

^٣ - فتاوى معاصرة، مرجع سابق، ص ٦٥٤.

ويضيف الشيخ القرضاوي قائلاً : "إن تكوين الأحزاب أو الجماعات السياسية أصبح وسيلةً لازمةً لمقاومة طغيان السلطات الحاكمة ومحاسبتها وردها إلى سواء الصراط، أو إسقاطها، ليحلَّ غيرُها محلَّها، وهي التي يمكن بها الاحتسابُ على الحكومة، والقيام بواجب النصيحة والأمر بالمعروف، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".¹

ولا يعني ذلك أن هذا النهج من التغيير خاصٌّ بالأنظمة الليبرالية العلمانية الحاكمة اليوم، وأن دولة الإسلام لا تحتاج إليه إن أُقيمت؛ فهذا ظن خاطئ ؛ ذلك أن تاريخ الإسلام يؤكد أن هناك عصوراً من الظلم والفساد كانت بحاجة إلى حملة تغيير سياسية واجتماعية، ولما كان القائمون على محاولة مثل هذا التغيير أفراداً، أو على الأكثر: جماعاتٍ صغيرة غير متمثلة بقوى سياسية تملك شكلاً من أشكال القدرة على تحريك الشارع، وتنبهه إلى أخطاء السلطان؛ فقد سُحِقَ من قام بهذه المحاولات أو غُيِّبوا في السجون، وطاف بهم الطغاة في الشوارع والطرقات، وضربوهم وعذبوهم دون مراعاة من السلطان أيامها لحرية رأي أو إنسانية إنسان.

"وقد سجل تاريخ الإسلام مواقف المعتزلة حين استقلوا بالحكم وانفردوا بالسلطان في عهد المأمون، وفي عهدِ الواثق والمعتصم من بعده؛ فقد أراد المعتزلة أن يفرضوا رأيهم على الكافة، وأن يمحوا الرأي الآخر من واقع الحياة الفكرية، وقاوموا بالسوط والسيوف رأي الفئات الأخرى التي لا ترى رأيهم، وذلك في القضية التي عُرِفَتْ في التاريخ الإسلامي باسم قضية (خلق القرآن)، تلك المحنة العنيفة الشديدة التي أودى فيها رجال كبارٌ وأئمة عظامٌ على رأسهم الإمام النقي الورع أحمد بن حنبل".²

وإن القول بجواز وجود أحزاب سياسية داخل الدولة الإسلامية، ينبغي ألا يسمح بالأحزاب المبنية على أسس عنصرية أو إباحية أو عدائية لطائفة من الطوائف المُشكَّلة للقوميات والطوائف الدينية التي يتكون منها المدّ البشري في الدولة الإسلامية؛ إن الإسلام يرفض أن تُستغلَّ نعمه في الحرية استغلالاً يسيء إلى الحرية ذاتها!

ويرى الشيخ القرضاوي "أن تعدد الأحزاب في مجال السياسية أشبه بتعدد المذاهب في مجال الفقه"³، فالمذهب الفقهي ينطلق من رؤية فكرية تُحدِّد كيفية التعامل مع النص في العملية الاستنباطية، فإن الحزب السياسي أيضاً ينتمي إلى مدرسته الفكرية.

ورغم أن من أصحاب الآراء الفقهية من يرفض التعددية لكونها ستؤدي إلى خلاف يمزق الأمة، وهم يستندون في ذلك إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تختلفوا فإن من كان قبلكم

¹ - نفس المرجع، ص ٦٥٤.

² - نفس المرجع ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

³ - نفس المرجع، ص ٦٥٦.

اختلفوا فهل كوا"^١، ويستندون أيضا إلى قوله تعالى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"^٢، إلا أن هذا الاختلاف الذي يتحدث عنهما هذان النسان الكريمان هو ما كان داخلا في إطار النزاع والشقاق المؤدي إلى تخاصم الأمة وانشقاقها وتقاتلها..

وهذا ما لا يقصده المقررون للتعددية، وهم في هذا يفهمون الاختلاف فهم أئمة الفقه له، الذين لم يكن اختلافهم عندما اختلفوا من أجل ذات الاختلاف، وإنما كان واضحا لدى أهل العلم أن اختلافهم كان من أجل الوصول إلى الحق والصواب.

ولهذا يجزم الدكتور محمد سليم العوا: "أن منطق القواعد الفقهية والقراءة الصحيحة للنصوص والتاريخ، ليشهد كله شهادة قاطعة على ضرورة التعددية السياسية من المنظور الإسلامي"^٣.

ويؤكد العوا أن فقه القواعد الأصولية الإسلامية سيقوم من بين ما يقوم عليه، على قاعدة عظيمة، ألا وهي قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فهل يمكن أن تقوم قائمة لنظام سياسي إسلامي في العصر الحاضر وهو ينكر على الناس اختلاف الرأي، وهي فطرة أو وهو ينكر على الناس حرية التعبير عن الرأي وهو حق أزلي، أو وهو ينكر على الناس التجمع لبيان ما يرونه حقا أو يعتقدونه باطلاً وهو أمر رباني، ولذلك فإن وجود الأحزاب السياسية في الظروف الحالية للمجتمعات الإسلامية ضرورة لصيانة حرية الرأي فيها ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين، وهو استبداد واقع في جل هذه المجتمعات أو كلها"^٤.

ومن خلال ورقة علمية بعنوان (التعددية السياسية في الدولة الإسلامية) قدمها الدكتور صلاح الصاوي إلى ندوة التعددية السياسية رؤية إسلامية والتي أقامها مركز الدراسات الحضارية في القاهرة في ١٠/٨/١٩٩٢م تساءل الباحث حول مدى استيعاب التعددية السياسية في منظومة الحكم الإسلامي للآخرين؟ ونراه وخلال ورقته تلك يجيب على هذا التساؤل من خلال الأطر الفقهية المعهودة في باب الإمامة حيث يرى "أن التعددية السياسية التي تقوم على تداول السلطة بين مختلف الأطراف فكرة غربية نشأت في أوروبا في أعقاب تحررها من الطغيان الكنسي والطغيان الملكي وإطلاق الحريات العامة، وأن هذه الفكرة لم يعرفها التاريخ الإسلامي ولم

^١ - متفق عليه. انظر البخاري ج ص ومسلم

^٢ - آل عمران: الآية (١٠٥).

^٣ - التعددية السياسية من منظور الإسلامي، محمد سليم العوا، مرجع سابق، ص ١٣٤.

^٤ - نفس المرجع، ص ٣٥.

يتضمنها التراث الإسلامي وإن كان قد عرف بل أرسى حق الأمة في السلطة العامة تولية ورقابة وعزلاً، كما أرسى حقها في الحسبة على السلطان وعلى من دونه"^١.

وخلص الباحث بنتيجة أن التعددية السياسية في منظور المفكرين المعاصرين تجربة سياسية لها مبرراتها وسلبياتها، فمن مبرراتها: "أنها مدارس للشعوب تعمل على توجيه الرأي العام وتعميق الوعي السياسي لدى الأمة، كما أنها تعتبر همزة الوصل بين الحكام والمحكومين خاصة في ظل الوضع الديمقراطي والنيابي الحالي الذي ينتهي دور الأمة فيها عند اختيار نوابها في البرلمان نيابة عنها في مباشرة كافة حقوق السيادة وليس للأمة عليهم من سلطان إلا عند إعادة انتخابهم مرة أخرى كما أنها تعد عنصراً من عناصر إقرار الحياة السياسية بما يتيح من الوجود العلني للمعارضة وإتاحة الفرصة أمامها للمشاركة في الحكم. ومن سلبيات التعددية السياسية تشرذم الأمة وتبديد جهود الدولة وتشتت قواعدها حيث يتحول الأعضاء في البرلمان بمقتضى الالتزام الحزبي إلى مجرد أبواق تفسر قناعات أحزابهم أو تبررها للآخرين"^٢ ويرى الدكتور الصاوي أن الإطار الإسلامي لمنظومة الحكم في الدولة الإسلامية يتمثل في "الالتزام بسيادة الشرع وسلطة الأمة وسيادة وصيانة القضاء والحقوق والحريات العامة والحسبة والشورى"^٣.

ويحرم البعض من أهل العلم التعددية "لما تفضيه من تشرذم للأمة وتفرق كلمتها وما تتضمنه من عقد الولاء والبراء على ما دون الكتاب والسنة كما يحرمونها من منطلق الحرص على الولاية والتنافس في طلبها وما تقتضيه المعركة الانتخابية من تركية النفس والطعن في الآخرين وما تعنيه من الخروج على الجماعة ومنازعة الأمة"^٤.

ويمكن استيعاب التعددية داخل منظومة النموذج السياسي الإسلامي وذلك "ببقاء منصب الإمامة على ثباته المعهود ليكون رمزا لوحدة الأمة ويكون التنافس على منصب وزارة التفويض فيفوضها الإمام لإرشاد تجمع سياسي يحوز ثقة الخبراء في المجلس الاستشاري العام الذي يضم صفوة العلماء والخبراء في مختلف المجالات، مع مشروعية المعارضة وحقها في النقد وشرح برامجها للأمة في إطارها المشروع"^٥.

وقد تعرضت دراسة الدكتور صلاح الصاوي سألقة الذكر لموضوع التحالف السياسي بين القوى المعارضة مع القوى العلمانية في مرحلة السعي لإقامة الدولة الإسلامية، "فأجازت ذلك شريطة أن يكون موضوع التحالف مشروعاً وأن لا يتضمن التزاماً يضر بالرسالة أو يغل يد

^١ - التعددية الساسية رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص ١٢.

^٢ - نفس المرجع، ص ١٢.

^٣ - نفس المرجع ص ١٣.

^٤ - نفس المرجع ص ١٤.

^٥ - نفس المرجع ص ١٤.

الدعاة عن الصدع بالحق والسعي لإقامة دولة الإسلام^١ كنتيجة إيجابية للتعددية السياسية في المجتمع.

موقف جماعة الإخوان المسلمين من التعددية

على صعيد الموقف من الأحزاب السياسية فقد كان للإمام البنا رأي في ذلك، إذ يعتبرها أساس الفساد الاجتماعي، والخلل الأخلاقي حيث يقول: "إن هذه الحزبية أفست على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر".^٢

ورغم نظرة الإمام البنا التي قد تتناسب تلك الحقبة حول موقفه من الأحزاب والتي اتهم فيها البنا بنصير الدكتاتورية، إلا أن موقف البنا من الأحزاب السياسية ليس هو نهاية المطاف، حيث أصدرت جماعة الإخوان المسلمين بياناً في شهر آذار من عام ١٩٩٤ تحت عنوان: تعدد الأحزاب في المجتمع المسلم جاء فيه: "إننا نؤمن بتعدد الأحزاب في المجتمع الإسلامي وأنه لا حاجة أن تضع السلطة قيوداً من جانبها على تكوين ونشاطات الجماعات والأحزاب السياسية وأن يترك لكل حزب أن يعلن ما يدعو إليه ويوضح منهجه، بشرط الالتزام بالشريعة الإسلامية والمبادئ الأساسية للأمة التي لا خلاف فيها بين علماء وفقهاء المسلمين، كما أننا نرى أن قبول الأحزاب في المجتمع الإسلامي على النحو الذي أسلفناه يتضمن قبول تداول السلطة بين الجماعات والأحزاب السياسية".^٣

بل إن المستشار مأمون الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين الأسبق صرح "إنه من الطبيعي للأقباط في مصر الحق في تشكيل حزب سياسي لهم"^٤ وكان ذلك بمثابة الإقرار من الإخوان المسلمين بأنه يجوز لغير المسلمين أن يؤسسوا أحزاباً لهم في ظل المجتمعات الإسلامية القائمة.

وانطلاقاً من هذا التصور، تحالفت جماعة الإخوان المسلمين مع أحزاب علمانية غير إسلامية من أجل الوصول إلى البرلمان، كما هو الحال مع تحالف الإخوان وحزب الوفد في مصر وكذلك تحالف الإخوان مع الأحزاب العلمانية والاشتراكية والشيوعية من أجل إسقاط النظام السوري الحاكم.

^١ - نفس المرجع ص ١١٥.

^٢ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (رسالة المؤتمر الخامس)، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ص ١٨٠.

^٣ - تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٣.

^٤ - نفس المرجع، ص ٧٣.

موقف حركة حماس من التعددية السياسية

أكدت حركة المقاومة الإسلامية حماس على إيمانها بالتعددية السياسية في إطار المصلحة المشتركة المتمثلة في تحرير فلسطين، ولهذا تحالفت مع جميع الفصائل والقوى الفلسطينية الإسلامية ووطنية، وكان لها برامج جماهيرية مشتركة بل ساهمت في إصدار المئات من البيانات الجماهيرية والسياسية التي تمثل كافة القوى والفصائل وأصبحت عضواً فاعلاً في لجنة المتابعة العليا للفصائل الفلسطينية في الضفة والقطاع، لا بل قام جناحها العسكري بتنفيذ عمليات استشهادية مشتركة مع أفراد من كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح وكذلك مع حركة الجهاد الإسلامي والحركات الأخرى .

كما تحالفت توجهات طلابية إسلامية محسوبة على حركة حماس الإسلامية الفلسطينية مع تجمعات وأحزاب غير إسلامية من أجل الوصول إلى مواقع نقابية في الجامعات الفلسطينية عقب التوقيع على اتفاق أوسلو، فقد تحالفت حماس مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ذات التوجه اليساري، في انتخابات مجلس اتحاد الطلبة في جامعة بير زيت عام ١٩٩٣م لكسب المزيد من الأصوات أمام كتلة فتح التي تناصر اتفاق أوسلو، وكذا الحال من نفس العام في جامعة النجاح الوطنية في نابلس.

بذلك نرى أن وجهة النظر التي أخذ بها الشيخ القرضاوي انعكست على كافة نشاطات الحركة الإسلامية تجاه التعددية السياسية وقيام أحزاب إسلامية وغير إسلامية مع جواز التحالف السياسي مع هذه الأحزاب لصالح قضايا الأمة الإسلامية، وضرورة الإقرار بهذا من أجل تحقيق العدالة والراحة لبني البشر في ظل الاستبداد والأنظمة الدكتاتورية التي تستبيح كل شيء لنفسها بعيداً عن الإقرار بالحق في الرأي والموقف والحرية للآخرين.

المطلب الثالث: موقف الحركات الإسلامية من التعددية السياسية

حركات العالم الإسلامي وموقفها من التعددية:

في ظل انتشار الصحوّة الإسلامية عالمياً وامتدادها إلى آفاق الدنيا برزت حركات وتجمعات إسلامية في كل قطر إسلامي وعربي، تشارك في عملية التدافع من أجل الوصول بالإسلام إلى منصة الحكم.

ورغم أن العديد من الباحثين والدارسين العلمانيين والليبراليين يرون أن تدافع الإسلاميين نحو التعددية لا يشكل إيماناً مطلقاً بواقع الاندماج الحزبي التعددي في الإطار الديمقراطي، وإنما هو عبارة عن مرحلة مصلحة تستهدف الوصول إلى نظام الحكم ومن ثم العصف بالديمقراطية والتعددية أدراج الرياح.. إلا أن رؤية العديد من تيارات الحركة الإسلامية ومن خلال برامجها تؤكد بأنها كانت جادة في التعامل التعددي السياسي ومارست ذلك عملياً على أرض الواقع.

ولعل الواقع السياسي الدولي العام بمعطياته يفرض ضرورة ماسة للتعامل ضمن هذا الإطار الديمقراطي المفضي إلى التعددية السياسية في ظل هجمة عسكرية وسياسية عالمية على كافة الحركات الإسلامية المعاصرة بدعوى الإرهاب والتطرف، هذه الحملة التي أخذت مصادقة دولية وتم فيها تبادل الخبرات والطاقت إضافة إلى التعاون الدولي المشترك في ملاحقة الإسلاميين وخاصة ممن أطلق الرأي العام العالمي عليهم صفة الراديكالية كالذين تربوا في معسكرات أفغانستان إبّان الحرب الأفغانية الروسية الذين حملوا اسماً دولياً محظوراً وملاحقاً (الأفغان العرب) هؤلاء الذين شكل بعضهم فيما بعد تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن.

لكن ذلك لا يعني أن هذا هو الموقف العام لحركات الصحوّة الإسلامية، فقد أكدت الممارسة العملية أن ثمة جماعات هامة وبارزة أخذت بمبادئ التعددية والدخول في معترك السياسة جنباً إلى جنب مع الجماعات والحركات الأخرى، اليسارية والليبرالية والقبول بقواعد اللعبة الديمقراطية.

الجماعة الإسلامية في باكستان:

شاركت الجماعة الإسلامية في باكستان في معركة التعددية السياسية وخاضت الانتخابات وشاركت في البرلمان أكثر من مرة وقبلت أن يكون من بين أعضائها وزراء، ولم يتوقف نشاط الجماعة الإسلامية في باكستان في هذا الاتجاه فقد اتبع أنصار الجماعة نهجاً جذره مؤسس الجماعة المرحوم أبو الأعلى المودودي الذي آمن بضرورة اقتحام الحكومات الجاهلية سلمياً والعمل على تغييرها من الداخل، وعلى نفس النهج يسير اليوم قاضي حسين أحمد أمير الجماعة الحالي الذي دفع بأنصاره ليشاركوا في الحياة السياسية ويأخذوا بالتعددية، فكان لجماعته دور في إسقاط بنازير بوتو وإبعادها عن دفة الحكم لإيمانهم بأن وجودها في موقع الحكم والإمامة حرام شرعاً.

الحركة الإسلامية في تركيا:

ومن الجماعات والأحزاب الإسلامية التي أخذت بمبدأ التعددية الحركة الإسلامية في تركيا بقيادة مؤسسها الأول المهندس نجم الدين أربكان الذي أسس حزب السلامة، هذا الحزب الذي لوحق قانونياً من قبل السلطات العسكرية الحاكمة فأغلق، فقام أربكان بتأسيس حزب آخر تحت اسم حزب الرفاه الإسلامي، والذي وصل من خلاله وفي إطار التعددية السياسية إلى دفة الحكم والحصول على غالبية حاسمة داخل البرلمان التركي ومن ثم تشكيل حكومة ليصبح أربكان رئيساً للوزراء ١٩٩٨، ويستمر النظام التركي العسكري ملاحقاً للحركة الإسلامية في تركيا رغم ادعاء النظام بالتعددية السياسية وإيمانه بها ضمن الإطار الديمقراطي فيتم إخضاع نجم الدين أربكان للمحاكمة تحت حجة مخالفة الأسس العامة للدولة العلمانية في تركيا ويحكم عليه بالسجن ويحظر عليه ممارسة العمل السياسي، ومن ثم يتم إخراج حزب الرفاه الإسلامي عن القانون وإلغاء ترخيصه مما دفع الإسلاميين في تركيا إلى تأسيس حزب آخر ألا وهو حزب الفضيلة الذي تعرض للملاحقة ومن ثم تأسيس حزب العدالة وهكذا دواليك أصبح المتسلق على الديمقراطية والتعددية السياسية هي الأنظمة الحاكمة من خلال العسكر وليس الإسلاميون.

الحركة الإسلامية في ماليزيا:

وفي شرقي آسيا شاركت الجماعات الإسلامية في الانتخابات البرلمانية ودفعت بعناصرها للبرلمانات ونافست بشدة أحزاباً غير إسلامية وبرز ذلك واضحاً في ماليزيا التي تحتضن تياراً إسلامياً عريضاً بقيادة أنور إبراهيم الذي تم اعتقاله أخيراً.

التعددية السياسية في إيران:

في إيران يشكل النهج السياسي القائم اليوم إيماناً بالتعددية السياسية رغم أن الحكومة الإسلامية القائمة الآن هي نتاج عمل ثوري وانقلاب تاريخي على حكم الشاه الليبرالي بقيادة مفجر الثورة آية الله الخميني رحمه الله.

ومع ذلك كان الصراع السياسي ولا زال قائماً في المجتمع الإيراني، بين المحافظين والإصلاحيين على أساس التعددية السياسية التي تتيح للجميع الحق في المشاركة البرلمانية بكل حرية، مع أن أنصار الإصلاح يتهمون المحافظين المسيطرين على أهم المواقع لا سيما وزارة الاستخبارات وغيرها أنهم يلاحقون رجال الإعلام والصحافة والصحف التابعة للإصلاحيين ويشنون حملة حرب ومواجهة ضدها.

لكن النتيجة أن الحكومة الإسلامية في إيران ورغم ثورتها إلا أنها تأخذ بمبادئ التعددية وهناك أصوات تطالب بالانفتاح على الغرب وفي مقدمة هذه الأصوات الرئيس الإيراني السابق الدكتور محمد خاتمي.

ويرى نفر من أهل السنة في إيران أن التعددية وجوازها مسموح به للشريعة فقط وليس للسنة، فالسنة محاصرون لا يسمح لهم بالصلاة بحرية ولا يوجد لهم صحف ولا مجلات في إيران بل لا يسمح لصوتهم أن يرتفع.

الإسلاميون والتعددية السياسية في العالم العربي:

تعتبر جماعة الإخوان المسلمين الأكثر تأثيراً وريادةً في العالم العربي وخاصة على صعيد الحركات الإسلامية المعاصرة وقد تختلف نسبة التأثير من موقع لآخر، "ولهذا فإن دراسة فكر الإخوان السياسي يساعد كثيراً في فهم التيارات الأخرى التي خرجت جميعها بطريقة أو أخرى من منعطف الإخوان أنفسهم"^١.

ويدلل الإخوان المسلمون على قبولهم بالتعددية الحزبية والنظام البرلماني من خلال إصرارهم على دخول الانتخابات رغم عدم حصولهم على ترخيص رسمي لقانونية الجماعة وخاصة في مصر.

ومع ذلك شاركت الجماعة في غالبية الانتخابات التي جرت في العالم العربي وتمكنت من إثبات وجودها لأكثر من موقع فيما أفضيت وأبعدت من المواقع الأخرى، وقد تقلدت رموز سياسية من الحركة مناصب وزارية وأخرى برلمانية، ونكتفي بالإشارة إلى أن رئيس البرلمان اليمني الحالي هو الشيخ عبد الله الأحمر رئيس التجمع الوطني للإصلاح وهو الوجه السياسي لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن.

وفي الأردن تخوض جماعة الإخوان المسلمين الانتخابات، وتعتبر الكتلة الأكبر حجماً داخل البرلمان بعد كتلة النظام إذ لم تقاطع الحركة البرلمان وسبق وأن ترأس الدكتور عبد اللطيف عربيات الإخواني البارز البرلمان الأردني.

وفي تونس كانت الحركة الإسلامية تطمح إلى ممارسة العمل السياسي ضمن إطار التعددية السياسية التي تؤمن بها والوصول من خلالها إلى المجتمع، إلا أن دكتاتورية الحبيب بورقيبة حالت دون ذلك.

نشطت الحركة الإسلامية التونسية في السبعينات ومستفيدة من سماح السلطة عودة عمل التيار اليساري "وفي هذه الأجواء تم تجديد إمارة الشيخ راشد الغنوشي في حزيران عام ١٩٨١م من قبل الحركة، وأعلن عن تحويل الحركة إلى حزب سياسي تحت اسم حركة الاتجاه الإسلامي، كما تم تشكيل مكتب سياسي عالمي برئاسة الغنوشي وعضوية عبد الفتاح مورو أميناً عاماً وتقدمت حركة الاتجاه الإسلامي بطلب رسمي إلى وزارة الداخلية للحصول على ترخيص قانوني

^١ - التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، الدكتور حيدر إبراهيم علي، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٨٩.

لقيام الحزب، كما صدر البيان التأسيسي للحركة الذي حدد أهداف ووسائل الحزب^١، ولكن قبل أن تأخذ الحركة شرعيتها القانونية دخلت في صراع مع السلطة، "جاء بعض التصرفات غير المبرمجة التي قام بها طلبة جامعيون من الاتجاه الإسلامي داخل الحرم الجامعي في الجامعة التونسية في ٢٠ شباط من عام ١٩٨١م حيث تم اختطاف وسجن عميد الكلية وتهديده بالقتل من قبل الإسلاميين، كذلك قيام الإسلاميين بالاعتداء على المفطرين في رمضان إضافة إلى اعتداء آخر على (نادي البحر المتوسط) في ١٥ أيار من نفس العام"، مما أدى إلى اتخاذ هذه الأعمال ذريعة لاعتقال أمير الحركة الغنوشي وإغلاق مكتبها السياسي والحكم عليه بالسجن لمدة وصلت إلى عشر سنوات. "وبعد الإفراج عن قيادة الحركة الإسلامية التونسية في آب ١٩٨٤م، وإقالة بورقيبة في تشرين الثاني من نفس العام، حاولت الحركة اكتساب الشرعية ضمن الوضع الجديد وأعلنت اسماً جديداً للحركة (حزب النهضة)^٢ ولكن حكومة زين العابدين كانت أكثر حزمًا وعنفًا فحجبت الشرعية عن حزب النهضة باعتباره حزباً دينياً وتجددت المواجهة بين الحركة والنظام خاصة بعد انتخابات عام ١٩٨٩م ولم يكتسب حزب النهضة حقه في العمل السياسي فقررت قيادته العيش في المنفى بعد أن حكم على الغنوشي بالإعدام.

ان الحركة الإسلامية في تونس بكل أسمائها وتشكيلاتها تؤمن بالتعددية السياسية، لكنها لم تتلها ولم تستطع أن تتعايش مع النظام كونه نظاماً دكتاتورياً معادياً للصحة الإسلامية. وقد شاركت الحركة الإسلامية ومن منطلق التعددية السياسية في الانتخابات البرلمانية وإدارة الحياة السياسية بهدوء تام في كل من الكويت والأردن واليمن ولبنان وسوريا قبيل أحداث حماه وفي العراق قبل حكم عبد الكريم قاسم وصادام حسين وكانت مشاركتهم توجي إلى قنوات بأن التغيير السياسي ينبغي أن يكون من داخل البيت.

كما شاركت الحركة في السودان من خلال تيار الشيخ حسن الترابي الذي اتخذ أساليب عدة للوصول إلى الحكم، "فقد دخل حكومة النميري، ومن ثم تمرد عليها وتحالف مع الشيوعيين ثم تمرد عليهم، ووصل حزبه إلى الحكم بعد انقلاب عسكري.. ولا زالت الحركة الإسلامية تؤمن بنهج التعددية السياسية رغم كل التطورات.."^٣ وقد تجسد ذلك من خلال الإقرار بقيادة المعارضة في الجنوب السوداني التي عاد بعض أركانها إلى الخرطوم.

وفي الجزائر قاد الإسلاميون تجربة التعددية السياسية وسيطروا على غالبية البلديات والمجالس المحلية ابتداءً وتبع ذلك انتخابات عام ١٩٨٩م التي فازت بها جبهة الإنقاذ الإسلامي

^١ - اشواق الحرية: قصة الحركة الإسلامية في تونس، محمد الهاشمي الحامدي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ج١، ١٩٩٠م، ص٦٦.

^٢ - التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، مرجع سابق، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

^٣ - انظر: الحركة الإسلامية في السودان: التطور والكسب والمنهج، حسن الترابي، الدار البيضاء من الفرقان، ط٢، ١٩٩١م.

بنسب عالية تزيد عن ٨٠% من الأصوات.. إلا أن النظام العسكري داخل الجزائر لم يفسح المجال للإسلاميين في إدارة الشؤون السياسية في البلاد بل تم التمرد عليهم واعتقال قياداتهم والزجّ بهم في السجون مثل عباس مدني وعلي بلحاج وغيرهم ممن مارسوا الديمقراطية وعصف بالتعددية السياسية، وتحولت الجزائر إلى حرب استنزاف استمرت سنوات اتهم النظام الحاكم خلالها الإسلاميين بإغراق البلاد بمستنقع دم^١.

ورغم هذه الظروف العصيبة شاركت حركة المجتمع الإسلامي التي قادها الشيخ محفوظ النحاح الإخواني البارز في الانتخابات البرلمانية وتمكن العديد من أنصار الحركة من الوصول إلى البرلمان.. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التيارات والجماعات والأحزاب التي تعتبر امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين كلها تقرر بالتعددية السياسية وتؤمن بها وتمارسها على الأرض.

حزب التحرير الإسلامي والتعددية:

يرفض حزب التحرير الإسلامي التعددية معتبراً إياها دخيلة على الإسلام وممارستها غير جائزة شرعاً، ولهذا يحظر الحزب على كافة أفراده الدخول في أية انتخابات برلمانية وسياسية كانت وحتى المؤسسات الأهلية والنقابية، لأنه يرى أن الأنظمة القائمة كلها أنظمة كافرة ينبغي إزالتها، "ويعتبر الترويج للتعددية الفكرية والسياسية لا يجوز"^٢.

ورغم أن حزب التحرير الإسلامي شارك في الانتخابات البرلمانية الأردنية عام ١٩٥٦م وكذلك البرلمانية في سوريا ولبنان من خلال نوابه البارزين الشيخ أحمد الداعور وعبد الرحمن المالكي ويوسف البعدراني، تحت مظلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاسبة الحاكم، إلا أن الحزب عاد عن اجتهاده هذا، ويرى أن مقاطعة الحكومات اليوم واجب شرعي، ولهذا يرى الحزب أن التعددية عبث ولا تلتقي مع أحكام الدين بصلة.

وكذا الحال مع الجماعة الإسلامية المسلحة في مصر وفي الجزائر وتنظيم القاعدة العالمي الذين لا يقرون بالتعددية ولا يؤمنون بها، بل يعتبرونها دخيلة على الإسلام وهي من صنعة الغرب الليبرالي ويقصد بها غزو الفكر الإسلامي.

^١ - أثبتت العديد من الدراسات الغربية أن جهاز الاستخبارات الجزائرية هو الذي كان يقوم بالمذابح في القرى والمدن والارياف الجزائرية ويلصقها للإسلاميين، (يراجع في ذلك كتاب: الجزائر عام ٢٠٠٠م للكاتب السياسي الفرنسي: ادموند لودا والصادر في باريس عام ٢٠٠١م _ المصدر: صحيفة الحياة اللندنية ٢٠٠١/٦/٣م).

^٢ - مجلة الوعي، العدد ٥٦، السنة الخامسة، رجب - شعبان ١٤١٢، شباط ١٩٩٢م، ص ٢٤.

التعددية السياسية في فلسطين

يؤكد البرنامج العملي للحركة الإسلامية والتيار الإسلامي بشكل عام في فلسطين أن الحركات الفاعلة والتي تمتلك جماهير حاشدة في الشارع الفلسطيني تؤمن بالتعددية وتمارسها عملياً على الأرض مع بقية الفصائل الأخرى يسارية أو علمانية أو إسلامية.

ولعل حركة حماس والجهاد الإسلامي الأبرز في هذا الفهم حيث تشارك في الانتخابات المتاحة والتي لا زالت انتخابات نقابية بحتة، وتعتبر حماس المنافس الأكبر للتيار العلماني والتي تمارس التعددية في أكثر من موقع حيث المؤسسات الأهلية والانتفاضة الشعبية وعمليات المقاومة.

ولا تنكر حماس على الآخرين حقهم في ممارسة عملهم السياسي في إطار التعددية وكذا الحال بالنسبة لحركة الجهاد التي شاركت في حوارات عديدة مع السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير من أجل الوصول إلى تفاهم مشترك في الحياة الفلسطينية.

وتقر بالتعددية السياسية غالبية الأحزاب السياسية الإسلامية التي أسست بعد قيام السلطة الفلسطينية والتي لا زالت تتخذ من قطاع غزة مقراً لها، فيما لا يزال حزب التحرير الإسلامي يحظى بتواجد في مدن الضفة والقطاع في الوقت الذي يرفض فيه التعددية السياسية رفضاً مبدئياً ولا يمارسها قط مع أن جل نشاطه الميداني يدور في إطار التعبئة السياسية للأفراد من خلال بيانات وتحليلات تصدر عن الحزب نفسه.

إلا أن عدداً من التيارات الدعوية الإسلامية مثل الحركة السلفية والصوفية وجماعة التبليغ والدعوة المتواجدة في فلسطين لا تؤمن أصلاً بالعمل السياسي لأنها منشغلة انشغالاً كلياً في تهذيب النفس وبناء الذات على أساس منهج السلف الصالح كما يعلنون .

المطلب الرابع: حماس والتعددية السياسية في فلسطين

تعتبر الساحة الفلسطينية بكل تناقضاتها السياسية من أخصب المواقع لاحتضان فلسفة التعددية السياسية لا سيما كثرة أطراف الصراع الذين يتعاملون مع القضية كل من خلال أيديولوجيته التي يريد عكسها على واقع القضية، فالإسلاميون يرون أن القضية إسلامية عقدية فيما يراها التيار الوطني قضية قومية وطنية، هذه التصورات التي فرضت على الشعب الفلسطيني أن يُقرّ ويعترف بضرورة العمل في إطار التعددية السياسية التي ينبغي أن تفسح المجال للرأي والرأي الآخر.

ولأن حركة المقاومة الإسلامية حماس جزء لا يتجزأ من المعادلة القائمة كان لا بد من إيمانها بهذا النهج والعمل على إنجاحه، إضافة إلى ضرورة العمل المشترك أحياناً مع الآخرين وخاصة في الكثير من القضايا الوطنية والإسلامية التي تحظى بإجماع كافة القوى والتوجهات السياسية، أضف إلى ذلك أن الخطاب التعددي الوحدوي قد يدفع بالمصلحة الوطنية العليا للقضية والشعب إلى الأمام وخاصة في ظل التلاحم الجهادي الذي تجسد في المواجهات المشتركة للاحتلال كما الحال مع الانتفاضة الشعبية والتي كانت تمثل صورة رائدة للفهم المشترك للمواجهة.

وقد تفهمت حماس ضرورة الإقرار بالآخر والتعامل معه خاصة خلال الانتفاضة المباركة التي انطلقت عام ١٩٨٧م، بل كان هذا الفهم أكثر وضوحاً وإقراراً بعد مؤتمر مدريد لمفاوضات السلام، حيث استقبلت الساحة السياسية نهجاً سياسياً عملياً على الأرض يخالف تصور حماس العقدي والفكري والسياسي.. ومع ذلك كانت حماس الأكثر استيعاباً وتحملاً لما يجري، في الوقت الذي تعاملت فيه حركات أخرى مع أحداث مشابهة بالرفض الدموي.

وقد اعتبر الباحث إياد البرغوثي "أن المرحلة تطلبت تفاهماً أكثر، بل أصبحت تتطلب تنسيقاً مشتركاً أحياناً للوقوف في وجه تلك المفاوضات".^١

ولعل ميثاق حماس كان الأكثر وضوحاً وأوسع شمولاً لتبيان حقيقة النظرة نحو التعددية وضرورتها وأهميتها وآفاقها المشتركة خاصة وأنه بعد ركوب البعض في قطار المفاوضات الأمريكية، برز تيار المعارضة في الساحة الفلسطينية لهذه المفاوضات تجسد في الحركة الإسلامية وكذلك في التيار اليساري الوطني ممثلاً في الدرجة الأولى بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكذلك القيادة العامة والديمقراطية وغيرها، وكان من الضرورة بمكان للإسلاميين أن يمدوا يدهم لرفاق الرفض التفاوضي وأن يبرموا برامج سياسية مشتركة لمواجهة المشروع السلمي الأمريكي.

^١ - الديمقراطية والتعددية في فكر وسلوك الإسلاميين، الدكتور إياد البرغوثي، مجلة شؤون الشرق الاوسط (واشنطن) العدد الأول، السنة الثانية، ربيع /٥/ ١٩٩٤م، ص ١٠٥.

ولقد ساعد على تسريع ذلك مفصلياً ميثاق حماس الذي نص على ضرورة التعامل مع الآخر الفلسطيني والإقرار بوجوده إضافة إلى ضرورة الاحترام المتبادل والحفاظ على العلاقة الوطنية المشتركة.

"وقد تحدثت المادة الثالثة والعشرون من الميثاق عن العلاقة مع الحركات الإسلامية الأخرى وضرورة الاحترام المتبادل والالتقاء على قواسم مشتركة، كما رفضت المادة الرابعة والعشرون لأي كان أن يطعن أو يشهر بأي حزب أو جماعة كائنة من كانت.. وكذا الحال في المادة السادسة والعشرين التي حددت طبيعة العلاقة مع الحركات الوطنية الفلسطينية والتي فصلت في المادة السابعة والعشرين التي وصفت إيمان حماس في التعددية السياسية من خلال اعتبار منظمة التحرير من أقرب المقربين لها ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق مؤكدة أن المسلم لن يجفوا هؤلاء جميعاً"¹.

لقد شرحت حماس وخلال مذكرة تعريفية لها فهمها الحرفي للتعددية من خلال استراتيجيتها المرسومة في التعامل مع القوى والفصائل والتي جاءت على النحو الآتي: "تري حماس أن ساحة العمل الفلسطيني تتسع لكل الرؤى والاجتهادات في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وتعتقد أن وحدة العمل الوطني الفلسطيني غاية ينبغي على جميع القوى والفصائل والفعاليات الفلسطينية العمل من أجل الوصول إليها.

حركة حماس ليست بديلاً لأحد

تعتقد حماس أنه مهما بلغت الخلافات في وجهات النظر والاجتهادات على ساحة العمل الوطني فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يستخدم العنف والسلاح لفض المنازعات أو حل الإشكالات ، كما تعتقد حماس أنه على الرغم من التباين في الطرح السياسي للقوى والفصائل الفلسطينية فإنها تستطيع أن تعمل بشكل مشترك وخاصة في مواجهة العدو وتصعيد الانتفاضة والمقاومة"².

وقد تجلى خطاب حماس الإعلامي ابتداءً نحو الخضوع للتعددية السياسية والإقرار بها والإقرار بمبدأ الانتخابات الحرة والنزيهة مهما كانت نتائجها.

¹ - انظر النص الكامل للميثاق في قائمة الملاحق.

² - من مذكرة تعريفية أصدرتها حماس، ونشرت في الضفة والقطاع بلا تاريخ ولا مكان نشر وطبع، وقد نشرت كاملة أيضاً على موقع المركز الفلسطيني للإعلام، كما قام الباحث خالد الحروب بتنقيتها في قائمة ملاحقة دراسته القيمة عن حماس والتي صدرت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

"ونقل الباحث خالد الحروب عن الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس أنه يحترم رغبة الشعب الفلسطيني في اختياره لأي توجه كان حتى ولو اختار الحزب الشيوعي الفلسطيني، كما أقر الشيخ ياسين أنه مع دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب".^١

"فيما اعتبر الدكتور زياد أبو عمرو أن مواقف حماس هذه هي مواقف تكتيكية"^٢ لكن تطور الأحداث وتنامي خطاب حماس السياسي نحو التعددية والإقرار بها عمليا بعد الحديث عنها نظريا جعل الكثير من المراقبين يتعاملون مع حماس على أنها حركة واقعية عملية وليست حركة براغماتية تصيد المواقف.

كما أكدت قيادات ميدانية أخرى في حماس على أنها تحترم رأي الشارع الفلسطيني وما يقرره بحرية ومن خلال انتخابات تشريعية يشارك فيها كل الشعب الفلسطيني، وقد برز ذلك جليا من خلال مبادرة الدكتور محمود الزهار سائلة الذكر وكذلك مبادرة الشيخ أحمد ياسين والدكتور موسى أبو مرزوق التي تحدثنا عنها في بداية هذا الفصل.

وقد أوضح الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي يعتبر من قمة التيار المتشدد في حماس وخاصة في رفضه للحلول السياسية التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية مع الكيان الصهيوني "أن حماس لن تستعمل العنف في رفضها للحكم الذاتي الفلسطيني وستطلب من الآخرين أن يحترموا أي طرف في أن يقول رأيهم بطريقة ديمقراطية دون اللجوء إلى العنف".^٣

وقد مارست حماس ذلك من خلال الانتخابات العديدة التي جرت في الضفة والقطاع سواء كان ذلك على صعيد المؤسسات الأهلية مثل الغرف التجارية والجمعيات والنقابات أما على صعيد المؤسسات الأكاديمية والطلابية في الجامعات والمعاهد، فقد نافست حماس الآخرين بكل حرية ورحابة صدر .

ولم ينحصر ذلك في قيادة حماس الداخلية في فلسطين المحتلة فحسب بل تبنته كل قيادات حماس في الخارج أيضا ، وقد نقل عن محمد نزال المتحدث باسم حماس في الأردن قوله: "تؤمن بالتعددية السياسية ونحترم اجتهادات الآخرين ولا نجد حرجاً في التعاون مع أي طرف آخر بما يخدم القضية الفلسطينية".^٤

ورغم حدة الخلاف بين حماس والأطراف الفلسطينية المفاوضة خاصة أن الأمر يتعلق بفلسطين المباركة والتي تتعامل معها كونه أرض وقف إسلامية لا يجوز أن تقتسم.. ورغم فرض الحلول السياسية فرضا على الشارع الفلسطيني بعيدا عن الاستفتاء الحر، أو استشارة

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٣٤، عن جريدة النهار المقدسية في ٣٠/٤/١٩٨٩م.

^٢ - الإسلاميون الفلسطينيون: التعددية والديمقراطية، مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ١٢ خريف ١٩٩٢م، ص ٩٠.

^٣ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٣٥، نقلا عن الفجر المقدسية الصادرة في ١٩٩٢م.

^٤ - نفس المرجع، ص ٢٣٦.

الفصائل المعارضة أو استمزاز رأيها.. إلا أن حماس بقيت محافظة على مثلها وقناعاتها تجاه التعددية التي تؤمن بها، ولم تمارس اغتيالاً سياسياً لأحد أو القيام بتصفية رموز المفاوضات والمتنازلين عن الحقوق في نظر حماس، إنما كانت واضحة تجاه هذا النهج ومن خلال بياناتها وتصريحات قياداتها التي رفضت نهج الاغتيال السياسي.. فقد صرح الشيخ أحمد ياسين "بأن حماس تعارض الاتفاقيات من خلال منهجية النقد البناء بعيداً عن الاختلاف المفضي إلى فتنة وخلافات داخلية يكسب منها الاحتلال فحن لا نريد الاغتيالات ونهجها ونرفضها رفضاً مطلقاً".^١

وقد رفضت حماس بعض الاغتيالات المجهولة والتي وقعت في مناطق في قطاع غزة والضفة الغربية والتي كان ضحاياها من أطراف أخرى ولخلافات فلسطينية داخلية، مثل اغتيال (أسعد الصفاطوي) المقرب من حركة فتح والذي تم اغتياله في ٢١/١٠/١٩٩٣م، حيث أدانت حماس ذلك بشدة في بيانها الذي حمل عنوان: (حماس تدين بشدة اغتيال الصفاطوي وتعتبره عملاً إجرامياً) والذي صدر عن الحركة بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٩٣م، وقد اغتيل أيضاً ثلاثة من عناصر حماس، عقب الخلافات الميدانية السياسية التي نشأت بعد الذهاب إلى مدريد ومع ذلك تمكنت حماس من امتصاص نقمة الغضب في قواعدها التنظيمية، مختزلة موقفها في برنامج يدفع باتجاه ضرورة التعامل المشترك من خلال نداء جرئ وجهته إلى ما أسمته بالشرفاء والعقلاء في وطننا الغالي والذي صدر في السادس من تشرين الثاني من عام ١٩٩١م عقب انعقاد مؤتمر مدريد حيث نص النداء على ما يلي: "إن الاختلاف بالرأي وتباين المواقف والاجتهادات السياسية أمر طبيعي وظاهرة صحية موجودة عند جميع شعوب الأرض، فالاختلاف بالرأي لا يفسد للودّ القضية، ومن حق أي طرف كان أن يُعبّر عن موقفه ورأيه واجتهاداته ومعتقداته بالوسائل التي يراها مناسبة ما دامت هذه الوسائل حضارية بعيدة عن الصدام والتشنجات. كما أكد النداء رفضه القاطع لأساليب الهيمنة وتكميم الأفواه واغتيال الرأي الآخر أو تجاهله ومحاولة طمسه والتقليل من شأنه فلا يحق لأي طرف كان أن يفرض رأيه على الآخرين أو يدعي الوصاية على الناس..، كما رفض النداء التعرض والتعدي على فعاليات الطرف الآخر أو التشويش عليها.. كما رفضت حماس في ندائها سياسة الطعن والتشهير بالأفراد والجماعات...".^٢

ورغم هذا النهج التعددي الواضح على صعيد النظرية والتطبيق، تعرضت حماس بعد قيام السلطة الوطنية إلى القمع والاعتقال والتعذيب وفرض الإقامة الجبرية على مؤسسها الشيخ أحمد ياسين إضافة إلى العديد من الممارسات القمعية التي لولا حكمة حماس لأدى الرد عليها إلى حرب أهلية لا تحمد عقباها.

^١ - جريدة السبيل الاردنية، العدد الصادر في ٢/١١/١٩٩٣م.

^٢ - انظر: النص الكامل للنداء على موقع المركز الفلسطيني للاعلام، وكذلك في سلسلة بيانات حركة حماس، (١-٥) الصادرة من مكتب الاعلامي لحماس.

المبحث الثاني: الديمقراطية في فكر حماس

وفيه تمهيد وأربعة مطالب

تمهيد:

هذه الدراسة ليست مخصصة للحديث عن الديمقراطية وفلسفتها ومحاورها وإشكالياتها، ولكن مقتضيات البحث والدراسة تفرض نفسها ليسلط الضوء على هذا المحور الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكل المتغيرات والتطورات السياسية، لا سيما الحركات والأحزاب والجماعات التي تشق طريقها عبر ظلمات الأنظمة الحاكمة، التي تتمترس خلف دكتاتورية حاكمة أو تغطي سواتها خلف ظلال ديمقراطية زائفة.

لكن جزءاً من الواقعية الملموسة فرضت نفسها بعقلانية على برامج العديد من الفصائل السياسية والجماعات الإسلامية، لتجعل الحديث جدياً وحيوياً نحو التفاعل مع الديمقراطية رغم إشكالياتها المتعددة، إشكالية المفهوم والتصور، وإشكالية النظرية والتطبيق، هذه الإشكاليات التي تمت مناقشتها بالنسبة للقوى والفصائل السياسية لوضعها في دائرة الضوء، لا سيما حكم الإسلام فيها وطبيعة العلاقة معها، فيما رفض البعض الآخر من الإسلاميين على وجه الخصوص مناقشة المسألة، وتم الاكتفاء بتكفير هذا النهج ومعارضته.

وعلى الصعيد الفلسطيني، حيث التواجد الفصائلي السياسي والجهادي الحي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضية وجذورها ومستقبلها، كان النقاش للديمقراطية جاداً، لأنه جزء من الحياة اليومية والعملية التي فرضت على منظومة العلاقات الفلسطينية - الفلسطينية، حيث المواجهة اليومية للاحتلال الصهيوني، إضافة إلى ضرورة الالتقاء والتحاور ما بين هذه الفصائل والقوى التي تتنافس في العمل السياسي والجهادي والعمل الأهلي والمؤسسي لإثبات نفسها ونشر أفكارها والحفاظ على هويتها.

وإذا كانت الساحة الفلسطينية الأكثر وعياً ورقياً في التعاون والتفاهم المشترك في الإطار الديمقراطي والتعددي، إلا أن ثمة ساحات أخرى لم تستطع أن تجسد هذا الفهم ولم تتمكن من الإقرار ببرنامج سياسي ديمقراطي مشترك، فغاصت في دماء الفتنة والاقتتال الداخلي، وخيم على ساحتها حرب استنزاف طويلة.

وكذا الحال في الساحة الجزائرية والأفغانية وغيرها، تلك التي اتجهت نحو نزوات النفس وفلسفة التفرد، سواء أكان التفرد من قبل الجماعات المشاركة التي رفضت الإقرار بالتعددية واحترام الآخر.. أم من قبل ديكتاتورية حكومات الأنظمة المتسلطة التي عصفت بكل شيء حتى الديمقراطية التي يتذرعون بها، فكانوا سبباً في مأس وحروب وويلات.

إن المشكل القائم اليوم يتمثل في جدلية التعامل مع الديمقراطية من حيث المفهوم والتطبيق، حيث لا زالت توجهات إسلامية تنتظر إلى الديمقراطية على أنها نظام دخيل ليس من الإسلام، فيما

يعاني المؤمنون بها من ازدواجية التطبيق وخلل في الأداء، ويعزون ذلك إلى أسباب سياسية أكثر منها أيديولوجية.

فقد نقل على لسان (وارن كرستوفر) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: "أن من الواجب تعميم الديمقراطية في العالم، إلا أن ثمة استثناءات، حيث للولايات المتحدة مصالح"^١. وهنا تتناقض آخر في المسيرة الديمقراطية الغربية عندما يتعلق الأمر بالإسلام، "فالغرب يصر على أن الإسلام هو سبب تخلف الأمة وعندما وجد أن الإسلاميين يصلون إلى الحكم عن طريق الانتخابات كما حدث في أكثر من قطر عربي وإسلامي، لم يجد بُدّاً من التصريح أن الإسلام والديمقراطية طرفا نقيض"^٢، وأنه محرم على المسلمين استخدام صناديق الاقتراع وممنوع عليهم أن يفكروا في حكم أنفسهم.

ورغم ذلك كانت دعوات الإسلاميين تدفع باتجاه استشراف المستقبل وفق برامج وخطط ثابتة، حيث يرى باحثون إسلاميون: "أن من مشكلات الصحوة الإسلامية أنها لا تتحرك وفق خطط ثابتة ومحكمة تستشرف فيها آفاق المستقبل، بل لا زالت تنطلق بوحى من الخطب الحماسية والطروحات الوعظية، وإن اعتماد الحركة الإسلامية على عاطفة الجماهير وحدها سوف يؤدي مع مرور الوقت إلى ضمور هذه العاطفة وتآكلها حتى إذا أردناها لم نجد لها"^٣.

في هذا المبحث سيتم تسليط الضوء على عدد من الجوانب الهامة المتعلقة بالمنهج الديمقراطي لا سيما موقف الإسلام منه وكذلك موقف الحركات الإسلامية، مروراً بآلية التحول الديمقراطي في فلسطين ودور حماس في هذا الموقف، مع استعراض المواقف والتصورات ومدى انعكاساتها على المستقبل الإسلامي.

^١ - تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥.

^٢ - نفس المرجع، ص ٤٥.

^٣ - الحوار اصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد ابن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٣٥.

المطلب الأول: الديمقراطية وموقف الإسلام منها

يعتبر النظام الديمقراطي لإدارة الأنظمة والحكومات.. أحد أهم الإفرازات الغربية التي صدرتها الحضارة الغربية للعالم الإسلامي عقب تغييب دولة الخلافة الإسلامية على يد الغرب نفسه بقيادة مصطفى كمال أتاتورك.

فقد عرّفها موسوعة السياسة: "بأنها نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدئي المساواة بين المواطنين والمشاركة الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة"^١.

وقد ناقش العديد من العلماء والباحثين المعاصرين الديمقراطية ومكوناتها ما بين معارض ومؤيد، وما بين مآدح وذم لها.. وفيما يلي بيان ذلك :

(١) لقد عرّفها الباحث الإسلامي مصطفى الطحان:

"بأنها نظام يقوم على رعاية حقوق الإنسان والحريات والتعددية السياسية والانتخابات البرلمانية والأحزاب وتعددتها والقبول بالمعارضة وإعطاء المرأة دورها في العملية السياسية واحترام الأقليات الدينية والعرقية ووضعها على قدم المساواة مع الآخرين، والموقف من السلطة وتداولها والتعايش السلمي بين الدول والجماعات والأحزاب..^٢

ورغم أن الإسلام ومن خلال نظامه السياسي في الحكم وإدارة شؤون الحياة وفر للإنسان والمجتمع العدالة المتناهية والحرية في العبادة والفكر والثقافة والعمل وكرامة العيش، إلا أن غياب الإسلام، جعل الناس يرزحون في دهاليز أنظمة كافرة ظالمة، لم ينعموا خلالها بحريتهم الشخصية ولم يأمنوا على أعراضهم وأموالهم.. حيث استباححت هذه الأنظمة الديكتاتورية حرمت الشعوب وأصبحوا مطاردين لهذه الأنظمة لا لشيء إلا لأنهم فكروا أو حاولوا ممارسة البحث عن الحرية ، فقد استنكر كثير من العلماء والدعاة هذا النهج وطالبوا الأمة بتغيير الواقع والتخلي عن نزوات النفس.

(٢) الشيخ سعيد حوى رحمه الله:

تعامل مع روحية الديمقراطية على أرض الواقع وبرز ذلك من خلال كتاباته حيث يقول: "إن السير في المسلمين بعقلية دكتاتورية أو بعقلية عشائرية لا يمكن لعصرنا أن يحتمله، ولهذا لا بدّ للجماعة المسلمة أن توفق بين طاعة مبصرة مطلقة وبين شورى لا تتخلى عنها ولا تتنازل ولا

^١ - موسوعة السياسية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٥١.

^٢ - تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢.

يجوز في دين الله أن تعطل.. وإذا لم تنجح الجماعة بمثل هذا كله فليس أمامها إلا الفشل الذريع في البناء"^١.

ولهذا كان للدكتاتورية الظالمة انعكاساتها السلبية على حياة المسلمين الذين باتوا يبحثون عن أية وسيلة تحفظ عليهم دينهم ومساجدهم وتؤمن لهم حقوقهم بعد عيشهم أكثر من نصف قرن في ظل الأنظمة المادية لا سيما النظام الشيوعي الملحد الذي عم بتياره غالبية الدول العربية والإسلامية من خلال أحزاب لاحقت الدين وأهله.. ومع ذلك سمعنا وقرأنا دعوات حتى من الإسلاميين تجاري الديمقراطية بطريقة غريبة كونهم عايشوا عصور الدكتاتوريات وذاقوا مرارتها.

٣) الباحث مصطفى الطحان^٢:

يتعامل مع الديمقراطية وكأنها قارب النجاة في هذا العصر حيث يقول: "إن الديمقراطية أفضل صيغة ابتكرها العقل الإنساني للإدارة السياسية للمجتمع" لكننا نجده يشترط لها شرطا حيث يقول: "والديمقراطية التي نقبلها ونعتبرها مقابلة للشورى أو ترجمة معاصرة لها هي تلك التي لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً"^٣، ورغم الاختلافات الكثيرة في الفهم إلا أن بعضاً من أهل العلم ناقش الديمقراطية بمنطق المصلحة الشرعية للأمة والتي تقتضي في نظرهم أن يمارسوا الديمقراطية ومشتقاتها وخاصة تلك التي تتعلق بحقوق الإنسان وحياته.

٤) موقف الشيخ القرضاوي من الديمقراطية :

لم يدخل الشيخ القرضاوي في حديثه عن الديمقراطية في تفصيلات فقهية ومقارنات تفصيلية حول نظام الحكم، ولم يربط الديمقراطية بالشورى أو يقارنها بها مقارنة مطلقة كما فعل بعض الكتاب^٤، وإنما كان خطابه تجاه الديمقراطية خطاباً تحليلياً يناقش روحها وانعكاساتها على حرية الإنسان، وقد ناقش ذلك أيضاً من خلال ردود على تساؤلات وجهت له وأجاب عليها في (كتاب فتاوى معاصرة) وكذلك كتاب: من (فقه الدولة في الإسلام) وكتاب: (أولويات الحركة الإسلامية). وقد كان مما قاله الشيخ القرضاوي حول نظريته الواقعية عن الديمقراطية: "إن جوهر الديمقراطية بعيداً عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية، أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس

^١ - دروس في العمل الإسلامي، سعيد حوى، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان -الأردن، ط١، ١٩٨١م، ص ٥١-٥٢.

^٢ - مصطفى الطحان: اخواني سوري هاجر من سوريا فارا بروحه ويعيش منذ سنوات في تركيا وعرف بدراساته النقدية المعارضة لاساسية الاخوان المسلمين في سوريا (انظر : الحركات الاسلامية المعاصرة، كمال الزعبي ، دار الغد العربي - بيروت ، ط٣ ٢٠٠٣م ، ص ٢١٣).

^٣ - تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٧.

^٤ - اعتبر خالد محمد خالد الديمقراطية بانها الإسلام، فكان موقفه مثار جدل ونقاش (انظر : من هنا نبدأ ، الشيخ محمد الغزالي ، دار نهضة مصر ، ط٥ ٢٠٠١م ، ص ١٦٥).

أمرهم، وأن لا يفرض عليهم حاكم يكرهونه أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحق عزله إذا انحرف، وأن لا يُساق الناس إلى اتجاهات أو مناهج اقتصادية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها"^١ ويتساءل القرضاوي بطريقة ناقدة للذين يهاجمون الديمقراطية على إطلاقها والذين يكثرون من الأخذ بها فيقول: "هل الديمقراطية التي تتادي بها شعوب العالم والتي تكافح من أجلها جماهير غفيرة في الشرق والغرب، والتي وصلت إليها بعض الشعوب بعد صراع مرير مع الطغاة، أريقت فيه دماء وسقط فيه ضحايا بالآلاف والملايين، كما في أوروبا الشرقية وغيرها والتي يرى فيها كثير من الإسلاميين الوسيلة المقبولة لكبح جماح الحكم الفردي وتقليص أظافر التسلط السياسي الذي ابتليت به شعوبنا المسلمة.. هل هذه الديمقراطية تعد منكرةً أو كفرًا كما يردد بعض السطحيين المتعجلين"^٢.

ويناقش الشيخ القرضاوي المتسائلين.. بأنه لا مانع شرعاً من اقتباس فكرة نظرية أو حلّ عملي من غير المسلمين، فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب بفكرة (حفر الخندق) وهو أسلوب من أساليب الفرس... وعلى صعيد الحريات وحقوق الشعوب بل على صعيد الصحوّة الإسلامية يرى القرضاوي: أن المعركة الأولى للدعوة والحركة الإسلامية في عصرنا هي معركة الحرية فيجب على كل الغيورين على الإسلام أن يقفوا صفاً واحداً للدعوة إليها والدفاع عنها، فلا غنى ولا بديل لها"^٣، وكثير من الإسلاميين يطالبون بالديمقراطية "شكلاً للحكم وضماناً للحريات وصماماً للأمان من طغيان الحاكم على أن تكون ديمقراطية حقيقية تمثل إرادة الأمة، لا إرادة الحاكم الفرد وجماعته المنتفعين به"^٤، فلا يكفي رفع شعار الديمقراطية في حين تزهق روحها بالسجون وبالسياس وبأحكام الطوارئ التي تلاحق كل ذي رأي حر.

وراداً على القائلين بأن الديمقراطية تعني حكم الشعب للشعب وهذا يخالف مبدأ (الحاكمية لله)، قال الشيخ القرضاوي: "لا يلزم لمن ينادي بالديمقراطية رفض حاكمية الله للبشر، فأكثر الذين ينادون بالديمقراطية لا يخطر هذا ببالهم، وإنما الذي يعنونه ويحرصون عليه هو رفض الدكتاتورية المتسلطة ورفض حكم المستبدين بأمر الشعوب من سلاطين الجور والجبروت.. ومبدأ الحاكمية لله مبدأ إسلامي أصيل قرره جميع الأصوليين في مباحثهم عن الحكم الشرعي، وعن "الحاكم فقد اتفقوا على أن (الحاكم) هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عنه.. فالله تعالى هو الذي يأمر وينهى ويحل ويحرم ويحكم ويشرع"^٥، ويوضح آلية التعامل تجاه الديمقراطية وخاصة على صعيد الاجتهادات والمصالح المؤدية لضمان حماية الشعوب من

^١ - فتاوى معاصرة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٧.

^٢ - نفس المرجع، ص ٦٣٧.

^٣ - نفس المرجع، ص ٦٤٣، ٦٥٠.

^٤ - نفس المرجع، ص ٦٥٠.

^٥ - نفس المرجع، ص ٦٤٤ - ٦٤٥.

المتجبرين فيقول: "إن الإسلام قد سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، ولكنه ترك التفاصيل لاجتهاد المسلمين، وفق أصول دينهم ومصالح دنياهم وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان، وميزة الديمقراطية أنها اهدت خلال كفاحها الطويل مع الظلمة والمستبدين من الأباطرة والملوك والأمراء إلى صيغ ووسائل تعتبر إلى اليوم أمثل الضمانات لحماية الشعوب من تسلط المتجبرين"^١ واختتم القرضاوي حديثه بالقول: "أنا من المطالبين بالديمقراطية بوصفها الوسيلة الميسورة والمنضبطة بتحقيق هدفها في الحياة الكريمة التي نستطيع فيها أن ندعو إلى الله والإسلام، كما نؤمن بها دون أن يزج بنا في ظلمات المعتقلات أو تنصب لنا أعواد المشانق.. وبهذا تقترب الشورى الإسلامية من روح الديمقراطية، وإن شئت قلت، يقترب جوهر الديمقراطية من روح الشورى الإسلامية"^٢.

هذا الموقف يرى فيه كثير من المعارضين للديمقراطية من الإسلاميين أنه غير مضبوط في إطاره الشرعي الدقيق بحيث بالغ الشيخ القرضاوي في مدح الديمقراطية.

٥) موقف الشيخ تقي الدين النبهاني :

يرى الشيخ النبهاني: "أنه من الضرورة أن نتغلب على ما أُلْفئنا من أنواع للنظم ومرتفع عن الواقع وعن جميع أنظمة الحكم الموجودة في العالم ونختار الحكم الإسلامي نظاماً مميزاً ولا نحاول أن نوازنه بباقي أنظمة الحكم ونفسره حسب رغباتنا ليطابق أو يشابه غيره، كلا.. لأننا لا نريد أن نعالج نظام الحكم في الإسلام على حسب مشاكل العصر، بل نريد أن نعالج مشاكل العصر حسب نظام الإسلام.. لأنه هو النظام الصالح"^٣.

ويرى الشيخ النبهاني أن المسلمين بعد الغزو الفكري الذي تعرضوا له استحسنوا بعض الأفكار الغربية، حاولوا اعتناقها أو إضافتها إلى الإسلام رغم تناقضها مع الإسلام، حيث يقول: "وكثير منا يحاول أن يجعل الإسلام ديمقراطياً أو اشتراكياً أو شيوعياً مع أن الإسلام يتناقض مع الديمقراطية كما يتناقض مع الشيوعية، فجعل الإسلام ديمقراطياً أو اشتراكياً، استحساناً لتلك الأفكار هو تأثر بالثقافة الأجنبية وليس انتفاعاً بها، فالفهاء لم ينتفعوا بالثقافات غير الإسلامية ولم يدرسوها، لأن الشريعة الإسلامية نسخت جميع الشرائع، وأمر أصحابها بتركها واتباع شريعة الإسلام، وإن لم يفعلوا ذلك فهم كفار"^٤.

ويرى الكاتب والمفكر منير شفيق أن ما يميز حزب التحرير الإسلامي "هو تركيزه على تصحيح المفاهيم"^٥.

^١ - نفس المرجع، ص ٦٤٣.

^٢ - نفس المرجع، ص ٦٥١.

^٣ - نظام الحكم في الإسلام، تقي الدين النبهاني من منشورات حزب التحرير، القدس، ط ٢، ١٩٥٣، ص ٩.

^٤ - الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني، منشورات حزب التحرير الإسلامي، القدس، ص ٢١٨ - ٢١٩.

^٥ - الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، منير شفيق، دار البراق، تونس، ١٩٨٩م، ص ٣٢.

ويتخذ الشيخ تقي الدين النبهاني موقفه هذا من خلال تفريقه بين نوعين من المعارف والثقافات الأجنبية: العلمية والنظرية، الأولى عالمية يؤخذ وينتفع بها مهما كان مصدرها، أما الثانية ويسمّيها المعارف الثقافية فتتعلق بوجهة النظر عن الحياة وتشمل الفلسفة والسياسة والاقتصاد، فلا يجوز للمسلمين التأثر بها، لأن ذلك يُذهب صفاء الإسلام ويطمس الهوية ويفسد على الإسلام صبغته^١.

وأصدر حزب التحرير الإسلامي كراساً تحت عنوان: (الديمقراطية نظام كفر) ولم يحمل هذا الكراس اسم مؤلف وإنما فقط نُبِت عليه أنه من إصدارات حزب التحرير الإسلامي، حيث ينسب بعض نشطاء الحزب صياغته إلى مسؤول الحزب السابق الشيخ عبد القديم زلوم رحمه الله. وقد أوضح حزب التحرير في هذا الكراس أن الديمقراطية ليست من الإسلام وإنما هي نظام غربي بديل، قام الغرب بتصديره إلى بلاد المسلمين، ويستمد أحكامه وتشريعاته من السلطة التشريعية المكونة من البشر وهذا حرام.. وبناءً على ما تقدم يفتي الحزب بأن هذه الديمقراطية كفر لا يجوز الأخذ بها^٢.

٦) مواقف إسلامية معاصرة حول الديمقراطية :

كثيرون هم الذين تحدثوا عن الحرية والديمقراطية وحاربوا الاستبداد والفساد في الحكم، وقد تعددت الآراء في ذلك، فمنها من دعا إلى استغلال فضاء الديمقراطية وإفرازاتها للتخفيف عن الشعوب المكبوتة، ومنهم من وجد أنها صيغة مقبولة مؤقتة حتى يتمكن المسلمون من إقامة دولتهم، وكانت وجهات النظر هذه تعتمد على محاربة التسلط..

فقد أكد المرحوم الشيخ محمد الغزالي: "إن طغيان الفرد في أمة ما جريمة غليظة وأن الحاكم لا يستمد بقاءه المشروع ولا يستحق ذرة من التأييد، إلا إذا كان معبراً عن روح الجماعة مستقيماً مع أهدافها.. ويرى الشيخ الغزالي أن الديمقراطية الحديثة تُخضع الحاكم برأي الكثرة وتمنع السلطة التشريعية من التدخل في شؤون السلطة التنفيذية المحضة"^٣ ولهذا يبدي الشيخ الغزالي موافقة صريحة على الاستفادة من الديمقراطية في ظل الاستبداد وغياب الحريات ويدعو إلى احترام إنسانية الإنسان في أكثر من موقع.

أما الشيخ الغنوشي فإنه يتبنى ما يسميه الدعوة إلى "استحداث صيغة تجسد أصل الإجماع لممارسة الاجتهاد الاجتماعي تقوم بما تقوم به المجالس النيابية، وتجسد مفهوم السيادة أو السلطة

^١ - مفهوم العدالة الاجتماعية في الفكر الإسلامي المعاصر، احسان سمارة، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، ص١٦٠.

^٢ - انظر: الديمقراطية نظام كفر، اصدار حزب التحرير الإسلامي، بلا ناشر ولا تاريخ نشر.

^٣ - الإسلام والاستبداد السياسي، محمد الغزالي، دار النهضة مصر - القاهرة، ط٢، ص٥٩ - ٦٠.

العليا في الدولة الإسلامية أي تكون لها كلمة الفصل في السياسات العامة والمصالح الكبرى للأمة في إطار سيادة الشريعة"^١.

ويعتبر الشيخ الغنوشي من أكثر المفكرين المعاصرين دعوة للديمقراطية وهو صاحب الدعوة تجاه الدفاع عن الحريات العامة واحترام حقوق الآخرين، لا سيما غير المسلمين أيضا من الذميين، حيث يرى الغنوشي أن الإسلام وفّر حقوق المواطنة الكريمة في ظل الإسلام^٢ ويرى أيضا أن المطلوب من أبناء الصوحة الإسلامية "أن يواصلوا مبادئ الحرية والشورى والديمقراطية بكل أبعادها في أرض الإسلام وأن يتعاونوا مع كل القوى المناهضة للاستبداد والمدافعة عن حقوق الإنسان والديمقراطية من كل ملة داخل العالم الإسلامي وخارجه.. فالاستبداد شر كله وليس هناك من نعمة بعد الهداية أفضل من الحرية"^٣، ويرى الكثير من الدارسين أن أسباب التفاعل هنا بين الديمقراطية وشعوب العالم الثالث وخاصة شعوب العالم الإسلامي يأتي جراء حملات الاستعمار التي تعرضوا لها، والتي تبعت لثورات وانهيارات مكنت عددا من الزعماء والحكام الذين صنعوا بتوجيهات غربية فحكموا بالحديد والنار مما زاد من مأساة الشعوب والتي اكتوت بنيران هذه الأنظمة.

أضف إلى ذلك أن بروز حركة التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر والتي غيرت الكثير من المفاهيم إضافة إلى تبني العديد من الاجتهادات في القضايا المستجدة والمعاصرة دفعت مركز الصوحة الإسلامية مواكبة التطور الديمقراطي والبحث عن آفاق توفر لجيل الصوحة فرجة من الحرية وإبداء الرأي وسماع الرأي الآخر.. الأمر الذي دفع بالكثير من أهل العلم والفقه والفكر أن يتعاملوا مع الديمقراطية بمنطق المصلحة الشرعية.

٧) بين الشورى والديمقراطية :

كثيرون هم الذين خلطوا بين الشورى كمبدأ إسلامي وما بين الديمقراطية كنظام ليبرالي غربي، فبعضهم اعتبر الديمقراطية هي الشورى، فيما أنكر آخرون الديمقراطية من جذورها.. ولكن الكاتب الإسلامي فهمي هويدي ناقش المسألة من باب التفريق ما بين الديمقراطية التي تحوي قيماً إيجابية والإسلام الذي يمثل رسالة دين سماوي يتضمن عبارات ونظماً، فتراه يناقش القضية بمنطق بعيد كل البعد عن المشابهة أو الدمج حيث يرى أن "الإسلام يظلم مرتين، مرة عندما يقارن بالديمقراطية ومرة عندما يقال إنه ضد الديمقراطية، إذ المقارنة بين الاثنين خاطئة

^١ - الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص١١٥ - ١١٦.

^٢ - للمزيد حول الفكرة يراجع في ذلك: حقوق المواطنة.. حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، راشد الغنوشي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية.

^٣ - الحركة الإسلامية ومسألة التغيير، راشد الغنوشي، المركز المغربي للبحوث والترجمة، لندن، ط١، ٢٠٠٠، ص٧، ٨.

والدعاء للتناسي خطيئة، فالمقارنة متعذرة من الناحية المنهجية بين الإسلام الذي هو دين ورسالة تتضمن مبادئ تنظم عباد الله وأخلاقهم ومعاملاتهم وبين الديمقراطية التي هي نظام للحكم وآلية للمشاركة وعنوان محمل بالعديد من القيم الإيجابية^١، ويميل الهويدي في كتاباته الكثيرة إلى ضرورة الاستفادة من فضاء الديمقراطية بما يخدم مستقبل الأمة وصحتها.

ولقد أُسيئ تفسير مفهوم الشورى في الكتابات الغربية، حيث فسرت بأنها مجرد كلام محدود ومحصور بين فئة متنفذة، علماً بأن الشورى في الحقيقة هي عملية تشريعية تلزم السلطة التنفيذية بموجبها بقبول قرارات السلطة التشريعية، كما أنها أمر إلهي، حيث أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعدم اتخاذ القرارات إلا من خلال الشورى (وأمرهم شورى بينهم) "وعليه تعتبر الشورى آلية أساسية وعملية مصيرية بالنسبة لأداء وظيفة الدولة الإسلامية حيث تمثل الشورى العمود الفقري للنظام الإسلامي"^٢، ولذلك يرى الكثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين "ضرورة المبادرة بإقامة المؤسسات المناسبة لتطوير تطبيق وممارسة الشورى في الحكم ويرى بعضهم ذلك ممكننا من خلال تبني فكرة المجالس النيابية أو البرلمانات على أن يكون الانضمام إلى هذه المجالس عبر انتخابات حرة ونزيهة"^٣.

ومن المعايير الأساسية التي تقرر طبيعة ديمقراطية النظام السياسي القائم، حرية اختيار النخبة السياسية التي تشكل الدوائر الحاكمة الثلاث، ولذلك تعتبر السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية من السمات الرئيسية للنظام الديمقراطي الذي تجري فيه عملية الاختيار بحرية تامة، سواء أكان ذلك عبر الاقتراع السري المباشر كما هو الحال في بريطانيا أم بالاقتدار غير المباشر من خلال هيئة انتخابية كما هو الحال في انتخابات الرئاسة الأمريكية.

"ومع أن النظام السياسي في الإسلام يختلف مع النظم الديمقراطية في بعض النواحي الخاصة بمصدر السلطات، إلا أنه يشترك معها في مجموعة من القيم والمبادئ ولذلك ينظر كثير من المفكرين الإسلاميين إلى الديمقراطية في الوقت الحاضر على أنها وسيلة أو آلية يمكن من خلالها الوصول إلى تطبيق الشريعة"^٤ علماً أن السلطة التشريعية في الإسلام لا توضع بشكل مطلق للشعب أو للحكومة.. فالله سبحانه وتعالى هو المهيمن وهو صاحب السلطة العليا وما الناس إلا وكلاء له وهذا هو مقتضى مصطلح الخلافة في المفهوم الإسلامي.

^١ - الإسلام والديمقراطية، فهمي هويدي، مجلة المستقبل العربي - بيروت، السنة الخامسة عشرة، العدد ١٦٦، كانون الأول، ١٩٩٢م، ص ٤.

^٢ - (الإسلام والديمقراطية متعاضان أو متناقضان، حسن العكيم) في: مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي (محرراً)، منظمة ليبرتي للدفاع عن الحريات في العالم الإسلامي، لندن، ط ١، ١٩٩٤، ص ٤١.

^٣ - نفس المرجع، ص ٤٢ (من المفكرين الإسلاميين الذين ايدوا هذه النظرة الدكتور حسن الترابي والدكتور محمد عمارة والمستشار طارق البشري والأستاذ عادل حسين وغيرهم).

^٤ - مرجع سابق، ص ٣٨.

وبذلك يتضح لنا أن الديمقراطية ليست هي الشورى، والعكس كذلك ولا ينبغي أن نبالغ في الإقبال على الديمقراطية من ناحية المدح.. في الوقت الذي نرى فيه شعوب العالم الإسلامي تكتوي بنيران أنظمة تصدر الديمقراطية للعالم أجمع وتدعو إلى تطبيقها.. وتحت مظلة الديمقراطية والمحافظة على حقوق الإنسان ضاعت فلسطين وتم احتلالها ونشريد أهلها.. وتحت المظلة نفسها قُسم العالم الإسلامي وأصبح دولاً وأقليات ، وقد تجسد عصف الديمقراطية والتسلق عليها واستغلالها في تنفيذ السياسات الأمريكية والغربية خلال اجتياح العراق من قبل القوات الأمريكية والغربية وهي تقتل بلا رحمة مئات الآلاف من المسلمين وتدمر المساجد والمدارس والجامعات وتمسح عن وجه الأرض المعالم الحضارية والتراثية والثقافية ، كل ذلك تحت مظلة الديمقراطية ومحاربة الإرهاب المزعوم .. لقد داست الدبابات الأمريكية حضارة الأمة وعراقها التي خلفها الخلفاء والامراء والعلماء .. فأين هي الديمقراطية؟؟.

المطلب الثاني: التيارات الإسلامية وموقفها من الديمقراطية

إن المنتبغ للدراسة يجد أن غالبية التيارات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وكذلك على الساحة الفلسطينية تمارس النهج الديمقراطي سواءً أكانت هذه الممارسة عن قناعة وإيمان بالفكرة أم أنها مرغمة عليها.

وقد شهدت المؤسسات البرلمانية والمجالس البلدية والمحلية وكذلك المؤسسات الأهلية والنقابية في الشارع العربي قوائم المرشحين من الإسلاميين وأنصار التيارات الإسلامية التي خاضت المعارك الانتخابية وحقت الكثير من النتائج والانتصارات، وقد كانت تلك المعارك الانتخابية هي معارك سياسية في غالبها للتعبير عن أفكار وعقائد.

ولعل مدرسة الإخوان المسلمين بكافة تياراتها كانت من أبرز الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة التي تبنت النهج الديمقراطي ممارسة، فدخلت قياداتها البرلمانات ومجالس الشعب والبلديات وأصبح تيار حركة الإخوان المسلمين وما التصق به من جماعات هنا وهناك يشكل القوة السياسية المنافسة في كل نظام أو دولة عربية، وقد كانت نتائج الانتخابات التي تشارك فيها الحركة الإسلامية وتياراتها تؤكد هذه الحقيقة.. "ويرى عدد من قيادات الحركة الإسلامية أنه لولا الإقرار بآليات النظام الديمقراطي المتعلقة بوسيلة الوصول إلى الرأي العام ومخاطبته من خلال المؤسسات الحكومية والأهلية لما تمكنت هذه الحركات أن تكون صاحبة وجود وكيان داخل المجتمعات المعاصرة"¹.

ولهذا نجد أن حركة الإخوان تعاملت مع النهج الديمقراطي كأداة للوصول إلى الكثير من المواقع وخاصة البرلمانية من أجل التعبير عن مواقفها والتتظير إلى أفكارها جنباً إلى جنب مع المطالبة في الحث برلمانياً لتطبيق الشريعة الإسلامية.

ولكن جماعات وتيارات الرفض والمواجهة التي تعاملت مع الأنظمة من منطق كونها أنظمة خارجة عن الملة، رفضت الخيار الديمقراطي واتخذت من أسلوب المواجهة ومحاولات قلب النظام نهجاً، فيما رفضت هذه الجماعات هذا النهج من العمل واعتبرت الفئات المجارية للنظام الديمقراطي، فئات خارجة عن الملة وقد أصاب نهجها وفكرها لوثة، ولهذا تصدت هذه الحركات المناوئة للديمقراطية للحركات والتيارات الإسلامية التي تتبع النهج الديمقراطي وتمارسه على الأرض، معتبرة هذه الحركات ومتهمة إياها بأنها حركات ميّعت الإسلام وطبعته مع النظم الغربية وأفكارها الدخيلة.

ولهذا فإن حزب التحرير الإسلامي المنتشر في العالم العربي وبعض دول العالم الإسلامي، يرفض المشاركة البرلمانية انتخاباً وترشيحاً. كما يرفض أي نوع من الانتخابات حتى ولو كان على صعيد نقابة أطباء أو أقل من ذلك.. لكن هذا الحزب نفسه الذي يرفض هذا النهج

¹ - الإخوان المسلمون والمجالس النيابية، بسام الطاهر، دار الشعلة - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٩١.

الديمقراطي.. هو نفسه الذي يستغل هامش العولمة والانفتاح فيقوم بممارسة عمله بكل حرية في العالم الغربي وخاصة (لندن) على سبيل المثال فيتقدم للنظام الحاكم القائم على الديمقراطية، فيحصل على إذن وفق نظام الغرب ويمارس عمله علناً، كما يؤسس موقعاً إلكترونياً على الشبكة الدولية للإنترنت مستغلاً عصر الانفتاح وعولمة الإعلام وثورة الاتصالات التي تعتبر كلها انفتاحاً للديمقراطية الغربية، فينشر بياناته وكراساته وأدبياته عبر هذا الموقع بدون عرقلة أو معارضة من النظام الديمقراطي الغربي.

ويحصل الحزب أيضاً على ترخيص رسمي لمجلة (الوعي) التي يديرها ثلثة من الشباب الجامعي الملتزم بالحزب في بيروت وتنتشر هذه المجلة على صفحاتها آراء الحزب وأفكاره والكثير من تصورات السياسية والاقتصادية.

وكذا الحال مع تنظيم القاعدة الذي لا يؤمن بالديمقراطية ولا يمارسها، ويرى أن الغرب نظام كافر متسلق على الديمقراطية مستغلاً عقول المسلمين بترويج أفكاره.. وقد صرح أكثر من مسؤول في تنظيم القاعدة أن المعركة بين القاعدة والغرب وحضارته ومنجزاته الحضارية معركة مفاصلة.. (بين فسطاطين، فسط الكفر وفسطاط الإيمان)¹.

ومن الحركات والجماعات الإسلامية التي لا تمارس النهج الديمقراطي الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وكذلك في مصر، تلك الجماعات التي ترى أن لغة الحديث مع الأنظمة لا بد أن تكون بالقوة والدم لإزالة تلك الأنظمة.

وهذا حزب الله في لبنان الذي يتهم بالتطرف والراديكالية جراء عملياته النوعية ضد الإسرائيليين الصهاينة في جنوب لبنان ومن قبلها عملياته ضد المارينز الأمريكيين يمارس عمله الديمقراطي ونشاطاته الميدانية فيرشح أعضاءه للبرلمان اللبناني ويخوض الانتخابات البلدية والنقابية ويؤسس المراكز والمؤسسات الثقافية والإعلامية، يخاطب العالم العربي والإسلامي والدولي عبر فضائيتة (قناة المنار) أو صحفه ومجلاته وأدبياته الكثيرة.

وعلى الصعيد ذاته فإن الحركة السلفية والصوفية ورغم أنها لا تمارس السياسة أصلاً إلا أنها استغلت بحبوحه الانفتاح للتعبير عن الرأي في الكثير من الأماكن فقامت هذه الحركات بفتح مقرات ومراكز لهم وبترخيص رسمي من الأنظمة القائمة، هذا بالإضافة إلى أن بعضهم يجوب العالم تحت مظلة الدعوة إلى الله ضمن إطار الانفتاح الديمقراطي فيما يمارس البعض الآخر نشاطاً مؤسسياً من خلال مؤسسات تم افتتاحها بترخيص وإذن رسمي كما هو الحال مع الجماعات السلفية.

¹ - يظهر ذلك من خلال خطابات وبيانات اسامة ابن لادن وايمن الظواهري عبر الفضائيات والمقابلات الصحفية، لا سيما ما بثته قناة الجزيرة لابن لادن أكثر من مرة.

ورغم هذه المشاركات أو المعارضات في النظام الديمقراطي الغربي وآلياته وما انعكس عنها من أساليب ومناهج تتعلق بالممارسة الفعلية على الأرض إلا أن هناك وجهة نظر تقول، إن الغرب يريد ديمقراطية بحسب المزاج السياسي، الديمقراطية توفر لثقافته وسياسته الانتشار السريع وضرورة التأقلم معها بعيداً عن العقائد والالتزام الديني والخلقي، فهي بالنسبة له غاية ووسيلة ليشبع نزواته وأفكاره وشهواته.

ولهذا شهد العالم العديد من الممارسات الغربية التي تلاحق الحركات الإسلامية العاملة والمستفيدة من نوافذ الديمقراطية الكثيرة وإعلان الحرب عليها تحت مظلة محاربة الإرهاب. ولعل التجربة الديمقراطية في الجزائر كانت المثل الأسوأ والمشهد الأكثر جدلاً، حيث سيطر العسكر على الديمقراطية واستبدلوا بها الدكتاتورية لا لشيء إلا لأنها لم تأت بالتيار الليبرالي العلماني في الجزائر وجاءت بالإسلاميين، ولهذا ألغيت الديمقراطية.

يقول رشيد بن عيسى وهو باحث إسلامي جزائري: "إن تجربة الجزائر تجربة فريدة من نوعها حتى الآن، وتعتبر برهاناً على الحرب التي يشنها الغرب ضد الإسلام، فقد قبل الجزائريون اللعبة الديمقراطية وخاصة أن الجزائر أكثر الدول الإسلامية انفتاحاً، فشعبها يقرأ يومياً آلاف النسخ من جريدة (الليموند) الفرنسية ويستمتع إلى المذيع الفرنسي يومياً ورغم ذلك وفي مثل هذا الوضع تمكن حزب إسلامي من انتزاع اعتراف رسمي به، فمارس العمل السياسي بشكل قانوني وتمكن عبر الاشتراك في الانتخابات من تحقيق فوز ساحق والحصول على ٨٠% من الأصوات ولكن بكل أسف تفتح الحرب الإعلامية على هذا الحزب وهو (جبهة الإنقاذ الإسلامي) ومن ثم يتدخل العسكر ويفسدون كل شيء^١".

لقد بات من المؤكد أن النظام الغربي والأنظمة العربية الدكتاتورية تسعيان إلى دعم النظام الديمقراطي ومراقبته شريطة أن لا يأتي بالإسلاميين داخل أروقة نظم الحكم الرسمية. "وبحسب ما تقدم يؤكد الإسلاميون على ضرورة بيان الاختلاف في المرجعية حيث نتحدث عن الديمقراطية أو الشورى، إذ يرى أنصار الديمقراطية مرجعيتهم في حكم الأغلبية وسيادة الشعب بينما يجدها أنصار الشورى في حكم الشريعة الإسلامية"^٢، لذلك لا يتعامل الإسلاميون مع الديمقراطية كفلسفة أو طريقة حياة أو منهج أو عقيدة ويرى البعض منهم أن غالبية الحركات والجماعات الإسلامية تتعامل مع الديمقراطية من حيث كسب الاعتراف بحقوقهم في تنظيم وجودهم في الحياة وممارستهم العمل السياسي ومشاركتهم في الحكم ويسمى ذلك عند بعضهم بالديمقراطية السياسية.

^١ - (احباط الديمقراطية في الجزائر، رشيد ابن عيسى) في: مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي،

مرجع سابق، ١٩٢-١٩٣.

^٢ - التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، ص ٣٤٢.

وتبقى الأزمة بين الديمقراطية والأنظمة الحاكمة، بل بين الديمقراطية والجماعات الإسلامية في الجانب العملي وليس النظري، فكثيرون هم الذين يتسلقون على الديمقراطية ويعصفون بها تحت أقدام العسكر، لأن المعركة بالنسبة لهم لا زالت قائمة بين فكرتين: الفكرة الإسلامية المتجذرة من العقيدة، والفكرة الغربية المنحدرة من أصول عقدية أوروبية متطرفة، لهذا يشعر المسلم في العالم أنه مستهدف تحت مظلة الأنظمة كلها دكتاتورية أو ديمقراطية لا لزوم لها.

المطلب الثالث: الإسلاميون والتحول الديمقراطي في فلسطين

لا تختلف الساحة الفلسطينية عن الساحة العربية والإسلامية من الناحية الاجتماعية والسياسية تجاه التعامل مع الواقع الديمقراطي لكنها تتميز بأنها ساحة لا زالت تعيش مواجهة دامية مع الاحتلال الصهيوني ولهذا اقتضى الأمر أن تتمحور كل الجهود تجاه التجذير والبناء الوطني فلو تحدثنا عن التعامل الديمقراطي في فلسطين المحتلة فإننا نجد مبتوراً غير متواصل بسبب سياسات الاحتلال التي اجتاحت المدن وفرضت نفسها بقوة الحديد والنار.

رغم ذلك كانت القراءة الدقيقة لواقع الإسلاميين في فلسطين تشير إلى عدم استيعاب الآخر اليساري والعلماني الفلسطيني حتى بداية الثمانينيات وكانت وطأة الصراع ترتفع وتخفض ما بين التيار الإسلامي والتيار العلماني واليساري، حيث شهدت الجامعات الفلسطينية صوراً مؤلمة لصراع جدي بين فصائل العمل الطلابي المتمثلة في تيار الإخوان المسلمين وتيار منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت أحداث جامعة النجاح الدموية في ١٩/٩/١٩ حدث الأبرز حيث نقل العشرات من الطلبة والمدرسين إلى المستشفيات جراء تلك الأحداث فيما اتهم التيار الوطني العلماني أن أنصار التيار الإسلامي قاموا بإلقاء أحد المدرسين الجامعيين من أحد الطوابق المرتفعة في الوقت الذي أنكر فيه الإسلاميون^١ ذلك وكانت هذه الأحداث قد سبقت بأحداث مؤلمة أيضاً في جامعة بير زيت والتي جرت يوم ١٩٨٣/٦/٤ حيث حوشر عدد من الطلبة والطالبات الإسلاميين داخل الحرم القديم للجامعة ورفضت القوى الطلابية العلمانية السماح لهم بالخروج إلا بطريقة مذلة كما قال أنصار الكتلة الإسلامية^٢ وشكلت لهذه الأحداث لجنة تحقيق عليا فلسطينية شاركت فيها شخصيات فلسطينية وطنية وإسلامية مرموقة لإنهاء آثارها، هذه الفترة كانت الأسوأ في تاريخ العلاقات الوطنية الإسلامية التي لم تكن تجري تحت أية مظلة ديمقراطية تحترم الرأي الآخر.

وبعد انطلاقة الانتفاضة ١٩٨٧م وبروز حماس كحركة منظمة تشارك وتقود في الانتفاضة جنباً إلى جنب مع القيادة الوطنية الموحدة الممثلة لتيار منظمة التحرير الفلسطينية، برزت آلية تفاهم وأصبحت واقعا ملموساً على الأرض يتمثل في بدايات عمل جماهيري متفاهم على الأقل استمر عدة سنوات، كانت تشوبه بين الفينة والأخرى بعض الشوائب، وفي هذه المرحلة برز التنافس أكثر وضوحاً على صعيد المؤسسات الوطنية والإسلامية التي كانت أكثر وضوحاً للتحول الديمقراطي الفلسطيني، حيث المنافسة الديمقراطية الحرة دون منازعات أو مشاحنات.

^١ - لقد حصلت على هذه المعلومات من مقابلات مع عدد من المعتقلين من التيارين الإسلامي والوطني الذين كانوا شهود عيان على تلك الأحداث ، حيث تم لقاءهم في معتقل عوفر العسكري الصهيوني بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٩م حيث كان الباحث معتقلاً في السجن نفسه.

^٢ - مقابلة مع رئيس الكتلة الإسلامية في جامعة بير زيت بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١١م والذي رفض الكشف عن اسمه لدواعي أمنيته .

وتجلى الاستيعاب للآخر في ما بين التيارات العاملة على الساحة الفلسطينية بعد انتفاضة الأقصى التي تفجرت أواخر عام ٢٠٠٠م هذه الانتفاضة التي تجسد فيها روح العمل السياسي الجماهيري المشترك والتي لم تشهد أي تنافس قط تجاه العمل الميداني في ظل الانتفاضة ويعود السبب في ذلك للتفاهات المشتركة بين كافة الأطراف ضمن منظومات العمل عبر اللجان الوطنية والإسلامية المعبرة والممثلة لكافة الفصائل الفلسطينية.

هذا التحول الديمقراطي الفلسطيني لم تساهم في تفعيله من الحركات والتيارات الإسلامية سوى حركتي حماس والجihad الإسلامي وما سوى هذه الحركات من الأحزاب والجماعات الإسلامية الأخرى لم تشارك في الحياة الفلسطينية الديمقراطية ولم تساهم في تقدمها بل كانت تقف موقف المتفرج الناقد.. إضافة إلى انشغالها بقضايا جانبية.

وقد انشغلت جماعة التبليغ والدعوة في أساليبها التقليدية المعتادة المتمثلة في منهجية الوعظ والإرشاد والخروج خارج الوطن لدعوة الضالين في الوقت الذي لم يهتما ولو لحظة واحدة واقع الشعب الفلسطيني المعذب الذي يتعرض للإبادة وتصادر أرضه وتتهب مقدراته من قبل جيش الاحتلال الغادر.

وكذا الحال مع الحركة السلفية الفلسطينية التي نشرت العديد من المراكز الدعوية لها في قطاع غزة وقليلية والخليل والقدس والتي تفرغت لإعداد النشرات الدعوية والتركيز على دعوة الأمة نحو الالتزام بمنهج السلف وتصحيح منهجهم العقدي، ومحاربتهم للبدع كل ذلك كان بعيداً كل البعد عن أي نوع من الممارسة الفاعلة تجاه الانتفاضة أو المستقبل الفلسطيني الذي يتطلب سماع الرأي والرأي الآخر من أجل الوصول إلى صيغة مشتركة بين جميع وجهات النظر في الشعب الفلسطيني لحمايته وصون دمه.

ولم يكن حال حزب التحرير الإسلامي أفضل بكثير ولا بقليل هذا الحزب الذي تعامل أصلاً مع الديمقراطية على أنها نظام كفر ولا يبالي بأي تحول أو تطور لها في واقع المجتمعات العربية والإسلامية، بل يعيب على المسلمين التقرب منها.

وكثيراً ما كانت حركة حماس وغيرها تتعرض للنقد والهمز واللمز من قبل حزب التحرير الإسلامي كونها تؤمن بالتعددية السياسية والتحول الديمقراطي والمشاركة السياسية الفاعلة في المجتمعات المعاصرة.

ولعل أخطر تحول في تاريخ الشعب الفلسطيني تمثل في فرض مشاريع واتفاقيات وتنازلات سياسية على هذا الشعب دون أن يستشار بها، ولم يجر في تاريخ الديمقراطية المعاصرة وكافة تحولاتها أن يفرض اتجاه أو حزب أو جماعة داخل أي شعب من شعوب الأرض أو داخل شعب معين تصوراً سياسياً معيناً دون أن يستشار به الشعب نفسه أو يعرض عليه شيء من الأمر.

وقد حاول الاحتلال الصهيوني مراراً أن يروج للكثير من هذه الأطروحات والشعب الفلسطيني يرفضها بكل كبرياء فقد طرح عليهم مشروع الحكم الذاتي المرفق بمعاهدة (كامب

ديفيد) الأولى عام ١٩٨١م، وعرض عليه مشروع شامير عام ١٩٨٨م كما عرض عليه أيضاً مشروع النقاط المصرية العشر عام ١٩٨٩م ومشروع (بيكر) عام ١٩٨٩م، وكان الشعب الفلسطيني يجدد رفضه لكل هذه المشاريع بدم أنبائه من خلال انتفاضات ومواجهات.

وجاء مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م وتبع ذلك اتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣م وكذلك اتفاقيات القاهرة عام ١٩٩٤م، وتم التوقيع من قبل منظمة التحرير الفلسطينية أو قل التيار المتنفذ فيها دون أن يستشار الشعب الفلسطيني ودون أن يكون لهذا الشعب قيادة منتخبة قبل عملية التوقيع، بل تم إسقاط هذه الاتفاقيات بخيرها وشرها على الشعب الفلسطيني مرغماً دون أن يستشار فيها.

عارضت الحركات والجماعات الإسلامية هذه الاتفاقيات كما عارضتها منظمات فلسطينية داخل منظمة التحرير، ولكن سرعان ما تحولت هذه الاتفاقيات إلى واقع ملموس على الأرض من خلال سلطة فلسطينية بقيادة التيار المتنفذ في منظمة التحرير الفلسطينية، رغم معارضة الحركة الإسلامية بكل تياراتها إضافة إلى معارضة في قطاع كبير من الشعب الفلسطيني الذي يعيش في الشتات وقد تم هذا التحول بحماية ورعاية أمريكية وأوروبية وموافقة صهيونية.

ولم يكن الشعب الفلسطيني جزءاً من هذه المعادلة، بل لم يطرح عليه استبيان واحد لأخذ رأيه فيما يجري، وتم كل ذلك تحت إطار فهم ديمقراطي بعيد كل البعد عن الديمقراطية الحقة.

بعد ترسيخ هذه الاتفاقيات والتوقيع عليها وعودة عشرات الآلاف من العائدين الفلسطينيين وقوات منظمة التحرير وكذلك رئيس المنظمة ياسر عرفات، دعت السلطة الجديدة إلى انتخابات عامة تشريعية وكان يقصد منها البت في اتخاذ الشرعية الشكلية لكل ما جرى وليس البحث عن التعددية السياسية وبناء الواقع الفلسطيني المشترك، "وأدركت حماس منذ وقت مبكر أن فكرة إجراء انتخابات في الأرض الفلسطينية المحتلة تمسها مساً مباشراً وأن لها علاقة عضوية بمسألة الشرعية التنفيذية التي قالت المنظمة أنها تمتلكها وتتفرد بها" ومع ذلك قاطعت حركة حماس الانتخابات رسمياً وأعلنت ذلك في بيان مركزي موضحة الأسباب والمبررات لذلك.

رغم هذا الموقف استحسن بعض قيادات حماس هذه الانتخابات وأرادوا أن يشاركوا فيها منفردين، حيث رشح كل من: إسماعيل هنية، خالد الهندي، وسعيد النمروطي أنفسهم كمستقلين، إلا أن الحركة رفضت ذلك وطلبت منهم الانسحاب خشية تسببهم في التباس وإحراج للحركة أمام جماهيرها^٢، لكن وجهة نظر حماس الرسمية تمثلت في "عدم المشاركة في هذه الانتخابات"^٣ لعدم إضفاء الشرعية على اتفاقيات أوسلو التي تراها حماس غير شرعية ولا مصلحة للشعب فيها.

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

^٢ - لقد اصدرت حماس بياناً قبل الانتخابات بخصوص ترشيح الأشخاص الثلاث مؤكدة أن قرارهم كان قراراً ذاتياً لا يمثل حماس وصدر البيان بتاريخ ١٩/٣/١٩٩٥م.

^٣ - بيان حماس ١٩/١١/١٩٩٥م بعنوان: بيان هام صادر عن حماس بشأن انتخابات الحكم الذاتي المحدود.

المطلب الرابع: حماس وممارسة العمل الديمقراطي

أعد الشيخ جمال منصور أحد أبرز قيادات حماس في الضفة الغربية رحمه الله دراسة قيمة حول التحول الديمقراطي وموقع حماس من هذا التحول مشيراً أن حركته تتقاطع مع أي مشروع يحقق لها الحضور وإبداء الرأي، وقال منصور في دراسته هذه^١: "مع تأكيدنا وتميزنا من خلال خصوبة الإسلام في نظام الحكم، فلا بد من الانتفاع بكل إنجاز إنساني ينظر بإيجابية إلى الديمقراطية"^٢.

مارست حماس دورها في هذا المنعطف، ورغم كل الإشكالات بالخروج بالشعب الفلسطيني من مأزقه كما ترى، ولم تحصر مشاركتها في الميدان العملي في الانتفاضة ولا في التنسيق الوطني الفلسطيني فصائلياً وإنما أعلنت الحركة بوضوح وامتداداً لفكر الإخوان المسلمين أن الحركة مع "التداول السلمي للسلطة بشكل مفتوح"^٣ حيث عبّر قادة حماس في أكثر من موقع وتصريح عن التزامهم بخيار الشعب مهما كان الأمر امتداداً لموقف حركة الإخوان نفسها التي تؤمن بنفس النهج.

وكانت حماس حريصة ألا تصادم الواقع المفروض من قبل منظمة التحرير الفلسطينية والمنسق أمريكي وأوروبياً، حتى لا تتقل الشعب الفلسطيني من ساحة المواجهة مع الاحتلال إلى ساحة مواجهة داخلية بين أبناء الشعب نفسه.. ورغم ذلك الصمت والمعارضة الهادئة المبنية على الاحترام المتبادل.. كان العصف بالديمقراطية عندما أقدمت السلطة على اعتقال رموز حماس والزج بهم في السجون والمعتقلات الفلسطينية والحكم عليهم من خلال محكمة أمن الدولة بأحكام عالية دون مرافعات قانونية كانت هذه المحاكم تجري في جنح الظلام بعيدة كل البعد عن العدالة ومنطقية الأسس القانونية بل تعرّض أعضاء حماس قيادات وعناصر للتعذيب والحجز أحياناً كثيرة دون محاكمة لمدد تصل إلى خمس سنوات أو أكثر مما عكر صفو العلاقات الوطنية الإسلامية التي كان من المفترض أن يحافظ عليها من أجل المستقبل الفلسطيني المشترك.

افتقدت السلطة الفلسطينية لمؤسسة القضاء العادل رغم وجود وزارة للعدل ومحاكم وقضاء وغير ذلك من مستلزمات مؤسسة القانون إلا أن أجهزة الأمن الفلسطينية إضافة إلى أجهزة القضاء كانت تربط كل قضية حقوقية بشخص الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

^١ - تعتبر دراسة الشيخ الشهيد جمال منصور رحمه الله والتي أعدها بعنوان، (التحول الديمقراطي الفلسطيني - وجهة نظر إسلامية) والصادرة عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية في نابلس من أوفى الدراسات المتعلقة بموقف حماس والحركة الإسلامية من الديمقراطية.

^٢ - التحول الديمقراطي، مرجع سابق، ص ١٦.

^٣ - نفس المرجع، ص ٢٤.

لقد أصدرت محكمة العدل العليا الفلسطينية قرارات بالإفراج عن عدد من المعتقلين السياسيين لعدم وجود لوائح اتهام ضدهم وأسباب قانونية تسمح للاستمرار باعتقالهم إلا أنه لم يتم الإفراج عن هؤلاء رغم قرار محكمة العدل العليا بالإفراج عنهم^١ حيث كانت إجابات أجهزة الأمن الفلسطينية دائماً أن هؤلاء معتقلين على ذمة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

هذه الحوادث وغيرها عكرت العلاقات السياسية بين المعارضة الفلسطينية والسلطة وجعلت الديمقراطية في ظل هذه السلطة وسيلة وليست غاية ، ينادى بها حسب الأهواء والمصلحة الخاصة بالسلطة الفلسطينية وليس مصلحة الشعب .

ورغم هذا العصف الحقوقي بمقدرات الشعب الفلسطيني وعدم وجود نظام مؤسسي يُخضع الحاكم والمسئول للمساءلة كما يحصل في دول العالم الأول، إلا أن حماس كما تقول في أدبياتها أن لديها الاستعداد أن تحاور الجميع على قاعدة التغيير نحو الأصوب في المجتمع الفلسطيني، ولديها القابلية أن تستمع للرأي الآخر بكل رحابة صدر حتى ولو كان هذا الرأي يخالف رأيها، ولهذا شاركت في عدة حوارات ونقاشات مع السلطة للتوصل إلى قواسم مشتركة نحو عيش مشترك^٢.

ورغم أن تلك الحوارات لم تخرج بأية نتيجة ورغم حرص السلطة في الضغط على حماس لإنهاء أعمالها العسكرية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م حتى تتمكن السلطة من العودة إلى طاولة المفاوضات واستعادة عافيتها كما تقول أدركت قيادات بارزة في السلطة أنه بدون الجلوس والتحاور مع حماس على طاولة الحوار والوصول إلى قواسم مشتركة لن يستوي الأمر ولن تهدأ المنطقة.

وكانت حماس قد أدركت في أكثر من لقاء وحوار أنها مع البناء الوطني واعتماد سيادة القانون لنشر العدالة في المجتمع على أساس من الشريعة الغراء.. "فقد ثمنت حماس ما ورد في قانون الانتخابات الفلسطينية لعام ١٩٩٥م، وكذلك القانون الأساسي على مبدأ اعتماد السيادة الشعبية أي أن الشعب هو مصدر السلطات، وقد أكدت عدم ممانعتها في اعتماد ذلك شريطة أن يكون ذلك في ضوء الإسلام مع الاشتراط أيضاً عدم امتداد فعل هذه السيادة إلى حق مصادمة

^١ - لقد صدرت قرارات من محكمة العدل العليا الفلسطينية بالإفراج عن قيادات سياسية مختلفة من حماس والشعبية وغيرهم، مثل الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشيوخ محمد جمال الننتشة والدكتور عبد الستار قاسم وأحمد سعدات وغيرهم إلا أنها لم تنفذ (انظر: بيان المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان الصادر بتاريخ ١٦/٥/١٩٩٨م، وبيان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الصادر بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٤م الذي يطالب السلطة بالإفراج عن سعدات).

^٢ - انظر: محضر حوار حماس مع الفصائل الفلسطينية لمناقشة المبادرة المصرية في القاهرة ٢٣/١/٢٠٠٣م، والمرفقة في قائمة الملاحق.

القواعد الأساسية والأحكام القطعية للشريعة، وهذا ما يعترف به مشروع القانون الأساسي من خلال اعتبار الإسلام الدين الرسمي ومبادئ الشريعة مصدراً أساسياً للتشريع"^١.

وإذا كانت حماس قد قاطعت الانتخابات التشريعية السابقة التي تمت عام ١٩٩٥م خشية من اعتبار مشاركتها مصادقة على الاتفاقيات المبرمة في تلك اللحظة، فإنها أعلنت موافقتها على المشاركة الفاعلة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية القادمة .

وهناك أصوات داخل حماس لا زالت تتادي بضرورة التغيير من داخل السلطة والمساهمة الفاعلة في البناء الوطني الداخلي، لكن هناك أصوات أخرى ترى أن عملية المشاركة الديمقراطية والدخول في انتخابات السلطة لن تقدم شيئاً جديداً خاصة وأن السلطة تدار ضمن قيادة الرجل الواحد هذا بالإضافة إلى أن السقف الأعلى في السلطة لن يتعدى اتفاقيات أوسلو الموقع عليها.

^١ - التحول الديمقراطي، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥ (بتصرف)

المبحث الثالث: حماس ودورها في العمل الأهلي والاجتماعي

تمهيد:

يعتبر العمل الأهلي والاجتماعي في فلسطين من أهم الميادين التي تلتصق بالمجتمع مباشرة وتحاكي متطلبات الإنسان الفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال ، والذي يتعرض للضغط على رزقه وحياته من قبل الاحتلال وخاصة عقب كل حدث عسكري، حيث تقوم هذه السلطات بإغلاق المدن والقرى الفلسطينية ومنع خروج سكان هذه المدن منها، لا سيما العمال الذين يحصلون على قوت عيالهم وأطفالهم يوماً بيوم مما تؤدي عملية الإغلاق هذه إلى تردي الوضع الاقتصادي وخاصة في صفوف الطبقة العمالية المعدمة التي إن لم تمارس عملها يومياً فإنها لن تستطيع أن توفر طعام أسرتها في ذلك اليوم.

كل ذلك دفع بالحركات والفصائل والجماعات الفلسطينية أن تعطي اهتماماً كبيراً في تطوير العمل الاجتماعي من أجل خدمة هذا الإنسان المعذب الذي يتعرض للضغط الاجتماعي جراء سياسات الاحتلال.

من هذا المنطلق عملت حركة حماس وامتداداً لجماعة الإخوان المسلمين الأم على تنمية هذا القطاع والاهتمام به اهتماماً مميزاً وركزت على هذا اللون الإنساني والاجتماعي، بل جذرت الحركة العشرات من المؤسسات الاجتماعية الجديدة وطورت بقية المؤسسات القائمة فباشرت عملها الميداني بتفان من أجل تقديم الخدمة الاجتماعية والإنسانية للمجتمع الفلسطيني مما جعلها مسار اهتمام كل المراقبين ، وقد حققت حماس من خلال ذلك ثلاثة أهداف :

الأول: إرضاء الله سبحانه وتعالى من خلال مساعدة الفقراء والمساكين .

الثاني: توفير ما يحتاجه الفقراء والمساكين والعوائل المستورة والأسرة المحتاجة وهذا بدوره يغطي فراغاً اجتماعياً تقتضيه الضرورة داخل المجتمع الفلسطيني .

الثالث: اكتسبت حماس بعداً سياسياً من خلال خدمة هذه الطبقة داخل المجتمع الفلسطيني هذا المجتمع الذي أصبح جزء منه يميل في انتمائه وتقربه إلى حركة حماس ولو نفسياً ، في الوقت الذي لم يجد هذا الجزء سوى مؤسسات هذه الحركة تقدم له هذا النوع من الخدمة بإخلاص وتقاني وصدق.

وقد استطاعت حماس ومن خلال رموزها الاجتماعيين أن تؤسس شبكة من المؤسسات الأهلية الخيرية الإنسانية والعلاقات الاجتماعية والامتداد الجماهيري في كافة المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية وتكون ذات فعالية عالية ومصادقية بحيث تمكنت من اختطاف قلوب كافة المعوزين والمحتاجين الذين كانوا يجدون ضالتهم من خلال عطاء هذه المؤسسات ونتائج أعمالها الخيرية في ظل الظروف الصعبة.

رغم أن هذه المؤسسات هي مؤسسات اجتماعية رسمية مسجلة في وزارة الشؤون الاجتماعية وتنص في أنظمتها الداخلية على عدم ممارسة العمل السياسي والانتماء السياسي أو الطائفي إلا أنها أصبحت مصنفة ومفروزة على الاتجاهات السياسية من خلال انتماء الأشخاص القائمين على إدارتها وقوائم الكتل التي تبرز من خلال الانتخابات، مما جعلها مصنفة ضمناً على الاتجاهات السياسية العاملة في الساحة الفلسطينية.

وإن كانت حماس تحرص كل الحرص على هذا النوع من المؤسسات فإن السبب في ذلك يعود إلى حاجة المجتمع لها ومدى تأثير هذه المؤسسات على الطبقة الوسطى إضافة إلى تجذير حالة من الأخوة الإنسانية والبناء الاجتماعي الإنساني الذي يدعو الإنسان للاهتمام بأخيه الإنسان، وكون حماس حركة إسلامية تنطلق من الإسلام كدين ومنهاج حياة فإنها كانت من السباقيين لهذا النهج.

ولأن حماس تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى طالب المسلمين والمؤمنين بأن يتعاون فيما بينهم من خلال قوله تعالى: (..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..)^١، جعلت جُلَّ اهتمامها إنجاح هذا المشروع التعاوني الإنساني الذي له نتائج مزدوجة في الدنيا والآخرة.

ولعب الجانب السياسي دوراً هاماً وبارزاً في مسيرة العمل الأهلي والاجتماعي، بحيث أصبحت هذه المؤسسات الخيرية هي الواجهة السياسية والمقرات غير الرسمية لهذا الفصائل لا سيما حماس التي تشرف على كم هائل وكبير من هذه المؤسسات، مما أوجد لها موطئ قدم في المجتمع تنطلق من خلاله وتلتقي مع الآخرين بل تقوم بتوجيه المجتمع إسلامياً واجتماعياً وسياسياً من خلال هذه المؤسسات، فيما رأى البعض أن هذا الأمر انعكس سلباً على المؤسسات نفسها من خلال تسييسها ووضعها في دائرة الضوء السياسي مما عكّر عليها وعلى استمرارها في ظل الهجمة العالمية على المؤسسات الإسلامية وخاصة الخيرية والأهلية التي أصبح يُنظر إليها على أنها مصدر التمويل والتوجيه للمنظمات والحركات الإسلامية المقاومة.

ولا زال العمل الاجتماعي والأهلي يتعرض إلى حملة مواجهة وملاحقة جراء السياسات الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي تستهدف تجفيف منابع لهذه المؤسسات انطلاقاً من التفاهم الدولي المشترك الذي اتفق عليه في ظل الرئيس الأمريكي بيل كلنتون الذي أشرف بنفسه على مؤتمر شرم الشيخ الدولي الذي انعقد عام ١٩٩٦م، وانتهاء بالضغط الأمريكي العام على العمل الإسلامي والجماعات الإسلامية والحركات المجاهدة ومؤسساتها الخيرية والأهلية بعد تدمير برج مركز التجارة العالمي وملاحقة هذه الجماعات وفي مقدمتها تنظيم القاعدة.

^١ - المائدة: الآية ٢.

المطلب الأول: العمل الأهلي ودوره في تنمية الصحوة الإسلامية

تركز العمل الأهلي والاجتماعي ضمن دوائر هامة تعالج القضايا الاجتماعية والتربوية والإسلامية العقدية، هذه الدوائر التي كانت رافداً هاماً في تنمية الصحوة الإسلامية باستمرار تصاعد مؤشرها البياني تناعماً بل امتداداً للنشاط العالمي لهذه الصحوة الذي طال كافة دول العالم لا سيما دول العالم العربي والغربي.

وقد تمحورت فلسفة وسياسة العمل الأهلي الاجتماعي في فلسطين على النحو الآتي:

- (١) تأسيس وبناء وتجذير الجمعيات الخيرية ولجان الزكاة والصدقات.
 - (٢) الإشراف على شبكة من مدارس رياض الأطفال والمدارس الأساسية والمدارس الشرعية وتأسيس الكليات الجامعية والجامعات والمراكز الثقافية.
 - (٣) الاهتمام بالنوادي والمراكز الشبابية.
 - (٤) بناء المساجد والمراكز الإسلامية ودور القرآن الكريم.
- وقد كان لهذه المحاور الأثر الكبير في تطور ونمو العمل الاجتماعي والأهلي في فلسطين المحتلة جراء حالة التردي الاقتصادي التي تعيشها كامل الأراضي الفلسطينية بسبب تراكمات سياسات الاحتلال والتي ترتفع في ظلها معدلات سلم الفقر بسبب الدخل المحدود وانتشار البطالة وقلة الموارد ومثل ذلك^١، حيث كان لهذه الجمعيات والمؤسسات الأثر الكبير في تخفيف حاجة الناس والعناية بهم حيث أصبحت بعض الأسر تعتمد اعتماداً كبيراً على دعم هذه المؤسسات.
- ولأن المؤسسين لهذه المؤسسات والجمعيات كانوا في الغالب من العلماء والشيوخ والدعاة فقد أضفوا على هذه المؤسسات طابعاً دينياً وإسلامياً خاصةً أن كل مؤسسة تقوم على نظام داخلي وأساسي ينظم عمل هذه المؤسسة ويرسم مسارها فكانت غالبية النظم الأساسية لهذه المؤسسات تحوي عبارة (نشر الوعي الإسلامي)، فتحت هذا البند كانت هذه الجمعيات تشرف على مسار الصحوة الإسلامية ودعمها وتطويرها من خلال توفير المال لها والدعاية الإعلامية أو توفير المكان والقاعات المناسبة للنشاطات الإسلامية التي كانت الجماهير تتدفق نحوها لملء فراغ طالما الاحتلال أوجده خلال عشرات السنين.

وقد كان واضحاً أن هذه المؤسسات رتبت أجندة تاريخية للقيام باحتفالات جماهيرية بمناسبات إسلامية عدة فعلى سبيل المثال: كانت الحركة الإسلامية في مدينة نابلس تقيم احتفالاً جماهيرياً في الملعب البلدي بمناسبة المولد النبوي الشريف حيث يتم إقامة هذا الاحتفال بالترتيب مع جمعية

^١ - تشير سجلات لجان الزكاة في الضفة الغربية وقطاع غزة على ارتفاع نسبة الفقر وخاصة في القطاع بعد انطلاق الإنتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م بسبب ارتفاع نسبة البطالة وانقطاع العمال عن العمل كما أكدت ذلك احصاءات دائرة الاحصاء المركزية التي صدرت في الاعوام ١٩٩٨م و ١٩٩٩م والتي تشير إلى تدني نسبة مستوى الفقر في المجتمع الفلسطيني حيث زادت عن ٥٦%.

التضامن الإسلامي ولجنة الزكاة ولجان المساجد ورابطة علماء فلسطين حيث تشرف مجتمعياً ومن خلال قيادات الميدان التي تضم المئات من شباب الحركة الإسلامية على ترتيب هذا الاحتفال السنوي الذي كان يحضره عشرات الآلاف من المتعطشين للصحة الإسلامية.

يقول الشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين: "إن الصحة الإسلامية كانت ولا تزال هي بارقة الأمل للشعب الفلسطيني الذي يبحث عن الحرية والتخلص من الاحتلال وإن هذه الصحة ارتفعت وتيرتها وزاد الإقبال عليها جراء مصداقية الشعب الفلسطيني المسلم الذي استطاع أن يوجهها توجيهها سليماً وصحيحاً من خلال مساجده ومؤسساته الخيرية والاجتماعية ودعائه المخلصين"¹.

وقد تمكنت الحركة الإسلامية في فلسطين وقبل تأسيس حماس من استغلال هذه النشاطات الجماهيرية لتهيئة الرأي العام الفلسطيني لمرحلة سياسية جديدة قد تحتاج منهم أن يقدموا لها الكثير.

وكان خطاب الحركة في تلك المرحلة بعيداً عن الرسمية السياسية والعلنية الواضحة خشية من الملاحقة الأمنية من قبل سلطات الاحتلال وكثيراً ما كانت توجه الدعوات لهذه الاحتفالات وغيرها باسم المؤسسة الخيرية تلك أو شباب المساجد في منطقة كذا ولكن في الاحتفالات الكبرى والحاشدة كانت توجه رفاق الدعوة باسم المؤسسات الخيرية الإسلامية.

كما كانت تقام ومن خلال المؤسسات الخيرية هذه لقاءات ومحاضرات وندوات ومهرجانات بمناسبة ذكريات هامة مثل فتح مكة أو غزوة بدر الكبرى أو معركة حطين وغيرها من الذكريات الإسلامية التي كان يقصد بها إثارة الحمية تجاه الجهاد وأهميته وأثره في تاريخ الأمة الإسلامية، والتركيز على ضرورة المواجهة والمقاومة للاحتلال كل ذلك أدى بدوره إلى تنمية الصحة الإسلامية وزيادة المقبلين على المساجد.

وقد لعب اهتمام المؤسسات الإسلامية والجمعيات الخيرية بتأسيس مدارس تربوية تهتم بالفرد المسلم في تصاعد المد الإسلامي وانتشار التدين وقد أشرفت هذه المؤسسات على شبكة من المدارس الخاصة ورياض الأطفال والمدارس الشرعية التي كان لها الأثر الكبير في إعداد وتربية جيل الصحة الإسلامية واحتضانه، فقد تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل عام ١٩٦١م لرعاية الأيتام وأسست لهذا الشأن بيت الخليل الخيري للأيتام واليتيمات فيما قامت الجمعية الخيرية نفسها بتأسيس مدرسة شرعية تضم في جنباتها نحو ألف طالب يتلقون تعليمهم الرسمي من الصف الأول الأساسي وحتى الثاني عشر وتقوم هذه المدرسة بتقديم المنهاج الشرعي المكثف عن الدين الإسلامي لطلبة القسم الشرعي كما قامت الجمعية نفسها بتأسيس مدرسة شرعية للبنات بكافة المراحل التربوية.

¹ - من مقابلة خاصة مع الشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٢م.

وفي الخليل أيضا أشرفت جمعية الشبان المسلمين على شبكة من مدارس رياض الأطفال أضافت إليها في السنوات الأخيرة مدرسة للتعليم الأساسي.

وفي بيت لحم أسست الجمعية الخيرية الإسلامية عددا من رياض الأطفال ومدارس إسلامية نموذجية واحدة للذكور وأخرى للإناث وفي مدينة نابلس أسست جمعية التضامن الإسلامي مدرسة شرعية شاملة من الصفوف الدنيا وحتى الثاني عشر وكذا الحال في جنين وقلقيلية.

وفي قطاع غزة قام المجمع الإسلامي ابتداءً بتأسيس شبكة من رياض الأطفال والمدارس الأساسية فيما أسست الجمعية الإسلامية عدداً آخر من هذه المدارس وكذلك قامت جمعية الصلاح الإسلامية في قطاع غزة ومن خلال فروعها الكثيرة من تأسيس عدد آخر من المدارس الإسلامية التي كانت تعد طلبتها إعداداً تربوياً إسلامياً وعقائدياً مما زاد في تنامي الصحوة الإسلامية.

ولعل الإنجاز الأكبر للحركة الإسلامية يتمثل في الجامعة الإسلامية التي أصبحت معلماً للصحوة الإسلامية في قطاع غزة بل شكلت منطلقاً للحركة الإسلامية في قطاع غزة حيث تركزت فيها كل الطاقات الدعوية والعلمية والسياسية إضافة إلى احتوائها لجل القيادات الإسلامية في قطاع غزة.

هذه المدارس والجامعات كان لها الأثر الكبير في تنامي الصحوة الإسلامية حيث نشرت التميز الإسلامي والوعي الإسلامي كذلك وزادت من إقبال الناس على الدين من خلال أبنائهم الخريجين الذين أصبحوا يؤثرون تأثيراً عقدياً وسلوكياً على أسرهم وأحيائهم والمناطق التي يتواجدون فيها مما جعل هذه المدارس ضمن دائرة الاستهداف من قبل سلطات الاحتلال التي قامت بإغلاق هذه المؤسسات أكثر من مرة.

وقد كان اهتمام هذه المؤسسات بالنشاط الرياضي يشكل الأثر الجيد في استيعاب الشباب الفلسطيني في الفرق الرياضية التي كانت تحمل أسماءً مثيرة للعاطفة مثل فريق اليرموك أو حطين أو فلسطين أو فريق القسام وغيرها.. والتي شكلت في النوادي الرياضية الإسلامية التي أسست بتوجيه من الحركة الإسلامية أو من خلال فرق المساجد التي بدأت تأخذ شكلاً شمولياً في كافة المدن والقرى، حيث أصبح للكثير من المساجد فرق رياضية ، تشرف على استيعاب شباب الصحوة الإسلامية في كل مدينة أو قرية أو مخيم ويلتقي عادة هؤلاء الشباب في لقاءات تدريبية رياضية بعد صلاة الفجر مباشرة بعكس الفرق الرياضية الرسمية التي تمارس تدريباتها بعد صلاة العصر¹ ويلتقي هؤلاء المتدربون إضافة إلى التدريب الرياضي واللياقة الجسدية توجيهات

¹ - من مقابلة مع احد مشرفي فرق المساجد والذي رفض الكشف عن اسمه لاسباب امنية أجريت معه بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١٢م حيث قال: كنا نعمل على ان يكون تدريب الفرق الرياضية بعد صلاة الفجر من اجل ان يتعود الشباب على الالتزام بصلاة الفجر خاصة وان هؤلاء الذي يحضرون صلاة الفجر يشكلون صفوة وخيرة الشباب المسلم الذين يصلحون للبناء الجهادي والعمل الانتقاضي.

إسلامية نحو ضرورة التمسك بالدين والأخلاق والمحافظة على العبادات والاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية لا سيما قضية فلسطين جل هذه القضايا.. حيث يجلب مدرب الفريق عالماً أو داعية إلى ساحة الملعب ليوجه موعظته ما بين الشوطين أو بعد الانتهاء من اللعب والتدريبات اللازمة.

وتطور البرنامج الرياضي لفرق المساجد من خلال إقامة عدد من الدورات الرياضية القطرية بحيث قامت هذه الفرق بالالتقاء مع بعضها البعض أكثر من مرة في ملاعب إحدى المدن الفلسطينية حيث تجمعت العشرات من الفرق الرياضية الإسلامية من الضفة والقطاع وفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م^١.

وقد شكلت حركة بناء المساجد الأثر الكبير في امتداد الصحوّة الإسلامية خاصة تلك التي أصبحت تدار من قبل لجان خاصة يسيطر على غالبيتها علماء ووعاظ ودعاة من أنصار حماس، هذه المساجد التي تقوم لجانها بالإشراف الكامل عليها من حيث البناء والتجهيز وصرف راتب للموظفين والعاملين والإشراف على الخطابة والتدريس والتوجيه بعيداً عن إملاءات وزارة الأوقاف ومديرياتها المنتشرة في المدن والقرى الفلسطينية.

ومع دخول السلطة الفلسطينية فقد شعرت الأخيرة أن هذه المساجد باتت تشكل بالنسبة لها إزعاجاً وتأثيرات سياسية عكسية خاصة بعد توقيع اتفاقيات وصفت من الإسلاميين وحماس على وجه الخصوص بأنها اتفاقيات تصفوية مهينة ومذلة.. ولهذا كانت حماس تعتبر منبرها الرسمي بتعبئة الجماهير نحو ما تراه صواباً من خلال هذه المساجد الخاصة صاحبة المنبر الحر.. مما أثار حفيظة السلطة ودفع بها إلى إرسال كتب رسمية موقعة من وزارة الأوقاف وموجهة إلى اللجان المشرفة على هذه المساجد من أجل ضبطها وتوظيف أئمة رسميين لها من قبل السلطة الأمر الذي أثار حفيظة حماس معلنة عن استيائها من هذه الخطوة.

فقد قال الشيخ أحمد ياسين بخصوص هذا الأمر: "نحن رفضنا الحكم الذاتي بطرق غير عنيفة حضارية إذاً في هذه الحالة ستكون معارضة ومن حقها أن تمتلك مؤسساتها الخاصة ولا يصح أن يُعتدى عليها"^٢.

وقد تمكنت السلطة من السيطرة على العديد من المساجد فيما لا زال بعضها لا يخضع لسلطة وزارة الأوقاف الفلسطينية، ورغم تحذيرات الشيخ ياسين هذه فقد "تحملت حماس تجاوز السلطة الفلسطينية للكافة الخطوط الحمراء سياسياً واجتماعياً ولم ترد على ذلك بعنف"^٣ واكتفت

^١ - فقد جرى دوري لفرق المساجد في الضفة والقطاع وفلسطين المحتلة عام ٤٨ حيث التقت هذه الفرق على ملعب مدرسة الحسين ابن علي الثانوية في الخليل بحضور جماهيري حضر من الضفة والقطاع والفلسطينيون من داخل الخط الأخضر المحتل عام ١٩٤٨م كما جرى دوري إسلامي آخر في نابلس بدعوة من نادي الأنصار الإسلامي التابع للحركة الإسلامية وذلك عام ١٩٨٦.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

^٣ - نفس المرجع، ص ٢٦٥.

بإصدار البيانات الموجهة للرأي العام "والتي أشارت من خلالها إلى أهمية المؤسسات والمساجد واستقلاليتها كونها ركيزة من ركائز المجتمع المدني"¹، ورغم ذلك تغير الوضع ولم يستمر على استقلاليته حيث سيطرت السلطة الفلسطينية سيطرة شبه كاملة على جميع المساجد في الضفة والقطاع وذلك في آذار من عام ١٩٩٦م وأصبحت خاضعة لوزارة الأوقاف الإسلامية ضمن الحملة المركزة ضجت المؤسسات والمساجد التي قامت بها السلطة عقب عمليات حماس عام ١٩٩٦م من جانب، وعقب عودة الوفد الفلسطيني المفاوض في واشنطن وتوقيعه لاتفاق (واي بلانتيشن)، لم تكف السلطة بإغلاق المؤسسات الإسلامية ومحاصرة أموالها بل قامت بما هو أخطر، حيث شنت حملة اعتقالات ضد أنصار حماس طالت المئات منهم فيما فرضت الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد ياسين، حيث بدأت مرحلة جديدة من العلاقات المتعكرة مما أثر على واقع الرأي العام الفلسطيني الذي لا زال يكتوي بنار الاحتلال الظالم.

¹ - انظر بيان حماس الصادر في ١٩٩٤/٦/٧م بعنوان: "استقلال المساجد ركيزة مجتمعا المدني وهو خط احمر لا يتسامح فيه شعبنا " والمنشور على موقع المركز الفلسطيني للاعلام.

المطلب الثاني: الإسلاميون وموقفهم من العمل الأهلي

لم يكن العمل الأهلي والاجتماعي مسار اهتمام للحركات والتيارات الإسلامية سوى الإخوان المسلمين اللذين تعاملوا مع هذا العمل منذ نشأتهم خاصة وأن الحركة نفسها كانت مسجلة في عهد النظام الأردني كجمعية خيرية وليست كحزب سياسي، ومع تطور نشاطات الحركة في الضفة والقطاع بعد عام ١٩٦٧م أن تؤسس العديد من الجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية والمدارس الشرعية ورياض الأطفال وغيرها، فيها قاطعت الكثير من الحركات والجماعات الإسلامية الأخرى هذا النهج، كما كان الحال مع حزب التحرير الإسلامي الذي يرى أن كل الجهود التي ستبذل للعمل في الجمعيات الخيرية والمؤسسات الأهلية والنقابات والنوادي هي من صلاحية دولة الخلافة الإسلامية، فإذا وجدت الخلافة انتهت دواعي وجود هذه الجمعيات والمؤسسات ولهذا ركز حزب التحرير الإسلامي على تثقيف المجتمع تجاه العمل السياسي لإقامة الخلافة الإسلامية، واتخذ قراراً بمقاطعة كل المؤسسات الخيرية والأهلية تأسيساً وترشيحاً وانتخاباً معتبراً ومؤكداً أن هذا العمل هو ترقيع للواقع يلهي عن الهدف الأسمى والأعلى في نظر الحزب ألا وهو الدولة الإسلامية^١، وقد حصر الحزب عمله في توزيع البيانات والنشرات والاهتمام بالحلقات التثقيفية بعيداً كل البعد عن العمل الشعبي وال جماهيري، فلم يؤيدوا الانتفاضة ولم يشاركوا في مسيرتها الشعبية بل لم يشاركوا كحزب في جنازات الشهداء الكثيرة والمتعددة إضافة إلى عدم تقديم أي نوع من المساعدة لأسر الشهداء وأصحاب المنازل المدمرة والمتضررين في الانتفاضة جراء اجتياحات الاحتلال، وكذا الحال من خلال قطيعة كاملة لكافة الجمعيات الخيرية والمؤسسات النقابية ولجان الزكاة ولجان الوعظ والإرشاد والمؤسسات الثقافية مما خلق حالة من الانعزال عن المجتمع وحركته الحضارية، بعكس حركة الإخوان المسلمين وحماس التي أسست وشاركت ورشحت وقادت المئات من المؤسسات الأهلية في الضفة والقطاع.

انعكس ابتعاد حزب التحرير الإسلامي عن العمل الأهلي والاجتماعي على كنهه الديمغرافي وحجمه التوايدي السياسي في المجتمع، هذا الحجم الذي لم يشكل نسبة تذكر في ظل التواجد التعددي والحزبي في المجتمع الفلسطيني .

لكن حركة الجهاد الإسلامي التي بدأت متأخرة في نظرتها للعمل الأهلي في فلسطين، بدأت تدرك أهمية هذا العمل وضرورته في المجتمع ومدى انعكاساته على العمل السياسي العام في ظل

^١ - لقد شهد حزب التحرير اختلافاً داخلياً حول المشاركة في العمل الأهلي والمؤسساتي وقد تعرضت قيادة الحزب إلى ضغط داخلي من أنصارها المؤيدين للمشاركة في العمل الأهلي مما أدى إلى إصدار قيادة الحزب فتوى عام ١٩٩٠م تجيز المشاركة الأهلية وبعد ذلك صدرت بيانات أخرى تهاجم هذه القيادات التي اتخذت هذا القرار معتبرة ذلك انحرافاً عن أصالة النهج (انظر بيان الحركة التصحيحية في حزب التحرير الصادر بتاريخ) .

تفاعلات القضية، فبدأت الحركة بخطوات عملية على الأرض من خلال تأسيس بعض المؤسسات الخيرية والشبابية بعد نحو عشرين عاما من تأسيس الحركة، فإذا كانت الحركة قد أسست على أغلب الروايات عام ١٩٨٠م "فإن مؤسساتها الأهلية بدأت تعمل بصورة رسمية واضحة في بدايات عام ٢٠٠٠م، حيث تم تأسيس جمعية الإسلام الخيرية لرعاية الأيتام في مدينة رفح وقد قام بتأسيسها الشيخ (نافذ عزام) أحد قيادات الجهاد الإسلامي، وأصبح لها فروع في الضفة الغربية في مدينتي جنين وبيت لحم فيما أسس اتحاد الشباب الإسلامي الفلسطيني كمؤسسة شبابية ثقافية اجتماعية ورياضية في قطاع غزة فيما أصبح لها فروع في غالبية المدن والقرى الفلسطينية وقد حصلت هذه المؤسسات على تراخيصها من السلطة الفلسطينية فيما لم يكن لحركة الجهاد أي مؤسسة أهلية في ظل الاحتلال على الأغلب".^١

أما بقية الحركات الإسلامية الأخرى فإنها لم تعطِ أي اهتمام كان للعمل الأهلي، لكن لوحظ في الفترة الأخيرة وخاصة بداية عام ٢٠٠١ تأسيس بعض الجمعيات الخيرية الصغيرة في الضفة والقطاع التابعة للحركة السلفية مثل دار الحكمة في خان يونس وجمعية الكتاب والسنة في قلقيلية وجمعية ابن باز الخيرية في بلدة السموع قضاء الخليل، لكن هذه الجمعيات كانت ذات اهتمام تنقيفي دعوي يدفع باتجاه العودة إلى منهج السلف الصالح^٢، وتصحيح الخلل العقدي لدى المسلمين بحسب رأيهم، إلا أنه لم يكن لهذه المؤسسات أي انعكاس سياسي، وكذا الحال مع جماعة التبليغ والدعوة التي لا تؤمن بالعمل المؤسساتي أصلا.

^١ - من مقابلة أجراها الباحث مع احد المتحدثين باسم حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية الشيخ محمد بريوش المعتقل داخل سجن عوفر وذلك بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٣م.

^٢ - لم تمارس هذه الجمعيات أي عمل سياسي بل تحرمه على نفسها ولم تعط اي اهتمام لواقع الأسر الفقيرة وأسر الشهداء والعائلات المتضررة جراء الإنتفاضة.

المطلب الثالث: حماس والمشاركة الفاعلة في العمل الأهلي

لعل عودة بسيطة إلى الجذور التاريخية لفكر حماس التي تشكل امتداداً سياسياً وروحياً ووجدانياً لجماعة الإخوان المسلمين تشعرنا بأن العمل الأهلي مجذر في فكر الحركة القائم على أساس احترام الإنسان وتقديم العون والخير له انطلاقاً من مبدأ التكافل الاجتماعي الذي يدعو له الإسلام.

وقد شكل الاهتمام بالعمل الاجتماعي والأهلي قاعدة شعبية لحماس انطلقت من مبدأ مزج العلاقة مع الطبقات المتوسطة الفقيرة وتأمين حاجتها الأساسية كأداة لتغيير اجتماعي هام في واقع المجتمع الفلسطيني ليشكل ذلك مقدمة لتغيير سياسي وحضاري شامل.

لقد اهتمت حماس بالعمل الأهلي والاجتماعي ووفرت لذلك الرجال والمال والعلاقات الخارجية مع العالم العربي والإسلامي، لتأمين البنية التحتية لمؤسسات العمل الأهلي وتسويقها أمام المتبرعين والمهتمين من الإسلاميين المتواجدين خارج فلسطين المحتلة، وقد أكدت حماس على منهجية العمل الاجتماعي من خلال المادة الحادية والعشرين في ميثاقها والتي نصت على: "ضرورة التكافل الاجتماعي وتقديم المساعدة لكل محتاج، سواء كانت مادية أم معنوية أو المشاركة في إنجاز بعض الأعمال، وعلى عناصر حركة المقاومة الإسلامية حماس، أن ينظروا إلى مصالح الجماهير نظرتهن إلى مصالحهم الخاصة، وعليهم أن لا يدخروا جهداً في سبيل تحقيقها والمحافظة عليها وعليهم وأن يحولوا دون التلاعب بكل ما يؤثر بمستقبل الأجيال أن يعود على مجتمعهم بالخسارة، الجماهير منهم ولهم، وقوتها قوة لهم ومستقبلها مستقبلهم.. كما طالبت حماس وفي نفس المادة: إن على عناصرها أن يشاركوا الناس في أفراحهم وأتراحهم وأن يتبنوا مطالب الجماهير بما يحقق مصالحها ومصلحتهم ويوم تسود هذه الروح تتعمق الألفة ويكون التعاون والتراحم، وتتوثق الوحدة ويقوى الصف بمواجه الأعداء"¹، فهذه دعوة صريحة من حماس للتكافل الاجتماعي والاهتمام بمصالح الآخرين والعمل بكل جهد من خلال الانخراط في المجتمع انطلاقاً من التعاون والتراحم وقد أتقنت حماس ذلك من خلال شبكة ممتدة من المؤسسات الأهلية الشمولية التي عالجت الفقر والمرض والجهل من خلال المؤسسات الاجتماعية التي تمد الفقراء والمرضى والمؤسسات الطبية الخيرية وكذلك المؤسسات التعليمية والتربوية التي دفعت تجاه تثقيف الأجيال في الشارع الفلسطيني.

وقد قامت حماس بتطوير عملها الأهلي والاجتماعي من خلال تأسيس المزيد من المؤسسات الخيرية التي تمت في المجتمع الفلسطيني والتي وصلت إلى المعوزين في الوقت الذي أخفقت فيه الكثير من الفصائل الفلسطينية.

¹ - انظر: المادة الحادية والعشرين في ميثاق حماس، المرفق في قائمة الملاحق.

يقول الدكتور علي الجرباوي: "إن قطاعات عديدة من الشعب الفلسطيني اعتمدت على ما تقدمه حماس من خدمات اجتماعية صحية، تأهيلية، خيرية، الأمر الذي مكّن حماس من الحصول على شعبية واسعة"^١.

وتهدف حماس من خلال اتصالها مع الطبقة المعدمة حماية هذه الطبقة من الفقر ورفع مستواها حتى لا يقوى عليها الاحتلال وتتمكن الحركة من مواجهته من خلال مجتمع قوي رصين إضافة إلى هدف آخر ألا وهو إعداد المجتمع وترتيبه من خلال المؤسسات الإسلامية التي تدفع باتجاه بناء تربية قوية متينة لأفراد المجتمع الإسلامي الفلسطيني.

يقول خالد الحروب: "استطاعت حماس من خلال شبكة الخدمات الاجتماعية التي أقامتها كي تبقى على تواصلها الساخن مع هموم الفقراء والطبقات الشعبية الكادحة، وأن تؤثر في مسلكياتهم الدينية وتقربهم من مربعاتها وبالتالي التأثير في خياراتهم وقناعاتهم السياسية وقد تحقق جزء كبير من هذا الهدف، وذلك بسبب الانضباط الإسلامي الخلقي لهذه الجمعيات وحسن النزاهة والأمانة التي اتصفت بها خلال قيامها بأنشطتها وهي حقائق تركت بصماتها المؤثرة في تأييد الناس للقائمين على تلك الجمعيات وخصوصاً إذا قوبلت بشبهاتها التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية والتي تهشمت صور عدد كبير منها بسبب المحسوبية وعدم الكفاءة وأحياناً الفساد الإداري والمالي"^٢.

وقد برز نشاط المؤسسات الأهلية التابعة لحماس خلال انتفاضة الأقصى، حيث قامت بتوفير الخدمات والمساعدات لآلاف الأسر التي تعيش تحت مستوى خط الفقر وقامت بجلب دعومات لأصحاب المزارع المدمرة والمنازل المهتمة وأسر الشهداء والمعتقلين وكذلك الجرحى، حيث تمكنت هذه المؤسسات الأهلية والاتصال مع اللجان العربية والإسلامية الداعمة من دعم الآلاف من الفلسطينيين، وقد كان ملاحظاً أن المؤسسات الخارجية الداعمة ركزت على إيصال هذه الأموال عن طريق الجمعيات الخيرية الإسلامية المقربة من حماس فيما رفضت إدخالها عن طريق مؤسسات السلطة الفلسطينية أو المقربة منها الأمر الذي أثار حفيظة السلطة ورئيسها مما دفع هذه السلطة بتجميد أموال هذه المؤسسات وتفرض رقابة عليها من خلال وزارة الداخلية وسلطة النقد الفلسطينية.

"وقد تكمنت الجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل وجمعية الصلاح الإسلامية في قطاع غزة من الاتصال باللجنة السعودية لدعم الانتفاضة وإدخال دعومات للشعب الفلسطيني بلغت قيمتها ما يزيد عن ٥٠ مليون دولار وزعت على الضفة والقطاع بمعدل ٢٨ مليوناً صرفت في القطاع و٢٢ صرفت في الضفة الغربية، حيث تمثل الصرف في طرود غذائية وزعت على العائلات

^١ - حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

الفقيرة، ومنح مالية صرفت للمتضررين من الانتفاضة من أصحاب البيوت والدكاكين المدمرة وكذلك أسر الشهداء والمعتقلين والجرحى، وكان التنسيق يتم عن طريق الجمعيتين المذكورتين وهما اللتان تقومان برفع القوائم للجنة المذكورة فيما تقوم اللجنة السعودية بإرسال الأموال لأصحابها مباشرة على رقم حسابه الخاص"^١.

كما قامت هذه المؤسسات في فلسطين بالاتصال مع لجان الخير في السعودية والخليج العربي والدول الأوروبية وتم تشكيل ائتلاف أطلق عليه (ائتلاف الخير) يرأسه ويشرف عليه الشيخ يوسف القرضاوي، وقد قام هذا الائتلاف بتوزيع مئات الآلاف من الدولارات على المؤسسات الخيرية والفقراء والمساكين وتعويض العمال العاطلين عن العمل^٢.

وقد قامت هذه المؤسسات الأهلية ببناء المستشفيات والمدارس والمكتبات العامة والمراكز الثقافية ومراكز الطفولة ومراكز العلاج الطبيعي وكذلك مزارع الأبقار والدواجن والنحل والتي تعمل كلها للمصالح العام، وتحت إشراف المؤسسات الخيرية الأهلية، كما قامت لجنة ائتلاف الخير برعاية طلبة الجامعات والمعاهد وقال متحدث من نشطاء الطلبة الفلسطينيين أن ما نسبته ٧٠% من أفساط الطلبة دفعت من قبل اللجنة المذكورة^٣.

وقد أثار هذا النشاط المؤسسي الأهلي حفيظة الاحتلال الصهيوني فقام بإغلاق عدد من المؤسسات الخيرية الإسلامية تحت حجة قيامها بدعم الإرهاب، وقد أغلق مكاتب الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية الشبان المسلمين في الخليل في شهر شباط من عام ٢٠٠٣م كما تم إغلاق العشرات من المؤسسات الخيرية في قطاع غزة من قبل السلطة الفلسطينية، وقد اعتبر رئيس هيئة الأركان الصهيوني أن عددا من هذه المؤسسات خارجة عن القانون منذ شهر شباط من عام ٢٠٠١م^٤.

وقد اعتبر عدد من الباحثين الصهاينة أن عمل حماس الاجتماعي من خلال شبكة مؤسساتها الأهلية كان الأخطر بالنسبة لإسرائيل ، هذا العمل الذي حافظ على الطبقة المعتمدة الفقيرة حيث زاد من شعبية حماس، يقول الكاتب الصهيوني (أبراهام سيلع) الباحث في شؤون حماس: "لقد كانت حماس حركة براغماتية ذكية مزجت في عملها بين النمط العسكري الإرهابي والنمط

^١ - من مقابلة مع الدكتور عزام سلهب نائب رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية السابق في الخليل حيث أجريت بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٣م.

^٢ - لقد انتدب ائتلاف الخير الذي يتخذ من قطر مقرا له، الجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل وجمعية الإصلاح في رام الله مندوبين معتمدين له في الضفة الغربية في حين اعتمد جمعية الإصلاح مندوبا دائما له في قطاع غزة.

^٣ - من مقابلة مع عضو مجلس اتحاد الطلبة في جامعة النجاح الوطنية والذي رفض الكشف عن اسمه لدواعي أمنية وذلك بتاريخ ١٢/٤/٢٠٠٣م.

^٤ - من مقابلة مع الدكتور عزام سلهب بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٣م .

السياسي بالإضافة إلى نجاح باهر في العمل الاجتماعي المبني على الاتصال الذكي مع البسطاء والفقراء والمحتاجين وخاصة ذوي الانتحاريين وأبناء المساجين وغيرهم مما وفر لحماس شعبية ممتدة في أوساط الفلسطينيين¹.

وقد لعب الغرب دوراً بارزاً وهاماً في ملاحقة العمل الأهلي الإسلامي في العالم عامة وفي فلسطين على وجه الخصوص، وقد اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية منهجاً في سياسة تجفيف منابع التي يعتقدون أنها تغذي المؤسسات الأهلية والخيرية في فلسطين، وخاصة تلك التي تتخذ من الغرب مقراً لها، فتم ملاحقتها وإخراجها عن القانون.. إضافة إلى ملاحقة المؤسسات الأهلية والخيرية في العالم العربي والإسلامي ومن ثم المؤسسات في فلسطين كما سبق ذكر ذلك وأصبح التقدير السنوي لوزارة الخارجية الأمريكية هو الدستور الذي يحتوي على تفاصيل مرهقة للحركات والمؤسسات الإسلامية الفلسطينية التي تعمل لصالح الإرهاب بحسب زعم التقرير المذكور²، ولهذا تأثرت هذه المؤسسات وقلّت مواردها وأخفت بعضها في الاستمرار في أداء رسالتها، هذا الأمر الذي دفع بأصوات تظهر على السطح وتنادي بأنه لا ضرورة لتسييس المؤسسات الأهلية والخيرية، حتى تستمر في أداء رسالتها.

ورغم أن حماس جندت انعكاسات نجاحاتها المميزة على صعيد العمل الأهلي وأصبح لها قطاع عربي مؤازر من الطبقات المتوسطة والفقيرة المعدمة الذين تأثروا نفسياً ووجدانياً بما قدمته لهم المؤسسات الخيرية الإسلامية في الليلة الظلماء، إلا أن كل ذلك كاد يتحطم أمام الحملة المبرمجة التي طالت العديد من هذه المؤسسات مما عرقل مسيرتها وكان سبباً في وضع الكثير من العقبات أمام عطائها المميز.

ولهذا برزت بعض الأصوات من داخل هذه المؤسسات تنادي وتؤكد على عدم أقحام هذه المؤسسات في أي نشاط سياسي كان، حيث يعتبر أصحاب هذا الرأي أن هذه المؤسسات وجدت للعمل الاجتماعي وتقديم العون والمساعدة للفقراء والمساكين والأيتام بعيداً عن السياسة والتسييس، فلا ينبغي إشغالها بما هو خارج عن أهدافها لأن حرف مسارها نحو أي توجه سياسي، سيؤثر سلباً على مسيرتها، ويضعفها، بل سيفتح عليها حرباً من المتربصين³، فعقب اجتياح الضفة الغربية من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني قامت هذه السلطات باعتقال العشرات من رؤساء

¹ - عصر حماس، (ابراهيم سيلع وشاؤول مشعال)، منشورات يديعوت احرونوت (عبري)، ط١، ١٩٩٩م، القدس المحتلة، ص ١٤١.

² - انظر: تقرير الإرهاب الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في السنوات ١٩٩٦م، ٢٠٠٠، ٢٠٠١م، ٢٠٠٢م على موقع الوزارة الإلكتروني على شبكة الانترنت (www.secretary.state.gov).

³ - من مقابلة مع الشيخ عادل الجنيدي رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية بتاريخ ١٥/١/٢٠٠٣م داخل سجن عوفر.

وأعضاء الهيئات الإدارية لهذه المؤسسات الأهلية مما عطل الكثير من برامجها جراء هذه الاعتقالات^١ التي كانت تستهدف ضرب هذه المؤسسات من خلال ملاحقة القائمين عليها^٢.
لقد مرت حركة العمل الأهلي الخيري الفلسطيني مرحلة عصبية في ظل الاحتلال، لا سيما المؤسسات الإسلامية، ورغم هذه العقبات تمكنت هذه المؤسسات من أداء رسالتها وتقديم كامل العون للفقراء والمساكين، مما ساهم في تخفيف الكثير من آلام المعوزين وتوفير حاجاتهم الأساسية.

^١ - لقد استهدف الاحتلال من حملة الاعتقالات في صفوف رؤساء وأعضاء المؤسسات الخيرية والأهلية ضرب البنية التحتية لحماس حيث تعتبر سلطات الاحتلال هذه المؤسسات الرافد الرئيس للحركة في نشاطاتها الجماهيرية والميدانية.

^٢ - لقد طالت حملت الاعتقالات الإسرائيلية عددا من رؤساء الجمعيات الخيرية عرف من بينهم الشيخ عمر حمدان رئيس جمعية الاصلاح في رام الله والشيخ عزام حسونة رئيس جمعية الشبان المسلمين في الخليل والشيخ عادل الجندي رئيس الجمعية الخيرية في الخليل، والشيخ عادل اشنيور رئيس جمعية الظاهرية الخيرية والشيخ غسان هرماس رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية في بيت لحم والشيخ جواد بحر النتشة رئيس المركز الثقافي الإسلامي والعديد من رؤساء لجان الصدقات والزكاة وأعضاء الهيئات الادارية.

المبحث الرابع: المرأة في فكر حماس الديني والسياسي

ويتضمن تمهيدا وأربعة مطالب

تمهيد:

لقد اهتم الإسلام بالمرأة وكان خطاب القرآن التكليفي للمرأة والرجل على السواء، وكذلك الحقوق التي فرضها الله للمرأة كانت كاملة غير منقوصة، فأعطاهها حقها في مالها وحقها في العمل والتعليم وكذلك الجهاد ولم تكن المرأة في تاريخ الإسلام مستثناة بل كانت عنصراً هاماً في المجتمع.

عملت المرأة عبر التاريخ الإسلامي بالسياسة وتم توليتها مناصب رفيعة المستوى ووصلت إلى الإمامة العظمى في بعض العصور كما حصل عندما تولت شجرة الدر الخلافة، مما أثار خلافاً فقهياً كبيراً، وشاركت المرأة أيضاً كمحتسبة في عهد عمر بن الخطاب، كما شاركت في الجهاد والمقاومة وكانت تقدم الطعام والشراب والعلاج للجند.

ولم تكن المرأة أداة إغراء وتسويق كما تستغل اليوم في العالم الغربي الذي جعل منها ومن مفاتها وجسدها آلة ميكانيكية تجلب الأنظار وتسقط الآخرين في شباك وشراك الحضارة الغربية المادية.

وفي الإسلام ناقش أهل الفقه المواقع التي يجوز للمرأة أن تتقلدها ليس من باب انتقاص حقها وإنما من خلال احترام الإسلام لخصوصيتها وأن بعض المواقع تحتاج إلى اختلاط مع الناس وظهور علني ومحاسبة للرعية، هذه الأمور التي كان يرى البعض من أهل الفقه وأهل العلم أنه بحاجة إلى جبروت الرجال وليس عواطف النساء .

وفي فلسطين قامت المرأة بدور هام جهادي وسياسي واجتماعي، كان له الأثر الكبير في تأجيج نار الانتفاضة وتطورها، جنباً إلى جنب مع دورها في المؤسسات الأهلية والنقابية، والسياسية، بل شاركت بعض الأخوات في العمليات الاستشهادية والمظاهرات وتنظيم شبكات نسائية للعمل الشعبي الانتخابي كما شاركت في العمل الجماهيري الأهلي الفاعل وغير ذلك.

المطلب الأول: المرأة والعمل السياسي في الإسلام

لقد نظم الإسلام الحياة السياسية وخاصة نظام الحكم الذي أسس على الكفاءة والعدل وضمن سلامة المجتمع، وكان اختيار الحاكم من خلال البيعة والشورى أمراً لا بد منه حتى لا يكون هناك تسلط وجبرية ضد الأمة.

وقد شهد الفقه الإسلامي خلافاً ونقاشاً مطولاً حول إمامة المرأة والتي يسميها البعض بالولاية العامة أي الإمامة العظمى، فهل يجوز للمرأة في الإسلام أن تتقلد منصب الخليفة أو الوزارة أو القضاء والشورى؟ هل يجوز للمرأة أن ترشح وتنتخب في مجالس الأمة والبرلمانات؟ أسئلة كثيرة نالت قسطاً كبيراً من البحث من خلال الباحثين والدارسين الذين أولوا الموضوع اهتماماً كبيراً.. وقد ناقش الفقهاء والعلماء قضية ولاية المرأة ما بين مؤيد ومعارض لها، فيما ناقشها أيضاً المجددون من رجال الفقه والفكر في العصر الحديث لأهمية هذا الموضوع وعلاقته بالواقع.

"ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز تولية المرأة الخلافة، وقد شذ عن هذا الإجماع بعض الشيعة الذين أقروا ولاية فاطمة أخت جعفر، وكذلك فرقة الشيبية من الخوارج الذين أقروا ولاية غزالة أم شبيب بعد موت ولدها"^١. ومن آراء القدامى الذين أنكروا على المرأة تولي الإمامة والخلافة أو رئاسة الدولة ومنهم الإمام الماوردي الذي قال: "لا يجوز أن تقوم المرأة بالولاية العامة وإن كان خبرها للحديث النبوي مقبولاً لما تضمنه معنى الولاية الصرفة على النساء"^٢ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أفلح قوم ولّوا أمرهم إلى امرأة"^٣.

ويعلل الإمام الماوردي رفضه لولاية المرأة: "لأن فيها أي الولاية العامة والإمامة من طلب الرأي وثبات العزم الذي تضعف عنه النساء، ومن الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهم محظور"^٤.

وأخذ بهذا الرأي، الظاهرية، حيث اشترط الإمام ابن حزم الظاهري أن يكون الخليفة رجلاً وليس امرأة استناداً إلى الحديث السابق^٥ ومن الذين قالوا بهذا الرأي أيضاً الإمام القرطبي حيث: "نفى صفة الإمامة عن المرأة مستنداً في ذلك إلى قوامه الرجل في الأمور الحياتية البسيطة،

^١ - الولاية العامة للمرأة في الفقه الإسلامي، الدكتور طه سليمان القضاة، دار النفائس، عمان، ط١٩٩٨، ص٩٣.

^٢ - الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد المواردي، دار الفكر، بيروت - لبنان، بلا تاريخ نشر ورقم طبعة، ص٢٧.

^٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٨٦، ج١٣، ص٥٦.

^٤ - الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص٢٧.

^٥ - المحلى، ابن حزم الظاهري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١٩٨٦، ج٢، ص٩، ص٣٦.

فكيف بإمامة الأمة^١ كما رفض الإمامة العامة للمرأة من العلماء والفقهاء والباحثين المعاصرين: "الشيخ حسن البنا رحمه الله والشيخ الإمام أبو الأعلى المودودي رحمه الله والشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ محمد أبو زهرة من علماء الأزهر رحمهم الله والعلامة مصطفى الزرقا رحمه الله والدكتور فتحي الدريني والدكتور محمد عبد القادر أبو فارس"^٢.

وأكد الشيخ يوسف القرضاوي أن الحديث الذي رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً: "لن يفلح قوم.. ولّوا أمرهم امرأة" إنما يعني الولاية العامة على الأمة كلها، أي رئاسة الدولة كما تدل عليه كلمة (أمرهم) فإنها تعني أمر قيادتهم ورياستهم العامة، أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة ولاية فيه، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد أو التعليم أو الرواية والتحديث أو الإدارة ونحوها فهذا مما لها ولاية فيه بالإجماع وقد مارسته على توالي العصور حتى القضاء، فقد أجاز أبو حنيفة فيما تشهد فيه، أي في غير الحدود والقصاص، مع أن بعض فقهاء السلف قد أجاز شهادتها في الحدود القصاص، كما ذكر ابن القيم في (الطرق الحكيمة) وأجازها الطبري بصفة عامة وأجازها ابن حزم مع ظاهريته، وهذا يدل على عدم وجود دليل شرعي صريح يمنع من تولي المرأة القضاء، وإلا لتمسح به ابن حزم وقاتل دونه"^٣.

وقد استدلل الشيخ القرضاوي على ذلك بحوادث هامة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ الصحابة الأكارم، حيث كانت عائشة رضي الله عنها من مجتهدات الصحابة ومن المفتيات بينهن وكذلك تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشفاء بنت عبد الله العدوية على السوق تحتسب وتراقب وهو ضرب من الولاية العامة".

وإذا كان رأي جمهور الفقهاء في عدم جواز تولي المرأة الإمامة العظمى، فما هو الحكم والرأي في تولي المرأة الوزارة في ظل الإسلام؟ وهل منصب الوزارة يعتبر من الولاية العامة^٤. لقد "عرّف الإمام الماوردي وزارة التفويض: بأن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده"^٥، وقد اتفق العلماء على عدم جواز تولي المرأة وزارة التفويض معتبرينها ولاية عامة: "لأنهم اشترطوا في من يتولى وزارة التفويض نفس الشروط الواجب

^١ - الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ج٥، ص١٦٨.

^٢ - النظام السياسي في الإسلام، الدكتور محمد عبد القادر ابو فارس، دار الفرقان: عمان - الاردن، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٨٢ - ١٨٣.

^٣ - من فقه الدولة في الإسلام، مرجع سابق، ١٦٥ - ١٦٦.

^٤ - نفس المرجع، ص١٦٩-١٧٠.

^٥ - الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص٢٥.

توفرها في تولي الخلافة عدا النسب القرشي، واستند الجميع في أدلتهم على حديث النبي صلى الله عليه وسلم سالف الذكر^١.

أما وزارة التنفيذ فإنه يقصد بها: "أن يقوم الوزير بتنفيذ أوامر الخليفة دون أن يكون له الحق في النظر أو الرأي"^٢.

وقد قال الإمام الماوردي أن وزارة التنفيذ "لم يجز العلماء والفقهاء تولي المرأة لها، لأن فيها الظهور المباشر للأمور وتحتاج إلى حنكة وتجربة وصحة رأي ولا تستطيع أن تقوم بذلك امرأة"^٣.

لكن الشيخ القرضاوي ناقش المسألة من خلال قراءة دقيقة للواقع إضافة إلى رؤيا تفصيلية لمنصب الوزير في زماننا الذي لا يخرج عن كونه رجل دولة يدير موقعا سياسيا ولكن برؤية سياسية من رئيس مجلس الوزراء أو رئيس الدولة ولهذا يؤكد الشيخ القرضاوي: "أن ما سوى الإمامة العظمى فهو من دائرة الخلاف، وهو ما يتسع للاجتهاد والنظر وبهذا يمكن أن تكون المرأة وزيرا ويمكن أن تكون قاضية أو محتسبة احتساباً عاماً.. كما يرى أن تؤخذ الأمور بالتدرج وفق ظروف المجتمع ودرجة نموه وتطوره، فتعطى المرأة ما يناسبها من الوزارات"^٤.

كما أفتى الشيخ القرضاوي بجواز ترشيح المرأة لنفسها في المجلس النيابي والمشاركة في الانتخابات لانتخاب الآخرين واختيارهم، كما لا يرى ممانعة في قيام المرأة بقيادة وإدارة الكثير من المواقع السياسية والإعلامية والأكاديمية شريطة مراعاة عدم الاختلاط المحرم والتبرج وإظهار زينتها أو الخلوة أو مثل ذلك مما حرمه الشرع، وتبنى ذلك الإخوان المسلمون".

ولهذا لا يمنع الإسلام على المرأة ممارسة العمل السياسي بل كانت كما ورد في الأثر تشارك الجند في المعارك وتقدم لهم الخدمات الإنسانية والطبية وبعضهم شارك مشاركة فاعلة في الجهاد مثل نسيبة بنت كعب المازنية وأم سلمة وغيرهن الكثير.

^١ - فتاوى معاصرة، الدكتور يوسف القرضاوي، مرجع سابق، (بتصرف) ص ٣٨٨

^٢ - نظام الحكم في الإسلام، الدكتور محمد فاروق نبهان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص ٥٥٠.

^٣ - الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص ٢٧.

^٤ - من فقه الدولة في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٦.

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه المرأة في فلسطيني

تعيش المرأة الفلسطينية في ظل الاحتلال الصهيوني ظروفًا صعبة للغاية جراء سياسة القهر التي طالت الأسرة الفلسطينية والتي تؤثر نفسيًا على واقع المرأة الفلسطينية التي قدمت ابنها وزوجها وشقيقها وأعز ما تملك ليكونوا جميعاً وقوداً لمرحلة الاستقلال والحرية.

وقد انشغلت المرأة الفلسطينية في سنوات الاحتلال الأولى في بناء الرجال وإعداد الجيل الذي يصلح لمواجهة مرحلة تحول خطير في تاريخ الشعب الفلسطيني الذي شنت وهجر من أرضه ووطنه وأصبحت تتلاطمه رياح الشتات والإبعاد.. فكانت المرأة الفلسطينية في تلك الفترة صاحبة رسالة هامة وضرورية تتمثل في ربط الأجيال التي ولدت خارج الوطن بوطنها الأم فلسطين، وقد استطاعت الأمهات الفلسطينيات أن يجذرن محبة الأرض المباركة (فلسطين) في وجدان ونفوس الأطفال من خلال الأهازيج والأناشيد والأسماء مما خلق جيلاً معباً يعيش الحرية ويبحث عنها لنفسه ولشعبه ولوطنه.

وبعد نكسة عام ١٩٦٧م ودخول الاحتلال مدن ومخيمات وقرى الضفة وقطاع غزة، كان لا بد للمرأة من المحافظة على فلذات كبدها من رياح التهويد والإسقاط في حبال وشراك المخابرات الصهيونية، كل ذلك جنباً إلى جنب مع إعداد الأطفال ليكونوا رجالاً وفرساناً لمواجهة المرحلة التي تحتاج منهم الكثير أمام احتلال سيطر على كامل الأراضي الفلسطينية وصادر منها الكثير وقام ببناء المستوطنات غير الشرعية عليها.

وفي الانتفاضات الفلسطينية كانت المرأة صاحبة دور ومقام حيث شاركت بنفسها في عمليات المواجهة إضافة إلى المساهمة في إعداد تراثيات الانتفاضة وما لازمها من حاجيات وأدوات. ولعل التحدي الأكبر الذي اقتحم على المرأة الفلسطينية وجدانها هو استقبالها لفلذة كبدها أو زوجها أو الأعراء عليها شهداء محملين مضرجين بدمائهم وهذه أصبحت حالة يومية لا تكاد تنجو منها أسرة، مما فرض على الأم الفلسطينية أن تكون قلعة صلبة أمام هذا التحدي القاسي، الذي أصبح نمطياً في حياة الفلسطينيين ولم يحصر الأمر في الشهداء فحسب بل لا زال الآلاف من الأمهات الفلسطينيات وكذلك الزوجات يتلوعن ألماً وحسرة على أعزائهن من أبناء وأشقائهم وأزواج الذين يرزحون في سجون الاحتلال، حيث يقبع نحو سبعة آلاف فلسطيني، ويعيشون ظروف صعبة للغاية، قد يكون من أصعبها.. إن بعض هؤلاء يعيشون في زنازين العزل الانفرادي فلا يسمح لذويهم بزيارتهم ورؤيتهم وخاصة أمهاتهم اللواتي لم يشاهدن أبناءهن عدة سنوات.

ورغم ذلك تخرج الأمهات والزوجات في مسيرات حاشدة في المدن الفلسطينية يشاركن في حملات الاحتجاج الجماهيري ضد الاحتلال ويطالبين بالإفراج عن المعتقلين، خاصة في السابع عشر من نيسان من كل عام والذي يطلق عليه (يوم الأسير الفلسطيني).

ولعل تحدي الفقر والعوز هو من أخرج وأصعب التحديات التي تواجه المرأة الفلسطينية جراء تدني الدخل وارتفاع مستوى الفقر، وخاصة بعد إغلاق المدن الفلسطينية واقتحامها إضافة إلى عزلها عن بعضها البعض، مما خلف حالة كبيرة من البطالة، فما كان من المرأة الفلسطينية إلا وأن استغلت كل طاقاتها الكامنة لتوفير دخل للأسرة التي خيم عليها الفقر جراء الاحتلال، فقامت بصنع الأغذية البيتية وبيعها، وكذلك الملابس والتحف، وقد عمل بعضهن في أعمال النظافة والخدمات.. هذا بالإضافة إلى قيام الأمهات الريفيات لبيع الخضار والفواكه في الشوارع والطرقات، وهذه أصبحت ظاهرة في المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وخاصة بعد استشهاد واعتقال الآلاف من معيلي هذه الأسر.

ويبقى التحدي السياسي أحد أهم هذه التحديات التي تواجه المرأة في فلسطين، والتي تكاد المرأة الفلسطينية قد تغلبت عليه من خلال مشاركتها الميدانية في المؤسسات التجارية والمدنية والتي أرادت من خلالها التأكيد على دور المرأة وتحقيق ما انتقص من حقوق في ظل التراكمات السياسية والعرقية إضافة إلى إبراز دورهن الفعال في المقاومة السياسية والعسكرية، وكذلك في المجتمع الميداني من خلال المؤسسات الأهلية الخيرية التي كانت منبرا مميّزا للمرأة.

تقول الكاتبة الفلسطينية مها عبد الهادي: "رغم أن الانتفاضة غيرت جذريا من المشاركة النسائية غير الرسمية في النضال الوطني، إلا أن جذور التنظيم النسوي الرسمي هي عميقة فقد تم تأسيس أول منظمة نسوية في فلسطين عام ١٩٢١م، ورغم أنها كانت عبارة عن تجمع، إلا أن وعيها السياسي أرسى قواعد النشاط النسوي اللاحق".^١

وقد شهدت الساحة الفلسطينية المئات من المؤسسات الأهلية التي كان من بينها مؤسسات نسوية اهتمت بحقوق المرأة والطفولة وبعض الجوانب الخيرية والتربوية، إلا أنها لم تكن بالحجم المطلوب، ولا زالت مشاركة المرأة الفلسطينية في الحياة السياسية قليلة جداً مقارنة مع حجم الرجال في المشاركة، فاستناداً إلى النسب الواردة من دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية، نلاحظ أن نسبة قليلة من النساء تحتل مواقع في المؤسسات العامة، حيث يسيطر الرجال على غالبية المراكز العالية في صنع القرار ولا تتعدى نسبة تمثيل النساء في مجملها ١٠% والتي كانت على النحو الآتي: (خمس نساء أعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني) (مقابل ٨٣ من الرجال) وبذلك يكون حجم المشاركة النسوية ٦% فيما يبلغ عدد النساء الفلسطينيات في المجلس الوطني الفلسطيني (٦٥ امرأة) (مقابل ٦٨٨ من الرجال)، أي نسبة المشاركة ٨%، وعلى صعيد مجلس الوزراء الفلسطيني، فقد ضم وزيرة واحدة مقابل ٢٢ وزيراً، أي ما نسبته ٤%، وأما على صعيد المنتسبين لل نقابات العمالية فقد بلغ عدد النساء الفلسطينيات (٥٣٠٣) امرأة مقابل (٦٢٢٧) ألف،

^١ - واقع المرأة في فلسطين، وجهة نظر إسلامية، مها عبد الهادي، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس - فلسطين، ط١، ص٦.

من الرجال أي ما نسبته ٨%، وفي الجامعات الفلسطينية وعلى صعيد مجالس الطلبة تشارك النساء والفتيات بـ (٣١ مقعداً) مقابل (٩٠) مقعداً للرجال، أي ما نسبته ٢٦%^١.

وأما هذه النسب التي تناقش المشاركة للمرأة الفلسطينية بشكل عام، نشعر أن هناك "انعدام كامل لمشاركة النساء الإسلاميات المقربات من الحركات الإسلامية في المؤسسات السياسية والنقابية، مما حصر المشاركة فقط من قبل نساء الحركات الوطنية الفلسطينية"^٢. وإن كان هناك ثمة مشاركة للنساء الإسلاميات فإنها لا تذكر بل لا تزيد عن أصابع اليد في الضفة والقطاع.

وتحصر مشاركة المرأة فقط في المساهمة الفعالة في عملية الانتخاب والذهاب إلى صناديق الاقتراع في الانتخابات البرلمانية والبلدية والمؤسسية والطلابية لانتخاب الرجل فقط وليس المرأة ويعود السبب في ذلك إلى إشكاليات تتعلق بالعادات والتقاليد التي تحظر على المرأة التنقل بين الرجال والنزول إلى المجتمع بكل حرية أضف إلى ذلك أن المجتمع الفلسطيني هو مجتمع غالبيته من المسلمين الأمر الذي يجعل الكثير من النساء مقيدات بسلوكيات الدين وأحكامه وهذا بدوره يرفض سياسة الانفتاح غير المضبوط بالضوابط الشرعية في الملبس والحركات والتصرف.

^١ - نفس المرجع ص ٦٩.

^٢ - مقابلة مع عفت الجعبري، ناشطة إسلامية في العمل النسوي الفلسطيني، بتاريخ ١٨/٤/٢٠٠٣م.

المطلب الثالث: دور المرأة في المجتمع الفلسطيني وموقف حماس

رغم اهتمامات الحركة الإسلامية الفلسطينية في المجتمع الفلسطيني ومشاركتها الفاعلة في الموقف السياسي والفعل الانتفاضي الميداني من أجل التخلص من الاحتلال إلا أن ذلك انحسر في دور الرجال فقط، في الوقت الذي غابت فيه المرأة المسلمة عن ساحة الميدان فلم يكن لها مشاركة ملموسة في الجانب السياسي وخاصة في صنع القرار واكتفت ببعض المشاركات البسيطة في العمل الأهلي الخيري التي لم تسجل فيها رقما مهما ومؤثرا في المجتمع.

ورغم أن حماس حضت على أهمية المرأة في المجتمع وفي مواجهة الاحتلال من خلال ميثاقها، مشيرة إلى دور المرأة المسلمة في معركة التحرير، والمحاولات التي يسعى الاحتلال إلى طمسها من خلال المعركة الإعلامية والمؤسسات الهدامة والنوادي الماسونية وغيرها من منظمات صهيونية¹، إلا أن قاعدة حماس الميدانية لم تشهد هذا الفعل على الصعيد النسوي، حيث يسيطر على كافة طواقم حماس السياسية والإعلامية والجهادية، الرجال دون النساء، ولم يشعر الباحث من خلال تفقد العديد من أدبيات ووثائق الحركة أن هناك موقفا للمرأة، ويبدو أصلا أنه لا يوجد تنظيم نسوي رسمي خاص بحماس، وإن كان ثمة عمل تنظيمي رسمي للمرأة المسلمة في فلسطين فلا يخرج عن كونه من بقايا تنظيم الأخوات المسلمات التابع لجماعة الإخوان المسلمين.

وقد لوحظ أن ميثاق حماس يركز على دور المرأة تجاه بناء البيت المجاهد والأسرة المسلمة المجاهدة من رعاية النشء وتربية الأبناء على تأدية الفرائض استعداداً للدور الجهادي² وقد تجلّى ذلك من خلال تركيز حماس على دور التعبئة والإعداد داخل البيت، أي الدور التربوي والبناء العقائدي الديني وليس السياسي، وإذا كانت حماس قد شهدت في صفوفها العديد من آلاف المعتقلين المقاومين للاحتلال فإن غالبية هؤلاء المعتقلين كانوا من الذكور وقد خلت صفوفهم تقريبا من النساء وكذا الحال في قوافل الشهداء الذين تسابقوا نحو المقاومة، سواء الاستشهاديين أم المنتفضين، فقد كانت غالبيتهم من الرجال وليسوا من النساء إلا قليلا، ويبدو أن الحركة لم ترغب في زج النساء في ذلك حيث بدا واضحا عندما تدافع شباب حماس نحو الشهادة دون النساء.

فقد ورد في مقابلة أجراها ونشرها المركز الفلسطيني للإعلام على موقعه الإلكتروني مع الشهيد جمال منصور بأن الاستشهادية (دارين أبو عيشة)³ جاءت إلى الشيخ تطلب منه مساعدتها في تنفيذ عملية استشهادية، إلا أنه رفض الاستجابة لطلبها مشيرا أن هناك كفاية في الرجال،

¹ - انظر المادة السابعة عشرة من ميثاق حماس المثبت في قائمة الملاحق.

² - انظر المادة الثامنة عشرة من ميثاق حماس المثبت في قائمة الملاحق.

³ - الاستشهادية دارين أبو عيشة، من طالبات الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية وقد استشهدت بتاريخ () بعد ان فجت نفسها أمام حاجز عسكري إسرائيلي .

فقامت بالاتصال مع كتائب شهداء الأقصى الجناح العسكري لحركة فتح وحصلت على المواد المتفجرة ومن ثم قامت بتفجير نفسها أمام حاجز عسكري صهيوني¹.

وقد لوحظ من خلال الانتفاضة الأولى والثانية ومجمل حركة المقاومة التي تقوم بها حماس أن المرأة مستبعدة من ذلك وإن كان هناك بعض الحالات فإنها ثانوية جداً وليست بالبرنامج الحركي.

وعلى الصعيد السياسي للحركة، فلا زالت المرأة المسلمة مبعدة عن هذه الساحة حيث لا يوجد في مؤسسات الحركة السياسية أي عضو من القطاع النسائي ولا حتى في قيادات الميدان، أضف إلى ذلك الميدان الإعلامي، حيث تفتقد حماس إلى ذلك تماماً، وقد حاولت الحركة مرة أن تبرز دور المرأة المسلمة في العمل والحوار السياسي على صعيد الفضائيات فزجت بإحدى الأخوات لتتحدث عن دور المرأة في حماس من خلال برنامج (للنساء فقط)² والذي تبثه قناة الجزيرة الفضائية حيث كان اللقاء وجهاً لوجه مع الفدائية الفلسطينية المشهورة (ليلى خالد) فلم يكن الأمر موفقاً بتاتا وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الإخفاق في هذا الجانب من قبل الحركة التي كان الأجدر بها أن تعد كوادراً نسائية تأخذ دورها في العمل السياسي النسوي.

وحتى على صعيد مجالس الطلبة في الجامعات والمعاهد الفلسطينية فإن الكتل الإسلامية التي تمثل التيار الطلابي لحركة حماس أخفقت في إدخال المرأة في قيادة العمل الطلابي جنباً إلى جنب مع الرجل، ويبدو أن استبعاد الطالبات يتم لعدم قناعة لدى الحركة من مشاركتهن، مع وجود بعض الأصوات المنادية داخل الحركة لمشاركة المرأة ولكن القرار النافذ لأصحاب التيار الرفض داخل الحركة، ومع ذلك اضطرت حركة حماس في ترشيح نساء في الانتخابات البلدية التي جرت في المدن والقرى ليس لقناعة منها وإنما مجبرة لأن قانون الانتخابات الفلسطيني ينص على ذلك ويعتبره شرطاً في العملية الانتخابية، كما أن حماس سترشح عدداً من النساء للمجلس التشريعي استناداً لمتطلبات القانون سالف الذكر رغم بروز بعض القناعات بضرورة المشاركة الفاعلة للمرأة المسلمة في معركة الانتخابات التشريعية القادمة.

ويلحظ أن لنشاط حماس النسوي إخفاقاً واضحاً حيث يبدو أن الحركة تتحرج في إبراز المرأة وزجها في الميدان السياسي، رغم أن الحركة الأم (الإخوان المسلمون) قد حضت على هذا الدور ودفعت بكوادرها النسائية كي يشاركون في مواقع سياسة هامة، وعلى سبيل المثال لا الحصر " فقد تم ترشيح الأخوات (نوال الفاعوري) و(سامية ملص) أعضاء في الأمانة العامة لحزب جبهة العمل الإسلامي في الأردن، فيما رشحت الحركة الإسلامية في المغرب، وعلى وجه الخصوص حزب العدالة والإحسان الكاتبة والمفكرة الإسلامية (بسيمة الحقاوي) التي فازت في

¹ - مقابلة مع الشيخ جمال منصور رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٤م

² - الاخت المشاركة في البرنامج هي جميلة الشنطي، حيث شاركت في البرنامج المذكورة باسم حماس.

البرلمان المغربي وأصبحت فيه عضواً فاعلاً، وفي السودان برزت (البروفسورة سعاد الفاتح) التي شغلت منصب رئيسة للاتحاد النسائي الإسلامي العالمي في السودان لا بل تم اختيارها مستشارة للرئيس عمر البشير في شؤون المرأة والطفولة، فيما انتخبت أخيراً عضواً في البرلمان السوداني، وقد شهدت الساحة اليمنية بروز الناشطة الإسلامية (تغريد الشهاب) العضو الفاعل في حزب التجمع للإصلاح والتي شغلت أيضاً منصب الأمين العام للإقليم العربي في الاتحاد الإسلامي العالمي للمرأة، وفي لبنان برزت الدكتورة (منى حداد يكن) زوجة الداعية الشيخ (فتحي يكن) التي ترشحت للانتخابات البرلمانية في عهد حكومة (سليم الحص) فلم يحالفها الحظ، وعلى صعيد الحركة الإسلامية في تركيا، فقد شهد العالم الموقف الصلب والمميز للداعية والنائبة المسلمة (مروة قاوقجي) مرشحة حزب الرفاه الإسلامي في البرلمان التركي والتي خاضت معركة سياسية مع النظام بسبب ارتدائها الحجاب الإسلامي داخل البرلمان¹.

وبذلك نرى أن المشاركة السياسية للمرأة المسلمة في العالم العربي والإسلامي مشاركة فاعلة، ساهمت الحركة الإسلامية في بروزها ووفرت لها الإمكانات المعنوية والمادية. وتغزو بعض الناشطات الإسلاميات في العمل الخيري والأهلي في فلسطين أسباب القصور السياسي إلى أسباب ثلاثة :-

الأول: المرأة نفسها، حيث تفتح النساء المجال للرجال ليشرخوا على نشاطات النساء من خلال التخطيط والإشراف وخاصة في الميدان النقابي والثقافي والجهادي وهذا بدوره يعتبر إقراراً من المرأة نفسها بأنها قاصرة في هذا الجانب، ولهذا تحتاج من الرجال المساعدة في إكمال هذا النقص.. إضافة إلى أن المرأة المسلمة نفسها وخاصة على الصعيد السياسي تشعر نفسها بأنها غير قادرة على هذا الدور ولهذا يحصل التراجع والضعف .

الثاني: الرجل: يعتبر الرجل سواء كان زوجاً أم أباً أم شقيقاً أحد المعطلين أو المعرقلين لدور المرأة السياسي في فلسطين لاعتبارات كثيرة، قد يبدو من بينها خشيتها عليها من أقاويل المجتمع جراء العادات والتقاليد الممتدة عبر الزمان، إضافة إلى الخشية عليها من إجراءات الاحتلال الصهيوني التي قد تصل إلى الاعتقال مما يبعثر الأسرة ويعرقل الحياة الزوجية.

الثالث: الحركة الإسلامية: حيث تعتبر ميسون الرمحي الناشطة الإسلامية الفلسطينية أن الحركة الإسلامية الفلسطينية تتحمل جزءاً من المسؤولية في قصور العمل النسوي السياسي على الساحة، ليس لأن الحركة غير مقتنعة بهذا النمط من العمل، بل جاء التقصير لوجود أولويات لدى الحركة يبدو أنها أهم من الدفع بالمرأة في الميدان السياسي ولهذا يبرز القصور جراء هذه الأسباب مجتمعة، وتحدثت الأخت الرمحي كمرقبة وليس كعضو في الحركة².

¹ - عفت الجعبري: من مقابلة سابقة أجريت بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٨ م.

² - من مقابلة مع ميسون الرمحي، رئيس جمعية الخنساء برام الله في ٢٠٠٣/٤/١٩ م.

وترى الدكتورة مريم صالح المحاضرة في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس في فلسطين أن سبب قصور المرأة المسلمة على الصعيد السياسي يعود لأسباب عامة وأسباب ذاتية، أما بخصوص الأسباب العامة فإنها تعزو ذلك إلى واقع المجتمع الذي يحيط بها، إضافة إلى الظروف البيئية المعقدة التي تتعلق باختلاف المفاهيم حول الحقوق والحريات المتعلقة بالمرأة، وكذلك عدم توفر المناخ النفسي والاجتماعي المريح، فالمرأة الفلسطينية كادحة تذهب إلى العمل من أجل مساعدة زوجها وتوفير متطلبات المعيشة ولهذا فهي منشغلة داخل البيت وخارجه بهوموم الأسرة وهموم زوجها.

وتضيف الدكتورة مريم إن على الحركات والفصائل السياسية الفلسطينية دوراً هاماً وأساسياً في توفير الفرص للمرأة الفلسطينية المسلمة لأخذها دورها كما يعطى الرجال وخاصة على صعيد رسالتها في المجتمع إضافة إلى دور المؤسسات النسوية العلمانية والليبرالية التي تصدر حق المرأة المسلمة في فلسطين من المشاركة وأداء دورها، ولا تستثنى الدكتورة مريم نظرة الأهل والعادات والتقاليد في المجتمع التي تقدم الرجل على المرأة دوماً وتجعل الأولويات للولد قبل الفتاة من خلال التجذير التربوي داخل المنزل مما خلق حالة تراكمية نفسية انعكست على وضع المرأة، إضافة إلى استمرار القيود الأسرية على المرأة خلال الذهاب والإياب خشيته عليها خلال تعاملها مع المجتمع، كل هذه المفاهيم التربوية الاجتماعية كان لها دور في تمكين الرجال والسيطرة في المجتمع على حساب المرأة ودورها¹.

وترى الدكتورة مريم أيضاً إن عدم وجود رافد مادي يدعم المشاريع النسوية ويغطي تكاليف البرامج التي تقوم بها كما هو الحال مع المؤسسات النسوية الليبرالية يعطل بروز دور المرأة المسلمة في المجتمع، حيث أن كثيراً من المؤسسات الأوروبية والأمريكية الداعمة ترسل دعوماتها وتغطياتها المادية والمالية لمؤسسات نسوية خاصة، ولكن المؤسسات النسوية الإسلامية لا تحظى بهذا الدعم لأنها إسلامية فقط.

وحول الظروف الخاصة بالمرأة نفسها قالت الدكتورة مريم: إن المرأة المسلمة في فلسطين لا تثق بنفسها بسبب التجذير التربوي السابق المبني على العادات والتقاليد، إضافة إلى جهلها بحقوقها ويمكن لها أن ترتقي إذا ما أدركت أن هناك حق لها شرعه الله ينبغي ألا يعصف به، إضافة إلى أن المرأة المسلمة تشعر أن مهمتها الأولى والأساسية هي الأمومة ولهذا لا تستطيع ترك منزلها بسهولة وتشعر بأن الإعداد التربوي للأبناء في المنزل هو جزء هام في عملية البناء الأساسية للمجتمع المسلم، وتختتم حديثها مطالبة الحركات والفصائل الإسلامية بأخذ دورها في دعم المرأة نفسياً ومعنوياً ومادياً كي تتجح في مهمتها².

¹ - من مقابلة مع الدكتورة مريم صالح، المحاضرة في كلية الدعوة بجامعة القدس في ٢٠/٤/٢٠٠٣م.

² - مقابلة مع الدكتور مريم صالح بتاريخ ٢٠/٤/٢٠٠٤م.

وأرى أن ما طرحه الأخوات اللواتي أجريت معهن المقابلات (عفت الجعبري، ميسون الرمحي، والدكتورة مريم صالح) يصيب عين الحقيقة ، فهن نساء يمارسن على الأرض نشاطا إسلاميا وأكاديميا ويشاهدن عن قرب واقع المرأة المسلمة سياسيا ومدى القصور الذي يعترى هذا الواقع ، وأكاد أجزم أن الحركة الإسلامية في فلسطين انشغلت عن المرأة كثيرا ولم تعطها حقها في الإعداد والبناء، وكان الرجال في الحركة دوما هم الأوصياء على النشاط النسوي وخاصة السياسي وذلك خشية على عفتهم وكرامتهم كما يرى البعض ؟!.

وبذلك فإن أسباب القصور السياسي والميداني المتعلق بالمرأة المسلمة في فلسطين يعود لأسباب متعددة منها ما يتعلق بالمجتمع ومنها ما يتعلق بالمرأة نفسها ومنها ما يتعلق بالحركة الإسلامية التي لم توفر المناخ الملائم للمرأة كي تواجه المجتمع.

المبحث الخامس: دراسة تقييمية لخطاب حماس

ويتضمن تمهيدا وأربعة مطالب .

تمهيد :

شكل خطاب حماس السياسي والاجتماعي والثقافي نقطة نقاش وبحث لعدد من الباحثين والدارسين، إضافة إلى الأصدقاء والأعداء الذين راقبوا عن كثب حيثيات هذا الخطاب وآلياته وما له وما عليه فبعضهم كان منصفاً، فيما كان آخرون متحاملين بعيدين عن الحقيقة، فما برز طرف ثالث وكأنه محايد، بحيث سلط الضوء على الكثير من الجوانب دون أن يعطي رأياً.

ولعل المشكلة العظمى تكمن في عدم استيعاب الحركات الإسلامية عامة وحماس خاصة خطية النقد والنقاش في السلبيات والإخفاقات حيث يتهم بل يشار إليه بأصابع الاتهام والحدق كل من يوجه نقداً لأي حركة كانت ويبدأ الشارع الفكري أو السياسي يستقبل بيانات الردود وكتيبات النقد والرد على النقد وغير ذلك وكأن هذه الحركات كلها معصومة عن الخطأ..

وقد شكلت هذه القضية، وعدم الإقرار بالرأي والرأي الآخر على الصعيد الفقهي والفكري والسياسي معضلة كبرى لدى الحركات الإسلامية بحيث أصبحت كتلة من الأحقاد والخلافات فيما بينها، وكان الأمر واضحاً ومشاهداً أن بعض هذه الحركات التقى ضمن قاسم مشترك مع فصائل يسارية وعلمانية وتحالف معها في حين لم يستطيع أن يصل إلى ذلك مع الحركات الإسلامية الأخرى التي ترتبط فيما بينها بقاسم عقائدي إضافة إلى عبادات مشتركة.

ويلاحظ من خلال العلاقات الإسلامية الفلسطينية خلال الانتفاضة أن حماس تمكنت من إقامة علاقات ونشاطات ميدانية على صعيد المجتمع الفلسطيني، خاصة مع اليسار الفلسطيني والحركات الليبرالية إلا أنها لم توفق من بناء علاقات عملية ميدانية مع حركات إسلامية مثل حركة الجهاد الإسلامي و حزب التحرير رغم وجود العديد من القواسم المشتركة بينها .

إن التوقع على الذات وعدم الإقرار بالآخر رغم وجوده، هو نوع من العجب والتمرد على الحقيقة التي لا مفر من الإقرار بها، رغم كل التصورات السياسية القائمة، ولا أعتقد أن الذي لا يجرؤ أن يستمع بكل رحابة صدر لنقد الآخرين، سيكون قادراً في التغلب عليهم بالحجة والبرهان والمنطق!! وعلى الصعيد الفلسطيني الفلسطيني، اختلفت الفصائل الفلسطينية فيما بينها بسبب اختلاف المواقف السياسية مما أدى إلى بروز صراع سياسي، تطور وتحول إلى صراع دموي كما حصل في لبنان، ولم يكن حال الحركات الإسلامية المتصارعة البعيدة عن الحقيقة أفضل، حيث شهدت الساحة الأفغانية صراعاً دموياً قاتلاً بين المسلمين أنفسهم مما جعلهم فرقاً وشيعاً وأحزاباً مقاتلة توجه من الغرب المعادي للإسلام.

وكذلك الحال في الجزائر التي شهدت صراعاً دائماً مؤلماً وخلاًفاً متجذراً بين الجماعات الإسلامية والنظام وبين الجامعات الإسلامية السياسية والعسكرية نفسها مما خلف حالة من الفوضى استمرت عدداً من السنين.

لقد اختلفت حماس في رؤيتها السياسية والجهادية مع الكثيرين سواء كانوا إسلاميين أم علمانيين، ولكن يبدو أنه كان واضحاً أنها حافظت على مطية من العلاقات مع الجميع لم تصل إلى درجة النزاع والخلاف الدموي.. وكان شعارها في ذلك.. (توحيد جبهة المواجهة لتكون من الكيان الصهيوني فقط!) هذا الأمر الذي حافظ على ديمومتها في دائرة الصراع المؤقت طويل الأمد، رغم كل التطورات السياسية.

لقد استطاعت حماس أن تحافظ على أفكارها وسياساتها رغم كل التناقضات المتعلقة بالإشكاليات القائمة حول هوية الصراع على فلسطين، سواء كان ذلك بقناعات ذاتية وسياسات مبرمجة للحركة في التعامل مع الآخر أم أنها مرغمة، وبذلك كانت حدة الصراع مستوعبة. كيف تقرأ الحركات الإسلامية هذا الخطاب وكيف تنظر إلى براغماتية حماس وماذا كانت انعكاسات هذه النظرة على الحالة الإسلامية وصوتها القائمة؟ على الصعيد الفلسطيني الداخلي وفي ظل تنأثر التنظيمات الفلسطينية، كيف يقرأ هؤلاء جميعاً خطاب حماس السياسي والجهادي.. وما هي حالة الرأي العام الإسلامي.. إنها أسئلة كثيرة تجيب عليها الصفحات القادمة بمنهجية علمية مجردة بعيدة عن العاطفة.

ولا يعني ذلك أن ننسى أن عدو الأمة المسيطر المغتصب له موقف ورأي، مبني على دراسات وسياسات استراتيجية قائمة كي يحافظ على وجوده ويحرص على أمنه ويؤمن مستقبل كيانه في ظل تصاعد النظرة الشمولية العربية والإسلامية والفلسطينية القائمة على إنهاء هذا الكيان إن أجلاً أم عاجلاً.

المطلب الأول: موقف الحركات الإسلامية من خطاب حماس

تحظى حماس بشعبية عارمة من قبل الحركات الإسلامية المقيمة في العالم العربي والإسلامي، كونها تراقب عن كثب دور حماس المميز في الانتفاضة المباركة وانتفاضة الأقصى، إضافة إلى العمليات الجهادية النوعية التي تعتبرها هذه الحركات جزءاً من برامجها النضالية والجهادية ضد الكيان الصهيوني.

ولهذا تجدد مجمل هذه الحركات ويؤازرون حماس وفي مقدمتهم حزب الله اللبناني الذي مدح الحركة أكثر من مرة وفي مناسبات عدة تتعلق بفلسطين أو الأمة الإسلامية.. وقد تجلّى ذلك في خطابات الأمين العام لحزب الله الشيخ حسن نصر الله في الاحتفالات السنوية التي تقام في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان في كل عام تحت عنوان يوم القدس العالمي، في مقابلة مع الشيخ حسن نصر الله نشرتها له صحيفة العهد حول القضية الفلسطينية: قال إن القضية الفلسطينية ستبقى حية وسيرحل الاحتلال ما دامت هناك حركات إسلامية جهادية فاعلة مثل حماس¹.

كما أثنى الشيخ راشد الغنوشي الداعية الإسلامي وزعيم حركة الاتجاه الإسلامي التونسية "على جهاد حركة حماس قائلاً: إنها ومضة في ظلمات المقاومة الفلسطينية القائمة ببطولة رجالها ومجاهديها"².

وكذا الحال مع الشيخ محفوظ النحاح الداعية الإسلامي الجزائري رئيس حركة المجتمع الإسلامي في الجزائر والذي أطلق على حركته اسم مختصر وهو (حماس) تيمناً بحركة حماس الفلسطينية.

وقد أيدت الجبهة القومية الإسلامية في السودان والتي أسسها الدكتور حسن الترابي حركة حماس وساهمت في افتتاح مكتب لها في الخرطوم.. وكذلك تميزت حماس في مدّ الجسور مع هذه الحركات التي كانت تدعم معنوياً وسياسياً جهاد الشعب الفلسطيني، حيث شاركت حماس في وفد رسمي في احتفالات مركزية أقامها حزب الرفاه الإسلامي في تركيا عام ١٩٩٤م حضره ممثل عن حماس (محمد نزال)³ وفي اليمن أقام حزب التجمع اليمني للإصلاح احتفالات سنوية لأكثر من عامين في ذكرى انطلاقة حماس وبحضور قيادات المكتب السياسي للحركة وقد استطاعت حماس أن تبني جراء ذلك علاقات مميزة رسمية بين قياداتها الخارجية وعلى عبد الله صالح الرئيس اليمني الذي التقى خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس أكثر من مرة.

وعلى الصعيد الداخلي، فإن حركة حماس تربطها علاقات ومواقف مشتركة مع الحركات الإسلامية الأخرى لا سيما المجاهدة منها مثل: حركة الجهاد الإسلامي حيث أكد الدكتور رمضان

¹ - صحيفة العهد اللبنانية، العدد الصادر في ١٥/٤/١٩٩٦م.

² - صحيفة الحياة اللندنية، عدد رقم ٣٧٧، اذار ١٩٩٥م؟

³ - مجلة المشاهد السياسي اللندنية، عدد رقم ٣٧٧، اذار ١٩٩٥م.

عبد الله شلح أكثر من مرة على الشراكة المميزة في العمل والموقف السياسي ما بين حماس والجهاد الإسلامي، وقال في مقابلة مطولة مع صحيفة الشرق القطرية: "إن حركة الجهاد الإسلامي ترتبط بحماس من خلال علاقة وجدانية مبنية على العقيدة والدين إضافة إلى عمل جهادي مقاوم في وجه الاحتلال، وكذلك من خلال موقف سياسي معارض لاتفاقيات السلام الهزيلة"¹.

لكن هذا الموقف يختلف كثيراً بالنسبة لحزب التحرير الإسلامي الذي يعتبر أن كل الحركات الإسلامية والإصلاحية التي سبقتها أخفقت في إقامة الدولة الإسلامية²، في الوقت الذي لم يتمكن هذا الحزب من إقامة الخلافة الإسلامية كما هو حال غيره، حيث مر على تأسيسه أكثر من خمسين عاماً.

وقد تميز حزب التحرير الإسلامي في مواجهته لجماعة الإخوان المسلمين وخاصة إخوان الأردن، حيث يقول (أمنون كوهن) صاحب كتاب الأحزاب السياسية في الضفة الغربية "بأن حزب التحرير تنافس في الضفة الغربية في الحصول على دعم من السكان المحليين وكان منافسه الرئيس حركة الإخوان المسلمين التي انسلخ عنها في الأصل، والتي تنافس الحزب معها خاصة في كسب الأفراد الجدد من بين أبناء القطاعات المتدينة المحافظة، وبناء على ذلك فإن أشرس الهجمات التي قام بها حزب التحرير كانت موجهة ضد الإخوان المسلمين حيث اتهمهم بأنهم من أتباع الملك ومن أتباع الاستعمار البريطاني"³، وسواء كان هذا النص دقيقاً أم لم يكن فإن حزب التحرير الإسلامي قد أشغل نفسه في انتقاد ونزاع الإخوان المسلمين كثيراً.

وبعد بروز حركة حماس وانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية، لم تتغير مواقف الحزب، واعتبر الانتفاضة مؤامرة على الشعب الفلسطيني، رغم أن الحزب لم يصدر موقفاً رسمياً في ذلك من خلال بياناته الرسمية، إلا أن روحية هذه البيانات وما بين سطورها كانت تحتوي على النقد اللاذع للانتفاضة ولحماس والفصائل الفلسطينية الأخرى، وساهمت في عملية النقد والانتهاام أحياناً مجلة الوعي المقربة من الحزب، جنباً إلى جنب مع محاضرات وخطب أعضاء الحزب التي كانت تهاجم الانتفاضة وحماس في المساجد والندوات العامة، ويرى حزب التحرير أن نهج الإخوان المسلمين وحماس وعلاقاتهم مع القوى السياسية العلمانية، وكذلك الحكومات، هو نهج مخالف للإسلام وتمييع للصحة الإسلامية عن مضمونها، حيث يطالبون بضرورة تميز

¹ - صحيفة الشرق القطرية، الصادرة في ٧ آذار ٢٠٠٣م.

² - انظر: كتيب صادر عن حزب التحرير بعنوان مفاهيم سياسية، بلا تاريخ طبعة ولا ناشر ولا مكان نشر.

³ - الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني (١٩٤٩ - ١٩٦٧)، أمنون كوهين، تعريب (خالد حسن) مطبعة القادسية - القدس، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٠١.

الجماعات والحركات الإسلامية الفلسطينية بمواقفها القائمة على ضرورة العمل لإقامة الخلافة الإسلامية بعيدا عن التزلف للحكام¹.

والحركة السلفية التي لا تحظى بانتشار ملموس في المدن والقرى الفلسطينية تركزت على ضرورة اتباع منهج السلف وتصحيح عقيدة المسلم وتقوم بتتبع ما يطرحه الوعاظ والدعاة من أحاديث ضعيفة وموضوعة لتصحيحها.. وكذلك جماعة التبليغ والدعوة المنشغلة في رحلات الخروج في سبيل الله للدعوة إلى الله، حيث لا تمارس أي عمل سياسي ولهذا يشعر المراقب أنهم يحبون كل المسلمين ويحاولون أن يصلوا إليهم ومن بينهم أعضاء حماس وقد سبق وأن خرج العديد من أنصار حماس مع الرحلات الدعوية التي يقومون بها ولهذا هناك علاقة جيدة ما بين الحركتين.

أما الصوفيون فهم منعزلون تماما عن المجتمع ومتطلباته السياسية والاقتصادية وكذلك السياسة ويستعيزون عن كل ذلك بحلقات الذكر التي تعتبر عملهم المركزي.

¹ - من مقابلة مع احد نشطاء حزب التحرير الإسلامي بتاريخ ٢٠/٤/٢٠٠٣م رفض ذكر اسمه.

المطلب الثاني: موقف الحركات القومية والعلمانية الفلسطينية من خطاب حماس

لعل قراءة متأنية لما كتب عن الحركة الإسلامية الأم في العالم العربي والإسلامي وخاصة قبيل تأسيس حماس بنحو عشرين عاماً أو يزيد تشعر بمدى الخلاف والفرقة والإشكاليات التي كانت قائمة بين التيار المادي العلماني والتيار الإسلامي الديني، حيث ارتفعت وتيرة الخلاف إلى درجة خيم عليها الصراع الأيديولوجي الصريح بحيث بات يلمس المثقف العربي والإسلامي أن هناك معركة محتدمة قائمة بين العقيدة الإسلامية والتيار الشيوعي اليساري وكانت هناك مساجلات فكرية وأيديولوجية لإثبات أن الله سبحانه وتعالى موجود أو غير موجود وكان الخطاب الفكري والعقدي قائماً على هذه النمطية العقدية مما انعكس على الواقع السياسي أيضاً وكذلك الثقافي، فشهدت الساحة كتابات وردود وانتقادات ومهاجمات من كلا الطرفين المادي والإسلامي كل منهم يريد إثبات نفسه والعقيدة التي ينتمي إليها واستقبل المثقف العربي كتاب (نقد الفكر الديني) تأليف الدكتور صادق جلال العظم الذي توقع أنصار التيار الإسلامي أن يصدر المفكرون المسلمون المعاصرون ردوداً عليه وقد كان، حيث صدر كتاب نقد الأوهام المادية الجدلية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي كما صدر كتاب الإسلام في وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي وكتاب الإسلام المفترى عليه وكتاب الإسلام والمناهج الاشتراكية وكلاهما للشيخ الغزالي رحمه الله، وقد استمرت معركة الصراع العقدي بين التيار الإسلامي والتيار الإلحادي والقومي واليساري حتى نهايات عام ١٩٧٠م وبدايات عام ١٩٨٠م، إذ برزت تصورات مشتركة في العالم العربي والإسلامي تنادي بالفهم الوطني المشترك والعمل تجاه إبراز آليات التعددية السياسية التي بدأت تأخذ دورها وتجعل كل تيار يقر بالتيار الآخر من خلال الإيمان بضرورة العيش المشترك بعيداً عن الصراع ونفي الآخر.

وفي فلسطين لم يكن الحال أفضل كثيراً، فقد شهدت سنوات السبعين وبدايات الثمانين صراعات أيديولوجية دامية في الجامعات والمعاهد الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة أدت إلى سقوط جرحى وبروز خلافات سياسية انعكست على الشارع الفلسطيني حيث لعبت كل التيارات الفلسطينية خلالها دوراً في تأجيجها.

مع بروز حركة حماس نهاية عام ١٩٨٧م شهدت الساحة الفلسطينية السياسية والفكرية تغيراً جذرياً في المناهج الفكرية والأيديولوجية انعكست على العلاقات فيما بين الفصائل والتيارات السياسية.

فالحركة الإسلامية شهدت تطوراً داخلياً دفع بها نحو تجديد الكثير من الأفكار والتصورات تحت مظلة تجديد الفكر الإسلامي، هذه المظلة التي تم خلالها نقاش الكثير من المستجدات الفكرية والسياسية والمصطلحات الطارئة، مما أدى إلى تغيير شامل في إدارة الصراع الداخلي ما بين

الفصائل بحيث تحول إلى صراع أشبه (بالحرب الباردة) بعيداً عن الصراع الدموي والأيدولوجي.

وعندما انفجرت انتفاضة الأقصى نهاية عام ٢٠٠٠م شهدت تطوراً مميزاً في العلاقات الوطنية الإسلامية، حيث تشكلت قيادة وطنية إسلامية موحدة لإدارة الانتفاضة، تمثلت في اللجنة الوطنية الإسلامية العليا في رام الله وغزة والتي تفرع عنها لجان أخرى مشتركة في كافة مدن وقرى ومخيمات الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث أشرفت هذه اللجان على تفعيل الانتفاضة الشعبية والخروج بمسيرات مشتركة إضافة إلى إصدار بيانات موحدة، فيما انحصر توجيه العمل العسكري والمقاومة المسلحة في التنظيمات نفسها كل من خلال جهازه العسكري.

امتازت هذه الفترة بعلاقات وحدوية بين الفصائل الفلسطينية وكانت حماس التي تشكل قطاعاً عريضاً في المجتمع الفلسطيني في مقدمة الفصائل المشاركة جنباً إلى جنب مع بقية الفصائل الأخرى الفلسطينية مما خلق حالة من المودة والألفة بين جميع الأطراف.

وعلى صعيد العلاقة ما بين حماس وفتح كالأكبر فصيلين في المجتمع الفلسطيني فإنه لا يخفى على أحد أن "فتح" وخلال بياناتها الداخلية وبعض نشراتها الخاصة تظهر مدى تنكرها لحماس كمنافس رئيسي في الساحة الفلسطينية وقد يشعر المراقب ذلك من خلال المهرجانات الخاصة وبعض الكلمات النارية التي يتفوه بها بعض القيادات الفتحاوية داخل الجامعات والمعاهد أو في بعض المؤسسات.

لكن الموقف الرسمي لحركة فتح من حماس وخاصة موقف اللجنة المركزية للحركة والتي تعتبر أعلى مستوى تنظيمي للحركة، كان موقفاً متوازناً بحيث يتعامل مع حماس كفصيل إسلامي وطني يعمل على الساحة الفلسطينية له احترامه وله مواقفه الوطنية المخلصة والصداقة تجاه الشعب الفلسطيني ومستقبله.

فقد اعتبر عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وخلال حديث خاص: "أن العلاقة ما بين حماس وفتح هي علاقة أخوية نحو البناء الوطني المشترك، وأن حماس فصيل فلسطيني إسلامي أثبت انتماءه الصادق تجاه شعبه وتجاه القضية، إضافة إلى تميز حماس وقيادتها بالحكمة خلال العديد من الإشكاليات، التي لولا هذه الحكمة لغرق المجتمع الفلسطيني في فتن لا تحمد عقباه"^١.

وقد أكدت نشرة خاصة عن حركة فتح في حزيران ٢٠٠١م "أن على شبيبة فتح في الوطن، المحافظة على الوحدة الوطنية الإسلامية مع كافة الفصائل الوطنية والإسلامية وخاصة حماس

^١ - من مقابلة مع عضو اللجنة المركزية لحركة فتح عباس زكي بتاريخ ٢٢/٤/٢٠٠٣م.

التي تعتبر حركة فلسطينية مناضلة لها تاريخها ونضالاتها وشهادتها والتي وقفت مع إخوانها في حركة فتح وبقية الفصائل الفلسطينية في تأجيج انتفاضة الاستقلال"^١.

وفي بيان صادر عن حركة فتح بتاريخ ٢٥/٧/٢٠٠٢م عقب اغتيال القائد القسامي صلاح شحادة، وزع في قطاع غزة جاء فيه: "اننا اليوم نودع قائداً فذاً ورائداً حماسياً وقسامياً قدم نفسه فداءً لفلسطين، فكان مثالا يقتدى به ورمزاً وطنياً وإسلامياً له تاريخه ونضالاته الطويلة عبر المعتقلات وخارجها، وإننا في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح نتقدم بأحر التعازي من إخواننا ورفاق دربنا في حركة حماس لوداعهم هذا الفارس الذي ارتفع شهيداً جراء قصف العمارة التي يسكنها من قبل العدو الصهيوني حيث سقط شهيداً خلال الجريمة الإرهابية والعشرات من الشهداء والجرحى"^٢.

وهكذا يلاحظ من خلال هذه الأدبيات والوثائق طبيعة العلاقة المتطورة نحو الأخوة والترابط والوفاق الوطني ما بين حركة حماس وفتح خاصة خلال انتفاضة الأقصى وما بعدها.

وعلى صعيد اليسار الفلسطيني فإن ثمة علاقات قائمة بين فصائل اليسار وحماس وخاصة بعد انتفاضة الأقصى بل ظهرت أواصر هذه العلاقة بعد توقيع اتفاق أوسلو من قبل منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة فتح، حيث برزت في تلك اللحظة موجة مفاصلة ومعارضة من قبل اليسار الفلسطيني ممثلاً بالجهتين الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين، مما خلق حالة من الوفاق السياسي المشترك ما بين التيار اليساري المعارض لأوسلو والتيار الإسلامي، حيث تطورت العلاقة إلى تحالفات نقابية وخاصة في بعض الجامعات الفلسطينية من أجل الوقوف أمام تيار أوسلو.

ويرى البعض "أن حماس بفعلها الجهادي تمكنت من فرض نفسها على الساحة السياسية الفلسطينية لا بل كانت سباقة في بناء علاقات وطنية صادقة مع كافة الفصائل الوطنية مما انعكس إيجاباً على الواقع الفلسطيني العام"^٣.

ويندر أن تتحدث نشرة واحدة أو بيان أو مسؤول عن انتقادات لحركة حماس ليس لأنها فوق النقد، وإنما لطبيعة العلاقات المتطورة نحو الفهم الوطني الإسلامي المشترك في مواجهة الاحتلال وحتى حزب الشعب الفلسطيني الذي كان يسمى في الماضي الحزب الشيوعي الفلسطيني، ينظر إلى حماس نظرة إيجابية وإن كان له ثمة انتقادات فإنه يراها تتمثل في عدم وجود برنامج سياسي واضح لحماس.

^١ - من نشرة خاصة صادرة عن فتح في شهر حزيران ٢٠٠١م بلا مؤلف ولا ناشر، ص ١٩.

^٢ - من بيان صادر عن حركة التحرير الفلسطيني فتح بتاريخ ٢٥/٧/٢٠٠٢م.

^٣ - من مقابلة مع علي جرادات عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتاريخ ٢٥/٤/٢٠٠٣م.

يقول الدكتور مصطفى البرغوثي وهو أحد أقطاب حزب الشعب البارزين أن: "حماس حركة إسلامية مناضلة شاركت في نضالات الشعب الفلسطيني ولا زالت، وأثبتت نفسها من خلال مواجهتها المستمرة للاحتلال وتحظى باحترام واضح من قبل أبناء الشعب وكذلك كافة القوى والفصائل الوطنية والإسلامية، ولكنها تحتاج إلى برنامج سياسي واضح جنباً إلى جنب مع برنامج الانتفاضة والمقاومة"¹.

وقد كان لهذا الوفاق المشترك ما بين حماس وكافة الفصائل الوطنية والإسلامية الفلسطينية الأثر الكبير في طبيعة العلاقات الفلسطينية الفلسطينية المشتركة التي توحدت والتقت في إطار الهم الفلسطيني مما أنهى حالة الحدة والصراع المؤلم الذي كان قائماً بين الفصائل حيث يعتبر الدكتور إياد البرغوثي الباحث في شؤون الإسلام السياسي في فلسطين أن "علاقة حماس مع الآخر الفلسطيني شكّلت نوعاً من الراحة في العلاقات الفلسطينية الفلسطينية بحيث باتت المعادلة ليس نزاعاً حتى العصر وليست وفاقاً حتى الجذور، هذا الأمر الذي كان يشكل مصدر قوة لـ "حماس" ولا زالت العلاقة ضمن هذا الفهم.

ومن الذين أفردوا لحركة حماس انتقادات متعددة تطال منهج الحركة وعلاقاتها الداخلية والخارجية الوزير الفلسطيني السابق عماد الفالوجي² والذي كان ينتمي لحركة حماس وجراء عدد من المخالفات الميدانية قامت الحركة بفصله من خلال إصدار عدد من البيانات تؤكد إنهاء صلته بالحركة مما أثار حفيظته واستغرابه كما يقول في مذكراته.

يقول الفالوجي: "لا شك أن هذه الفكرة التي أحملها ويقصد (الانفتاح على الآخر) لم يستوعبها الكثير داخل حماس، ولهذا انهالت عليّ بعض الاتهامات من داخل الحركة تتهمني بعدم الانضباط وخاصة أن بعض الأخوة لم تكن لديهم الاستعداد لقبولية أن يناقشوا الأسلوب الحضاري والمعاملة الحضارية مع الآخرين"³.

ويحاول الفالوجي في مذكراته (درب الأشواك) أن يبني القصور في الفهم السياسي وخاصة خلال مناقشة القضايا السياسية المستجدة فيقول: "كنت أدرك أن الحركة الإسلامية في فلسطين

¹ - من مقابلة مع الدكتور مصطفى البرغوثي عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني بتاريخ ٢٧/٤/٢٠٠٣م.

² - عماد عبد الحميد الفالوجي: ولد بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٧م حاصل على الماجستير في الهندسة المدنية كان عضو في جماعة الإخوان المسلمين ومن ثم مسؤولاً في حماس في الأعوام ١٩٨٩-١٩٩١م، فصل من حركة حماس عام ١٩٩٤م بسبب مخالفات عدة ادعتها الحركة، انتخب عضواً في المجلس التشريعي واختاره الرئيس عرفات وزيرا للاتصالات، اصدر عام ٢٠٠٢م مذكراته بعنوان (درب الاشواك: حماس، الإنتفاضة.. السلطة) التي يعتبر رموز من حماس انها تحتوي الكثير من المغالطات والمعلومات غير الدقيقة.

³ - عماد عبد الحميد الفالوجي، درب الاشواك، دار الشروق - عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٣٨٨.

كانت تعاني من نقص وقصور في الوعي السياسي، لأنها لم تعط العمل السياسي أو الفهم السياسي البعد الكافي في تربية الأفراد، لقد كانت الحركة الإسلامية تركز في تربية أفرادها على الفهم الديني والتربية الدينية وعلى الجهاد ولكن تغفل تماماً في منهجها العام البعد السياسي أو أن نتعلم الفهم السياسي العالمي، وبالتالي كان هناك ضعف واضح، كلما اقتربنا من العمل السياسي وأحست كوادر الحركة المتقدمين ومعهم قادة الحركة بأنه ليس لديهم الثقافة السياسية الواعية الكافية للشروع في عمل سياسي متقدم"^١ ويضيف الفالوجي منتقدا حالة الضعف التي يدعيها فيقول: "هذه كانت إحدى مظاهر الضعف في حماس وبالتالي كان لا بد من بناء جيل أو قادة سياسيين يعلمون معظم الأمور وهذا ما كنت أطرحه في هذه المرحلة في داخل السجون ولكن هذا الطرح سبب لي فيما بعد المتاعب"^٢.

^١ - نفس المرجع ص ٢٢٤.

^٢ - نفس المرجع، ص ٢٢٤.

المطلب الثالث: الرأي العام الإسلامي وموقفه من حماس

خلال فترة قصيرة من عمر الحركة تمكنت حماس من الدخول إلى وجدان الشعوب المسلمة في العالم الإسلامي ليس لذات حماس وإنما لأنها حركة تجاهد في الأرض التي يحبونها ويعشقونها عن بعد فهي بالنسبة لهم الأرض المباركة التي ذكرها القرآن.. إنها فلسطين.

وقد تجلّى ذلك واضحاً في الملايين من المسلمين الذين كانوا يلتزمون بدعوة حماس في بياناتها خلال المناسبات التاريخية المؤلمة في الصراع الفلسطيني الصهيوني مثل: ذكرى النكبة وذكرى احتلال القدس وكذلك ذكرى دير ياسين ومذبحتها المشهورة وذكرى الانتفاضة وغيرها حيث شهدت مدن العالم الإسلامي زحواً كثيرة وكبيرة تهتف لفلسطين وحماس والجهد المبارك في فلسطين.

وخلال اجتياح قوات الاحتلال الصهيوني للمدن والقرى والمخيمات الفلسطينية والقيام بمجازر رهيبية كالتى حصلت في مخيم جنين في بداية شهر نيسان من عام ٢٠٠٢م شهدت شوارع مدينة الرباط في المغرب العربي مظاهرة خرج فيها ثلاثة ملايين مشارك من المسلمين وكذلك في اليمن خرجت مظاهرة أخرى ضمت نحو مليون ونصف مواطن يمني مسلم وكذا الحال في القاهرة التي خرجت فيها عدة مظاهرات متواصلة من جامعة القاهرة والجامعة الأمريكية وجامعة الأزهر وأسيوط وغيرها، وأصبحت الحالة المستمرة والدائمة في تلك الفترة هي تسابق العواصم العربية في الخروج بمظاهرات حاشدة تأييداً لمقاوم في فلسطين واحتجاجاً على الجرائم الفظيعة التي كان يقوم بها الاحتلال^١ وقد صدرت بيانات سياسية عديدة للحركات الإسلامية في العالم العربي تؤازر الانتفاضة وتحيي الشهداء والاستشهاديين والمجاهدين ووقعت النقابات والمؤسسات الفاعلة في الشارع العربي والإسلامي ورسائل المؤازرة والتعزية التي أرسلت للمؤسسات والفصائل الفلسطينية لا سيما حركة حماس التي تلقت جزءاً منها^٢.

وكان لتدافع الشهداء الأثر الكبير في استنارة العالم العربي والإسلامي، وخاصة عندما قام الاحتلال باغتيال قيادات بارزة في حركة حماس مثل المهندس يحيى عياش رحمه الله الذي كان لاغتياله وقع مؤلم على الإسلاميين والأحرار في العالم العربي والإسلامي "فقد قامت لجان مناصرة الانتفاضة وحماس في إيران ببناء نصب تذكاري يحمل لوحة كبيرة للشهيد يحيى عياش في الأكبر شوارع طهران"^٣، وكذا الحال عندما استشهد الشاب محمد فرحات الذي قلّدت أمه في

^١ - انظر: موقع مخيم جنين على شبكة الانترنت، وكذلك موقع الجزيرة نت، وتغطيات مجزرة جنين وانعكاساتها على الشارع العربي الإسلامي، وكذلك موقع المركز الفلسطيني للاعلام.

^٢ - من هذه البيانات، بيان نقابة الاطباء في مصر، والمجمع العام للنقابات في الاردن وبيان خاص صدر عن حزب العمل الإسلامي بمصر، وبيان صدر عن الشيخ راشد الغنوشي في لندن، حيث بالامكان مراجعة جميع هذه البيانات على موقع المركز الفلسطيني للاعلام.

^٣ - انظر صحيفة الوفاق الايرانية (بالعربية) الصادرة بتاريخ ١٩/٧/١٩٩٧م.

قطاع غزة بندقيته ودفعت به إلى المواجهة مع الاحتلال، فقد قامت اللجنة المذكورة في إيران ببناء نصب تذكاري آخر يحمل صورة محمد فرحات وأمه وهي تودعه قبل قيامه بعملية استشهادية، حيث دعي لإزاحة الستار عن هذا النصب ممثل حماس في طهران أبو محمد مصطفى^١.

وقد استطاعت حماس ومن خلال إعلامها المتواصل عبر مجلة فلسطين المسلمة وموقعها على الإنترنت باللغة العربية والإنجليزية أن تستثير الملايين من المسلمين لتأييد قضية الشعب الفلسطيني.

وعودة إلى بعض الأحداث الهامة التي قام بها الاحتلال ضد أنصار حماس فإن الكثير من الباحثين اعتبروا في عملية إبعاد المئات من أنصار حماس عام ١٩٩٢ إلى جنوب لبنان وصمودهم عاماً بين الصخور والتلوج أدى إلى استثارة العالم الإسلامي في التعاطف مع الحركة وأنصارها^٢.

فرغم كل الأحداث المتجددة على الساحة الفلسطينية فإن طبيعة الأرض التي تعمل حماس فوقها بل طبيعة القضية نفسها وجذورها تفرض خصوصية للصراع تجذب الملايين من المسلمين الذين يتجهون للأقصى قبل حماس إلا أنهم يشعرون أن القضية هي قضية عقدية إسلامية وليست قضية أفراد وتجمعات وتنظيمات هذا الأمر الذي زاد من عملية التفاعل مع فلسطين.

وكون حماس حركة إسلامية تجاهد لتحرير فلسطين من قبضة الاحتلال الصهيوني الغاشم، فإن كل ذلك دفع إلى تأثير على الرأي العام الإسلامي ليؤازر هذه القضية، ولا يغفل الباحث أن العلاقات الدبلوماسية الخارجية التي قام ويقوم بها المكتب السياسي لحماس مع العالم العربي والإسلامي وتأجيج الخطاب الإعلامي الخارجي للحركة كان سبباً بارزاً وهاماً في صناعة رأي عام إسلامي داعم للحركة.

^١ - انظر: تقرير خاص عن استشهاد محمد فرحات وتأثيراته على الصورة الإسلامية من خلال ما نشر على موقع المركز الفلسطيني للاعلام.

^٢ - انظر: على مشارف الوطن، نزار رمضان، دار الرشاد الإسلامية - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

المطلب الرابع: خطاب حماس الجهادي والسياسي (رؤية إسرائيلية)

اهتمامات كثيرة أبدتها وسائل الإعلام الصهيونية تجاه حركة المقاومة الإسلامية حماس كونها أول حركة رسمية شمولية عقديّة تواجه الاحتلال بطريقة رسمية منظمة بعد بروز منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها المقاومة.

وقد انبرت مراكز الأبحاث والدراسات الإستراتيجية في متابعة تصاعد حماس وتطورها، خاصة تلك المراكز الهامة والرسمية التي تعمل ضمن نشاط أكاديمي علمي داخل الجامعات الصهيونية.

وقد اعتمدت مراكز الأبحاث الصهيونية والباحثين أيضاً على الكثير من الوثائق الهامة التي يحتفظ بها جهاز المخابرات الإسرائيلية العامة (الشاباك) وجهاز الاستخبارات العسكري الصهيوني (أمان) خاصة وأن الكثير من رؤساء هذه المراكز هم من الجنرالات الكبار المتقاعدين، إضافة إلى أن عدداً كبيراً من الباحثين والإعلاميين هم أيضاً من رجال المخابرات والاستخبارات الصهاينة الأمر الذي جعل هذه الدراسات تعتمد على العديد من الوثائقيات التي يتم إلقاء القبض عليها لدى عناصر حماس عند اعتقالهم.

ولهذا غلب على الكتابات الصهيونية التي تحدثت عن حماس أنها كانت من إعداد رجال الشاباك الذين تقاعدوا من مناصبهم وأصبحوا باحثين في مراكز أبحاث هامة مثل (مركز يافا للدراسات الإستراتيجية) التابع لجامعة تل أبيب و مركز (بيغن السادات للدراسات السياسية الإستراتيجية) التابع لجامعة بار إيلان في تل أبيب ومركز (بيرس للسلام) وكذلك مركز (موشيه ديان) وغيرها من المراكز الهامة.

حماس بالنسبة للمؤسسة الصهيونية حركة إرهابية خطيرة كان لها انعكاسات كبيرة على انهيار نظرية الأمن الصهيوني داخل المجتمع الإسرائيلي جراء تطورها (اللوغستي) الذي تمثل في تفجيرات متعددة ومتواصلة كانت تجري ببراعة وذكاء من خلال قوة المعلومات ودقتها في اختيار الأماكن المناسبة لهذه الأعمال إضافة إلى السرعة في اختيار الرجال المناسبين لتنفيذ هذه العمليات التي تحتاج منهم حياتهم.

(روني شاكيد) رجل شاباك سابق وبعد تقاعده من عمله عمل في الإعلام وأصبح مسؤولاً عن الشؤون الفلسطينية في صحيفة يديعوت أحرونوت الأكبر وأكثر الصحف انتشاراً، بل كان من أوائل الذين أصدروا كتابات مستقلة وشاملة عن حماس حيث أصدر كتابه المشهور (حماس من الإيمان بالله إلى طريق الإرهاب) عام ١٩٩٢م والذي أكد خلاله أن حماس حركة ناشطة معارضة أصبحت خلال فترة قصيرة من أخطر الحركات على الكيان الصهيوني، فتراه في داخل صفحات كتابه يقول: "إن المارد الإسلامي يخرج من الزجاجاة ممثلاً بحركة (حماس) الحركة الفلسطينية المعارضة وهي أحد أهم حركات المقاومة الأساسية الناشطة في الضفة والقطاع هذه الحركة التي

كانت في الماضي على هامش العمل السياسي الفلسطيني ولكنها بعد اتفاق أوسلو أصبحت رأس الحربة المعارضة لمسيرة السلام.

لقد استطاعت هذه الحركة التي أصبحت خلال فترة قصيرة الحركة المركزية في الضفة والقطاع على الصعيدين السياسي والعسكري فأصبحت تتحدى في مواقفها الجماهيرية الناجحة في الميدان مواقف منظمة التحرير الفلسطينية من خلال فعل ذراعها العسكري (كتائب الشهيد عز الدين القسام) هؤلاء الذين يوجهون من زعماء الحركة الموجودون في واشنطن ولندن وعمان^١.

وتشرع دولة الكيان الصهيوني في دراسة هذه الحركة وتحليل آليات تصاعدها من خلال خبرتها في الصراع وليس من خلال نسبتها ديموغرافياً داخل المجتمع، حيث يرى البروفيسور (دان شبوان) العضو في مركز دراسات الأمن القومي بجامعة حيفا: "إن قوة حماس لا تقاس بالأرقام وإنما قوة الاندماج في المجتمع، حيث يتوجب فحص قوة العاطفة في المجتمع الفلسطيني التي تركز عليها (حماس) وتتمتع بفضلها بهذه الدرجة الكبيرة من المناعة، ولو كان الأمر يتعلق بطرف يحصل على ٢٠-٣٠% في أوجه إذا كان الأمر سهلاً على السلطة في مكافحتها والوقوف في وجهها، لكننا لا نستطيع في إسرائيل أن نقف أمام حركة تعتبر رسالتها مقبولة لدى التيار المركزي للشارع الفلسطيني صاحب الرسالة الرفضية لشرعية الدولة اليهودية، حيث تستطيع أن تعرف ذلك من خلال انتخابات الغرف التجارية وأوساط الطبقة الوسطى"^٢.

ويزداد الاهتمام في قراءة حماس من قبل الدارسين في المجتمع الصهيوني على الصعيد الاجتماعي والسياسي محاولين تحديد موقع حماس داخل المجتمع الفلسطيني والأسباب التي تدفعها للقيام بعملياتها الاستشهادية وتفجيراتها، وهل هي مبرمجة قومياً واستراتيجياً أم أنها تستهدف إخراج السلطة الفلسطينية الموقعة على اتفاقيات.

ويجيب الباحث الاستراتيجي الصهيوني (أوري سالونيم) على ذلك فيقول: "لقد انبثقت قوى حماس كحركة مقاومة اجتماعية من رحم الانتفاضة وفي هذه المرحلة تحدد مكانتها في الحلبة الفلسطينية واتضحت علاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية وتبلورت أنماط عملها، ومن الممكن أن نفسر سياسة العمليات المفخخة التي انتهجتها في سنوات ٩٥، ٩٦ كرد فعل للتغيير في هذا المناخ الذي نجم مع إقامة السلطة الفلسطينية ويتضح لنا من تحليل تطور الحركة منذ إقامتها أن العمليات لم توجه سياسياً ضد إسرائيل بل استهدفت أولاً وأخيراً تقويض أساس وجود السلطة الفلسطينية؟!"^٣.

^١ - حماس من الايمان بالله إلى طريق الإرهاب (عبري)، روني شاكيد وافياف شافي، دار كثير، القدس، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٠.

^٢ - يدبعوت احرونوت، ٩/٨/٢٠٠٢م.

^٣ - حماس والإرهاب: تفسير بديل لاستخدام العنف، بقلم اوري فالونيم، تقدير استراتيجي، مركز يافا للدراسات الاستراتيجية - جامعة تل ابيب، ج٢، العدد الثاني، كانون أول ١٩٩٩م، ص١٩.

وقد استطاعت حماس ورغم خلافها الجذري مع السلطة الفلسطينية أن تبني علاقات وتفاعلات مع هذه السلطة حيث تطورت إلى تفاهات جماهيرية دفعت ثمنها دولة الكيان الصهيوني كما يؤكد على ذلك (زئيف شيف) المحلل الاستراتيجي والعسكري الصهيوني فتراه يقول في تحليل له: "إن الاتفاق بين حماس وفتح أجم من وحدة المواجهات ضد الجيش الإسرائيلي وشكل خطوة هامة لا ترضي إسرائيل، وقد تعهدت حماس بعدم إطلاق النار ولكنها وبتنسيق مع فتح لم تلتزم وهي قادرة على الاستمرار في إطلاق النار مهما كان الأمر".^١

ويستمر انشغال المحللين الصهاينة في طبيعة العلاقة ما بين حماس وفتح والسلطة وهل هي حالة وفاق أيديولوجية استراتيجية أم أنها براغماتية، ويجب على ذلك المحلل السياسي الإسرائيلي روني شكيد فيقول: "حماس حركة ذكية تبني علاقات مع فتح والسلطة ليس لذات علاقة وإنما حرصاً منها على عدم قيام حرب أهلية داخلية خشية الفتنة وهذه العلاقة المزدوجة بين الطرفين ليست أيديولوجية وإنما تخضع لميزان الربح والخسارة".^٢

ولم يحصر تتبع حماس من قبل الباحثين والمحللين الصهاينة في نشاطاتها العسكرية بل نرى أن البعض من هؤلاء المحللين أعطى إجابة على مبادرات حماس السياسية التي طرحت أكثر من مرة من قبل حماس نفسها، حيث يرى المحلل (اريئلا برينجل هوفمان): "أن العديد من الاختصاصيين في مجال الأمن والمستشرقين الإسرائيليين ينفون إمكانية التفاوض مع حماس والجدوى منها، وهناك تشاؤم فيما يتعلق بقدرة إسرائيل على مواجهة هذه الحركة العقائدية".^٣

ويتجه آخرون في موقفهم تجاه العمق الاستراتيجي لحماس والخبرات التي استفادوا منها والتجارب التي استمدتها الحركة من الأحزاب والحركات المقاومة الأخرى لا سيما حزب الله اللبناني الذي أرق الكيان الصهيوني طيلة اثنين وعشرين عاماً خلال احتلاله لجنوب لبنان، ولهذا يرى الكاتب (أليكس فيشمان): "أن حماس تعلمت جيداً من نموذج الردع الذي صنعه حزب الله في الحدود الشمالية بمساعدة الكاتيوشا مؤكداً أن تفكير حماس اتجه إلى ابتكار وصنع أدوات قتالية للوصول إلى عملية ردع ضد إسرائيل".^٤

ويبدو أن تجربة حماس التي تطورت من خلال صواريخ قسام (١ و ٢) والتي نجحت فيها واستطاعت أن تصل إلى عمق مستوطنة (سديروت وغيرها إضافة إلى قذائف الهاون وصاروخ البتار الذي يستعمل ضد الدروع، كانت فعلاً قراءة دقيقة لتجارب كل القوى بما فيها حزب الله وكأن (أليكس فيشمان) كان يعني ما يقول.

^١ - هارتس ٢٣/١٢/٢٠٠١م.

^٢ - يديعوت احرونوت ٢٣/١٢/٢٠٠١م.

^٣ - يديعوت احرونوت ٩/٨/٢٠٠٢م.

^٤ - يديعوت احرونوت ٣/١/٢٠٠٢م.

ويشعر باحث آخر أن الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) شهدت حالة من التجديد تدفع باتجاه الاهتمام المميز بفلسطين، مناقشاً آليات التطور من خلال قراءة تشكيلية لشعارات الإخوان المسلمين وحماس ورمزية استغلال خريطة فلسطين في الكثير من الملصقات حيث يقول الدكتور (مائير لتفاك) الباحث في مركز موشي ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بأن: "حماس استخدمت خريطة فلسطين في ملصقاتها ورسومها على الجدران وفي شعاراتها كوسائل مرتبة لدمج الرسالة الوطنية بالرسالة الإسلامية، حيث أظهرت العديد من ملصقات الحركة خريطة فلسطين مع العلم الفلسطيني أو العلم الأخضر الذي يحمل شعار الشهادة وهو خارج من قلب الخارطة السياسية لفلسطين التاريخية كما يرها الفلسطينيون، وفي مناسبات أخرى تم استعمال العلم الفلسطيني وكتب عليه كلمات من القرآن الكريم أو صورة فنية لقبة الصخرة، ومثال آخر لهذا التغيير، هو: تعديل شعار الإخوان المسلمين، الشعار الأصلي يظهر القرآن يتوسط سيفين متقاطعين مع كلمة وأعدوا تحت السيفين، أما في الشعار الذي عدلته حماس وضعت خريطة فلسطين محل القرآن وأضافت إليه قبة الصخرة".¹

ويشعر ك هذا المحلل الصهيوني أن حماس ومن خلال رمزيات الشعارات وما يداخلها من مكونات تشير إلى فلسطين ورمزية القوة وقبة الصخرة، وهذه بمثابة دعوة عالمية للجهاد لتحرير فلسطين.

ومن خلال متابعات ما يكتبه القادة الأمميون الصهاينة لما تقوم به حماس من فعل جهادي ضد الدولة اليهودية ومدى تأثيراته على الشارع الصهيوني ونفسية هذه القيادات تشعر مدى الإرباك والتأثر بما يجري، ولعل شخصية (المهندس يحيى عياش) تعتبر الأكثر جدلاً لدى قيادات الأمن الصهيوني، حيث يصف رئيس جهاز المخابرات الصهيونية العام السابق (كارمي آيلون) حالته النفسية التي يخيم عليها القلق فيقول: "فور استلامي لوظيفتي لرئاسة الشاباك كنت أذهب للنوم ومعى شخصية يحيى عياش وكذلك حينما أستيقظ من النوم صباحاً استشعرها أمامي حيث أجبرت نفسي على ذلك لعدة شهور، حيث بدأت مطاردته من شهر ابريل عام ١٩٩١ وخلال هذه السنوات التي قضاها هذا المطلوب في الضفة الغربية، جعلت منه أحد خبراء التخفي إلى حد لم يكن له مثيل، فقد كان حذراً جداً ولم يكن يستخدم جهاز التلفون وأحاط نفسه برجال لم يعرفوا عنه إلا اليسير من المعلومات الضرورية فقط، وذلك لخدمته في قضاء حوائجه الشخصية، لذلك كان من الصعب الحصول على معلومات استخبارية كاملة عنه"²، وهكذا يبدو الاهتمام البارز من قبل رجال الفكر والسياسة والأمن الصهاينة في تتبع خطوات حركة حماس ورجالها.

¹ - اسلمت الهوية الفلسطينية (حالة حماس)، الدكتور مائير لتسفاك، منشورات مركز ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا-جامعة بار ايلان، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٣ (عبري).

² - الشاباك بين الاشلاء، كارمي جيلويون، دار يديعوت احرونوت، القدس، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٥٧ (عبري)

ويرى الإسلاميون أن هذه النظرة التفصيلية للكيان الصهيوني في تتبع حماس وسياساتها تتبع من خلال منهجية الكيان الصهيوني المتواصلة ضد حركة الصحوة الإسلامية وعودة التيار الإسلامي إلى الساحة الفلسطينية بتسارع كبير متأثراً بالعديد من العوامل الخارجية والداخلية. يقول الدكتور علي الجرباوي: "إن سلطات الاحتلال لم تسمح للاتجاه الإسلامي الوطني بفرصته لتوضيب ركائزه ومد نفوذه بين الجماهير، فهذا الاتجاه بالنسبة لإسرائيل كان من الأكبر المخاطر على مستقبلها"^١.

وقد كان ملاحظاً أن القلق الأكبر للكيان الصهيوني يتمثل في التركيز على تتبع العمل العسكري وملاحقة الخلايا الفدائية سواء كانت تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية أم للتيارات الإسلامية، "ولم يكن سهلاً على الموقف الصهيوني لا سيما منذ نهاية السبعينات أن يلجأ إلى سياسة قمعية صارمة تجاه مظاهر الصحوة الإسلامية في الأرض المحتلة، وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها الخشية من أن تؤدي تلك السياسة إلى تقديم خدمة غير مباشرة للتيار الإسلامي عن طريق المصادقة على المقولات التي يتبناها بشأن محاربة اليهود وإسرائيل للإسلام وبذلك وضع الصراع في إطار عقدي"^٢.

لكن بعد صعود حماس وتنامي عملياتها العسكرية الجهادية لم يبق أي متسع لدى حكومة الكيان الصهيوني إلا إعلان الحرب الشاملة عليها والتي تمثلت في إجراء حملة اعتقالات طالت غالبية القيادات والعناصر الذين تمكنت أجهزة الأمن الصهيوني من الوصول إليهم وكان ذلك قبيل قدوم السلطة الفلسطينية، لكن الاستراتيجية الصهيونية بعد قدوم السلطة وقيام انتفاضة الأقصى تغير كثيراً وقامت سلطات الاحتلال بتتبع القيادات العسكرية لحماس والقيام باغتيال العديد منهم وقصفهم بالصواريخ وتفخيخ السيارات مما أدى إلى استشهاد خيرة قادة الجناح العسكري لحماس، كل ذلك كان يجري جنباً إلى جنب مع استمرار سياسة الاعتقال والتدمير.

ورغم الحرب الشعواء التي شنها الاحتلال ضد حماس إلا أنها لا زالت موضع نقاش وجدل وخاصة في ظل تصاعدها المستمر.. يقول "شلومو غازيت": "إن قوة جذب حماس لم تتبع من معارضتها لفتح فقط، بل من كونها حركة دينية متطرفة تعارض الحل السياسي الداعي إلى إقامة دولة علمانية"^٣.

ويصور غازيت كيف أن الضغط الإسرائيلي على عرفات كي يضغط على حماس كان ينعكس في النهاية على عرفات نفسه فتراه يقول: "كان واضحاً أن المطالبة بإجراءات صعبة ضد

^١ - الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة قطاع غزة، علي الجرباوي، دار الطليعة - بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٠٦.

^٢ - حماس الفكر والممارسة، خالد الحروب مرجع سابق، ص٢٢٣.

^٣ - شلومي غازيت، الطعم في المصيدة، ترجمة عليان الهندي، مؤسسة باب الواد، ط١، بلا تاريخ ولا مكان نشر، ص٣٤٩.

أنصار حماس وبقية منظمات الرفض والإرهاب وما هي إلا خضوع لضغوط إسرائيلية، تحول ياسر عرفات إلى دمية إسرائيلية، فيما تقوم السلطة بتطبيق عقوبات (بالوكالة) ضد الشباب الفلسطيني الذين يقاتلون العدو الأجنبي بهذه الطريقة مما خلف ظروفاً سياسية جديدة تعيد الدعم الشعبي الفلسطيني لحركة حماس وبقية المنظمات المتطرفة^١.

وهكذا تزداد حماس شعبية حتى في ظل القمع المشترك.. القمع من قبل الكيان الصهيوني نفسه، إضافة إلى القمع الذي تمارسه السلطة الفلسطينية، إخضاعاً لضغوط الكيان الصهيوني. وبذلك يشعر المراقب أن الفكر السياسي الصهيوني سواء كان ذلك على صعيد المثقفين أم السياسيين أم العسكريين تعطي حركة حماس جزءاً من تفكيره وحيزه السياسي كونها حركة أصبحت ذات تأثير على الشارع الصهيوني الذي بات يعرفها من خلال عملياتها العسكرية النوعية وعمقها في الشارع الفلسطيني ومدى تأثيرها على المجتمع الفلسطيني كعنوان للمقاومة والجهاد. إن المجتمع الإسرائيلي الصهيوني مجتمع علمي بحثي يولي اهتماماً جدياً بكل المتغيرات السياسية لا سيما المجتمع العربي الذي يعتبر بالنسبة للكيان الصهيوني المجتمع النقيض المنافس، ديموغرافياً وحضارياً ولهذا جعلت مراكز الأبحاث الصهيونية حيزاً كبيراً لدراسة واقع الحركات الإسلامية المجاهدة وخاصة حماس.

^١ - نفس المرجع، ص ٣١٥.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيراً..

لقد انتهيت من هذه الدراسة بفضل الله تعالى، رغم ما اعترضني في سبيلها من عقبات، وفي خضمّ البحث عن الخطاب الإسلامي المعاصر، خاصّة خطاب حركة حماس، وصل البحث إلى نتائج يرى الباحث طرحها، وبعدها رأى أنه لا بد من توصيات يتّجه بها إلى أهل الاختصاص.

نتائج البحث:

إنه بعد هذا الاستعراض التحليلي لخطاب الحركات الإسلامية عامة، وخطاب حركة المقاومة الإسلامية (حماس) على وجه الخصوص، يمكنني أن أخلص إلى النتائج التالية:

١- تميز الخطاب الإسلامي عن غيره من الخطابات اليسارية والعلمانية والبرالية بالربانية والشمولية والواقعية والالتزام بالانتماء الحضاري.

٢- ظهرت للباحث نجاحات رائدة لهذا الخطاب، امتازت بقوة التخطيط، والدقة في الممارسة والمتابعة، وقد أذهلت هذه النجاحات الخصوم وخاصة دوائر الاستخبارات العالمية المهتمة بالصحة الإسلامية وتياراتها، فقد حققت مدارس هذا الخطاب وتياراته تغيرات جذرية على الأرض، ظهر ذلك من خلال تنامي تيار الصحة الإسلامية ونجاحاته في الانتخابات النقابية والطلابية والسياسية، كذلك من خلال النجاح الباهر لجبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر، ونجاح حركة حماس في الانتخابات البرلمانية بأغلبية المقاعد عام ٢٠٠٦م، وفوز جماعة الإخوان في البرلمان المصري بنسب عاليه، وتعاقد تيار المقاومة والممانعة في العالم العربي والإسلامي.

٣- أثبتت الدراسة أن جذور الصراع على فلسطين هي جذور إسلاميه، ويؤكد ذلك قدسيّة الأرض ومكانتها الدينية، مما دفع باتجاه قدسية القضية ذاتها.

٤- أثبتت الدراسة أن النموذج الإسلامي في المقاومة نموذج صادق ومؤثر، يحافظ على ثوابت القضية، ولا ينزلق بها إلى مهاوي الردى، مستدلة لذلك بحركة حماس التي قدمت آلاف الشهداء وعشرات آلاف الجرحى، دون أن تفرط بذرة من تراب فلسطين المباركة.

٥- وقد تبنت الدراسة شرعية الخطاب الإسلامي، واعتبرت أن التفريط بفلسطين والتنازل عنها حرام شرعاً، إضافة إلى أن التفريط بها خطيئة أمام التاريخ والأجيال، فرأت الدراسة أنه لذلك تبنت حماس في مشاريعها السياسية مشروع الهدنة المؤصل شرعياً، وليس سياسة الحل النهائي القائم على التنازل والتفريط.

٦- أكدت الدراسة أنه بمقدور الحركات الإسلامية المعاصرة رائدة الخطاب الإسلامي المعاصر أن تزوج بين الجهاد والمقاومة والعمل السياسي والدبلوماسي والمشاركة

السياسية الفاعلة، في إطار الحفاظ على الثوابت الإسلامية والوطنية وعدم التنازل والتفريط.

٧- أظهرت الدراسة نجاحات هامة للخطاب الإسلامي المعاصر، من خلال تلبية متطلبات جماهير الصحوة الإسلامية، فقد قادت تيارات هذه الصحوة مسيرة العمل الإسلامي المعاصر بنظرة شمولية بعيدا عن التقليد، فالخطاب الإسلامي المعاصر اليوم يؤمن بالتعددية السياسية ويمارس العمل الديمقراطي، ويدفع بمساهمة المرأة في المجتمع وخاصة على الصعيد السياسي.

٨- كشفت الدراسة عن الدور الرائد لحركة الإخوان المسلمين وحركة حماس، ذلك الدور الذي أثار حفيظة الغرب وإسرائيل، فأجمعوا أمرهم على تجفيف منابع الدعم للمؤسسات المتعاطفة مع الحركتين في العالم العربي والإسلامي عامة، وفلسطين خاصة.

٩- بينت الدراسة بعض ما يؤخذ على خطاب بعض التيارات الإسلامية المعاصرة، كتلك التي تتخذ من التكفير منهجا، ومن القتل سبيلا؛ وكذا انتقدت الدراسة مسار التفريخ الحزبي لدى بعض الحركات الإسلامية المعاصرة، والذي يؤدي بحسب شاكلته الموجودة إلى أنواع من الصراعات الداخلية بأشكال شتى، تؤدي ولا بد إلى الانشغال عن الوظيفة الأساسية التي ندبت تلك التيارات نفسها إليها.

١٠- وبينت الدراسة ذلك الاختلال الكبير في كيفية التعامل مع الخلافات الفقهية المتعلقة بمسار الحركات الإسلامية، كمسائل الانتخابات والحوار وما إلى ذلك من أمور.

١١- ظهر في الدراسة أن الخطاب المعاصر لدى بعض التيارات الإسلامية على صعيد العالم العربي والإسلامي خطاب مبعثر غير مبرمج، بل هو بعيد كل البعد عن التخطيط والاستراتيجية، وهو ما أدى إلى استغلال خلله هذا من قبل دوائر التخطيط الغربية لأغراض الغرب خاصة.

١٢- ظهر للباحث أن حركة حماس اعتمدت على ما يسمى بفقہ المصلحة، تلك التي يشترط فيها عدم مصادمة النصوص الشرعية.

١٣- قدّمت الدراسة قراءة تحليلية لأطراف الخلاف من المؤيدين والمعارضين لخطاب حماس؛ كما قدّمت قراءة لرؤية العدو الصهيوني عن هذه الحركة.

١٤- أظهر الباحث أن أهم إنجاز حققته الحركة فميز خطابها وجعلها مثار اهتمام، هو انخراطها في العمل الجهادي المقاوم بقوة وجدارة وفاعلية.

١٥- ظهر للباحث أن حماس مارست السياسة، وتبع ذلك بسرعة فائقة العمل الجهادي المقاوم، فسبق قطار المقاومة قطار السياسة، ولهذا صارت الحركة تعيش أزمة داخلية عند طرحها لأي مشروع سياسي مثل مشروع الهدنة والتهذئة الذي طرح أكثر من مرة

فكان موضع اختلاف حتى في داخل صفوف الحركة نفسها، إضافة إلى مشروع الدخول في السلطة والمشاركة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية.

١٦- أخذ الباحث على حماس أنها نجحت في بناء حوار وتحالفات مع الحركات العلمانية واليسارية والقومية، في الوقت الذي أخفقت في بناء علاقات حميمة مع الحركات الإسلامية الأخرى مثل حركة الجهاد الإسلامي وحزب التحرير.

١٧- توصل الباحث من خلال دراسته لعلاقات حماس الخارجية مع العالم العربي والإسلامي أنها حركة لم تتوقع على ذاتها، وإنما جذرت علاقات خارجية مع الشعوب والأنظمة في العالم العربي والإسلامي، فحققت بذلك دعماً معنوياً من الجماهير الإسلامية في هذه الدول إضافة إلى دعم مادي وإعلامي متفاوت، أسهم في وجود هذه الحركة واستمراريتها في ظل الظروف الراهنة.

توصيات الدراسة:

- بعد هذه الرحلة مع هذا الموضوع الشائق الشائك، يرى الباحث أن يطرح التوصيات التالية:
- ١- لا بد أن تحرص تيارات الخطاب الإسلامي المعاصر على ثوابت الأمانة الشرعية والوطنية.
 - ٢- ولا بد من البعد عن العمل الإسلامي العفوي غير المبرمج، بالحرص على التخطيط الناجح.
 - ٣- ضرورة التعاون الإسلامي والأخوي بين تيارات الصحوة الإسلامية، وعدم فتح معارك جانبية فقهية وفكرية.
 - ٤- على حماس استيعاب الآخرين ممن يعملون في تيارات الصحوة الإسلامية، للانطلاق بعمل إسلامي موحد بعيداً عن الخلافات الجانبية.
 - ٥- إن حماس تهتم في برامجها بدور المرأة وخاصة السياسي، ولكن ليس بالحجم المطلوب، لذلك لا بد من تطوير هذا الدور حتى يؤثر في المجتمع.
 - ٦- على الجماعات والحركات الإسلامية أن تلتقي في خطاب موحد ولو على صعيد المتفق عليه من الرأي وأن لا يكون الخلاف هو الغالب.
 - ٧- لا يجوز بأي حال من الأحوال إغفال قضية الإسلام في فلسطين، ولهذا ينبغي أن يكون هناك قاسم مشترك أعظم بين الجماعات الإسلامية، يتمثل في القضية الفلسطينية التي يتوحد الجميع تحت مظلة رباطها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في دراستي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، سائلاً الله عز وجل أن ينفع بها، وأن يجعلها ومضة في ظلام هذه الجاهلية، وأن ينفع

بما فيها الأجيال القادمة كي تلتقي على الحق والدين، ليكون جهادها سببا في تحرير مسرى
المصطفى صلى عليه وسلم من ايدي الغاصبين.
ان هذا الجهد هو جهد المقل، ولا كمال الا لله.
(فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

الباحث

ملحق

ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ١١٠ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ١١١ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ ١١٢ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١٣ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ ١١٤ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبَغَضٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ١١٥ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ١١٦ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ١١٧﴾ (آل عمران: ١١٠ - ١١٢)

ستقوم إسرائيل وستنظل قائمة إلى أن يبطلها الإسلام كما أبطل ما قبلها.

الإمام الشهيد حسن البنا، رحمه الله.

إن العالم الإسلامي يحترق، وعلى كل منا أن يصب ولو قليلاً من الماء ليطفئ ما يستطيع أن يطفئه دون أن ينتظر غيره.

الشيخ أمجد الزهاوي، رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوكل عليه، ونصلّي ونسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، ودعا بدعوته واستن بسنته، صلاةً وتسليماً دائماً ما دامت السماوات والأرض وبعد:
أيها الناس:

من وسط الخطوب، وفي خضم المعاناة، ومن نبضات القلوب المؤمنة والسواعد المتوضئة، وإدراكاً للواجب، واستجابةً لأمر الله، كانت الدعوة وكان التلاقي والتجمع، وكانت العروبة على منهج الله، وكانت الإرادة المصممة على تأدية دورها في الحياة، متخطية كل العقبات، متجاوزة مصاعب الطريق، وكان الإعداد المتواصل، والاستعداد لبذل النفس والنفيس في سبيل الله. وكان أن تشكلت النواة وأخذت تشق طريقها في هذا البحر المتلاطم من الأماني والآمال، ومن الأشواق والتمنيات، والمخاطر والعقبات، والآلام والتحديات في الداخل والخارج.

ولمّا نضجت الفكرة، ونمت البذرة وضربت النبتة بجذورها في أرض الواقع، بعيداً عن العاطفة المؤقتة، والتسرع المذموم انطلقت حركة المقاومة الإسلامية لتأدية دورها ماضية في سبيل ربها، تتشابه سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحرير فلسطين، وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كل المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم على أرض فلسطين، منذ أن فتحتها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا.

وهذا ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، يجلي صورتها ويكشف عن هويتها، ويبين موقفها، ويوضح تطلّعها، ويتحدث عن آمالها، ويدعو إلى مناصرتها ودعمها، والالتحاق بصفوفها، فمعركتنا مع اليهود جد كبيرة وخطيرة، وتحتاج إلى جميع الجهود المخلصة، وهي خطوة لا بد من أن تتبناها خطوات، وكتيبة لا بد من أن تدعمها الكتائب تلو الكتائب من هذا العالم العربي والإسلامي المترامي الأطراف حتى يندحر الأعداء، ويتنزل نصر الله.

هكذا نلمحهم في الأفق قادمين ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: ٨٨).

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

الباب الأول - التعريف بالحركة

المنطلقات الفكرية:

المادة الأولى:

حركة المقاومة الإسلامية: الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها، ومنه تستلهم ترشيد خطاها.

صلة حركة المقاومة الإسلامية بجماعة الإخوان المسلمين:

المادة الثانية:

حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة وفي باقي مجالات الحياة.

البنية والتكوين:

المادة الثالثة:

تتكون البنية الأساسية لحركة المقاومة الإسلامية من مسلمين أعطوا ولاءهم لله، فعبدوه حق عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) وعرفوا واجبه تجاه أنفسهم وأهلهم ووطنهم، فاتقوا الله في كل ذلك، ورفعوا راية الجهاد في وجه الطغاة لتخليص البلاد والعباد من دنسهم وأرجاسهم وشرورهم.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨).

المادة الرابعة:

ترحب حركة المقاومة الإسلامية بكل مسلم اعتقد عقيدتها، وأخذ بفكرتها، والتزم منهجها، وحفظ أسرارها، ورغب أن ينخرط في صفوفها لأداء الواجب، وأجره على الله.

البعد الزمني والمكاني لحركة المقاومة الإسلامية:

المادة الخامسة:

بعد حركة المقاومة الإسلامية الزماني: باتخاذها الإسلام منهج حياة لها، يمتد إلى مولد الرسالة الإسلامية، والسلف الصالح، فالله غايتها والرسول قدوتها والقرآن دستورها. وبعدها المكاني: حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهج حياة لهم، في أي بقعة من بقاع الأرض، فهي بذلك تضرب في أعماق الأرض وتمتد لتعانق السماء.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

التميز والاستقلالية:

المادة السادسة:

حركة المقاومة الإسلامية حركة فلسطينية متميزة، تعطي ولاءها لله، وتتخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين، ففي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم، وفي غياب الإسلام ينشأ الصراع، ويستشري الظلم وينتشر الفساد وتقوم المنازعات والحروب.

والله در الشاعر المسلم محمد إقبال، حيث يقول:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي ديناً

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً.

عالمية حركة المقاومة الإسلامية:

المادة السابعة:

بحكم انتشار المسلمين الذين ينهجون منهج حركة المقاومة الإسلامية في كل بقاع العالم، ويعملون على مناصرتها، وتبني مواقفها، وتعزيز جهادها، فهي حركة عالمية، وهي مؤهلة لذلك لوضوح فكرتها، ونبل غايتها، وسمو أهدافها.

وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إليها، ويقدر قدرها، ويعترف بدورها، ومن غمطها حقها، وضرب صفحاً عن مناصرتها أو عميت بصيرته فاجتهد في طمس دورها، فهو كمن يجادل القدر، ومن أغمض عينيه عن رؤية الحقائق بقصد أو بغير قصد، فسيفيق وقد تجاوزته الأحداث وأعيته الحجج في تبرير موقفه، والسابقة لمن سبق.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (المائدة: ٤٨).

وحركة المقاومة الإسلامية حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام ١٩٣٦، وتمضي لتتصل وترتبط بحلقة أخرى تضم جهاد الفلسطينيين وجهود جهاد الإخوان المسلمين في حرب ١٩٤٨ والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين عام ١٩٦٨ وما بعده.

هذا وإن تباعدت الحلقات وحالت دون مواصلة الجهاد العقبات التي يضعها الدائرون في فلك الصهيونية في وجه المجاهدين، فإن حركة المقاومة الإسلامية تتطلع إلى تحقيق وعد الله مهما طال الزمن، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ". (رواه البخاري ومسلم).

شعار حركة المقاومة الإسلامية:

المادة الثامنة:

الله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورها، والجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله أسمى أمانيتها.

الباب الثاني - الأهداف

البواعث والأهداف:

المادة التاسعة:

وجدت حركة المقاومة الإسلامية نفسها في زمن غاب فيه الإسلام عن واقع الحياة، ولذلك اختلّت الموازين، واضطربت المفاهيم، وتبدلت القيم وتسلط الأشرار، وساد الظلم والظلام، وتتمرّ الجبناء، واغتصبت الأوطان، وشرد الناس، وهاموا على وجوههم في كل بقعة من بقاع الأرض، وغابت دولة الحق وقامت دولة الباطل، ولم يبق شيء في مكانه الصحيح، وهكذا عندما يغيب الإسلام عن الساحة يتغير كل شيء وتلك هي البواعث.

أما الأهداف: فهي منازلة الباطل وقهره ودحره، ليسود الحق، وتعود الأوطان، وينطلق من فوق مساجدها الأذان معلناً قيام دولة الإسلام، ليعود الناس والأشياء كل إلى مكانه الصحيح، والله المستعان.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١).

المادة العاشرة:

وحركة المقاومة الإسلامية، وهي تشق طريقها، سند لكل مستضعف، ونصير لكل مظلوم، بكل ما أوتيت من قوة، لا تدخر جهداً في إحقاق الحق وإبطال الباطل بالقول والفعل في هذا المكان وفي كل مكان يمكنها أن تصل إليه وتؤثر فيه.

الباب الثالث - الاستراتيجية والوسائل

استراتيجية حركة المقاومة الإسلامية:

فلسطين أرض وقف إسلامي:

المادة الحادية عشرة:

تعتقد حركة المقاومة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة.

هذا حكمها في الشريعة الإسلامية، ومثلها في ذلك مثل كل أرض فتحها المسلمون عنوة، حيث وقفها المسلمون زمن الفتح على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة. وكان ذلك أن قادة الجيوش الإسلامية، بعد أن تم لهم فتح الشام والعراق قد أرسلوا لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب يستشيرونه بشأن الأرض المفتوحة، هل يقسمونها على الجند، أم يبقونها لأصحابها، أم ماذا؟ وبعد مشاورات ومدأولات بين خليفة المسلمين عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم استقر قرارهم أن تبقى الأرض بأيدي أصحابها ينتفعون بها وبخيراتها، أمّا رقبة الأرض، أمّا نفس الأرض فوقف على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة وامتلاك أصحابها امتلاك منفعة فقط، وهذا الوقف باقٍ ما بقيت السماوات والأرض، وأي تصرف مخالف لشريعة الإسلام هذه بالنسبة لفلسطين فهو تصرف باطل مردود على أصحابه.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ (الواقعة: ٩٥ - ٩٦).

الوطن والوطنية من وجهة نظر حركة المقاومة الإسلامية بفلسطين:
المادة الثانية عشرة:

الوطنية من وجهة نظر حركة المقاومة الإسلامية جزء من العقيدة الدينية، وليس أبلغ في الوطنية ولا أعمق من أنه وطئ العدو أرض المسلمين فقد صار جهاده والتصدي له فرض عين على كل مسلم ومسلمة. تخرج المرأة لقتاله بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن سيده. ولا يوجد مثل ذلك في أي نظام من النظم الأخرى وتلك حقيقة لا مرأى فيها. وإذا كانت الوطنيات المختلفة ترتبط بأسباب مادية وبشرية وإقليمية، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية لها كل ذلك، ولها فوق ذلك وهو الأهم أسباب ربانية تعطيها روحاً وحياء، حيث تتصل بمصدر الروح وواهب الحياة. رافعة في سماء الوطن الراية الإلهية لتربط الأرض بالسماء برباط وثيق.

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ (البقرة: ٢٥٦).

الحلول السلمية، والمبادرات، والمؤتمرات الدولية:

المادة الثالثة عشرة:

تتعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية جزء من دينها، على ذلك تربي أفرادها، ولرفع راية الله فوق وطنهم يجاهدون.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۚ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

وتثار من حين لآخر الدعوة لعقد مؤتمر دولي للنظر في حل القضية، فيقبل من يقبل ويرفض من يرفض لسبب أو لآخر مطالباً بتحقيق شرط أو شروط، ليوافق على عقد المؤتمر والمشاركة فيه، وحركة المقاومة الإسلامية لمعرفتها بالأطراف التي يتكون منها المؤتمر، وماضي وحاضر مواقفها من قضايا المسلمين لا ترى أن تلك المؤتمرات يمكن أن تحقق المطالب أو تعيد الحقوق، أو تنصف المظلوم، وما تلك المؤتمرات إلا نوع من أنواع تحكيم أهل الكفر في أرض المسلمين، ومتى أنصف أهل الكفر أهل الإيمان؟

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ ۖ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

ولا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد، أما المبادرات والطروحات والمؤتمرات الدولية، فمضيعة للوقت، وعبث من العبث، والشعب الفلسطيني أكرم من أن يعبث بمستقبله، وحقه ومصيره، وفي الحديث الشريف:

" أهل الشام سوط في أرضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنهم ولا يموتوا إلا هما وغماً ". (رواه: الطبراني مرفوعاً وأحمد موقوفاً، ولعله الصواب ورواهما ثقات والله أعلم).

الدوائر الثلاث:

المادة الرابعة عشرة:

قضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث، الدائرة الفلسطينية، والدائرة العربية، والدائرة الإسلامية، وكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث لها دورها في الصراع مع الصهيونية، وعليها واجبات، وإنه لمن الخطأ الفادح، والجهل الفاضح، إهمال أي دائرة من هذه الدوائر، ففلسطين أرض إسلامية، بها أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين، مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ۚ لِنُرِيَهُ مِن مِّنَ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

ولما كان الأمر كذلك فتحريرها فرض عين على كل مسلم حيثما كان، وعلى هذا الأساس يجب أن ينظر إلى القضية، ويجب أن يدرك ذلك كل مسلم.

ويوم تعالج القضية على هذا الأساس الذي تعبأ فيه إمكانات الدوائر الثلاث، فإن الأوضاع الحالية ستتغير، ويقتررب يوم التحرير.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
(الحشر: ١٣).

الجهاد لتحرير فلسطين فرض عين:

المادة الخامسة عشرة:

يوم يَغْتَصِب الأعداء بعض أرض المسلمين فالجهاد فرض عين على كل مسلم. وفي مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين لا بد من رفع راية الجهاد، وذلك يتطلب نشر الوعي الإسلامي في أوساط الجماهير محلياً وعربياً وإسلامياً، ولا بد من بث روح الجهاد في الأمة ومنازلة الأعداء والالتحاق بصفوف المجاهدين.

ولابد من أن يشترك في عملية التوعية العلماء ورجال التربية والتعليم، ورجال الإعلام ووسائل النشر، وجماهير المثقفين، وعلى الأخص شباب الحركات الإسلامية وشيوخها، ولا بد من إدخال تغيرات جوهرية على مناهج التعليم، تخلصها من آثار الغزو الفكري، الذي لحق بها على أيدي المستشرقين والمبشرين، حيث أخذ ذلك الغزو يذهم المنطقة بعد أن دحر صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبيين، فقد أدرك الصليبيون، أنه لا يمكن قهر المسلمين، إلا بأن يمهّد لذلك بغزو فكري، يبلبل فكرهم، ويشوه تراثهم، ويطعن في مُثُلهم؛ وبعد ذلك يكون الغزو بالجنود، وكان ذلك تمهيداً للغزو الاستعماري حيث أعلن اللّنبى عند دخول القدس قائلاً: " الآن انتهت الحروب الصليبية، ووقف الجنرال غورو على قبر صلاح الدين قائلاً: " ها قد عدنا يا صلاح الدين ". وقد ساعد الاستعمار على تعزيز الغزو الفكري، وتعميق جذوره، ولا يزال، وكان ذلك كله ممهّداً لضياع فلسطين.

ولا بد من ربط قضية فلسطين في أذهان الأجيال المسلمة على أنها قضية دينية ويجب معالجتها على هذا الأساس، فهي تضم مقدسات إسلامية حيث المسجد الأقصى، الذي ارتبط بالمسجد الحرام رباطاً لا انفصام له ما دامت السماوات والأرض بإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجته منه.

" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة، خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، والغدوة خير من الدنيا وما عليها ". (رواه: البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه).

" والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ". (رواه: البخاري ومسلم).

تربية الأجيال:

المادة السادسة عشرة:

لا بد من تربية الأجيال الإسلامية في منطقتنا تربية إسلامية تعتمد أداء الفرائض الدينية، ودراسة كتاب الله دراسة واعية، ودراسة السنة النبوية، والاطلاع على التاريخ والتراث الإسلامي من مصادره الموثقة، وبتوجيهات المتخصصين وأهل العلم، واعتماد المناهج التي تكون لدى المسلم تصوراً سليماً في الفكر والاعتقاد مع ضرورة الدراسة الواعية عن العدو وإمكاناته المادية والبشرية، والتعرف على مواطن ضعفه وقوته، ومعرفة القوى التي تتناصره، وتقف إلى جانبه، مع ضرورة التعرف على الأحداث الجارية، ومواكبة المستجدات، ودراسة التحليلات والتعليقات عليها، مع ضرورة التخطيط والمستقبل، ودراسة كل ظاهرة من الظواهر، بحيث يعيش المسلم المجاهد عصره على علم بغايته وهدفه وطريقه وما يدور حوله.

﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ١٢ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ١٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٤﴾ (لقمان: ١٦-١٨).

دور المرأة المسلمة:

المادة السابعة عشرة:

للمرأة المسلمة في معركة التحرير دور لا يقل عن دور الرجل فهي مصنع الرجال، ودورها في توجيه الأجيال وتربيتها دور كبير، وقد أدرك الأعداء دورها وينظرون إليها على أنه إن أمكنهم توجيهها وتنشئتها النشأة التي يريدون بعيداً عن الإسلام فقد ربّحوا المعركة، ولذلك تجدهم يعطون محاولاتهم جهداً متواصلاً من خلال الإعلام والأفلام، ومناهج التربية والتعليم بوساطة صنائعهم المندمجين في منظمات صهيونية تتخذ أسماء وأشكالاً متعددة كالماسونية، ونوادي الروتاري، و فرق التجسس وغير ذلك، وكلها أوكار للهدم والهدامين، وتتوفر لتلك المنظمات الصهيونية إمكانات مادية هائلة، تمكنها من لعب دورها وسط المجتمعات، بغية تحقيق المنظمات عملها في غيبة الإسلام عن الساحة، وغربته بين أهله. وعلى الإسلاميين أن يؤدوا دورهم في مواجهة مخططات أولئك الهدامين، ويوم يملك الإسلام توجيه الحياة يقضي على تلك المنظمات المعادية للإنسانية والإسلام.

المادة الثامنة عشرة:

والمرأة في البيت المجاهد والأسرة المجاهدة أمّاً كانت أو أختاً لها الدور الأهم في رعاية البيت وتنشئة الأطفال على المفاهيم والقيم الأخلاقية المستمدة من الإسلام، وتربية أبنائها على

تأدية الفرائض الدينية استعدادًا للدور الجهادي الذي ينتظرهم، ومن هنا لا بد من العناية بالمدارس والمناهج التي تربي عليها البنت المسلمة، لتكون أمًا صالحة واعية لدورها في معركة التحرير. ولا بد لها من أن تكون على قدر كافٍ من الوعي والإدراك في تدبير الأمور المنزلية، فالافتقار والبعد عن الإشراف في نفقات الأسرة من متطلبات القدرة على مواصلة السير في الظروف الصعبة المحيطة، وليكن نصب عينيها أن النقود المتوافرة عبارة عن دم يجب ألا يجري إلا في العروق لاستمرار الحياة في الصغار والكبار على حد سواء.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الأحزاب: ٣٥).

دور الفن الإسلامي في معركة التحرير:

المادة التاسعة عشرة:

للفن ضوابط ومقاييس بها يمكن أن يعرف هل هو فن إسلامي أم جاهلي؟ وقضايا التحرير الإسلامية بحاجة إلى الفن الإسلامي الذي يسمو بالروح ولا يغلب جانبًا في الإنسان على جانب آخر، ولكن يسمو بجميع الجوانب في توازن وانسجام. والإنسان تكوين عجيب غريب من قبضة الطين ونفخة الروح، والفن الإسلامي يخاطب الإنسان على هذا الأساس، والفن الجاهلي يخاطب الجسد ويغلب جانب الطين.

فالكتاب، والمقالة، والنشرة، والموعظة، والرسالة، والزجل، والقصيدة الشعرية، والأشودة، والمسرحية وغير ذلك، إذا توافرت فيه خصائص الفن الإسلامي، فهو من لوازم التعبئة الفكرية، والغذاء المتجدد لمواصلة المسيرة، والترويح عن النفس، فالطريق طويل والعناء كثير، والنفوس تمل، والفن الإسلامي يجدد النشاط، ويبعث الحركة، ويثير في النفس المعاني الرفيعة والتدبير السليم.

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال.

كل ذلك جد لا هزل معه، فالأمة المجاهدة لا تعرف الهزل.

التكافل الاجتماعي:

المادة العشرون:

المجتمع المسلم مجتمع متكافل والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " نِعْمَ القوم الأشعريون كانوا إذا جهدوا في حضر أو سفر جمعوا ما عندهم ثم قسموه بينهم بالسوية ". وهذه الروح

الإسلامية هي التي يجب أن تسود في كل مجتمع مسلم، والمجتمع الذي يتصدى لعدو شرس نازي في تصرفاته لا يفرق بين رجل وامرأة أو كبير وصغير، هو أولى أن يتحلى بروح الإسلام هذه. وعدونا يعتمد أسلوب العقاب الجماعي، سلب الناس أوطانهم وممتلكاتهم، ولاحقهم في مهاجرهم وأماكن تجمعهم فاعتمد تكسير العظام، وإطلاق النار على النساء والأطفال والشيوخ بسبب وبدون سبب، وفتح المعتقلات ليزج فيها بالآلاف المؤلفة في ظروف لا إنسانية، هذا فضلاً عن هدم المنازل وتييتيم الأطفال، وإصدار الأحكام الظالمة على آلاف الشباب ليقضوا زهرة شبابهم في غياهب السجون.

وقد شملت نازية اليهود النساء والأطفال، فالترويع للجميع، يحاربون الناس في أرزاقهم ويبتزون أموالهم ويدوسون كرامتهم، وهم بأعمالهم الفظيعة يعاملون الناس كأعنف ما يكون مجرمو الحرب، والإبعاد عن الوطن نوع من أنواع القتل. وفي مواجهة هذه التصرفات لا بد من أن يسود التكافل الاجتماعي بين الناس، ولا بد من مواجهة العدو كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

المادة الحادية والعشرون:

ومن التكافل الاجتماعي تقديم المساعدة لكل محتاج، سواء كانت مادية أو معنوية، أو المشاركة في إنجاز بعض الأعمال، على عناصر حركة المقاومة الإسلامية أن ينظروا إلى مصالح الجماهير نظرتهم إلى مصالحهم الخاصة. وعليهم ألا يدخروا جهداً في سبيل تحقيقها والمحافظة عليها وعليهم أن يحولوا دون التلاعب بكل ما يؤثر في مستقبل الأجيال أو يعود على مجتمعهم بالخسارة، فالجماهير منهم ولهم، وقوتها قوة لهم، مستقبلها مستقبلهم. على عناصر حركة المقاومة الإسلامية أن يشاركوا الناس في أفراحهم وأتراحهم وأن يتبنوا مطالب الجماهير وما يحقق مصالحها ومصلحتهم، ويوم تسود هذه الروح تتعمق الألفة ويكون التعاون والتراحم وتتوثق الوحدة ويقوى الصف في مواجهة الأعداء.

القوى التي تدعم العدو:

المادة الثانية والعشرون:

خطَّ الأعداء منذ زمن بعيد، وأحكموا تخطيطهم كي يتوصلوا إلى ما وصلوا إليه، آخذين بالأسباب المؤثرة في مجريات الأمور، فعملوا على جمع ثروات مادية هائلة ومؤثرة، سخروها لتحقيق حلمهم، فبالأموال سيطروا على وسائل الإعلام العالمية، من وكالات أنباء، وصحافة، ودور نشر، وإذاعات، وغير ذلك. وبالأموال فجَّروا الثورات في مختلف بقاع العالم، لتحقيق مصالحهم وجني الثمار، فهم من وراء الثورة الفرنسية والثورة الشيوعية ومعظم ما سمعنا ونسمع عن ثورات هنا وهناك.

وبالأموال كوَّنوا المنظمات السرية التي تنتشر في مختلف بقاع العالم، لهدم المجتمعات، وتحقيق مصالح الصهيونية، كالماسونية، ونوادي الروتاري، والليونز، وأبناء العهد وغير ذلك،

وكلها منظمات تجسسية هدامة، وبالأموال تمكنوا من السيطرة على الدول الاستعمارية، ودعواها إلى استعمار كثير من الأقطار، لكي يستنزفوا ثروات تلك الأقطار وينشروا فيها فسادهم.

وعن الحروب المحلية والعالمية حدث ولا حرج، فهم من خلف الحرب العالمية الأولى، حيث تم لهم القضاء على دولة الخلافة الإسلامية، وجنوا الأرباح المادية، وسيطروا على كثير من موارد الثروة وحصلوا على وعد بلفور وأنشأوا عصبة الأمم المتحدة ليحكموا العالم من خلال تلك المنظمة، وهم من خلف الحرب العالمية الثانية، حيث جنوا الأرباح الطائلة من تجارتهم في مواد الحرب، ومهدوا لإقامة دولتهم، وأوعزوا بتكوين هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بدلاً من عصبة الأمم المتحدة ولحكم العالم من خلال ذلك.

وما من حرب تدور هنا أو هناك إلا وأصابهم تلعب من خلفها ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

فالقوى الاستعمارية في الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي، تدعم العدو بكل ما أوتيت من قوة، ماديًا، وبشريًا، وهي تتبادل الأدوار، ويوم يظهر الإسلام تتحد في مواجهته قوى الكفر، فملة الكفر واحدة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ١١٨).

وليس عبثًا أن تختتم الآية بقوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

الباب الرابع - مواقفنا من

(أ) الحركات الإسلامية:

المادة الثالثة والعشرون:

تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي إن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات، وتنظر إلى تلك الحركات إن توافرت النوايا السليمة والإخلاص لله بأنها تتدرج في باب الاجتهاد، ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الإسلامية ولكل مجتهد نصيب.

وحركة المقاومة الإسلامية تعتبر تلك الحركات رصيذًا لها، وتسأل الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لرأية الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

المادة الرابعة والعشرون:

لا تجيز حركة المقاومة الإسلامية الطعن أو التشهير بالأفراد أو الجماعات فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان، مع ضرورة التفريق بين ذلك وبين المواقف والتصرفات. فلحركة المقاومة الإسلامية الحق في بيان الخطأ والتنفير منه، والعمل على بيان الحق وتبنيه في القضية المطروحة بموضوعية، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨-١٤٩).

(ب) الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية:

المادة الخامسة والعشرون:

تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثرة فيها، وتشد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الإسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية في تصور لها للحياة، وتحركها مع الآخرين، تمقت الانتهازية ولا تتمنى إلا الخير للناس أفراداً وجماعات، لا تسعى إلى مكاسب مادية، أو شهرة ذاتية وما يتوافر لها ﴿لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠) لأداء الواجب، والفوز برضوان الله، لا مطمع لها غير ذلك.

وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية، من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك، قولاً وعملاً حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، توحد ولا تجزئ، تثمن كل كلمة طيبة، وجهد مخلص، ومساع حميدة، تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس.

وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة وشق الصفوف والتلهي بأمور جانبية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْهِبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

المادة السادسة والعشرون:

حركة المقاومة الإسلامية وهي تنظر إلى الحركات الوطنية الفلسطينية - التي لا تعطي ولاءها للشرق أو للغرب - هذه النظرة الإيجابية، فإن ذلك لا يمنعها من مناقشة المستجدات على الساحة المحلية والدولية، حول القضية الفلسطينية مناقشة موضوعية تكشف عن مدى انسجامها أو اختلافها مع المصلحة الوطنية على ضوء الرؤية الإسلامية.

(ج) منظمة التحرير الفلسطينية:

المادة السابعة والعشرون:

منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه. فوطننا واحد ومصابنا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك.

وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية، نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار، ولا يزال، تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية وهكذا نحسبها. والفكرة العلمانية مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تُبنى المواقف والتصرفات، وتتخذ القرارات.

ومن هنا، مع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية - وما يمكن أن تتطور إليه - وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتتبنى الفكرة العلمانية، فإسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرط في دينه فقد خسر.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة: ١٣٠). ويوم تتبنى منظمة

التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء. فإلى أن يتم ذلك - ونسأل الله أن يكون قريباً - فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير الفلسطينية هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء ويتمنى له الهداية والرشاد.

أخاك أخاك إن من لا أخاً له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء - فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح.

(د) الدول والحكومات العربية والإسلامية:

المادة الثامنة والعشرون:

الغزوة الصليبية غزوة شرسة، لا تتورع عن سلوك كل الطرق مستخدمة جميع الوسائل الخسيسة والخبثية لتحقيق أغراضها، وتعتمد اعتماداً كبيراً في تغلغلها وعمليات تجسسها على المنظمات السرية التي انبثقت عنها كالماسونية، ونوادي الروتاري والليونز، وغيرها من مجموعات التجسس وكل تلك المنظمات السرية منها والعلنية تعمل لصالح الصهيونية وبتوجيه منها، وتهدف إلى تقويض المجتمعات وتدمير القيم وتخريب الذمم، وتدهور الأخلاق، والقضاء على الإسلام وهي من خلف تجارة المخدرات والمسكرات على اختلاف أنواعها ليسهل عليها السيطرة والتوسع.

والدول العربية والمحيطية بإسرائيل مطالبة بفتح حدودها أمام المجاهدين من أبناء الشعوب العربية والإسلامية ليأخذوا دورهم ويضموا جهودهم إلى جهود إخوانهم من الإخوان المسلمين بفلسطين.

أما الدول العربية والإسلامية الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركات المجاهدين منها وإليها وهذا أقل القليل.

ولا يفوتنا أن نذكر كل مسلم بأن اليهود عندما احتلوا القدس الشريف عام ١٩٦٧ ووقفوا على عتبات المسجد الأقصى المبارك هتفوا قائلين: محمد مات خلف بنات.

فإسرائيل بيهوديتها ويهودها تتحدى الإسلام والمسلمين فلا نامت أعين الجبناء.

(هـ) التجمعات الوطنية والدينية والمؤسسات والمنقذين والعالم العربي والإسلامي:

المادة التاسعة والعشرون:

تأمل حركة المقاومة الإسلامية أن تقف تلك التجمعات إلى جانبها، على مختلف الأصعدة، تؤيدها، وتتبنى مواقفها، وتدعم نشاطاتها وتحركاتها، وتعمل على كسب التأييد لها لتجعل من الشعوب الإسلامية سنداً وظهيراً لها وبعداً استراتيجياً على كل المستويات البشرية والمادية والإعلامية، الزمانية والمكانية، من خلال عقد المؤتمرات، ونشر الكتيبات الهادفة وتوعية الجماهير حول القضية الفلسطينية، وما يواجهها ويدبر لها وتعبئة الشعوب الإسلامية فكرياً وتربوياً وثقافياً، لتأخذ دورها في معركة التحرير الفاصلة، كما أخذت دورها في هزيمة الصليبيين وفي دحر التتار وإنقاذ الحضارة الإنسانية، وما ذلك على الله بعزيز.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١).

المادة الثلاثون:

الأدباء والمنقذون ورجال الإعلام والخطباء ورجال التربية والتعليم وباقي القطاعات على اختلافها في العالم العربي والإسلامي، كل أولئك مدعوون إلى القيام بدورهم، وتأدية واجبهم نظراً لشراسة الغزوة الصهيونية، وتغلغلها في كثير من البلاد وسيطرتها المادية والإعلامية، وما يترتب على ذلك في معظم دول العالم.

فالجهد لا يقتصر على حمل السلاح ومنازلة الأعداء. فالكلمة الطيبة، والمقالة الجيدة، والكتاب المفيد، والتأييد والمناصرة، كل ذلك إن خلصت النوايا لتكون راية الله هي العليا فهو جهاد في سبيل الله " من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا ". (رواه: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي).

(و) أهل الديانات الأخرى:

حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية:

المادة الحادية والثلاثون:

حركة المقاومة الإسلامية حركة إنسانية، ترعى الحقوق الإنسانية، وتلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، لا تعادي منهم إلا من ناصبها العداء، أو وقف في طريقها ليعيق تحركها أو يبدد جهودها.

وفي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية في أمن وأمان، ولا يتوافر الأمن والأمان إلا في ظل الإسلام. والتاريخ القريب والبعيد خير شاهد على ذلك. وعلى أتباع الديانات الأخرى أن يكفوا عن منازعة الإسلام في السيادة على هذه المنطقة، لاتهم يوم يسودون فلا يكون إلا التقتيل والتعذيب والتشريد، فهم يضيقون ذرعًا ببعضهم البعض فضلًا عن أتباع الديانات الأخرى، والماضي والحاضر مليئان بما يؤكد ذلك.

﴿لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ^{١٤} لِحَسْبِهِمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى^{١٥} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الحشر: ١٤).

والإسلام يعطي كل ذي حق حقه، ويمنع الاعتداء على حقوق الآخرين، والممارسات الصهيونية النازية ضد شعبنا لا تطيل عمر غزوتهم فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ^{١٦} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الممتحنة: ٨).

(ز) محاولة الانفراد بالشعب الفلسطيني:

المادة الثانية والثلاثون:

تحاول الصهيونية العالمية، والقوى الاستعمارية بحركة ذكية وتخطيط مدروس، أن تخرج الدول العربية واحدة تلو الأخرى من دائرة الصراع مع الصهيونية، لتنفرد في نهاية الأمر بالشعب الفلسطيني.

وقد أخرجت مصر من دائرة الصراع إلى حد كبير جدًا باتفاقية كامب ديفيد الخيانية، وهي تحاول أن تجر دولاً أخرى إلى اتفاقيات مماثلة، لتخرج من دائرة الصراع.

وحركة المقاومة الإسلامية تدعو الشعوب العربية والإسلامية إلى العمل الجاد الدؤوب لعدم تمرير ذلك المخطط الرهيب، وتوعية الجماهير إلى خطر الخروج من دائرة الصراع مع الصهيونية، فاليوم فلسطين وغداً قطر آخر أو أقطار أخرى، والمخطط الصهيوني لا حدود له، وبعد فلسطين يطمعون في التوسع من النيل إلى الفرات، وعندما يتم لهم هضم المنطقة التي يصلون إليها، يتطلعون إلى توسع آخر وهكذا، ومخططهم في بروتوكولات حكماء صهيون وحاضرهم خير شاهد على ما نقول.

فالخروج من دائرة الصراع مع الصهيونية خيانة عظمى، ولعنة على فاعليها. ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيُئَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال: ١٦). ولا بد من تجميع كل القوى والطاقات لمواجهة هذه الغزوة النازية التتريّة الشرسة، وإلا كان ضياع الأوطان، وتشريد السكان، ونشر الفساد في الأرض، وتدمير كل القيم الدينية، وليعلم كل إنسان أنه أمام الله مسؤول. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨).

وفي دائرة الصراع مع الصهيونية العالمية، تعتبر حركة المقاومة الإسلامية نفسها رأس حربية أو خطوة على الطريق، وهي تضم جهودها إلى جهود كل العاملين على الساحة الفلسطينية، ويبقى أن تتبع ذلك خطوات على مستوى العالم العربي والإسلامي، فهي المؤهلة للدور المقبل مع اليهود تجار الحروب.

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

المادة الثالثة والثلاثون:

وحركة المقاومة الإسلامية وهي تنطلق من هذه المفاهيم العامة المتناسقة والمتساقطة مع سنن الكون كما تتدفق في نهر القدر في مواجهة الأعداء ومجاهدتهم دفاعاً عن الإنسان المسلم والحضارة الإسلامية والمقدسات الإسلامية، وفي طليعتها المسجد الأقصى المبارك، لتهدب بالشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها وتجمعاتها الشعبية والرسمية أن تتقي الله في نظرتها لحركة المقاومة الإسلامية، وفي تعاملها معها، وأن تكون لها كما أرادها الله سنداً وظهيراً يمدّها بالعون والمدد تلو المدد، حتى يأتي أمر الله. وتلحق الصفوف بالصفوف، ويندمج المجاهدون

بالمجاهدين، وتتطلق الجموع من كل مكان في العالم الإسلامي ملبية نداء الواجب، مرددة حي على الجهاد، نداء يشق عنان السماء، ويبقى متردداً حتى يتم التحرير، ويندحر الغزاة ويتنزل نصر الله.

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

الباب الخامس - شهادة التاريخ عبر التاريخ في مواجهة المعتدين:

المادة الرابعة والثلاثون:

فلسطين صرة الكرة الأرضية، وملتقى القارات، ومحل طمع الطامعين، منذ فجر التاريخ والرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى ذلك في حديثه الشريف الذي يناشد به الصحابي الجليل معاذ بن جبل، حيث يقول: " يا معاذ، إن الله سيفتح عليكم الشام من بعدي، من العريش إلى الفرات، رجالها، ونساؤها وإماؤها مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة ".

وقد طمع الطامعون بفلسطين أكثر من مرة فدهموا بالجيوش، لتحقيق أطماعهم، فجاءتها جحافل الصليبيين يحملون عقيدتهم ويرفعون صليبهم، وتمكنوا من دحر المسلمين ردحاً من الزمن، ولم يسترجعها المسلمون إلا عندما استظلوا برايتهم الدينية، وأجمعوا أمرهم، وكبروا ربهم وانطلقوا مجاهدين، بقيادة صلاح الدين الأيوبي قرابة عقدين من السنين فكان الفتح المبين واندحر الصليبيون وتحررت فلسطين.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

(آل عمران: ١٢).

وهذه هي الطريقة الوحيدة للتحرير، ولا شك في صدق شهادة التاريخ. وتلك سنة من سنن الكون وناموس من نواميس الوجود، فلا يقل الحديد إلا الحديد، ولا يغلب عقيدتهم الباطلة المزورة إلا عقيدة الإسلام الحق، فالعقيدة لا تنازل إلا بالعقيدة، والغلبة في نهاية الأمر للحق والحق غلاب.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَأْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ (١٧٢) ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا

لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧١ - ١٧٣).

المادة الخامسة والثلاثون:

تنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي واستخلاص فلسطين منهم، وكذلك هزيمة التتار في عين جالوت، وكسر شوكتهم على يد قطز والظاهر بيبرس، وإنقاذ العالم العربي من الاجتياح التتري المدمر لكل معاني الحضارة الإنسانية، تنظر إلى ذلك نظرة جادة، تستلهم منها الدروس والعبر، فالغزوة الصهيونية الحالية سبقتها غزوات صليبية من الغرب، وأخرى تترية من الشرق، فكما واجه المسلمون تلك الغزوات

وخططوا لمنازلتها وهزموها يمكنهم أن يواجهوا الغزوة الصهيونية ويهزموها، وليس ذلك على الله بعزيز إن خلصت النوايا وصدق العزم واستفاد المسلمون من تجارب الماضي وتخلصوا من آثار الغزو الفكري، واتبعوا سنن أسلافهم.

الخاتمة

حركة المقاومة الإسلامية جنود:

المادة السادسة والثلاثون:

وحركة المقاومة الإسلامية وهي تشق طريقها لتؤكد المرة تلو المرة لكل أبناء شعبنا، والشعوب العربية والإسلامية أنها لا تبغي شهرة ذاتية، أو مكسباً مادياً، أو مكانة اجتماعية، وأنها ليست موجهة ضد أحد من أبناء شعبنا لتكون له منافساً أو تسعى لأخذ مكانته، ولا شيء من ذلك على الإطلاق، وهي لن تكون ضد أحد من أبناء المسلمين أو المسالمين لها من غير المسلمين في هذا المكان وفي كل مكان، ولن تكون إلا عوناً لكل التجمعات والتنظيمات العاملة ضد العدو الصهيوني والدائرين في فلكه.

وحركة المقاومة الإسلامية تعتمد الإسلام منهج حياة. وهو عقيدتها وبه تدين، ومن اعتمد الإسلام منهج حياة، سواء كان هنا أو هناك، تنظيمًا كان أو منظمة أو دولة أو أي تجمع آخر، فحركة المقاومة الإسلامية له جنود ليس إلا. نسأل الله أن يهدينا وأن يهدي بنا وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق.

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Executive Summary

The contemporary Islamic discourse in Occupied Palestine: The Hamas paradigm

Following a profound analysis of the subject matter, the researcher has been able to determine the main features of the general Islamist discourse in Occupied Palestine. These features include: 1-**Islamicity**. 2-**Comprehensiveness**; and, 3- **Objectivity**.

The researcher adopted a practical paradigm based on the contemporary Islamist discourse, namely that of the Islamic Resistance Movement, Hamas.

In so doing, he presented a carefully-formulated analytical view of the conflict in Palestine, discussing its various religious and political dimensions. Needless to say, Hamas is an Islamic movement that resists the Zionist occupation and also espouses Islam as its ideological base and political ideology. Hence, the movement is seen as maintaining the sanctity of the Palestinian cause based on Islamic principles.

The author explains how the Islamic discourse vis-à-vis the Palestinian cause evolved considerably ever since the appearance of the Muslim Brotherhood, which fought fiercely against the Zionist enemy during the 1948 war. Needless to say, the brotherhood continues to do the same, namely resisting the Zionist occupation, through Hamas which in addition to its active, even prominent involvement in the resistance, has participated rather actively in the Palestinian political process, especially through its participation in the 2006 general elections as well as in subsequent governments.

In discussing the various requirements of the Islamist political discourse, the researcher analyzed how that discourse played an important role in maintaining and safeguarding the national constants of the Palestinian cause, often in the face of formidable odds. Successes in this regard included ascertaining and upholding the principle that defending Palestine, its land and holy places, is a primary duty incumbent on all Muslims and that no Muslim ought to take this duty lightly.

The author also pointed out that combining military resistance and political activism was perfectly acceptable in the ideology and platform of Hamas.

The present study underscored the leading role of Islamic resurgence in fostering Islamic awareness in Palestinian public institutions such as universities, mosques and other public facilities. This eventually helped spread and maintain the Islamist dimension of the Palestinian cause.

More to the point, the study sought to satisfactorily answer several questions pertaining to several contentious issues such as democracy, political plurality and the women participation in the political process. It

showed that Islam was not really incompatible with these issues as is often mendaciously or ignorantly claimed by western and other sources.

Furthermore, the study featured certain successes of the general Islamist discourse in meeting the informational needs of the masses through dynamic activism, unhindered by stagnant traditions. Interestingly, this happened without the Islamist movement succumbing to un-Islamic aspects of westernization, which often come under the rubric of modernity.

Some of these successes found expressions in the promotion of institutional building as Islamists were able to create successful models in charitable and educational fields, which in turn played an important role in solidifying the steadfastness of the Palestinian people.

Finally, the study criticized the phenomenon of party parochialism within the overall Islamic camp which undermines efforts to enhance the Islamic public appeal.

None the less, the study showed that the contemporary Islamist discourse was able to maintain the “Umma’s “ religious and nationalistic constants by indulging in serious activism, away from casualness and mediocrity.

These successes were the result of meticulous planning as well as engagement in cooperation with other Islamic groups as well as refraining from getting entangled in preoccupation with distractions and secondary issues.

The result, according to the study, has been more unity and homogeneity in the Islamist discourse which greatly benefited the interests of Muslim peoples around the world as well as those of the Palestinian people and their enduring national cause.

(End)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

كتب التفسير :

ابن عباس ، تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ، دار الفكر : بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٩٧٨ م .

ابن كثير ، الامام أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر : بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ١٩٨١ م .

الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير بإسم تفسير الرازي ، المطبعة الخيرية : القاهرة ، ط ١ ، ١٣٠٧ هـ .

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار إحياء التراث العربي : بيروت ، بلا تاريخ تاريخ ورقم الطبعة .
الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم : بيروت ، بلا تاريخ ورقم طبعة .

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المطبعة الميمنية : القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .

قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق : القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٩٦ م .

كتب الحديث :

الألباني ، محمد ناصر الدين ، تخريج أحاديث فضائل الشام ، المكتب الاسلامي : بيروت ، دمشق ، بلا تاريخ ورقم طبعة .

الترمذي ، محمد بن عيس ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد بن شاکر وآخرين ، دار إحياء التراث : بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٤ م .

السيوطي ، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، جلال الدين عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية : بيروت - لبنان ، بلا رقم وتاريخ طبعه .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار ، دار الفكر : بيروت - لبنان ، ط ٣ ، بلا تاريخ نشر .

العسقلاني : ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر : بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٠٨٦ م .

النووي ، الإمام الحافظ أبي زكريا النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين شرح محمد ابن صالح العثيمين ، دار البصرة : الاسكندرية ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

النيسابوري ، الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، دار الحديث : القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٨٨ م .

الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر ، (المتوفى سنة ٨٠٧هـ) ، دار الكتاب العربي : القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٩م .

معاجم وكتب اللغة :

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف : القاهرة ، بلا تاريخ ورقم طبعه .
التهانوي ، محمد علي ، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق على دمروج ، مكتبة لبنان : بيروت ط١ ، ١٩٦٦م .

الجويني (امام الحرمين) ، الكافية في الجدل ، تحقيق فوقيه محمد ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه : القاهرة ، بلا تاريخ ورقم طبعه .
الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكلبيات ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م .

المنأوي ، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعريف ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر : بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م .

كتب الفقه :

سابق ، السيد ، فقه السنة ، دار الكتاب العربي : بيروت ، بلا رقم طبعه ولا تاريخ نشر .
الظاهري ، ابن حزم ، المحلى ، دار الفكر : بيروت - لبنان ، ط١٩٨٦ ، ٢م .
القرضاوي ، يوسف ، فتاوى معاصرة ، دار القلم : الكويت ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .
الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد ، الاحكام السلطانية ، دار الفكر : بيروت ، بلا رقم طبعه ولا تاريخ نشر .

كتب الفكر والدراسات الاسلامية :

ابن الجوزي ، أبي الفرج ، فضائل القدس ، دار الآفاق الجديدة : بيروت ، ط١٩٩٦ ، ٢م .
ابن شداد ، بهاء الدين ، سيرة صلاح الدين الأيوبي ، المسماه بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، دار الفكر : بيروت ، بلا تاريخ ورقم طبعه .
ابن عيسى ، رشيد ، (إحياء الديمقراطية في الجزائر) في : مشاركة الإسلاميين في السلطة ، عزام التميمي ، منظمة ليبرتي - لندن .
أبو عزة ، عبد الله ، مع الحركة الاسلامية في البلاد العربية ، دار القلم : الكويت ، ط١٩٨٦ ، ١م .

أبو عمر ، زياد ، أصول الحركات السياسية في قطاع غزة (١٩٤٨م-١٩٦٧م) دار الاسوار : عكا - فلسطين ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

أبو عمر، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع، دار الاسوار :عكا -فلسطين ، ط١٩٨٧م.

أبو عمرو، زياد، "الإسلاميون الفلسطينيون: التعددية والديمقراطية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٢، خريف ١٩٩٢م .

أبو غنيمه ، زياد ، الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية ، دار الفرقان : عمان - الاردن ، ط١، بلا تاريخ طبعه .

أبو فارس ، محمد عبد القادر ، النظام السياسي في الإسلام ، دار الفرقان : عمان، ط٢، ١٩٨٥م .

أبو فارس، محمد عبد القادر، حكم المشاركة في الوزارة والانظمة الجاهلية، مطبعة النور: اصولح - الاردن ، ط١، بلا رقم طبعة ولا تاريخ نشر .

أبو فارس، محمد عبد القادر، هذا هو الحل ، دار البشير : طنطا ، ط١، ١٩٩٩م .

إسماعيل، فادي، الخطاب العربي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩١م.

أوكي، ميم كامل، السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

البرغوثي ، إيداد . " الديمقراطية والتعددية في فكر وسلوك الإسلاميين " ، مجلة شؤون الشرق الاوسط (واشنطن) ، العدد الأول ، السنة الثانية ، ربيع ١٩٩٤م .

البرغوثي، إيداد، (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، في: الفكر السياسي للحركات الإسلامية: تجربة مصر والأردن وفلسطين، الدكتور محمد اشتية (محرراً)، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: البيرة، ط١، ١٩٩٩م.

البرغوثي، إيداد، الإسلام السياسي في فلسطين، مركز القدس للإعلام والاتصال، القدس، ط١، ٢٠٠٠م.

بكار: عبد الكريم، من أجل إنطلاقة حضارية شاملة، دار القلم: دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم: دمشق، ط١، ١٩٩١م.

بكار، عبد الكريم، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم: دمشق - سوريا، ط١، ١٩٩٩م.

بلقع، عبد الهادي، دور الحركات الصوفية المعاصرة، دار نهضة مصر: القاهرة - مصر، ط٢، ٢٠٠١م.

البنا ، حسن عبد الرحمن ، مذكرات الدعوة والداعية ، دار الدعوة : القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م .

- البناء ، حسن عبد الرحمن ، نظرات في اصلاح الفرد والمجتمع ، مكتبة الاعتصام : القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠م .
- البناء، حسن عبد الرحمن، مجموعة الرسائل، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر: بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر: دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، دار السلام: القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.
- الترايبي، حسن، الحركة الإسلامية في السودان (التطور والكسب والمنهج)، دار الحكمة: الخرطوم، ط٣، ١٩٩٩م.
- الترايبي، حسن، تجديد الفكر الإسلامي، الدار السعودية: جدة، ط٣، ١٩٩٩م.
- التعددية السياسية، قراءة إسلامية، (مجموعة من المؤلفين)، مركز الدراسات الحضارية ومركز الإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- التكروري، نواف هائل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، بلا ناشر، دمشق، ط١، ١٩٧٧م.
- التل، حسن، الكتابة خارج الزمن الرديء، مؤسسة اللواء للدراسات والأبحاث، عمان، ط١، ١٩٩٧م.
- الجابري، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت- لبنان، ط٥، ١٩٩٤م.
- جاد الله، محمد، المعارضة والسلطة الوطنية، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية: نابلس- فلسطين، ط١، ١٩٩٤م.
- جارودي، روجيه، فلسطين أرض الرسالات الالهية، دار طلاس للنشر والتوزيع، دمشق، ط٤، ١٩٩٣م.
- الجرباوي: علي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة وقطاع غزة، دار الطليعة: بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- جمعة ، علي ، " الخطاب الديني في رمضان " ، مجلة العربي ، العدد ٥٠٥ ، ديسمبر ٢٠٠٠م .
- الحامدي، محمد ألهاشمي، أشواق الحرية (قصة الحركة الإسلامية في تونس)، دار، القلم، الكويت، ط١، ١٩٩٠م.
- حركة المقاومة الإسلامية حماس بين آلام الواقع وآفاق المستقبل (بلا مؤلف) المركز العالمي للبحوث والدراسات، ط١، ١٩٩١م.

- الحروب ، خالد . " حركة حماس بين السلطة وإسرائيل : من مثلث القوى الى المطرقة والسندان " ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد ١٨ ، ربيع ١٩٩٤ م .
- الحروب ، خالد، حماس الفكر والممارسة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- حسان، عثمان، التيار الإسلامي الراديكالي في العالم العربي، مكتبة مدبولي: القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- حسنه، عمر عبید، حتى يتحقق الشهود الحضاري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- الحلبي، إبراهيم، قراءة في مذكرات اللواء فؤاد صادق، منشورات مدبولي، القاهرة، ط٣، بلا تاريخ نشر.
- حاممي، جميل، الإسلاميون والمرحلة القادمة، مركز البحوث والدراسات الإسلامية: نابلس- فلسطين، ط١، ١٩٩٤م.
- الحمد، جواد والبرغوثي، إياد، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ط١، ١٩٩٧م.
- الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- حوى، سعيد، دروس في العمل الإسلامي، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الأردن، ط١، ١٩٨١م.
- خاتمي، محمد، الإسلام والعالم، مكتبة الشروق: القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- خليفة، أحمد، حرب فلسطين (١٩٤٧-١٩٤٨) الرواية الإسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- دوعر، غسان، المهندس الشهيد يحيى عياش، منشورات فلسطين المسلمة: لندن، ط١، ١٩٩٧م.
- دوعر، غسان، أمير الفدائيين صلاح شحادة، بلا دار نشر، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.
- الراشد، محمد أحمد، فضائح الفتن، دار المنطلق، دبي، ط١، بلا تاريخ.
- رمضان، نزار عبد العزيز، على مشارف الوطن (المبعدون الفلسطينيون في مرج الزهور) دار الرشاد الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- سمارة، إحسان، دار النهضة الإسلامية: بيروت، ط٢، ١٩٩١م.
- السيد، رضوان، سياسات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الشاعر، ناصر الدين، عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية (وجهة نظر إسلامية)، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس، ط١، ١٩٩٩م.

شبير، محمد عثمان، بيت المقدس وما حوله في ضوء السياسة الشرعية، مكتبة الفلاح: الكويت، ط١، ١٩٨٦م.

الشريف، كامل، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، دار المختار الإسلامي، ط٤، ١٩٨٩م.

الشريف، كامل، والسباعي، مصطفى، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين (الجهة المصرية والسورية)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط٣، بلا تاريخ نشر.

شفيق، منير، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، دار البراق: تونس، ط٣، ١٩٨٩م.
شفيق، منير، الفكر الإسلامي والمعاصر والتحديات، دار الناشر: بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
الشويخ، عادل عبد الله الليلي، رؤية التعاليم، دار المنطلق: دبي - الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٩٢م.

صالح، محسن، الطريق إلى القدس، منشورات فلسطين المسلمة: لندن، ط١، ١٩٩٥م.
الصويان، أحمد بن عبد الرحمن، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن: الرياض - السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ.

صيام، شحده، العنف والخطاب الديني في مصر، سينا للنشر: ط٢، ١٩٩٨م.
الطاهر، بسام، الإخوان المسلمون والمجالس النيابية، دار الشعلة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
الطحان، مصطفى، الفكر الحركي بين الأصالة والانحراف، دار الوثائق: الكويت، بلا تاريخ طبعة.

عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، دار التراث العربي: بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٩٤م.

عبد الرحمن، صادق، الحكم الذاتي الإسرائيلي والرفض الإسلامي، المركز الإسلامي للدراسات والأبحاث الإستراتيجية، القدس، ط١، ١٩٩١م.

عبد الهادي، مها، واقع المرأة في فلسطين (وجهة نظر إسلامية)، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية: نابلس - فلسطين، ط١، ١٩٩٩م.

العيان، د. عصام، (عوائق المشاركة السياسية في مصر)، في (مشاركة الإسلاميين في السلطة)، عزام التميمي، منظمة ليبرتي، لندن، ط١، ١٩٩٤م.

العكايلة، عبد الله، (تجربة الحركة الإسلامية في الأردن)، في: مشاركة الإسلاميين في السلطة، د. عزام التميمي، منظمة ليبرتي: لندن، ط١، ١٩٩٤م.

العكيم، حسن، (الإسلام والديمقراطية متعاضان أو متناقضان) في: مشاركة الإسلاميين في السلطة: عزام التميمي (محرراً): منظمة لبرتي للدفاع عن الحريات في العالم الإسلامي: لندن، ط١، ١٩٩٤م.

علي، حيدر إبراهيم، التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

عنتاوي، محسن، لماذا نرفض السلام مع اليهود، بلا دار نشر ولا مكان نشر ولا تاريخ طبعة.

العوا، محمد سليم، التعددية السياسية من منظور إسلامي، في (مشاركة الإسلاميين في السلطة، عزام التميمي - محرراً)، منظمة ليبرتي: لندن، ط١، ١٩٩٤م.

العويسي، عبد الفتاح، تصور الإخوان المسلمون للقضية الفلسطينية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

غانم، محمد عبد الفتاح، المقاومة الإسلامية ودورها في ضرب العمق الصهيوني، الدار الإسلامية للإعلام والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.

الغزالي، عبد الحميد، حول أساسيات المشروع الإسلامي، نهضة الأمة (قراءة في فكر الإمام الشهيد حسن البنا): المركز الإسلامي للدراسات والبحوث-دار النشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي، دار نهضة مصر: القاهرة، ط٢، بلا تاريخ نشر.

الغزالي، محمد، الدعوة الإسلامية في القرن الحالي، دار الشروق: القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
الغزالي، محمد، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار الشروق: القاهرة-مصر، ط١، ١٩٩٧م.

الغزالي، محمد، في موكب الدعوة، دار نهضة مصر: القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
الغزالي، محمد، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي، دار نهضة مصر: القاهرة-مصر، ط١ الحديثة، ١٩٩٨م.

الغنوشي، راشد، (حكم مشاركة الإسلاميين في نظام غير إسلامي) في: الإسلاميون والمشاركة في السلطة، عزام التميمي، ليبرتي - لندن، ط١، ١٩٩٤م.
الغنوشي، راشد، الحركة الإسلامية مسألة التغيير، المركز المغربي للبحوث والترجمة: لندن، ط١، ٢٠٠٠م.

الفالوجي، عبد الحميد، درب الأشواك، دار الشروق: عمان، ط١، ٢٠٠٢م.
الفرحان، محمد، الخطاب الإسلامي التربوي، الشركة العالمية للكتاب: بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

فضل الله، محمد حسن، الحركة الإسلامية ومنطق القوة، دار الهادي: بيروت-لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

قاسم، عبد الستار، الطريق إلى الهزيمة، بلا دار نشر، ط١، ١٩٩٨م.

- القرضاوي، يوسف، الإسلام كما نؤمن به، دار نهضة مصر: القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
- القرضاوي، يوسف، الشيخ محمد الغزالي كما عرفته (رحلة نصف قرن)، دار الشروق: القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتطرف المذموم، دار الشروق: القاهرة- مصر، ط ١، ٢٠٠١م.
- القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتطرف المذموم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.
- القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق: القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م.
- القرضاوي، يوسف، الصحة الإسلامية وهموم الوطن العربي، مكتبة وهبة: القاهرة- مصر، ط ٢، ١٩٩٧م.
- القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م.
- القرضاوي، يوسف، أمتنا بين قرنين، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط ١، ٢٠٠٠م.
- القرضاوي، يوسف، فتاوى معاصرة، دار القلم: الكويت، ط ٢، ٢٠٠٢م.
- القرضاوي، يوسف، مستقبل الأصولية الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط ١، ١٩٩٧م.
- القرضاوي، يوسف، من فقه الدولة في الإسلام، دار الشروق: القاهرة- مصر، ط ٣، ٢٠٠١م.
- القضاء، طه سليمان، الولاية العامة للمرأة في الفقه الإسلامي، دار النفائس: عمان، ط ١، ١٩٩٨م.
- قطب، سيد، السلام العالمي والإسلام، دار الشروق: القاهرة- مصر، ط ١٣، ٢٠٠١م.
- كوهن، أمنون، الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني (١٩٤٩-١٩٦٧)، تعريب خالد حس، مطبعة القادسية- القدس، ط ١، ٢٠٠٢م.
- الكيلاني، نجيب، الإسلام والقوى المضادة، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٨٠م.
- متولي، صبري، التطرف الإسلامي، سينا للنشر: القاهرة- مصر، ط ١، ٢٠٠٢م.
- محفوظ، محمد، الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء- المغرب، ط ١، ١٩٩٩م.
- المدرسي، محمد تقي، النهج الإسلامي قراءة في مسيرة الحركة الإسلامية، دار الجيل: بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

- المسيري ، عبد الوهاب . " معالم الخطاب الاسلامي : ورقة أولية " ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٨٦ ، السنة الثامنة والعشرون ، ١٩٩٨ م .
- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.
- مصطفى، نصر طه، الحركة الإسلامية اليمنية، عشرون عاما من المشاركة السياسية، في(مشاركة الإسلاميين في السلطة)، عزام التميمي، منظمة ليبرتي، لندن، ط١، ١٩٩٤م.
- المقادمة، إبراهيم، معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، مؤسسة اليم، فلسطين المحتلة، ط٢، ١٩٩٤م.
- مقار، شفيق، قراءة سياسية للتوراة، دار الرئيس: لندن، ط١، ١٩٩١م.
- المودودي، أبو الأعلى، نحن والغرب، الدار السعودية، للنشر: جدة، ط٧، ٢٠٠١م.
- الموسوي، جلال، دور الحركات الإسلامية في النهضة المعاصرة، دار الهادي: بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- موسى، متولي، فلسطين بين الاغتصاب والتسليم، الدار الإسلامية للإعلام: بون-ألمانيا، ط١، ١٩٩٢م.
- الناصر، حسام، حركة المقاومة الإسلامية حماس الانطلاق ومعادلة الصراع، منشورات فلسطين المسلمة: لندن، ط١، ١٩٩٠م.
- نبهان، فاروق، نظام الحكم في الإسلام، مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية، منشورات حزب التحرير: القدس.
- النبهاني، تقي الدين، نظام الحكم في الإسلام، منشورات حزب التحرير، القدس، ط٢، ١٩٥٣م.
- النحوي، عدنان، فلسطين بين المنهج الرباني والواقع، دار النحوي: الرياض، ط١، ١٩٨٩م.
- النفيس، عبد الله، الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية، (أوراق في النقد الذاتي)، مكتبة مديولي، ط١، ١٩٨٩م.
- الهندي، خالد، عملية البناء الوطني الفلسطيني وجهة نظر، إسلامية، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، نابلس، ط١، ١٩٩٩م.
- هوفمان، مراد، الإسلام عام ٢٠٠٠، تعريب: عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- هويدي ، فهمي ، " الاسلام والديمقراطية " ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ١٦٦ ، كانون الاول ، ١٩٩٢ م .

ياسين، عبد القادر، حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، سينا للنشر: القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

يوسف، ابن، أحمد، الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر، (فلسطينيو ال ٤٨)، المركز العالمي للبحوث والدراسات: واشنطن، ط١، ٢٠٠٠م.

كتب ودراسات عبرية:

بيري، يعقوب، القادم لقتلك (عبري)، دار كيتز: القدس، ط١، ١٩٩٨م. (عبري)
جيلون، كارمي، الشبابك بين الاشلاء، (عبري) دار يديعوت أحرونوت: القدس، ط١، ٢٠٠٠م.

داني، ديفيد، فلسفة الاستشهاد في الإسلام، (عبري) مركز بيغن السادات: تل أبيب، ط١، ١٩٩٨م.

سيلع، أبراهام وشاؤول مشعال، عصر حماس، منشورات يديعوت أحرونوت (عبري): القدس، ط١، ١٩٩٩م.

شاكيد، روني وأفيفا شافي، حماس من الإيمان بالله الى طريق الإرهاب، (عبري) دار كشير، القدس، ط١، ١٩٩٢م.

شيف، زئيف ويهودا غاري، انتفاضة، (مترجم) دار الغد العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م.
فالونيم، أوردي، حماس والإرهاب: تفسير بديل لاستخدام (تقدير استراتيجي) (عبري)، مركز يافا للدراسات الاستراتيجية - جامعة تل أبيب، ج٢، العدد الثاني، كانون أول ١٩٩٩م.

كارمر، مارتن، حسن التراي بوصلة الإرهاب في العالم العربي (عبري)، مركز ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: جامعة بار إيلان - تل أبيب، ط١، ١٩٩٩م.

لتسفاك، مائير، أسلمة الهوية الفلسطينية (حالة حماس)، (عبري) مركز ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا - جامعة بار إيلان، تل أبيب، ط١، ١٩٩٩م.

نمازيت، شلومو، الطعم في المصيدة، ترجمة عليان الهندي، مؤسسة باب الواد: القدس، ط١، بلا تاريخ نشر.

المقابلات والمكاتبات

مقابلة خاصة مع الشيخ حامد البيتاوي رئيس رابطة علماء فلسطين بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٣م.
مقابلة مع أحد مشرفي فرق المساجد والذي رفض الكشف عن اسمه لأسباب أمنية أجريت معه بتاريخ ١٢/٦/٢٠٠٣م.

مقابلة مع أحد المتحدثين باسم حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية الشيخ محمد بريوش أجراها الباحث وهو معتقل داخل سجن عوفر وذلك بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٣م.

مقابلة مع الدكتور عزام سلهب، نائب رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل حيث أجريت بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٤م.

مقابلة مع الشيخ عادل الجندي رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٥م داخل سجن عوفر.

مقابلة مع عفت الجعبري، ناشطة إسلامية في العمل النسوي الفلسطيني، بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٨م.

مقابلة مع الناشطة الإسلامية الفلسطينية الإسلامية، ميسون الرمحي، رئيس جمعية الخنساء برام الله بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٩م.

مقابلة مع الدكتورة مريم صالح المحاضرة في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٠م.

مقابلة مع علي جرادات عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٥م.

مقابله مع الدكتور مصطفى البرغوثي عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٧م.

مقابلة مع الشيخ جمال منصور رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٤م.

مقابلة خاصة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي يوم ٢٠٠٣/٢/١٧م.

مقابلة مع الدكتور محمود الزهار بتاريخ ٢٠٠٣/٢/٢٥م.

مقابلة خاصة مع الشيخ أحمد ياسين بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٧م.

مقابلة خاصة مع الدكتور محمد الهندي بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١١م.

مقابلة خاصة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٥م.

مقابلة أجراها الباحث في داخل سجن عوفر بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٧م مع الشاب إسلام فتحي محمد الشناوي (٢٠ عاما) من مدينة جنين والذي كان ينوي القيام بعملية استشهادية.

مقابلة مع أحد نشطاء حزب التحرير الإسلامي بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٠م رفض ذكر اسمه.

مقابلة مع عضو اللجنة المركزية لحركة فتح عباس زكي بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٢م.

نشرات وتقارير :

تقرير الارهاب ، اصدار وزارة الخارجية الامريكية (١٩٩٦م-٢٠٠٠م) منشور على الموقع الالكتروني للوزارة .

تقرير حول حوار القاهرة بين حماس والفصائل الفلسطينية المنعقد في ٢٠٠٣/٣/٢١م .

حركة حماس الواقع والآفاق ، نشرة خاصة صادرة عن حركة فتح ، حزيران ٢٠٠١م

بلا مؤلف وتاريخ طبعة .

الديمقراطية نظام كفر ، اصدار حزب التحرير الاسلامي ، بلا تاريخ ورقم طبعة ولا مكان نشر .

فتاوى علماء المسلمين في تحريم بيع أراضي فلسطين لليهود عام ١٩٣٣م ، بل مؤلف ، مطبعة دار الايتام الاسلامية : القدس ، ط ١ ، ١٩٦٩م .

كتائب عز الدين القسام (الجذور والنشأة) ، مكتبة سجن مجدو ، أرشيف حركة حماس الخاص ، بلا تاريخ نشر ولا مؤلف .

الكتل الاسلامية في فلسطين ، نشرة خاصة صادرة عن الحركة الطلابية الاسلامية في فلسطين ، دون مؤلف ، ١٩٩٢م .

ميثاق حركة المقاومة الاسلامية (حماس) ، ١٨ آب ١٩٨٨م، بلا ناشر ومكان نشر .

دوريات ومجلات وصحف :

الحياة ، (يومية) ، لندن .

الدراسات الفلسطينية (فصلية) ، بيروت .

السبيل ، (اسبوعية) ، عمان .

شؤون الشرق الاوسط (فصلية) ، واشنطن .

الشرق ، (يومية) ، الدوحة .

العربي (شهرية) ، الكويت .

العهد ، (اسبوعية) ، بيروت .

فلسطين الثورة ، (اسبوعية) ، قبرص .

فلسطين المسلمة (شهرية) ، لندن .

القدس العربي ، (يومية) ، لندن .

المستقبل العربي (شهرية) ، بيروت .

المشاهد السياسي ، (اسبوعية) ، لندن .

هآرتس ، (يومية) القدس المحتلة .

الوسط ، (اسبوعية) ، لندن .

الوعي ، (شهرية) ، بيروت .

الوفاق ، (يومية) ، طهران .

يديعوت أحرونوت (يومية) ، القدس المحتلة .

بيانات ومذكرات :

البيان الأول لحركة المقاومة الاسلامية (حماس) الصادر في ١٤/١٢/١٩٨٧م .

بيان التنظيم العالمي للإخوان المسلمين حول زيارة السادات للكنيسة الاسرائيلي والصادر في ١٥/٦/١٩٧٨ م .

- بيان حزب التحرير الصادر في ١١/١١/٢٠٠٠ م .
- بيان حزب التحرير الصادر في ١٤/١٢/١٩٦٤ م .
- بيان حماس بعنوان (لا لمؤتمر بيع فلسطين وبيت المقدس) الصادر في ٢٣/٩/١٩٩١ م .
- بيان حماس الخاص بموسم الحج (نداء الوحدة والحشد والرباط) الصادر في ٣/٦/١٩٩٠ م .
- بيان حماس الدوري رقم (١٠) الصادر في ١٢/٣/١٩٨٨ م .
- بيان حماس الدوري رقم ٦٧ الصادر في كانون أول ١٩٩٠ م .
- بيان حماس الذي يدعو لمؤازرة المسلمين في البوسنة والهرسك، الصادر في ٢٥/٤/١٩٩٢ م .
- بيان حماس الذي يستنكر العدوان على ليبيا والصادر بتاريخ ١٥/٤/١٩٩٢ م .
- بيان حماس الصادر ٢٨/٢/١٩٩٤ م .
- بيان حماس الصادر في ١٣/٤/١٩٩٠ م .
- بيان حماس الصادر في ٩/١٢/١٩٩٢ م والذي يدعو الى استنكار الاعتداء على مسجد بابري في الهند .

- بيان حماس المتضامن مع الشيشان والصادر بتاريخ ، ١٤/١٩٩٤، ١٢ م .
- بيان حماس بمناسبة مؤتمر مدريد الصادر في ٢٣/٩/١٩٩١ م .
- بيان حماس حول الموقف من الحكم الذاتي والصادر في ٩/٩/١٩٩٢ م .
- بيان حماس حول طبيعة اللقاءات مع عدد من دول العالم الصادر في ١/٣/١٩٩٣ م .
- بيان حماس في تهنئة السودان بتطبيق الشريعة الاسلامية الصادر في ١٣/١٢/١٩٩١ م
- بيان حماس في تهنئة الشعب الافغاني بنصره المؤزر والصادر بتاريخ ٢٥/٤/١٩٩٢ م
- بيان حماس في ذكرى مولد السيد المسيح عليه السلام صادر في ٢٥/١٢/١٩٩٣ م .
- بيان صادر عن حركة فتح بتاريخ ٢٥/٧/٢٠٠٢ م .
- بيان لحماس يستنكر اغتيال الفتاوي اسعد الصفطاوي صادر في ٢٢/١٠/١٩٩٣ م .
- بيان لحماس يستنكر تدخلات السلطة في المساجد صادر بتاريخ ٧/٦/١٩٩٤ م .
- تصريح صحفي صادر عن المكتب السياسي لحركة حماس بتاريخ ١٦/٤/١٩٩٤ م .
- رسالة من حماس موجه للبابا شنودة الثالث بتاريخ ١٨/١/١٩٩٥ م .
- مذكرة موجه من حركة حماس للمجتمعين في مؤتمر شرم الشيخ بتاريخ ١٣/٣/١٩٩٦ م .

مواقع الانترنت :

موقع وزارة الخارجية الامريكية www.state.gov

www.palestine-info.info موقع المركز الفلسطيني للاعلام (حماس)

www.hizb-ut-tahrir.org موقع حزب التحرير الاسلامي

www.alqassam.ws موقع كتائب عز الدين القسام

www.jenincamp.ps موقع مخيم جنين

www.aljazeera.net موقع الجزيرة نت

المحتويات

٢	الملخص
٤	إهداء
٥	شكر وتقدير
٧	المقدمة
١١	لماذا دراسة الخطاب الإسلامي؟
١٣	عقبات في طريق هذه الرسالة:
١٥	أهمية الدراسة
١٦	أسباب اختيار الموضوع
١٧	أهداف الدراسة وغاياتها
١٧	الدراسات السابقة
١٩	المنهج المتبع
١٩	خطة الدراسة:
٢١	الفصل الأول: قراءة نظرية للخطاب الإسلامي المعاصر
٢٢	المبحث الأول: مدخل إلى الخطاب الإسلامي المعاصر
٢٣	المطلب الأول: تعريف الخطاب
٢٣	(١) الخطاب عند أهل اللغة
٢٤	(٢) الخطاب في القرآن الكريم
٢٥	(٣) الخطاب عند الأصوليين
٢٥	(٤) الخطاب عند المفكرين المعاصرين
٢٧	المطلب الثاني: إسلامية الخطاب
٣٠	المطلب الثالث: سمات الخطاب الإسلامي
٣٠	خطاب رباني
٣١	خطاب شامل
٣١	خطاب فطري واقعي
٣٢	خطاب الوسطية والإعتدال
٣٥	المطلب الرابع: آفاق الخطاب الإسلامي
٣٨	المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي المعاصر بين الأصالة والمعاصرة
٣٩	المطلب الأول: مدارس الخطاب الإسلامي المعاصر
٣٩	المدرسة السلفية:

٤١.....	المدرسة التقليدية:
٤٣.....	المدرسة التجديدية التربوية
٤٥.....	مدرسة الغلو والرفض
٤٨.....	المطلب الثاني: المرجعية والمرتكزات الشرعية للخطاب الإسلامي
٥١.....	المطلب الثالث: بروز مؤسسة الحزب والجماعة
٥١.....	حكم العمل في جماعة وحزب:
٥٢.....	إيجابيات العمل الجماعي الحزبي:
٥٣.....	سلبات المؤسسة الحزبية
٥٥.....	المطلب الرابع: دور الصحوة الإسلامية في ردد الخطاب الإسلامي
٥٩.....	المبحث الثالث: معالم الخطاب الإسلامي المعاصر
٦٠.....	المطلب الأول: خطاب الوعد والارشاد والدعوة
٦٣.....	المطلب الثاني: خطاب الغلو والمواجهة
٦٧.....	المطلب الثالث: خطاب الحوار والتفاعل الحضاري
٧٢.....	المبحث الرابع: إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر
٧٣.....	المطلب الأول: الاعتماد على الخطاب العاطفي والوعظي
٧٤.....	المطلب الثاني: ضعف التخطيط وبروز خطاب ردات الفعل
٧٦.....	المطلب الثالث: الخلاف الحزبي وبروز ظاهرة التفريخ التنظيمي
٧٨.....	المطلب الرابع: ضعف التقنية وأدوات الخطاب
٧٩.....	المبحث الخامس: رؤية نقدية للخطاب الإسلامي المعاصر
٨١.....	المطلب الأول: التفوق على الذات ورفض المراجعة والنقد
٨٢.....	المطلب الثاني: الخطاب الإسلامي الإسلامي وأزمة الثقة
٨٣.....	المطلب الثالث: البعد عن التقليد والبحث عن التجديد
٨٥.....	الفصل الثاني: الخطاب السياسي والجهادي لحماس
٨٦.....	المبحث الأول: التيار الإسلامي في فلسطين (الجزور والنشأة)
٨٦.....	تمهيد:
٨٨.....	المطلب الأول: مكانة فلسطين في الإسلام
٩١.....	المطلب الثاني: الإخوان المسلمون في فلسطين ودورهم التاريخي
٩١.....	تمهيد:
٩١.....	* النقطة الأولى: العمل السياسي والدعوي لدعم القضية
٩٣.....	النقطة الثانية: تأسيس دور الإخوان في فلسطين
٩٥.....	* النقطة الثالثة: جهاد الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٨م

٩٨.....	النقطة الرابعة: الإخوان ومعسكرات الشيوخ
١٠١.....	المطلب الثالث: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الجذور والنشأة
١٠١.....	* تأسيس حماس:
١٠٣.....	* ميثاق حماس:
١٠٤.....	* استراتيجية حماس:
١٠٥.....	* سياسات حماس:
١٠٦.....	* حماس والرأي العام:
١٠٩.....	المطلب الرابع: نظرة الحركات الإسلامية تجاه الصراع على فلسطين
١١٣.....	المبحث الثاني: الخطاب السياسي لحماس والممارسة الفاعلة
١١٥.....	المطلب الأول: خطاب يحافظ على الثوابت الإسلامية
١١٨.....	المطلب الثاني: نظرة حماس للصراع على فلسطين
١٢٣.....	المطلب الثالث: البرنامج التحرري والسياسي لحماس
١٢٤.....	الدولة الإسلامية بين مفهوم الإخوان وحماس
١٢٦.....	تحرير فلسطين التاريخية (من البحر إلى النهر)
١٢٧.....	حماس والحل المرحلي
١٣٠.....	حماس ومشروع الهدنة
١٣٥.....	المطلب الرابع: رفض الحلول السياسية للقضية دينيا وسياسيا
١٣٩.....	المبحث الثالث: الخطاب الجهادي والعسكري لحماس
١٤٢.....	المطلب الأول : حماس ودورها في الانتفاضات الشعبية
١٤٦.....	المطلب الثاني: نشأة العمل العسكري والتطور النوعي
١٥١.....	المطلب الثالث: العمليات الاستشهادية بين الميزان الفقهي والسياسي
١٥٥.....	المبحث الرابع: حماس والآخر الفلسطيني والعربي والإسلامي والدولي
١٥٧.....	المطلب الأول: حماس والعلاقات الداخلية الفلسطينية
١٥٧.....	حماس ومنظمة التحرير:
١٦٢.....	المطلب الثاني: حماس والفصائل الإسلامية
١٦٥.....	المطلب الثالث: موقف حماس من السلطة والدولة والبناء الوطني الفلسطيني
١٦٩.....	حماس والمشاركة في السلطة الفلسطينية
١٧٤.....	حماس والمسيحيون في فلسطين
١٧٨.....	المطلب الرابع: البعد العربي والإسلامي والدولي لحماس
١٨٥.....	الفصل الثالث: الخطاب الفكري والثقافي لحماس
١٨٦.....	المبحث الأول: حماس والتعددية السياسية

تمهيد:	١٨٦
المطلب الأول: مفهوم التعددية السياسية	١٨٨
المطلب الثاني: حكم التعددية السياسية في الإسلام	١٩١
موقف جماعة الإخوان المسلمين من التعددية	١٩٦
موقف حركة حماس من التعددية السياسية	١٩٧
المطلب الثالث: موقف الحركات الإسلامية من التعددية السياسية	١٩٨
حركات العالم الاسلامي وموقفها من التعددية:	١٩٨
الجماعة الاسلامية في باكستان:	١٩٨
الحركة الاسلامية في تركيا:	١٩٩
الحركة الاسلامية في ماليزيا:	١٩٩
التعددية السياسية في ايران:	١٩٩
الإسلاميون والتعددية السياسية في العالم العربي:	٢٠٠
حزب التحرير الاسلامي والتعددية:	٢٠٢
التعددية السياسية في فلسطين	٢٠٣
المطلب الرابع: حماس والتعددية السياسية في فلسطين	٢٠٤
حركة حماس ليست بديلاً لأحد	٢٠٥
تمهيد:	٢٠٨
المطلب الأول: الديمقراطية وموقف الإسلام منها	٢١٠
المطلب الثاني: التيارات الإسلامية وموقفها من الديمقراطية	٢١٨
المطلب الثالث: الإسلاميون والتحول الديمقراطي في فلسطين	٢٢٢
المطلب الرابع: حماس وممارسة العمل الديمقراطي	٢٢٥
المبحث الثالث: حماس ودورها في العمل الأهلي والإجتماعي	٢٢٨
تمهيد:	٢٢٨
المطلب الأول: العمل الأهلي ودوره في تنمية الصحوه الإسلامية	٢٣٠
المطلب الثاني: الإسلاميون وموقفهم من العمل الأهلي	٢٣٥
المطلب الثالث: حماس والمشاركة الفاعلة في العمل الأهلي	٢٣٧
المبحث الرابع: المرأة في فكر حماس الديني والسياسي	٢٤٢
تمهيد:	٢٤٢
المطلب الأول: المرأة والعمل السياسي في الإسلام	٢٤٣
المطلب الثاني: التحديات التي تواجه المرأة في فلسطيني	٢٤٦
المطلب الثالث: دور المرأة في المجتمع الفلسطيني وموقف حماس	٢٤٩

المبحث الخامس: دراسة تقييمية لخطاب حماس	٢٥٤
المطلب الأول: موقف الحركات الإسلامية من خطاب حماس	٢٥٦
المطلب الثاني: موقف الحركات القومية والعمانية الفلسطينية من خطاب حماس	٢٥٩
المطلب الرابع: خطاب حماس الجهادي والسياسي (رؤية إسرائيلية)	٢٦٦
الخاتمة	٢٧٢
نتائج البحث:	٢٧٢
توصيات الدراسة:	٢٧٤
ملحق	٢٧٦
ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"	٢٧٧
Executive Summary	٢٩٦
المصادر والمراجع	٢٩٨
المحتويات	٣١٢